رسائل

الشعائر الحسينية

رسالة التنزيه للسيد محسن الأمين

و الوسائل المؤيدة و المعارضة لها

الجزء الاول

تأليف
مجموعة من العلماء

جمعها وحقّقها وعلّق عليها
الشيخ محمّد الحسّون

الفهـرس الإجمـالى

الفهـرس التفـصيلي

الفهرس الإجمالى

(١) وقفة معرسالة التتويه وآثارها في المجتمع
(٢)جريدة الأوقات العراقية
(٣)صولة الحقّ على جولة الباطل
(٤) المواكب الحسينيّة
(٥) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء
(٦) كلمة حول التذكار الحسيني
(٧) نصرة المظلوم
(٨) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات
(٩) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى

دليل الكتاب

(١) وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع

تمهيد

بداية المطاف

المرحلة الأولى

صحيفة الأوقات العراقية:

وقفة مع صحيفة الأوقات العراقية:

صحيفة العهد الجديد البيروتيّة:

المرحلة الثانية

المرحلة الثالثة

المرحلة الرابعة

المرحلة الخامسة

رجال الدين:

رسائل أُلّفت حول هذا الموضوع:

الصحف:

مقالة الكاتب الهندي محمّد علي سالمين في جريدة ديوائن ميسج

ردّ السيّد نور الدين شرف على مقالة محمدّ علي سالمين

مقالة موقّعة باسم «حبيب بن مظاهر»

مقالة موقّعة باسم «أبي فواس»

الشعراء والخطباء:

عامّة الناس:

الرسائل الواردة في هذه المجموعة

(١) وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع

(٢) جريدة الأوقات العراقيّة

(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل

(٤) المواكب الحسينيّة

(٥) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء للشيخ مرتضى آل ياسين

(٦) كلمة حول التذكار الحسيني للشيخ محمّد جواد الحچّامي

(٧) نصوة المظلوم للشيخ حسن المظفّر

(٨) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات

(٩) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى

(١٠) سيماء الصلحاء

(١١) التنويه لأعمال الشبيه

(١٢)رنّة الأسى «نظرة في رسالة التنويه لأعمال الشبيه»

(١٣) كلمات جامعة حول المظاهر الفوائيّة

(١٤) الشعار الحسيني

(١٥) النقد الوجيه لرسالة التنويه

(١٦) كشف التمويه عن رسالة التنويه

(١٧) إقالة العاثر في إقامة الشعائر

(١٨) قطعة من إرشاد الأُمّة للتمسك بالأئمة

(١٩)رسالة في الشعائر الحسينيّة

(٢٠) ثورة التنويه

(٢)جريدة الأوقات العراقية

العبرة الأولى

العبرة الثانية

العبرة الثالثة

العبرة الرابعة

(٣)صولة الحقّ على جولة الباطل

حرمة التشبيهات

لطم الصدور

حرمة التطبير

هدم الوهابيّةلقبور أهل البيت عليهم السلام

(٤) المواكب الحسينيّة

جواز التطبير ورجحانه

جواز التشبيهات

البكاء على الحسين عليه السلام

اعتراض ابن باشيالعسكر على مواكب اللطم

استعمال آلات اللهو في المواكب

(٥) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء

أبيات شعر للمؤلّف

توجّع المؤلّف و تألمّه للشك فّي جواز الشعائر الحسينية

عبارة الدكتور جوزف الفونسي

كلام الفيلسوف الألماني المسيمو ملربين

محمّل النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هودج عائشة

مواكب اللطم

التطبير

كلمات الأعلام و آرأوهم

كلمة حول الرسالة

(٦) كلمة حول التذكار الحسيني

وقوف المؤلف على جريدة الأوقات العراقية

استنكار العلماء لبعض الشعائر الحسينية

مواكب العزاء

قصة وفاء المسوأل

كلمة لحضرة السيّد العلاّمة

كلمة للشيخ العلاّمة العلم الهادي من آل كاشف الغطاء( )

صورة السؤال المرفوع لحجج

صورة أُخرى

تشبّه الرجال بالنساء المحرّم في الشريعة( )

ملحق بالكتاب

(٧) نصرة المظلوم

وقوف المؤلّف على جريدة الأوقات العراقية

قتل الحسين لاحياء دين جّدة
وقعة عين الورد ووقعة نهر الخازر
تأكيد الإمام الصادق عليه السلام على الشعائر الحسينية
و من التذكارات الحسينية
المآتم
و من التذكارات الحسينية
التمثيل
تمثيل النساء
و من التذكارات الحسينية
مجامع اللدم
و من التذكارات الحسينية
المواكب
موكب لدم الصدور
موكب السلاسل
موكب القامات
نظرة في التاريخ
النجف وعمل الشبيه
إلى البصرة وما والاها
خاتمة مسكيّة
الأمر الأوّل
الأمر الثاني
الطَبْلُ
البُوق
الصّنج
الأمر الثالث

(٨) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات

مقدمة جامع هذه الأسئلة و أجوبتها

جواب السؤال الأوّل

جواب السؤال الثاني الوارد من البصرة

وصيّة المؤلّف

وله المجد والكبرياء

اللطم واللدم

خروج المواكب في الطرقات

ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل

ضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس

الشبيه ومواكب التمثيل

فذلكة المقام وخلاصة الفتوى

محاضرة زاهرة وكلمات باهرة

(٩) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى

السؤال الثاني

الصفحة 1
الصفحة 2
الصفحة 3
الصفحة 4
الصفحة 5

دليل الكتاب

* (١) وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع، للشيخ محمّد الحسوّن.
* (٢) جريدة الأوقات العراقية، العدد ١٦٦١ ، الصادر في الأوّل من محرّم سنة١٣٤٥هـ .
* (٣) صولة الحقّ على جولة الباطل، للسيّد محمدّ مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ).
* (٤) المواكب الحسينيّة، للشيخ عبد اللّه المامقاني (ت١٣٥١هـ).
* (٥) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء، للشيخ مرتضى آل ياسين (ت١٣٩٨هـ).
* (٦) كلمة حول التذكار الحسيني، للشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت١٣٧٦هـ).
* (٧) نصرة المظلوم، للشيخ حسن ابن الشيخ عبد المهدي المظفّر (ت١٣٨٨هـ).
* (٨) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات «المواكب الحسينيّة»، للشيخ محمدّ حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).
* (٩) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى، للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

الصفحة 6

(١٠) سيماء الصلحاء، للشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١هـ).

(١١) التنزيه لأعمال الشبيه، للسيّد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ).

(١٢)رنّة الأسى «نظرة في رسالة التنزيه لأعمال الشبيه» للشيخ عبد اللّه السبيتي العاملي (ت١٣٩٧هـ)،

(١٣) كلمات جامعة حول المظاهر الزائفة، للشيخ محمّد علي الغروي الأُردوبادي النجفي (ت١٣٨١هـ).

(١٤) الشعار الحسيني، للشيخ محمّد حسين المظفرّ (ت١٣٨١هـ).

(١٥) النقد التزيه لرسالة التنزيه، للشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت١٣٧٥هـ).

(١٦) كشف التمويه عن رسالة التنزيه، للشيخ محمّد الكنجي (ت حدود ١٣٦٠هـ).

(١٧) إقالة العاثر في إقامة الشعائر، للسيّد علي نقي اللكهوي (ت١٤٠٨هـ).

(١٨) قطعة من كتاب إرشاد الأُمّة للتمسكّ بالأئمة، للشيخ عبد المهدي المظفرّ (ت١٣٦٣هـ).

(١٩)رسالة في الشعائر الحسينيّة، للسيدّ محمدّ هادي البجستاني الحائري (ت١٣٦٨هـ)،

(٢٠) ثورة التنزيه، لمحمّد القاسم الحسيني النجفي.

الصفحة 7

(١) وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع

تأليف

الشيخ محمّد الحسوّن

الصفحة 8

الصفحة 9

تمهيد

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلامّ على خير الأنام، نبينا وّمقتدانا أبي القاسم محمد، وّعلى أهل بيته الطيبين الطّاهرين الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا وبعد، لكل امّة مُن الامم، بُل لكل جماّعة من الناس – على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ومعتقداتهم – شعائر وطقوس يؤمنون بها يؤدّونها على أنّها فرضٌ لا يمكن التساهل به.

والأُمم والجماعات: السالفة منها، والتي نعاصرها الآن، وحتّى التي تأتي بعدنا، كلهّا سواء من حيث المعتقدات، إلا أّن الاختلاف في طبيعتها وكيفيّتها يكون تابعاً لعنصري المكان والزمان والمستوى الثقافي للأفراد، فالشعائر التي يؤديّها المثقفّ تختلف عن تلك التي يؤدّيها الأمّي وان كانت متحّدة من حيث المنشأ

الصفحة 10

والمعتقد.

والشعائر الحسينيّة التي يقيمها أتباع أهل البيت عليهمالسلام ومحبوّهم، قديمة قدمِ واقعة الطف الخالدة، ومتأصلةّ في النفوس أصالة المبادئ التي ثار من أجلها الإمام الحسين عليهالسلام. وقد مرّت هذه الشعائر بفترات مدٍّ وجزرٍ ؛ تبعا للظّروف السياسية التي عمّت المجتمع الإسلامي آنذاك، ونزولاً عند رأي الحكاّم المتسلطّين على رقاب المسلمين وميولهم لهذه الشعائر وعدمها.

فلعلّ أوّل هذه الشعائر، وهو البكاء على الإمام الحسين عليهالسلام وأهل بيته وأصحابه، جرى بعد واقعة الطف مباشرة وفي بيت يزيد بن معاوية، كما حدّثنا التأريخ بذلك.

قال الطوسي في تأريخه: «فخرجن – أي النساء السبايا – حتّى دخلن دار يزيد، فلم يبق من آل معاوية امرأة إلاّ استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً»[1].

وتتابعت مجالس الحزن والبكاء في الكوفة والمدينة المنوّرة وغيرهما، وأقام التوابون عند قبر الحسين عليهالسلام مأتماً عظيماً يصفه ابن الأثير في تأريخه قائلاً:

«فما رُئي أكثر باكٍ من ذلك اليوم، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضوعّون ويتوحمونّ عليه وعلى أصحابه» [2].

وأُقيمت هذه المجالس في العهد الأُموي سراً؛ خوفا منً أعداء أهل البيت.

1- تأريخ الطبري ٥: ٤٦٢.
2- الكامل في التأريخ ٤: ١٧٨.

وفي العهد العبّاسي اقُيمت علنا أحياناً وسرا أحيانا اخرىُ، ففي أيام المّأمون اقيمتُ علنا، وفيً أيام المتوّكل أقيمتّ سرا، حتّى تفاقم الوضع في أيامه ومنع من إقامة هذه الشعائر، وتطرّف كثيرا فيً عدائه للإمام الحسين عليهالسلام إذ أمر بهدم قبره الشريف، يقول ابن الأثير في تأريخه في حوادث سنة٢٣٦هـ :

«وفي هذه السنّة أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن علي عليهالسلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذّر ويسقى موضع قبره» [1].

وانتشرت هذه الشعائر أيام الأخشيديين وكافور، واتّسع نطاقها أيام الفاطميين [2]. وفي أيام البويهيين اتّخذ معزّ الدولة البويهي اليوم العاشر من محرّم يوم حزن وعزاء بصفة رسميّة [3].

وانتعشت هذه المجالس في أيّام الدولة الصفويّة، واتسّعت مساحتها، ودخلتها امورُ كثيرة مستحدثة.

وعندما سيطر العثمانيّون على العالم الإسلامي – ومنه العراق – منعوا من إقامة هذه الشعائر بشتّى الأساليب والطرُق، فأُقيمت سراً.

وبعد رحيل الأتراك عن العراق أصبحت المجالس تُقام علناً وبشكل واسع النطاق. وعند حصول العراق على استقلاله الوطني انتعشت هذه المجالس كثيراً،

1- الكامل في التأريخ ٧: ٥٥.
2- الخطط المقريزيّة ٢: ٢٩٠.
3- الشيعة في الميزان: ١٦٣.

وأصبح لها دويّ واسع، لا في المحرّم فحسب، بل وفي أربعينيّة الإمام الحسين عليهالسلام وذكرى وفاة الرسول الأعظم صلىاللهعليهوآلهوسلم، والأئمّة الأطهار عليهمالسلام. وفي العقود الثلاثة الأخيرة من زماننا هذا، وبعد سيطرة حزب البعث على العراق، منعت الحكومة العراقيّة من إقامة أكثر هذه الشعائر، وعاقبت المتمسكين بها أشدّ عقاب، فأعدمت بعضهم وسجنت البعض الآخر.

أمّا في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة فقد مرّت هذه الشعائر بأدوار مختلفة منعتُ في بعضها واقيمتُ في اخرىُ. ففي زمن الشاه رضا البهلوي مُنعت هذه الشعائر أشدّ المنع، وجرت عقوبات مجحفة بحقّ المقيمين لها.

وفي أيّامنا هذه نشُاهد – بحمد اللهّ تعالى ومنه – رواجا وانتشارا واسعا لهذه الشعائر بشكل لم يسبق له مثيل، وهذا من

ثمار الجمهوريّة الإسلامية المباركة التي أسسّها الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه.

إلاّ أنّ هذا لا يعني بقاء جميع تلك الشعائر سالمة من بعض الجوانب السلبية، ومحافظة عَلى أصالتها والأهداف التي اقيمُت من أجلها. فمن المؤسف جدّاً أن نرى محاولات مغرضة ومبرمجة – لا يبعد أن يكون وراءها أيادي معادية للإسلام – لصواف هذه الشعائر عن مسارها الصحيح، وتفريغ الثورة الحسينيّة المباركة من محتواها الفكري والعقائدي، الذي يتحدّى الظالمين ويسخر من الطغاة.

والغريب في الأمر أنّ بعض محبّي أهل البيت عليهمالسلام أدخلوا في هذه الشعائر ما يشينها ويبعدها عن روح الإسلام المحمّدي الأصيل، وهم يتصوّرون – في أعمالهم هذه – بأنهّم يخدمون الإمام الحسين عليهالسلام الذي استرخص دمه ودم أهل

بيته وأصحابه من أجل أهداف سامية، عبّر عنها بقوله:

«إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسُداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدّي صلّى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[1].

وبقوله عليهالسلام: «اللّهم إنك تعلم إنهّ لم يكن الذي كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً لفضول الحطام، ولكن لنرّد المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك،

ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك»[2].

إذاً فثورة الحسين عليهالسلام جمعت بين الفكر والعاطفة، واحتوت العقل والسيف، وضمتّ الشعار إلى الحكمة، والعبرة إلى العَبرة، والدمعة الساكبة إلى التأمل والفكرة.

فما أحوجنا في هذه الأيّام – التي نشاهد فيها الغزو الثقافي الغربي قد دخل إلى عقر ديارنا الإسلامية – إلى التركيز على العِبرة والخطاب الفكري العقائدي، إلى جانب العبَرة والخطاب التعبوي الذي يعوض الجانب المأساوي لواقعة الطف.

والساحة الإسلاميّة الآن بحاجة ماسّة إلى تلاحم واتحّاد واقعي بين مدارس الفكر ومدارس العاطفة، يقف فيه المثقفّ إلى جانب الخطيب المناقبي، ويساند المفكّرُ الفقيه الذي قضى كل عمره في دراسة العلوم الإسلامية واستنباط الأحكام الشرعيّة.

وما رسالة «التنزيه» إلاّ واحدة من تلك الصيحات المخلصة التي تعالت

1- بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.
2- تحف العقول: ٢٣٩.

مطالبةً بتنزيه الشعائر الحسينية مما لحقها من شوائب أخرجتها عن مسارها الصحيح، أطلقها أحد علماء أتباع مدرسة أهل البيت عليهمالسلام قبل ثمان وثمانين سنة تقريباً، هو السيدّ محسن الأمين العاملي ت١٣٨١هـ).

وقد كان لي قبل ثمان سنوات تقريباً وقفة مع هذه الرسالة، إذ قمتُ بعرضها وقراءة ما ورد فيها، ومناقشة آراء مؤلفّها،

وإيضاح الأمور المبهمة والوقائع التاريخيّة وتواجم الرجال التي تحتاج إلى تبيين، كلّ ذلك في رسالة مستقلةّ باسم «قواءة في رسالة التتويه» طُبعت سنة ١٤٢٣هـ في مكتبة سعيد بن جبير في مدينة قم المقدّسة.

ولم أكن آنذاك بصدد الترويج لهذه الرسالة أو تبنّيها أو ردّها كاملةً، بل الذي كان يهمنيّ في ذلك الوقت هو رؤية صاحبها العلاّمة الأمين والأفكار التي طرحها فيها، التي نؤيدّ بعضها ونتحفظّ على البعض الآخر، مع كامل احترامنا وتقديرنا لكل الآراء التي طرحت حولها قدحاً ومدحاً أو رفضاً وقولاً.

وأثناء بحثي في تلك الرسالة تعرّفت على أسماء الرسائل التي أُلفّت حولها – تأييدا وردّا – وسعيت آنذاك للحصول عليها كاملة للوقوف على آراء أصحابها، لكنّي لم أوفقّ لذلك، فأخرجت رُسالتي – قواءة في رسالة التتويه – كعمل أوليّ حسب المعلومات التي توفّرت لديّ في ذلك الوقت.

لكنّي لم أترك البحث، وسعيتُ للحصول على كلّ الرسائل المتعلقةّ بـ«رسالة التتويه»، والتي كانت لها مشاركة فعالةّ في تلك الثورة الإصلاحية والمعركة

الثقافية، علماً بأنّ أكثر هذه الرسائل عثرتُ عليها في مكتبات العراق بعد سقوط النظام البعثي الجائر في العراق. وتبينّ لي أثناء البحث أنّ هناك رسالة أخرى، ورجلاً آخر، قامن ندائه

لتتويه الشعائر الحسينيّة مع نداء السيدّ الأمين، هو السيدّ محمدّ مهدي الموسوي القزويني الكاظمي البصري (ت١٣٥٨هـ)، الذي أصدر رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» سنة١٣٤٥ هـ ، وكان يسكن البصرة في ذلك الوقت.

وكان نصيبه ونصيب رسالته هو الردّ أيضاً من بعض الأعلام. فجمعتُ الرسالتين، والرسائل التي أيدتّهما وعارضتهما، وقمتُ بتحقيقهما،

والتعليق عليهما وتسليط الضوء على هذه المعركة الثقافية الإصلاحية، ابتداءً من نشوئها في جريدتي «الأوقات العراقية» و«العهد الجديد اللبنانية»، ومروراً برسالتي السيدّ البصري «الصولة» والسيدّ الأمين «التتويه»، وانتهاء بالرسائل التي أيدتّها وعارضتها، وبيّنت الطبقات الاجتماعية المختلفة التي ساهمت في هذه الحركة الإصلاحية من مراجع دين، وعلماء، وأدباء وشعراء، وعامّة الناس.

وهدفي من عملي هذا هو حفظ هذه الرسائل في مجموعة واحدة، والاطلاع على آراء العلماء المعارضين لبعض الشعائر الحسينيّة والمؤيدين لها وأدلتّهم وحججهم على آرائهم، فإنّ قضية الشعائر الحسينيةّ تتجدد كلّ سنّة، بل تعيش مع المؤمنين في كلّ ساعات حياتهم، وليست هي مسألة قديمة أكل الدهر عليها وشرب، ولا حاجة لإثارتها من جديد، كما يقول البعض.

أسأل الباري عزّ وجلّ أن يجعلنا من خدامّ الإمام الحسين عليه السلام، وأن يرزقنا زيارته في الدنيا وشفاعته في الآخرة، إنهّ سميع مجيب.

محمّد الحسّون

الصفحة 16

الصفحة 17

بداية المطاف

نستطيع أن نقسّم المراحل التي مرّت بها هذه الحركة الإصلاحية إلى خمس مراحل، هي:

المرحلة الأولى

كان للصحافة في هذه المرحلة الدور الأساسي في هذه الحركة الإصلاحية، فقد نشرت صحيفتان مقالتين لعلمين من أعلام الطائفة الحقّة يطالبان بإصلاح الشعائر الحسينيّة، وهما: صحيفة الأوقات العراقية الصادرة في البصرة وصحيفة العهد الجديد الصادرة في بيروت.

صحيفة الأوقات العراقية:

بعد عودة السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨ هـ) من الكويت واستقراره في البصرة سنة١٣٤٣هـ ، نادى بإصلاح بعض الشعائر الحسينيّة، وصادف أن زاره أحد مسؤولي أو محرّري هذه الجريدة، وتباحث معه

الصفحة 18

عن بعض هذه الشعائر، فأبدى السيّد رأيه فيها وضرورة تهذيبها من الأمور الغريبة التي دخلت فيها.

فقام هذا الشخص بنشر بعض هذه المحاورة في تلك الجريدة، في عددها ١٦٦١ تحت عنوان «يوم عاشوراء» دون علم ورضى السيّد، إذ يقول في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» مشيراً إلى ذلك:

«حتّى لقد جرت بيني وبين بعض من جاءني محادثة في هذه وغيرها من الديانات وغير الديانات، وبعد أيام نشرها على صفحات الأوقات العراقيّة، وقد تعرّض لأكثر ما جرت فيه المفاوضة باختصار، وكان من جملة ما تعرّض إليه هذه المسألة «التشبيهات والمواكب العاشورية»، ولو كنتُ عالماً بأنهّ سيتعرّض لها في الجريدة لحظرت عليه ذلك ؛ إذ لا دخل لغير العلماء فيها. ولما كان بيانه لها باختصار، فأجمل فيها بعض التي لصاحب الغرض حملها على حسب غرضه، قامت قيامة بعض الجهلة...» [1].

وخلاصة كلام السيّد مهدي البصري في هذه الصحيفة هو: تحريمه للتشبيهات والتمثيليات التي يقوم بها الناس في عاشوراء، إذ يمثّلون ما جرى في واقعة الطف الأليمة، لأنّ ذلك – حسب رأيه – «مجلبة لسخرية الملل الخارجة وداعيا مَن دواعي الاستهزاء».

وكذلك تحريمه لضرب الرؤوس بالسيوف والقامات والظهور بسلاسل الحديد ؛ لأنّه «فعل همجي وحشي لم يرد دليل شرعي على تجويزه».

1- صولة الحقّ على جولة الباطل المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١: ١٨٠.

أمّا لطم الصدور، فما حرّمه عموماً، بل نادى أن يكون ذلك في المساجد والحسينيات، لا في الشوارع والأماكن العامة.

وحاولت كثيراً الوقوف على هذا العدد من الجريدة، كي أنشره في هذه المجموعة، إلاّ أنيّ لم اوفّق لذلك، فقمت بإيراد بعض عبارتها التي ذكرها الشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت١٣٧٦ هـ) في رسالته «كلمة حول التذكار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

وقفة مع صحيفة الأوقات العراقية:

عرفنا أنّ الشرارة الأولى لهذه الحركة كانت من هذه الجريدة، فلنسلّط الضوء – ولو قليلاً – عليها: من أصدرها، ومتى، ومَن حرّر فيها؟

يقول السيّد عبد الرزاق الحسني (ت١٩٩٧ م) في كتابه «تاريخ الصحافة العراقية»: تحت عنوان: الجرائد التي صدرت بعد الاحتلال البريطاني للبصرة وكانت سياسيّة:

«الأوقات البصريّة: لمّا احتلّ الجيش البريطاني البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤م وضع يده على ثلاث مطابع للأهالي فيها، مضافاً إلى مطبعة الولاية التي صادرها وأخذ يطبع فيها نشرة يوميّة باللغتين العربية والإنجليزية عن سير القتال في الشرق والغرب. وقد تطوّرت هذه النشرة إلى جريدة يومية سياسيّة أدبية مصوّرة، يحرّر فيها «جون فلبي» وغيره من مروجيّ السياسة البريطانية.

ولمّا شعرت الحكومة المحتلّة بضرورة وجود جريدة ثابتة تعبرّ عن سياستها وتهيئّ الرأي العام فيّ البلاد إلى الأحداث المقبلة، أوعزت إلى «سليمان

بك الزهير» – أحد سراة البصرة – أن ينشئ جريدة باسمه لهذا الغرض، فصدرت جريدة «الأوقات البصريّة» في أوّل عام ١٩١٥ م بأربع لغات وهي: العربية، والانجليزية، والفارسية، والتركية، ولبثت تصدر بانتظام خمس سنوات كاملات، حيث حلّ محلّها جريدة «أوقات ما بين النهرين» باللغة الإنجليزية في أواسط عام ١٩٢١ م أوّل مايس، إذ لم تبق ضرورة لبقاء الجريدة الأولى.

وكانت الجريدة الجديدة يومية سياسيّة استبدلت اسمها باسم «الأوقات العراقية»، ونقلت إدارتها من البصرة إلى بغداد لتحلّ محلّ جريدة «الأوقات البغدادية» التي عطلّتها الحكومة»[1].

ويقول عن «الأوقات العراقية» منير بكر التكريتي في كتابه «الصحافة العراقية» بعد نقله لكلام السيّد الحسني المتقدّم: «وكانت خير أداة للإعلان عن سياستهم، وقد لعب المستر جون فلبي – السياسي الإنجليزي المعروف – دوراً هاماً في تحريرها»[2].

ويقول أيضاً في هذا الكتاب: «حرّر فيها السياسي المعروف المستر جون فلبي، ولها سياسة معروفة، فهي خادمة لأغراض السلطات البريطانية ومروّجة لسياسة الحلفاء، وقد استمرت في الصدور إلى احتلال بغداد في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧ م وانتقال حكومة الاحتلال إليها، إذا ذاك أُعطيت بطريقة الالتزام إلى أحد وجوه البصرة السيّد سليمان الزهير، وقد استقدم لها محرّراً من مصر هو

1- تاريخ الصحافة العراقية: ٧٤ - ٧٥.
2- الصحافة العراقية: ٦٨.

«عطا عوام» زميل «توفيق حبيب» المعروف بالصحافي العجوز.

فالمتصفّح لأعدادها يجد أنباء العالم والبلاغات الحربيّة تحتلّ معظمها، فهي أشبه ما تكون بنشرة حربية لخدمة مصالح الإنجليز والترويج لسياستهم وحلفائهم. أمّا المقالات الثقافية فتكاد تكون قليلة جداً بالقياس إلى الموضوعات الأخرى، وحتىّ هذه الموضوعات القليلة لا تخلو بين ثناياها من مدح الإنجليز وذمّ العثمانيين»[1].

ويقول رجب بركات في كتابه «من صحافة الخليج العربي»: «خلال فترة الإصدار الأوّل استخدمت حكومة الاحتلال لتحرير الجريدة من غير العراقيين كلاًّ من: محمّد شوقي، وعبد الحميد عرعي. وأمّا العراقيون الذين حرروّا في «الأوقات البصريّة» فكان منهم: الأستاذ شاكر نعمة، والمرحوم الأديب الشاعر هادي الدفتر. ومن كتّابها أيضاً المرحوم سليمان فيضي المحامي، وعبد الوهاب الطباطبائي»[2].

صحيفة العهد الجديد البيروتيّة:

في الوقت الذي نشرت صحيفة «الأوقات العراقية» كلاماً للسيّد البصري (ت١٣٥٨ هـ)، يدعو فيه إلى إصلاح بعض الشعائر الحسينيّة، في نفس الوقت نشرت صحيفة «العهد الجديد» – التي كانت تصدر في بيروت – كلاماً للسيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، يدعو فيه أيضاً لإصلاح بعض الشعائر الحسينية،

1- الصحافة العراقية: ١١٣.
2- من صحافة الخليج العربي: ٧٦ - ٧٧.

وكان ذلك سنة١٣٤٥هـ .

وقد أشار إلى هذه الصحيفة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١ هـ) في رسالته «سيماء الصلحاء» قائلاً:

«ومن فجائع الدهور، وفظائع الأمور، وقاصمات الظهور، وموغرات الصدور ما نقلته بعض جرائد بيروت في هذا العام، عمّن نحترم أشخاصهم من المعاصرين الوطنيّين، من تحبيذ ترك المواكب الحسينيّة والاجتماعات الغرائية بصورها المجسمة في النبطية وغيرها من القرى العامليّة»[1].

وفي الطبعة الثانية لهذه الرسالة «سيماء الصلحاء» يوجد تعليق في الهامش على قول الشيخ عبد الحسين صادق: «ما نقلته بعض جرائد بيروت» هو:

«يريد بها جريدة العهد الجديد، الذي كان يراسلها قدزار سماحة السيّد محسن الأمين – حسب نقل الأستاذ إبراهيم فوان عن المؤرّخ السيّد حسن الأمين نجل سماحة السيدّ محسن الأمين – وسأله عن رأيه في اللطم على الصدور والضرب على الرؤوس، فأجابه بالتحريم، ممّا أثار حفيظة المرحوم سماحة الشيخ عبد الحسين صادق، فأصدر هذه الرسالة الموسومة بـ«سيماء الصلحاء» سنة ١٣٤٥هـ – ١٩٢٧ م – مطبعة العرفان صيدا، رداً على التصريح المشار إليه.

«عن حلقة دراسية حول عاشوراء – ١٩٧٤ رقم٢٢٥ ص٢٧»[2] والظاهر من خلال مطالعة رسالتي «سيماء الصلحاء» و«التنزيه» أنّ هذه

1- سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٨٩.
2- المصدر السابق: ٤٨.

الصحيفة نقلت عن السيّد الأمين دعوته لإصلاح بعض الشعائر الحسينيّة وتحريمه ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات، وكذلك نقل الأحاديث المكذوبة على المنابر، وخروج المواكب في الأزقّة والطرق، وغيرها من المراسم الغرائية، التي أكد – بعد ذلك – على تحريمها في رسالته «التنزيه».

المرحلة الثانية

بعد أن قامت جريدة «الأوقات العراقية» بنشر آراء السيّد مهدي البصري وتحريمه لبعض الشعائر الحسينيّة، وذلك دون رضاه، بل دون علمه بأنّ الجريدة سوف تنشر كلامه هذا، كما أوضحناه سابقاً، لذلك حصلت ردود أفعال كثيرة وعارضه مجموعة من العلماء، وكتب المؤمنون رسائل لمراجع الدين في النجف الأشرف يستفتونهم عن صحّة هذه الآراء، وعمل البعض على إثارة الفتنة، وادّعوا أنّ السيدّ البصري حرّم كلّ أنواع التعزية والشعائر الحسينية.

لذلك اضطرّ هذا السيدّ لتأليف رسالة مستقلّة سمّاها «صولة الحق عّلى جولة الباطل» بين فيها حقيقة آرائه، وأنه لمّ يحرم كلّ الشعائر، وأن الجريدة لم تنشر كلّ ما جرى بينه وبين أحد مسؤوليها أو محرريّها إذ يقول فيها: «وبعد أيام نشروها في صفحات الأوقات العراقية، وقد تعرّض لأكثر ما جرت فيه المفاوضة باختصار، وكان من جملة ما تعرّض إليه هذه المسألة «التشبيهات والمواكب العاشوريّة»، ولو كنتُ عالما بأنه سيتعرض لها في الجريدة لحظرت عليه ذلك ؛ إذا لا دخل لغير العلماء

فيها.

ولمّا كان بيانه باختصار، فأجمل فيها بعض الشيء لصاحب الغرض حملها

على حسب غرضه، قامت قيامة بعض الجهلة بالشناعة من محافلها، ينادون بأنّا قد حرّمنا التعزية بتاتاً، وبعضهم ينادي بأن مجالس التعزية والمآتم ستُسدّ في العام المقبل، وصاروا يتقولّون علينا بالبهتان، وقد حصل لهم منَ ساعدهم على هذا من الذينّ هم من غير صنفهم، وصار لهم زفير وشهيق ووو. ولكنّي لا تضرّني زعقاتهم، ولا يقلقني اصطخابهم بتشنيعهم عليّ بالبهتان البيّن».

إلى أنّ قال: «ولقد طلب إليّ بعضُ المؤمنين كتابة شيء مختصر جلي في الباب، يتحققّ به فصل الخطاب، ويقوي بحججه الدامغة المفتري المرتاب، فأجبته إلى ما طلب ؛ تقويماً للدين عن السخافات، وقمعاً لمن جعل شعاره المفتريات، وقد سميّته: صولة الحقّ على جولة الباطل»[1].

وخلاصة كلام السيّد في رسالته هذه أنّه حرّم عدةّ أمور:

١) حرّم التشبيهات التي يجري فيها تشبيه عقائل النبوة «بالنسوة غير المحجبّات اللاتي لا شرف لهنّ ولا حيثية تحوطهنّ، فيُجعلنّ على الجمال في المحامل وغيرها، ويشُهرن بين الفسقة وغيرهم من الملل الخارجة، وقد ضربُت الطبول والطوس، وصدحت الأبواق أمامهنّ وخلفهنّ، والخلق حولهنّ من كل صّنف وشاكلة، ما بين وقوف وجلوس، يتفرجّون عليهن: بعّض بالاستهزاء، وبعض بالشماتة، وآخر راثٍ لهذه الهيئة وهنّ يسُار بهن في الطرق والأزقة عّلى هذه الهيئة الشنيعة البشعة، والناس يشيرون إليهنّ بأيديهم، ويسموّنهن بأسمائهنّ»[2].

٢) الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس، إذ قال معلّلاً ذلك: «لما

1- صولة الحقّ على جولة الباطل المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١: ١٨٤.
2- صولة الحقّ على جولة الباطل المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١: ١٨٤ - ١٨٥.

شاهدناه وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كلّ سنة، لكثرة ترف الدم.

ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجيّ وحشيّ، مثل الضرب بسلسلة من الحديد، ولم يرد دليل شرعي على تجوزها، وما من سورة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة فعال وحشيّة»[1].

٣) خروج مواكب اللطم في الأزقة والشوارع، معلّلاً ذلك بقوله: «لما بلغني من ترتبّ بعض المحرمات على خروجهم، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جراء ذلك جرح وقتل، إلى غير ذلك، فكأنمّا بعضهم يلطم على آل الرسول، وبعضهم يلطم على يزيد وشيعته، ويحارب بعضهم بعضاً»[2].

أمّا ما يتعلقّ بآراء السيدّ محسن الأمين التي نشرتها جريدة «العهد الجديد» البيروتية فقد تصدىّ لها الشيخ عبد الحسين

صادق العاملي (ت١٣٦١ هـ)، برسالته «سيماء الصلحاء» التي طبعت طبعتها الأولى في مطبعة العرفان في صيدا سنة١٣٤٥هـ ، إذ تناول آراء السيّد الأمين بالردّ العنيف، ووصف مؤيديّه بأوصاف جارحة، أشرنا إليها في الرسالة عند حديثنا عنها.

وخلاصة آراء الشيخ عبد الحسين أنّه أيدّ كافةّ الشعائر التي عارضها السيدّ الأمين، والتي منها: ضرب الرؤوس بالسيوف والظهور بسلاسل الحديد، وخروج المواكب في الأزقّة والطرقات، وتمثيل واقعة الطف وما جرى يوم العاشر على عائلة الحسين عليهالسلام، وغيرها، وسوف يأتي الكلام عنها مفصلاً.

1- صولة الحقّ على جولة الباطل المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١: ١٩١.
2- المصدر السابق ١: ١٨٩ - ١٩٠.

المرحلة الثالثة

هذه المرحلة تتعلّق بردود الفعل على آراء السيدّ محمدّ مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨ هـ) التي نُشرت في جريدة «الأوقات العراقية» وفي رسالته «الصولة»، حين قام جماعة من المؤمنين – خصوصاً الساكنين في البصرة – بإرسال رسائل عديدة إلى مراجع الدين في النجف الأشرف يستفتونهم عن الحكم الشرعي لهذه الشعائر الحسينيّة.

فكتب المراجع والعلماء آراءهم عنها، وأكثرهم عارض آراء السيّد مهدي آنذاك، وألفّ بعض العلماء رسائل بينوّا بشكل صريح معارضتهم لآراء هذا السيّد، منهم:

(١) الشيخ عبد اللّه المامقاني (ت١٣٥١ هـ)، ورسالته «المواكب الحسينيّة»، وهي عبارة عن جواب ورد إليه في الرابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٥ هـ ، فأجاب عليه الشيخ بهذه الرسالة التي بيّن فيها رجحان الشعائر الحسينية ومعارضتة لمنكريها دون ذكر أسمائهم، علماً بأنّ هذا هو السؤال الثاني الذي ورد عليه عن هذه الشعائر، والسؤال الأولّ كان بتاريخ منتصف شهر محرّم الحرام من هذه السنة.

(٢) الشيخ مرتضى آل ياسين (ت١٣٩٨ هـ) ورسالته «نظرة دامعة حول

مظاهرات عاشوراء»، وهي رسالة أدبيّة رائعة، تدلّ على المستوى الأدبي الرفيع للمؤلفّ، الذي يتوجعّ ويتأسفّ لهذه الأمة ُ التي وصلت إلى هذا الحدّ من الانحطاط الفكري الذي دعاها تشكّك بالشعائر الحسينية، إذا أورد فيها بعض إشكالات المستشكلين وأجاب عليها جواباً علمياً، طبعت سنة ١٣٤٥هـ .

(٣) الشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت١٣٧٦ هـ) ورسالته «كلمة حول التذكار الحسيني»، يردّ فيها على ما ورد في جريدة «الأوقات العراقية» ويذكر عبارات وفتاوى بعض الأعلام في رجحان هذه الشعائر منهم: السيّد محمدّ الفيروزآبادي (ت١٣٤٥ هـ)، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء (ت١٣٤٩ هـ)، والشيخ عبد اللّه المامقاني (ت١٣٥١ هـ)، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء (ت١٣٦١ هـ)، والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣ هـ). ويذكر أيضاً جواباً لاستفتاء وجهّه البعض للعلامةّ

البلاغي الشيخ محمّد جواد (ت١٣٥٢هـ)، طبعت سنة١٣٤٥هـ .

(٤) الشيخ حسن المظفر (ت١٣٨٨ هـ) ورسالته «نصرة المظلوم»، يردّ فيها على جريدة «الأوقات العراقية» و«الصولة» أيضاً، ويذكر بعض الشعائر الحسينيّة بشكل مفصلّ، وينقل فتوى الميرزا النائيني (ت١٣٥٥هـ)، وكذلك ما كتبه العلاّمة البلاغي (ت١٣٥٢ هـ)، عن مشاهداته لمواكب القامات في سامراء، طبعت أول ربيع سنة ١٣٤٥هـ .

(٥) الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣ هـ) ورسالته «المواكب الحسينيّة» وهي في الواقع ثلاث رسائل، أي ثلاثة أجوبة على ثلاثة أسئلة وردت عليه حول الشعائر الحسينيّة الرسالة الأولى بدون تاريخ، والثانية في السابع عشر من شهر صفر سنة١٣٤٥ هـ والثالثة أيضاً في هذه السنة. ومن خلال هذه التواريخ

يتّضح أنّها ردّ على آراء السيدّ محمد مّهدي الموسوي صاحب «الصولة».

وقد ذكر المؤلّف في رسائله هذه الشعائر الحسينيّة بشكل مفصلّ: اللطم واللدم، خروج المواكب في الطرقات، ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل، وضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس، والشبيه ومواكب التمثيل.

المرحلة الرابعة

تقتصر هذه المرحلة على رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه» التي ألّفها السيدّ محسن الأمين (ت١٣٧١ هـ) دفاعاً عن آرائه وردّاً على رسالة «سيماء الصلحاء» الذي كتبها الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١ هـ)، التي انتقد فيها كلاًّ من السيدّ الأمين والسيّد القزويني البصري.

وقد ذكر السيّد تسعة إشكالات على الشعائر الحسينيّة، وهي:

١) الكذب بذكر الأمور المكذوبة المعلوم كذبها وعدم وجودها في خبر ولا نقلها في كتاب.

٢) التلحين بالغناء الذي قام الإجماع على تحريمه.

٣) إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها.

٤) استعمال آلات اللهو كالطبل والزمر والصنوج النحاسية.

٥) تشبيه الرجال بالنساء في وقت التمثيل.

٦) إركاب النساء الهوادج مكشّفات الوجوه وتشبيههنّ ببنات رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم.

٧) صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب.

٨) الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة.

٩) كلّ ما يوجب الهتك والشنعة ممّا لا يدخل تحت الحصر.

انتهى المؤلّف منها في الثامن عشر من شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٦ هـ ، وطبعت طبعتها الأولى في مطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٤٧هـ .

ورأيت طبعة أخرى لهذه الرسالة كتب عليها: أنّها الطبعة الثانية، نشر دار الهداية للطباعة والنشر، إلاّ أنّ هذه الطبعة لم يذكر فيها تاريخ طباعتها ولا مكانه، ولا الجهة التي قامت بطبعها. والذي يظهر من «التمهيد» الذي كتب في بداية هذه الطبعة، أنّ الذين طبعوها هم من المؤيدين لأفكار السيّد الأمين. علماً بأنّ في هذه الطبعة سقطت كلمات بل أسطر وصفحات، لا يمكن إلقاء اللوم فيها على المطبعة ؛ إذ لا يمكن لأيّ مطبعة مهما كانت رديئة أن تسقط من الكتاب كلمات وسطور بل عدة صفحات، ونثبت هنا تلك السقوطات حتّى يطلّع القارئ عليها، ويعرف التلاعب الذي حصل فيها، وهل يمكن أن تكون من المطبعة؟! وهي:

أولاً: «ثبت عن النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم وأئمة أهل البيت عليهمالسلام رجحانها وأنها من السنن، واعترف بذلك جميع العقلاء من جميع أهل الملل، كما بيّناه في كتابنا (إقناع اللائم على إقامة المآتم) الذي لم يصنّف مثله في هذا الموضوع» [1].

ثانياً: «بما لم يسبقنا إليه أحد إلى اليوم، وذكرنا فيه ما في إقامة العزاء من الفوائد والمنافع بأوفى بيان، وأقمنا الأدلّة والبراهين الكافية من العقل والنقل بما لا مزيد عليه» [2].

1- التنزيه لأعمال الشبيه المطبوعة ضمن هذه المجموعة٢: ١٦٨.
2- المصدر السابق ٢: ١٧٦.

ثالثاً: «حتّى في أيام ارتفاع الخوف والتقية، كأوائل دولة بني العباس وعصر المأمون وغير ذلك» [1].

رابعاً: «كالصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم وذي النورين وأبي السبطين، لا كيزيد» [2].

خامساً: «كالسيّد صالح الحلّي خطيب الذاكرين ومفخرة القارئين وأمثاله» [3].

سادساً: «ما الذي يدعوه إلى هذه اللسبات واللسعات؟! وأيم اللّه لو لم يوجّه لسباته ولسعاته إلينا لما تعرّضنا له ﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ولكنّ مَن أُعْضِبَ قلم يغضب فهو حمار. وممّا قاله: «إنّ الموذّن الخصوصي للنبي صلىاللهعليهوآلهوسلم كان بلالاً الحبشي لأجل ندوة صوته وطلاوة لفظه، مع عدم قدرته على إخراج السين إلاّ شيناً» وما ندري أين وجد هذه العلة، ومن أي كتاب نقلها» [4]؟!

سابعاً: «بل لم نرَ أحداً من العلماء الذين يعوّل على مثلهم لطم صدره لطماً مؤذياً إلى الإحمرار، بل كلهم يلطمون لطماً خفيفاً لا يؤدّي إلى ذلك، طبق ما كان يفتي به الإمام الحجة السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي قدس سره كما ستعرف. وانما كان علماء النجف يخرجون يوم عاشوراء باللطم الخفيف إلى الحضرة الشريفة الحيدرية، وعلماء كربلاء شاهدناهم مراراً

يخرجون ليلة عاشوراء باللطم

1- التنزيه لأعمال الشبيه المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٢: ١٧٧.
2- المصدر السابق ٢: ١٧٩.
3- المصدر السابق ٢: ١٩٢.
4- المصدر السابق ٢: ٢٠٩.

الخفيف جداً.

ومن ذلك يظهر أنّه لم يعلم أن أحداً من علمائنا السالفين كان يجوّز أزيد من ذلك.

قال: «أولم يقم عندهم دليل على حرمتها، وإلاّ لما أمسكوا النكير، وهو النهي عن المنكر الواجب على كلّ مقتدر عليه ومؤثّر نهيه فيه، وكثير من أُولئك العلماء الأعلام مقلدٌ عام تنقاد لفتواه العوام». ونقول: هناك احتمال ثالث لم يذكره وهو الصواب، وهو أنّهم يعلمون بعدم التأثير. وكون كثير منهم مقلّداً عاماً لا ينفع في اولئك العوام ؛ إذ ليس فيهم مقلد علّى أن دعوى إمساكهم النكير فاسدة من أصلها، فهذا حجّة الإسلام السيّد أبو الحسن الأصفهاني أنكر ونهى وأذاع المناشير، فلم يؤثرّ نهيه كما ستعرف، وهو مقلد عام، وأمثاله في ذلك كثيرون.

قال: «مثل أُستاذنا «كذا» العلاّمة الشوراري الذي بمجرّد أن حرّم على الفرس شرب الدخان عم الامتناع جميع مملكة إيران».

ولسنا نعلم من أين جاءته هذه الأُستاذية؟! والذي نعلمه أنّ هذا الإمام العظيم كان يفتي بتحريم اللطم الموجب لإحمرار الصدر، فضلاً عن جرح الرؤوس بالمدى والسيوف، ورأينا فتواه بذلك بخطّه وخاتمه ونحن في النجف الأشرف، وكان المستفتي له الثقة المعروف عند جميع العامليين المرحوم الحاج باقر الصحّاف، الذي كان مقيماً في حجرة صاحب مفتاح الكرامة قدّس سرّه.

قال: «فسكوته كغيره من الأساطين المقلّدين يعدّ منهم إجماع سكوتي كاشف (كذا) عن رضى المعصوم».

وممّا ذكرناه عرفت عدم سكوته، ولا سكوت غيره.

وفعل العوام له في أعصار العلماء لا يدلّ على رضاهم به، فكم رأيناهم ينكرون الغناء بالشعر في إقامة العزاء ولا يقدرون على منعه.

وكان الشيخ ميرزا حسين خليل – وهو من أجلاّء العلماء المقلّدين – يقوم من مجالس العزاء حينما يقرأ فيها الشعر بالألحان ؛ لعدم قدرته على الإنكار بغير ذلك، وقع ذلك منه مراراً ونحن في النجف الأشرف.

وكان شيخنا الشيخ آقا رضا الهمداني – وهو من أجلّ العلماء المقلّدين وأوثقهم في النفوس علماً وعملاً – يتأفف كثيراً من

(1)

قراءة بعض الذاكرين الذين يجعلون أمام المنبر بعض تلاميذهم يردّدون معهم الأصوات،ولا يمكنهولا غيره المنع» .

ثامناً: «الذي حدثت هذه البدعة في عصره وفي بلده،واجتهد في منعها بواسطة الحكومة العثمانية فلم يستطع ؛ لأنّ القائمين عليها إيرانيون،وزيد فيها في هذا الزمان الطبل والزمر.

والسيّد نجيب فضل اللّه الذي كان ينهى – على ما أخبرنا به بعض ثقات بني عمة – عن اللطم الموجب لإحمرار الصدر ؛ طبقاً لفتوى الإمام الشيرازي المقدّم ذكرها» [2] .

تاسعاً: «وبذلك يظهر جلياً أن العلماء لم يمسكوا النكير،وبعضهم بذل قصارى جهده فلم يفلح،وأن نكيرهم لا يؤثر في مقابل تيار العامة» [3] .

1- التنزيه لأعمال الشبيه المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٢: ٢٣٥.
2- المصدر السابق ٢: ٢٣٨.
3- المصدر السابق ٢: ٢٣٨.

عاشراً: «خلا بصرياً وعامليا خالفا الأئمة وعلماء الأمة، فنسأل الله الهداية لنا ولهم إلى سواء السبيل والحق المبين» [1] .

حادي عشر: «قال في المطلب الثالث من المقام الأوّل من المقصد الثاني من الفنّ الثاني في مسائل أصول الفقه، بعد أن بيّن البدعة وما في حكمها ما لفظه:

«وأمّا بعض الأعمال الخاصة الراجعة إلى الشرع ولا دليل عليها بالخصوص، فلا تخلو بين أن تدخل في عموم، ويقصد بالإتيان بها الموافقة من جهته لا من جهة الخصوصيّة، كقول: «أشهد أنّ عليا ولي الله» لا بقصد الخصوصية ولا بقصد النصوصيّة ؛ لأنهما معا تشريع، بل بقصد الرجحان الذاتي أو الرجحان العارضي، لما ورد من استحباب ذكر اسم علي عليهالسلام متى ذكر اسم النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم» إلى أن قال:

«وكما يصنع في مقام تعزية الحسين عليهالسلام من دقّ طبل إعلام، أو ضرب نحاس، وتشابيه صور، ولطم على الخدود والصدور ؛ ليكثر البكاء والعويل وإن كان في تشبيه الحسين أو رأسه أو الهواء، أو علي بن الحسين أو باقي النساء في محافل الرجال، وتشبيه بعض المؤمنين بيزيد أو الشمر، ودقّ الطبول وبعض آلات اللهو وإن لم يكن الغرض ذلك، وكذا مطلق التشبيه شبهة والترك أولى». انتهى.

وأمّا نسبة ذلك إلى الميرزا القمّي في «جامع الشتات» فنسبة باطلة أيضاً، فإن الذي في الكتاب المذكور في باب المتفرقات مخصوص بالتشبّه بصورة الإمام عليهالسلام وأعداء أهل البيت، ولبس الرجال لباس نساء أهل البيت أو غيرهن، وليس فيه ذكر جرح الرؤوس ودقّ الطبول وضرب الطوس ونفخ البوقات، وهذا نصّ السؤال الذي أجاب عنه بلفظه الفارسي:

1- المصدر السابق ٢: ٢٣٩.

سؤال: «آيا جائز است در ايام عاشورا تشبيه بصورت امام يا اعادى أهل البيت عليهمالسلام بجهت گريانيدن مردم؟ آيا جائز است كه مردان در لباس زنان أهل البيت عليهمالسلام يا غير ايشان متشبه شوند بهمان قصد يا نه»؟

وأجاب بما حاصل ترجمته: «إنّ العلماء ذكروا حرمة تزيّن الرجل بالأشياء المختصة بالنساء، سواء كان من المحرمات الأصليّة على الرجال

كالذهب والحرير أم لا كالخلخال، والأوّل إجماعي، والثاني لا خلاف فيه، وتدلّ عليه أخبار كثيرة، وهي الأخبار الدالةّ على منع لباس الشهرة، وفي بعض الصحاح من تلك الأخبار: «إنّ اللّه يبغض شهرة اللباس»، ويؤيده عموم الشهرة خيرها وشرها في النار، وتدلّ عليه الأخبار الدالةّ على حرمة تشبهّ الرجال بالنساء وبالعكس، كما نقل عن العلل وغيره».

ثمّ قال: «إنّه ليس في نظره طريق إلى منع التشبهّ بالمعصوم ولا بأعدائه لغرض البكاء والإبكاء» وأطال في الاستدلال على ذلك ثمّ قال:

«وأمّا مسألة تشبيه بزنان پس جواب از آن نيز از انچه گفتيم ظاهر ميشود كه مقصود است كه مراد از تشبيه اين باشد كه بجهت آنكه اينشخص متشبه بزنان از حيثيه آنكه تشبيه بزنانست نميكند بلكه ميخواهد كه مثلاًزينب خواتونرا مصور كنند بلباسى كه صريح در زنان نيست غالباً واگر باشد هم مضر نيست مثل چادر شب بسر كردن ومكالماتي كه ايشان ميفرمودند بكند بجهت ابكا واينرانتشبيه

بزنان نمى گويند چون ظاهر آن تشبيه بآنچه مختصّ بجنس زنانست بدون غرضى ديگر ودر اينجا لباس زنان پوشيدن نه از براى نمود خود است در صورت زن وفرق بسيار است ميانه ملاحظه تشبيه بشخص معين از زنان از راه خصوصيات أفعال آنزن وتشبيه بجنس زنان از راه تشبيه باين جنس».

وحاصله منع أنّ ذلك من تشبهّ الرجال بالنساء الممنوع.

هذا حال النسبة إلى «كشف الغطاء» و«جامع الشتات» وليست تحضرنا باقي الكتب المشار إليها لنعلم صحّة النسبة إليها، والذي نظنّه أنهّا من قبيل النسبة إلى الكتابين.

أمّا نسبة ذلك إلى جميع علمائنا المعاصرين فنسبة باطلة، فإنّ حجةّ الإسلام السيدّ أبا الحسن الأصفهاني الذي يقلدهّ الكثيرون قائل بالمنع، صرّح به في رسالته الفارسية، وأذاع منشوراً مطولاً على الناس يمنع فيه من ذلك، لكنهّ لم يتمكنّ من المنع في مقابل تيّار العامةّ.

وكذلك أكثر علماء النجف الأشرف والكاظمية وغيرها قائلون بالمنع، بل كلّهم قائلون بالمنع في مثل الطبل ودقّ الطوس ونفخ البوق ممّن يعتدّ بقوله. ومن يجترئ على نسبة ذلك إلى جميع علمائنا المعاصرين؟! وجلّ العلماء في العراق وإيران وسائر بلدان الشيعة لم ينقل عنهم تجويز شيء من ذلك، ولو كان لملأ نقله الخافقين لموافقته لرغبة العامة، وجملة منهم مصرّحون بالمنع، كجملة من علماء جبل عامل الذين ذكرناهم، ومن جوّز الجرح من علماء النجف الأشرف ممّن يعتدّ بقوله قيدهّ بعدم

خوف الضرر، وليس في كلامه تعميم للطبل والزمر ودقّ الطوس.

نعم، أخى رجل عنان القلم في التجويز لكلّ ما يشتمل عليه التشبيه بلا قيد ولا شرط، فأين تقع النسبة إلى جميع علمائنا المعاصرين المنتشرين في الأقطار -وهم يعدّون بعشرات الألوف – بقول واحد أو اثنين من علماء النجف الأشرف الذين يعبأ بأقوالهم، اقتصر فيه على بعض هذه الأمور مع التقييد بعدم خوف الضرر وخوف الضرر حاصل غالباً أو دائماً.

وكيف كان فالمتّبع هو الدليل لا قال فلان وفلان، وقد عرفت أنّه يقتضي تحريم الطبل والزمر وجميع آلات اللهو ولو الرؤوس، وكلّ ما يوجب الهتك والشنعة من محتويات التمثيل، وما يشتمل على محرّم سوى هذا ثبت في الشرع تحريمه، وما عدا ذلك لا مانع منه بل هو في نفسه راجح مستحسن.

أمّا ما يقال من إباحة لو الرؤوس وضرب الطبول ودقّ الطاسات والنفخ في البوق (الدمام) وتشبّه الرجال بالنساء، وغير ذلك ممّا يحصل في عمل الشبيه ؛ بحجّة أنّ فيها إقامة لشعائر الحزن الثابت رجحانها. ففيه: إن إقامة شعائر الحزن إنما تكون راجحة إذا لم تشتمل على محرّم آخر، وهذه المذكورات كلّها أو جلّها مما ثبت تحريمها في نفسها، فكيف تباح لأن فيّها إقامة لشعائر الحزن؟! أفهل يحلّ شرب الخمر والغناء والكذب والسرقة إذا كان فيها إقامة لشعائر الحزن؟!

نعم، إنّ التمثيل المسمّى بالشبيه مما نقول بحسنه ورجحانه، وبأنه من أعظم أسباب إقامة شعائر الحزن، لكن بشرط أن لا يشتمل على محرّم آخر، ولا شيء ينافي الآداب ويوجب الشنعة من الأشياء المارّ ذكرها أو غيرها، فـ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ولا يطاع اللّه من حيث يعصى. مع أنّ بعض ذلك لو فرض عدم قيام دليل على حرمته، كتشبّه الرجال بالنساء إذا كان مؤقتاً أو نحو ذلك، أفليس من الورع التجنّب عليه، وما الذي يوجب الالتزام به؟!

وهل انحصرت إقامة شعائر الحزن فيه؟! أليس في ما هو مسلّم الإباحة خال من كلّ عيب وشبهة غنى وكفاية؟! أما ختم به هذا الرجل كلامه من التعريض بنا وبالعالم البصري بسيّئ

القول، ونسبتنا إلى مخالفة الأئمّة وعلماء الأمّة، فنسأل الله له فيه المغفرة والهداية إلى سواء السبيل والحق المبين.

إنّنا والحمد للّه لم نخالف الأئمة عليهم السلام، وهم قدوتنا إن شاء الله تعالى في جميع أقوالنا وأفعالنا، ولم نتعد الخطة التي رسمها لنا أجدادنا وسادتنا وأئمّتنا، والتي رواها لنا عنهم ثقات طائفتنا. وليس فيها أنّ أحداً منهم ولا من أتباعهم شق رأسه بموسى أو مدية أو سيف، أو دقّ طبلاً أو نفخ في بوق أو استعمل شيئاً من آلات اللهو في وقت من الأوقات في إقامة العزاء.

ولم نحد عن أحكامهم وأحكام جدّهم صلى الله عليه وآله وسلم التي حرّمت الإضرار بالنفس، وحرّمت الطبل والبوق وجميع آلات اللهو، وجعلت قبول الأعمال مشروطاً بالتقوى. فنحن متبّعون خطتّهم وطريقتهم، لا نحيد عنها قيد أنملة، وهم الذين قالوا لشيعتهم: «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا»، فمن شانهم وعابهم بنسبة شق الرؤوس بالمدى إلى دينهم ومذهبهم، مع أنه لم

يقع منهم ولا من أحد من فضلاء شيعتهم، ولم يدلّ عليه دليل أحقّ بنسبة مخالفتهم إليه.

وأمّا علماء الأُمّة فقد عرفت مما أسلفناه أن جلّهم – إن لم يكن كلهم – لا يجوز أنّ ينسبُ إليهم تجويز ذلك، عدا نادر منهم في بعض ذلك لا كلّه، ففاعل ذلك ومجوّزه أحق بنسبة مخالفتهم إليه. ونحن والحمد لله وبنعمته نتحدث أقمنا في هذا العام بدمشق الشام في عشر المحرم مجلساً للعزاء، لا يقلّ حاضروه تقريباً عن خمسمائة إنسان من المسلمين على اختلاف مذاهبهم، كثرت فيه الفوائد، وجرت الدموع، وتجلّت فيه الهيبة والوقار، ولم يكن إلا مدرسة وعظ وإرشاد وتهذيب للأخلاق، ونشر لفضائل أهل

البيت عليهمالسلام ومناقبهم، وموجباً لإهراق الدموع على مصائبهم، ومظهراً لشيعتهم وأتباعهم بمظهر الفضل والكمال الموجب لميل النفوس إليهم، لا بمظهر الوحشيّة والانتقاص المنفرّ للقلوب عنهم.

وقد أقيمت في اليوم العاشر فيه مراسم الحزن والبكاء، وظهرت بأجلى مظاهرها وأوقرها وأكملها فلم تبق عين لم تسكب دموعها، ولا قلب لم يحزن ويخشع، وختم باللطم المهيّج المؤثرّ الذي لا يدخله محرمّ ولا منفرّ، والحمد لله على التوفيق. ومن واجبات اتّباع الأئمّة عليهمالسلام حفظهم في أبنائهم وذرياتّهم، وعدم اساءة القول فيهم ونسبتهم إلى ما هم منه براء. أما البصري المعرّض به والمنسوب إليه مخالفة الأئمّة وعلماء الأمُة، فهو سيد جليل القدر، من أفاضل السادة العلماء، ومن الذرية الطاهرة التي جعل اللّه مودتّها أجر الرسالة، وهو العلامّة السيد مهدي الكاظمي، صاحب المؤلفاتّ في الذب عن مذهب أجداده الطاهرين.

رأى منكراً فنهى عنه، وشاهد في البصرة ما لا تترك عليه الإبل، فحركته حميتّه الهاشمية إلى الذب عّن حرم أجداده الطاهرين والمنع من هتك حرمتهم، وذلك إنّه في المحرمّ من السنة الماضية – وهي سنة ١٣٤٥ هـ – جرى تمثيل الواقعة في البصرة، فجيئبامرأة من مومسات البصرة، ووضعت في الهودج حاسرةً، وشبّهت بزينب بنت أمير المؤمنين عليهالسلام على مرأى من ألوف المتفرّجين.

فأخذت هذا السيّد الجليل الصادق النسبة الغيرة على بنت أمير المؤمنين عليهالسلام وأجلّ امرأة هاشميةّ بعد أمها الزهراء عليهاالسلام، فمنع من التشبيه الذي اشتمل على هذه المنكرات من شقّ الرؤوس وإيذاء النفوس والطبول والزمر،

وتشبيه بنات رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم بهذا التشبيه الشنيع، وكتب في ذلك رسالة ونشرها، فكان بذلك عند صاحبنا مخالفاً للأئمّة وعلماء الأمُةّ.. أما العاملي المنسوب إليه ذلك، فهو هذا الفقير الذي كتب في مقدمةّ «المجالس السنية» بّعض كلمات في منع التشبيه المشتمل على المحرّمات المشار إليها، مدعومة بساطع البرهان، حداني عليها الغيرة على الطائفة والمذهب من أن يلصق بهما الأغيار من المعائب ما هما براء منه، وقد بان بذلك من هو المخالف للأئمّة وعلماء الأمُةّ.

وهذان السيّدان اللذان عرّض بهما بسيئّ قوله يؤلمهما وأيمّ الله مّصاب جدهماّ بما لا يؤلم به سواهما، وليست الثكلاء

كالمستأجرة، ويقول أحدهما –وهو كاتب هذه السطور – من قصيدة:

يا جدّ ما برحت عيني حزناً عليك وقلبي يشتكي

مسهّدة العطبا

ما مرّ يوم بقلبي ذكرُ إلاّ وفاض سحاب الدمع

مصرعكم وانسكبا

إن يقتلوكم ويقلوكم فما نسخوا ذكرا لكم وثناءً زين الكتبا

كما قال الشريف الرضي –رضي اللّه عنه – قبله:

يا جد مازالت كتائب تغشى الضمير بكرها

حسرة وطرادها

ابدا عليك وأدمع مسفوحة إن لم يبرحها البكاء يغادها

هذا ما أردنا إثباته في هذه العجالة، واللّه ولي التوفيق، وله الحمد والمنّة»[1].

1- التنزيه لأعمال الشبيه المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٢: ٢٤٠.

المرحلة الخامسة

تتمثّل في ردود الفعل على رسالة «التنزيه» للسيّد الأمين، فقد جاءت ردود الفعل من مختلف طبقات المجتمع: علماء، وفضلاء، وخطباء، وشعراء، وعامّة الناس. واختلفت هذه الردود حسب مستوى الناس وثقافاتهم: فمنهم من اكتفى بكلمات الاستغفار والدعوة لصاحب الفتوى بالهداية. وأظهر آخرون معارضتهم لها باللسان والكتابة والشعر. وتجاوز البعضُ الحدود فاتّهم السيّد الأمين بتهمُ باطلة، وتجاسر آخرون عليه وعلى مؤيديّه بالسب واللعن. فأحاول في هذه الأوراق أن ابينُ ردّود الفعل من المعارضين والمؤيّدين، وعلى عدّة مستويات:

رجال الدين:

عارض السيّد الأمين عددٌ كبير من رجال الدين، وفي مقدمّتهم مراجع دين، ومجتهدون، وكتابٌ معروفون، منهم:

١) المرجع الدينيّ الكبير الميرزا حسين النائيني (ت١٣٥٥ هـ)، عارضه في

النجف الأشرف بإصدار فتوى بالجواز[1].

٢) المرجع الدينيّ الكبير الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣ هـ)، عارضه في النجف الأشرف بإصدار فتوى بالجواز[2]. وكانت لفتوى هذين المرجعين أثر كبيرٌ في نفوس الناس في العراق وخارجه، حيث استغلّها بعض المغرضين لتأليب الرأي العام على السيّد الأمين.

٣) المجتهد الكبير الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١ هـ)، عارضه في النبطيّة بإصدار فتوى بالجواز[3].

٤) المجتهد الكبير السيّد عبد الحسين شرف الدين (ت١٣٧٧ هـ)، عارضه بإصدار فتوى بالجواز[4].

وكانت لفتوى هذين العالمين أثرٌ كبيرٌ في لبنان. وورد في رسالة ثورة التنزيه: «ومن أشرس منَ قاوم الدعوة في لبنان كان السيّد عبد الحسين شرف الدين، الذي كتب رسالة عنيفة أسفَ بها إلى سيىء القول، ونحلها صهره الشيخ عبد الله سّبيتي، كما أوعز إلى ولده السيّد محمّد علي بأن يصدر رسالة، والى ابن شقيقه السيدّ نور الدين بأن يوالي حملاته.

وقد استغلّ موت إحدى قريباته من آل الصدر في العراق، فأقام لها أربعينيّة في صور، وحشد له من استطاع حشدهم من الناس، وألقى هو بصوته الجّهوري خطاباً، هاجم فيه الدعوة وصاحبها، كما ألقيت قصيدة لصاحب الكتيب المار

1- معارف الرجال ٢: ٢٨٤، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.
2- معارف الرجال ٢: ٢٧٢، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.
3- معارف الرجال ٢: ٤١، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.
4- معارف الرجال ٢: ٥١، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

ذكره»[1].

٥) المجتهد والكاتب المعروف المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي (ت١٣٥٢ هـ)، وكانت معارضته فعليّة، فلم يُسمع منه أيّ كلامٍ ضدّ السيدّ الأمين، بل كان هذا الشيخ الجليل على ضعفه وكبر سنةّ يخرج أمام مواكب العزاء يضرب على صدره ورأسه وقد حلّ أزراره وطيّن جبهته. وكان له مجلس عزاء كبير جداّ يقُيمُه في كربلاء المقدسةّ يوم عاشوراء، لازال الناس يتحدثونّ عنه[2].

قال معاصره المؤرّخ الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧هـ):

«وكم له أمام المناوئين للحسين عليهالسلام من مواقف مشهودة، ولولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينيّة والمجالس العزائيّة، ولكنهّ تمسك بها والتزم بشعائرها وقام بها خير قيام»[3].

وقال الشيخ محمّد هادي الأميني (ت١٤٢١ هـ)، بعد أن حكى قول الشيخ جعفر محبوبة السابق: «فحين أفتى بعض العلويّين

في الشام – وتبعه علويّ آخر في البصرة – بحرمة الشعائر الحسينيّة، وزمرّ وطبلّ على هذه الفتوى كثير من المغرضين المعاندين، شُوهد هذا الشيخ الكبير على ضعفه وعجزه أمام الحشد المتجمهر للغناء يمشي وهو يضرب على صدره وقد حلّ أزراره وخلفه اللطم والأعلام، وأمامه الضرب بالطبل. ومن آثاره إقامة المآتم في يوم عاشوراء في كربلاء، فهو أوّل من أقامه هناك، وعنه أُخذ حتّى توسّع فيه ووصل إلى حدّه اليوم»[4].

1- رسالة ثورة التنزيه المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٣: ٤٣٧.
2- شعراء الغري ٢: ٤٣٦.
3- ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢.
4- معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ١: ٣٥٣.

٦) الحجّة الشيخ عبد المهدي المظفّر (ت١٣٦٣ هـ)، عارضه بتأليف رسالة «إرشاد الأُمّة للتمسك بالأئمّة»، طبعت سنة ١٣٤٨هـ.

٧) الحجّة السيّد محمّد هادي البجستاني الحائري (ت١٣٦٨ هـ)، عارضه أيضاً بتأليف «رسالة في الشعائر الحسينيّة»، طبعت سنة١٣٤٨هـ.

٨) الحجّة الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت١٣٧٥ هـ)، ألّف رسالة في ردّه سمّاها «النقد الوجيه لرسالة التنزيه» طبعت سنة١٣٤٧هـ.

٩) العلاّمة الحجّة الشيخ محمّد علي الغروي الأردوبادي (ت١٣٨٠ هـ)، ألّف رسالة في ردّه سمّاها «كلمات جامعة حول المظاهر الغرائبية».

١٠) الحجّة الشيخ محمّد حسين المظفّري (ت١٣٨١ هـ)، ألّف أيضاً رسالة في ردّه سمّاها «الشعار الحسيني» طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

١١) الحجّة السيّد علي نقي النقوي اللكهوي (ت١٣٠٨ هـ)، عارضه أيضاً برساله «إقالة العاثر في إقامة الشعائر»، طبعت سنة ١٣٤٨هـ.

ومن المراجع ورجال الدين الذين أيّدوا السيّد الأمين في فتواه:

(١) المرجع الدينيّ الكبير السيّد أبو الحسن الأصفهاني (ت١٣٦٥ هـ)، أيّده بإصدار فتوى بالتحريم[1].

(٢) المجتهد المجاهد الشيخ عبد الكريم الجزائري (ت١٣٨٢ هـ)، أيّده بإصدار فتوى بالحرمة، وقد أثّرت فتواه كثيراً في أوساط الشباب[2].

(٣) المجتهد المجاهد السيّد هبة الدين الشهرستاني (ت١٣٨٦هـ)، أصدر

1- أعيان الشيعة ٢: ٣٣١، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.
2- هكذا عرفتهم ١: ٢٠٩.

فتوى بالحرمة، وقد أثّرت فتواه في بعض مدن إيران[1].

(٤) المجتهد الحجّة الشيخ جعفر البدوي (ت١٣٦٩ هـ)، أيّده وسانده كثيراً[2].

(٥) الحجّة السيّد حسين الحسيني البعلبكي (ت١٣٩١ هـ)، أيّده كثيراً عندما كان في النجف الأشرف، وكذلك في لبنان[3].

قال الأُستاذ جعفر الخليلي: «ومنهم – أي الذين أيّدوا السيّد الأمين – الجريالعامل، والموالي المؤيد بالعقيدة، السيد حسين البعلبكي، وهو صهر لأخت السيّد محسن الأمين»[4].

(٦) الحجّة الشيخ عبد المهدي الحجّار (ت١٣٥٨هـ).

(٧) الحجّة الزاهد الشيخ علي القمّي (ت١٣٧١ هـ) وقد أظهر تأييده علناً وفي المجالس والمحافل[5].

(٨) الحجّة الشيخ محمّد الكنجي (ت١٣٦٠ هـ)، أيّده بتأليف رسالة مستقلّة، سمّاها «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»، طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

قال الأُستاذ جعفر الخليلي: «وكان من أبرز دعاة التحريم بعد طبقة العلماء الكبرى من النجفيين الشيخ محمّد الكنجي، الذي سخّر قلمه ولسانه وكلّ نشاطه في شجب الضرب بالسيوف، وقد شجّعت جرأته الكثيرين على الالتفاف حوله»[1].

(٩) الحجّة الشيخ محسن شرارة (ت١٣٦٥ هـ)، أيّده بالكتابه في الصحافة، قال الأُستاذ جعفر الخليلي: «أمّا البارزون من غير النجفيين – أي الذين أيّدوا السيّد الأمين – فقد كان الشيخ محسن شرارة، وكان من العناصر المليئة بالإيمان وحرارة الدعوة في تحريم هذه التقاليد، وهو رجل لم ينل بعد يومذاك درجة الاجتهاد، فالتفّ حوله من أهل بلده من العامليين جماعة»[2].

رسائل أُلّفت حول هذا الموضوع:

تضمّ حوزة النجف الأشرف – التي أسّسها الشيخ الطوسي (ت٤٦٠ هـ)، قبل ألف عام تقريباً – علماء كبار، ومراجع دين أتقياء، وكتّاباً لامعين، يصلون الليل بالنهار في عمل دؤوب، لا يعرفون الملل الضجر، همّهم الأوّل والأخير مرضاة الله سبحانه وتعالى، وذلك عبر المحافظة على الدين الإسلامي الحنيف وصونه عن أيّ تغيير يطرأ عليه، أو أيّ أفكار دخيلة تصل إليه.

وما إن وصلت إلى النجف الأشرف رسالة «التنزيه» حتّى انقسم الكتّاب فيها إلى معارضين وهم الأكثر، ومؤيدين وهم القلة القليلة، فألّف بعضهم رسائل رداً على رسالة الأمين، يأتي الحديث عنها مفصلاً قريباً إنْ شاء الله تعالى.

1- أعيان الشيعة ١٠: ٢٦١، هكذا عرفتهم ٢: ٢١٢.
2- هكذا عرفتهم ١: ٢٠٩.
3- هكذا عرفتهم ٣: ٢٢٩.
4- هكذا عرفتهم ٣: ٢٣١.
5- هكذا عرفتهم ١: ٢٠٩.

وأمّا الكتّاب المؤيدّون للسيد الأمين – وكانوا قلة قّليلة – فقد واجهوا موجة عارمة ملتهبة من كل حدبّ وصوب، أدت إلىّ ابتعاد بعضهم عن الأنظار خوفاً من الناس. ومع ذلكّ كلهّ فقد جمعوا قواهم وأوعزوا إلى أحدهم تأليف رسالة مؤيدة

1- هكذا عرفتهم ٣: ٢٣٠.
2- هكذا عرفتهم ٣: ٢٣١.

للسيّد الأمين، فقام الحجّة الشيخ محمدّ الگنجي (ت١٣٦٠ هـ)، بجمع فتاوى العلماء والمجتهدين المؤيّدين لما في رسالة «التنزيه»، وطبعها في رسالة مستقلّة سماها «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»، طبُعت في المطبعة العلويةّ في النجف الأشرف سنة١٣٤٧هـ [1]، وطبعت أيضاً ضمن هذه المجموعة.

وفي الترجمة المفصّلة الكاملة لحياة السيدّ الأمين – التي كتبُ أكثرها بقلمه الشريف – المطبوعة في آخر موسوعته الكبيرة «أعيان الشيعة» وردت عدّة عبارات لكتّاب معروفين، أيدّوا فيها آراء السيدّ الأمين في رسالته «التنزيه»:

قال الدكتور علي الوردي:

«يعجبني من المصلحين في هذا العصر رجلان: الشيخ محمّد عبده في مصر، والسيدّ محسن الأمين في الشام... وانيّ لا أزال أذكر تلك الضجّة التي اثُيرت حول الدعوة الإصلاحيةّ التي قام بها السيدّ محسن قبل ربع قرن. ولكنه صّمد لها وقاومها باسلاً، فلم يلين ولم يتردّد وقد مات السيدّ أخيراً، ولكن ذكراه لم تمت ولن تموت، وستبقى دهراً طويلا حتّى تهدم هاتيك السخافات التي شوّهت الدين وجعلت منه أضحوكة الضاحكين» [2].

وقال الشيخ محمّد رضا الشبيبي:

«شنّ السيدّ الأمين حرباً شعواء على الخرافات والأوهام الشائعة، وعلى العادات التي اعتبرت ديناً عند بعض الطبقات، وما هي من الدين ولا من الشرع الشريف في شيء، فهو في طليعة المنادين في الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي في الشرق العربي وفي غيره من الأقطار» [3].

1- الذريعة ١٨: ٢٤ / ٤٩٢، أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٢.
2- أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٢.
3- أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٣.

الصحف:

كانت الصحافة هي الشرارة الأولى لهذه الحركة الإصلاحية – كما بيّنا سابقاً – فقد قامت صحيفة «الأوقات العراقية» وصحيفة «العهد الجديد» البيروتية بنشر آراء السيّد محمدّ مهدي الموسوي البصري والسيدّ محسن الأمين.

ولأهمّيّة هذه القضيةّ وحساسيتهّا ؛ لأنهاّ تعد منّ الشعائر والمعتقدات التي لا يمكن المساس بها عند عامة النّاس، نرى أن الصحف وفي مختلف البلدان الإسلاميّة قد ألقت بدلوها وأعطت رأيها فيها. والمؤيدّون للسيدّ الأمين لجأوا إلى الصحف أكثر

من المخالفين له ؛ لأنّهم القلّة القليلة، وقد سدّت الأبواب في وجوههم،ولا وسيلة للدفاع عن آرائهم ؛ لذلك اتخذّوا من الصحافة الحرّة ميداناً رحيبا ً لأقلامهم، فكتبوا فيها وكتبوا، حتىّ أن البعض منهم كتب بأسماء مستعارة كـ «حبيب بن مظاهر» و«أبي فراس» [1].

والذي ظهر لي من المصادر التيراجعتها أثناء كتابة هذه الأسطر أنّ عدداً ليس قليلا ً من الصحف شارك في هذه المعركة الفكريّة، إلاّ أنيّ لم أعثر إلا ّعلى صحيفتين كان لهما الدور الرئيسي في ذلك، هما:

صحيفة «ديوائن ميسج» التي كانت تصدر باللغة الإنجليزيّة في الهند، وقد كتب صاحبها محمّد علي سالمين مقالات عديدة مؤيّدة للسيّد الأمين، وترجم بعضها إلى العربية [2].

وصحيفة «الهاتف» وإن كانت صدرت متأخّرة عن زمان الفتوى، إلاّ أن ّصاحبها الاستُاذ جعفر الخليلي كان له دور فعالّ في مناصرة السيّد الأمين سنة

1- أعيان الشيعة ١٠: ٣٨١.
2- أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٠.

١٣٤٤ هـ وما بعدها، إذ يقول: «ولمّا كنتُ يومذاك موظفاً فقد نشرت مُقالاتي في الجرائد بتواقيع مستعارة» [1].

وهكذا فعل الشيخ محسن ثرارة، وسلمان الصفواني، إذ كتبا مقالات في الصحف اللبنانيّة بأسماء مستعارة. وأمّا المعارضين للسيّد الأمين فلم يلجأوا إلى الصحف – كما قلنا – لوجود قنوات كثيرة لهم يبُينوّن فيها آراءهم، ومع ذلك فقد كتب أحدهم – وهو السيّد نور الدين شرف الدين – مقالاً في صحيفة لبنانية يرد فيها على السيد الأمين ورسالته «التنزيه».

فانبرى له في هذه المرة السيّد الأمين وردّ عليه بمقالة مفصلة، كما وانبرى للردّ عليه بمقالة مفصلة أخرى شخص آخر وقع مقالته باسم «حبيب بن مظاهر» [2].

ونورد هنا ما عثرنا عليه من هذه المقالات، كما نشرتها رسالة «ثورة التنزيه» [3].

1- هكذا عرفتهم ١: ٢٠٩.
2- أعيان الشيعة ١٠: ٣٨١.
3- ثورة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣: ٤٣٢.

مقالة الكاتب الهندي محمّد علي سالمين في جريدة ديوائن ميسج

«وكتب العلاّمة المجتهد الأكبر آية اللّه السيدّ محسن الأمين أيدهّ الله كتّابا ردّ به ّعلى من يضربون الصدور، والكتاب بصورة رسالة جمع فيها من الشرد والوارد إلى ما شاء اللّه، على أن هذا العلم لم يأتنا من إمام أو وصيّ بل هو بدعاية الجهلة بدعة ابتدعوها، وكما قال النبيّ الكريم: «كلّ بدعة ضلالة، وكل ّضلالة في النار» فبأي ّحديث بعده يؤمنون؟

ظنّوا حبّ آل محمدّ بهذه الأعمال، فهذا لعمري ليس حبا ّ؛ لأن منّ أحب شيّئا أعزهّ واحترّمه، وهل اللطم والضرب

والتشبيهات في الشوارع أمام المجوس والوثنيين يدلّ على حبكم يا محبّي آل محمدّ اليوم»؟

ردّ السيدّ نور الدين شرف على مقالة محمدّ علي سالمين

«لم يكن في الحسبان أنّ الشعائر الحسينيّة، التي اتخّذتها الشيعة سنةّ من عهد آل بويه إلى يومنا هذا، تجعُل مسألة نظرية تتضارب فيها الأفكار وتختلف الأنظار، إذ لا شكّ في فوائدها التي تعود بالنفع العميم على هذه الطائفة، وليت من ناقش في ذلك أدلى بحجّة واضحة وبرهان قاطع لنتبعه، فإنّ الحق ّأحق أن يتبعُ».

وبعد أن يمضي الكاتب على هذا المنوال، يعدّد أسماء بعض المخاصمين لدعوة الإصلاح، ويعددّ أسماء كتبهم التي تخالف الدعوة وهم: عمّه السيدّ عبد الحسين شرف الدين، وصهر عمة الشيخ عبد الله ّسبيتي، وابن عمه ّالسيد محّمد علّي شرف الدين، وقريب عمّه الشيخ مرتضى آل ياسين، ثمّ الشيخ عبد الحسين

الحلّي، والشيخ محمدّ حسين المظفر، يذكر هؤلاء ليدعم قوله بهم، ثم ّيستشهد ببعض الأقوال إلى أن يصل إلى الرد ّالصريح على خصمه فيقول:

«وممّا عجبت له جداً – بل أسفت – أن محمدّ علي سالمين اقتفى أثر المهووسين، فغدا يضرب على ذلك الوتر الذي تغلق المسامع دون ألحانه ونغماته».

ثمّ يقول:

«والأستاذ أنكر على الشيعة تمام الإنكار ما يقومون به من لطم الصدور والتمثيل والنياحة على الحسين، وزعم أنّ ذلك محرّم بل بدعة وضلالة، إنهّا حملات شديدة ولهجات غريبة ظهرت بمظهر الإصلاح».

ثمّ يقول مريداً أن يوهن أن لا ضرر جسدياّ من الضرب: «نحن نلتمس من الأستاذ سالمين أن يلطم صدره لزمن ساعة أو ساعتين، فإن حصل له شيء من ذلك – أي الأذى – فأنا ضمين له كلّ ما يقترح».

ثمّ يختم كلامه بقوله: «لم أقصد بكلمتي هذه إلاّ الذود عن الحقيقة...».

مقالة موقّعة باسم «حبيب بن مظاهر»

«نكتب هذه الكلمة الموجزة ليعلم أنّ الطائفة الإسلاميّة الشيعية قد ابتليت كغيرها من الطوائف بفئة خاصة من الخلق، دأبها قلب الحقائق والمكابرة لدى الدليل – حينما يؤوب إليها رشدها – أنّ تلك الأعمال قد اتخّذها أمراء الشيعة سنةّ من عهد القرن الرابع إلى يومنا هذا.

فإذا قيل لها: إن عمل الأمراء وأتباعهم من الرعاع لا يصلح أن يكون حجّة شرعيّة، قامت وأعادت تمثيل تلك الرواية وزادت عليها قول: «واسنّة نبيّه». وإذا اعترضت عليها بأن ّالشيء لا يكون سنةّ نبوية إلا إذّا صحت ّروايته عن النبي

صلىاللهعليهوآلهوسلم، كما أنّ عمل غير واجب العصمة لمصلحة اقتضته لا تبرّر العمل المضرّ، جابهتك بالسباب والتفسيق والتكفير، فيخيّل إليك أنّها من بقايا رؤساء الكنيسة في القرون الوسطى.

ولا تحسبنّ أنّ هذه الفئة اكتفت بالقول السيئ، بل اجتهدت في إضرام نار الفتنة حتىّ بين الأخ وأخيه والولد وأبيه، فكانت العائلة وهي في مسكن واحد منقسمة إلى قسمين، قسم يحبّذ تلك الأعمال البربرية وقسم ينكرها.

ثمّ بعد هذا كلّه إذا جاءها أحد المصلحين الغيورين، وأثبت لها بالحجة الواهنة الدامغة حرمة الكذب في المأتم الحسيني، وحرمة إضرار النفس بضرب الزنجير وشجّ الرأس واللطم الدامي وإدخال الأقفال في الأبدان، وتشبّه الرجال بالنساء، إلى غير ذلك من الأعمال الهمجيّة، قامت عليه وأعادت تمثيل رواية

القذف والسبّ».

إلى أن يقول: «هذا مُجمل ما أحدثته هذه الفئة، وقد طبعت في ذلك وريقات كلّها سباب وشتائم شأن صبيان الأزقة».

مقالة موقّعة باسم «أبي فواس»

«كنّا نحسب أنّ كلمة الداعية الإسلامي المفضال الأستاذ محمدّ علي سالمين ستكون الأخيرة من نوعها في موضوع المأتم الحسيني، وأنّها سيكون منها مقنع لجماعة التهويش، فيفهمون أنّ الأمُةّ قد اقتفت أثر مصلحيها، وأن هّذا الذي يستندون إليه من الضوضاء والضجيج لا يُحسدون عليه.

ولكن كلمات جاءت بتوقيع نور الدين شرف الدين، جعلتنا نعلم أنّهم لا زالون يحسبون أنّ التهويل يوصلهم إلى ما يأملون!

إنّني لا أُريد هنا أن آتي بأدلةّ جديدة أقدمُهّا بين يدي القارئ الكريم، ولكن الذي أريده هو أن أفهمُ صاحب تلك الكلمات ومن لفّ لفهّ ونفخ في بوقه ومن حرضّه ودفعه، أنناّ بعد اليوم لن نعير كل مّا يصدر من هذا القبيل أقل اهّتمام، وأننا نضّن بأوقاتنا وأوقات القرّاء أن تشغل بهذه الأمور التي أصبح مفروغاً منها، فلينضحوا كل ّما في نفوسهم، ويسودوّا ما يشاؤون من الصحف، وسيَرَون أنّ هذه البذور الإصلاحية التي تعهدهّا أفاضل الأمةُ وّساداتها بالرعاية ستنمو وتأتي أكلها

في وقت قريب.

ولن يضير هؤلاء الكرام أنّ يقول عنهم نور الدين: إنهّم مهووسون».

الشواء والخطباء:

من الطبيعيّ جداً أن يشارك الخطباء – وبعضهم شواء في نفس الوقت – في هذه المعمعة الفكرية، فيؤيدّ بعضهم السيدّ الأمين ويعارضه آخرون. وهو حقّ من حقوقهم، كغيرهم من العلماء والكتاّب والمثقفيّن الذين أيدوّا وعارضوا.

لكن أن يأتي شاعر ويتعدّى الحدود المرسومة ويتجاسر على السيدّ الأمين ومؤيديّه وينعتهم بنعوت باطلة، ويتلاعب بعقول

الناس ويحاول تمويه الحقائق عليهم، فهذا غير مسموح به،ولا أعتقد أنّ التأريخ سوف يمحو هذا عن صفحاته.وعلى كلّ حال، فمن الشواء الخطباء الذين كان لهم دور بارز في هذه

الأحداث، هو الشاعر الكبير والخطيب المفوّه السيّد صالح الحليّ (ت١٣٥٩ هـ)، الذي مدحه وأثنى عليه وعلى مقدرته الخطابيّة محبوّه ومبغضوه[1].

ومع ذلك كلّه نرى أنّ السيّد الحليّ يقف موقفا معارضا بلّ معاديا ومعاندا للسيّد الأمين، ويتعرض له في مجالسه بالتصريح تارةً وبالإشارة اُخرى، ويصفه بصفات باطلة، ومما قاله فيه:

ياراكباً أما مررت بـ (جلّق)[2] فأبصق بوجه (أمينها) المتوندق[3]

ولم يكتف بذلك فقط، بل شنّ حملة شعواء على كلّ المؤيدّين والمناصرين للسيد الأمين، فأخذ ينهال عليهم بالطعن والاتهامات الباطلة، حتّى وصل به الأمر إلى أن تجاسر على المرجع الدينيّ الكبير السيّد أبي الحسن الأصفهاني ؛ لأنه أيد السيّد الأمين.

1- انظر: البابليّات ٤: ١٣٣، أدب الطفّ ٩: ٢٠٤ - ٢٠٥.
2- جلّق: دمشق. معجم البلدان ٢: ١٥٤ «جلّق».
3- هكذا عرفتهم ١: ٢٠٨.

«فشنّ عليه غارة واسعة عنيفة بكلّ معنى العنف، ولم يترك لونا من ألوان الزراية بالكناية والتصريح إلا وّصبغ به السيد أبا الحسن من فوق المنابر التي كان يرقاها، فكان يتصرّف من فوقها تصرّف المالك، ويميل بها أنىّ شاء، بما كان يملك من مقدرة وموهبة وجرأة رفعته إلى أعلى الدرجات في سماء الخطابة والبلاغة»[1].

فأصدر السيّد أبو الحسن الأصفهاني فتوى حرّم بها الاستماع لقراءة السيدّ صالح الحليّ، فأرخ ذلك الشاعر الشيخ علي بزي قائلاً:

أبو حسنٍ أفتى بتفسيقِ (صالحٍ) قراءته أرّختها (غير صالح)[2]

وقال أيضاً يهجوه:

مُذ تردّى الشقي بالغي جهلا وإمام الزمان طُرّاً جفاه

قلتُ: يا من قد رُخوا (أحقيق قدرمى اللّه صالحاً بشقاه)[3]

علماً بأنّ السيدّ محسن الأمين أثنى على السيدّ صالح الحلي في رسالته «التنويه» قالا:

«ولا ننكر أن فيهم – أي الخطباء – الفضلاء الكاملين الذين يفتخر بأمثالهم وقليل ما هم، كالسيّد صالح الحلّي خطيب الذاكرين ومفخرة القارئين وأمثاله»[4].

ويقول الأستاذ جعفر الخليلي نقلاً عن السيدّ الأمين عند زيارته في دمشق: «وأذكر في ما أذكر أنهّ قال لي ما مضمونه: إن السيّد صالح الحلّي هو أحسن

1- هكذا عرفتهم ١: ١٠٨.
2- شعراء الغري ٦: ٣٦٩، هكذا عرفتهم ١: ١١١.
3- شعراء الغري ٦: ٣٦٩.
4- التنزيه لأعمال الشبيه المطبوعة ضمن هذه المجموعة٢: ١٩٢.

خطيب عرفته المنابر الحسينيّة، وأنا أودّ أن نعدّ الخطباء على غراره إذا ما أردنا أن ننبهّ الناس ونوجههّم توجيها صحيحاً، أمّا موقفه ضدّ الحركة الإصلاحية وضدي أنا فله تفاسير اخُرى لا يجوز أن تصدناّ عن قول الحقيقة»[1].

ويقال: إنّ السيدّ رضا الهندي كان من المعارضين للسيدّ الأمين، وقد قال فيه:

ذريّة الزهراء إن عددت يوماً ليطوى الناس فيها الثنا

فلا تعدوا (محسناً) منهم لأنّها قد أسقطت محسنا

وقيل: إنّ هذين البيتين في السيدّ محسن أبو طبيخ.

ووقف الشاعر الشيخ مهدي الحجّار (ت١٣٥٨ هـ)، موقف المؤيّد للسيدّ محسن الأمين، فأنشأ قصيدة في ذلك، يذكرها لنا الشيخ علي الخاقاني (ت١٣٩٨ هـ)، ويذكر كيفيّة إلقائها وكلماته قائلاً:

«نجده من جهة أخرى يقف موقف الجريءالحرّ، لم يخضع لحرب الأعصاب، ولم يعر الرجعيّة الرعناء أي قيمة أو أهميّة عندما ثارت على المصلح الديني السيّد محسن الأمين في ثورته الإصلاحية على تنويه الشعائر، وتلطيفها ممّا لحقها من غبار الوحشية والجهل، من ضرب القامة على الهامة ولدم الظهور بالسلاسل.

فكان يقود الفئة المحدودة من الشباب متترّساً بالزعيم الجزائري، الذي استطاع أن يقضي على قائدها الخطيب السيدّ صالح الحلّي، وقصيدته الدالية التي هنأ بها الشيخ محمدّ رضا المظفرّ بقرانه ومطلعها:

1- هكذا عرفتهم ١: ٢١٤ - ٢١٥.

يا حر رأيك لا تحفل بمنتقد إنّ الحقيقة لا تخفى على أحد

انصبت كالشرر على رؤوس الوجعيين والضوضائيين، وقد تلاها في محفل حاشد في دار الشيخ باقر المظفّر، ضمّ أكثر هؤلاء، وكنت في مَن أحضر إلى جنب الشاعر وتأييده، والاستعداد لكلّ طارئ يقع عليه لدفعه، وقد أشرت إلى هذه الناحية في مختلف أجزاء الكتاب عند ذكري لبعض أخدانه وخصومه.

والحقّ أنّ المترجم له كان عالما فاضلا، واستاذا مربّيا جليلًا، وشاعرا مطبوعًا، وقد تحمل من هضم الظروف له وقسوتها معه، فراح يقابلها بصبر وجلد قويين، ورغم عسره فقد كان كريم النفس رقيق الروح حسن السمت، صمد أمام التيارات ووقف ضدّ الخصوم كأعنف مخلوق يستمدّ القوة من عقيدته التي كانت مثار إعجاب إخوانه.

ولقد أرهفت أعصابه النجف فاستاء ممّا لقيه من بعض أبنائها، وأعرب عن ذلك بعدّة قصائد ومقاطيع تتجلّى لك في النماذج.

نهج في شعره نهج المصلحين، وانهال على ذوي الفكر البالية بنقد حاد وقول جريء، ورشحته هذه الناحية عند زعيم الدين فعيّنه وكيلاً عنه في – معقل البصرة – ولم يطل عهده فيها كعالم روحي وشخصية مرجعيةّ، بل عاجله القدر القاسي فتوفيّ هناك في مستشفى تذكار محمود ليلة السبت في الساعة الرابعة ثامن شعبان عام ١٣٥٨ هـ بعلّة الحمى السوداء فأعيى الأطباء علاجها، ونقل جثمانه من المعقل إلى الزبير بموكب فخم، ثمّ نقل في السيارات إلى النجف الأشرف، ودفن فيها بوادي السلام».

ثمّ يذكر قصيدته الرائية، وعنوانها «حماسة شاعر مهتضم»، وهي:

يا حرّ رأيك لا تحفل بمنتقد إنّ الحقيقة لا تخفى على أحد

إن تلق ذماً على رأي تجد مدحاً وأنت في البين لم تنقص ولم تزد

وما على الشمس بأس حيث لم تؤها عين أُصيبت بداء الجهل لا الرمد

لا يستوي الناس في علم ومعرفة فالناس كالحبّ منه جيدّ وردي

إنّا نرى الحرّ رهن القيد فكرته كما نرى عيشه وقفاً على نكد

يا أيّها الوطن المحبوب رحلتنا غيضاً عليك غداً أو لا فبعد غد

هذي بنوك صواد من معارفها وكيف يمكث ذوري بجنب صدي

ليس المقام على الإرغام من شيمي أقصى البلاد على أدنى الإبا بلدي

عندي من المتنبي خير عاطفة روح الحماسة حلّت منه في الجسد

إنّي أقول ونظم الشهب من كلمي كما أصول ونصر اللّه من مددي

عن كلّ شائنة في معطسي لكن على بيعة الرضوان هاك

شمم يدي

ومزبر في يدي ماضر يعرب تؤى به في كثير العدّ لو والعدد

ما فيه من أود حول استقامته لكنّما القوم معلولون بالأود

لئن كففت سهامي عن مقاتلهم فالقوم قومي وسهمي صائب كبدي

إيه بني يعرب فيكم وفاً وصفاً واليوم قد بُدّلا بالضغن والحسد

آسي على ضيعة الأخلاق منك وذا قلبي لأجلك مطويّ على كمد

تقوى العناصر عن ضعف إذا اتّحدت وذلّ عنصر قوم غير متّحد

تلك الإخوة يا أحوار بينكم عاثت بها من بني الأغيار شر يد

إنّ الصديق إذا أدلى بخلتّه إلى العدوّ فقل يا خلّة اعتضدي

إنا على عامل نأسى لأنّ بها من لا يفوّق بين الزبد والزبد

سيروا شبيبتنا لكن على خطط — قد سنّها الدين في منهاجه الجدد

لا تجعلوا لسقيم الذوق منتقدا — عليكم واحذروا من أعين الرصد

إنّا لنأمل فيكم أنّ شعبكم — يعود ملتئماً في شمله البدد

وبالختام لكم أهدي التحيّة من — قلب بغير ولاكم غير معتقد [1]

وذكره أيضاً السيّد جواد شبر، مع بعض النكات المتعلقّة به، نذكرها تعميما للفائدة، إذ قال:

ويوم كتب السيّد محسن الأمين كتابه «التنزيه» للشعائر الحسينيّة ثار العلماء الأعلام وأئمةُ الإسلام بوجهه، وكتبوا مفنديّن ومنتقدين ما كتب، وكنت أتصوّر – وأنا في مقتبل العمر – أنّ المساندين لفكرة السيدّ الأمين والمؤيديّن له هم المتجددوّن والذين يميلون للتحلّل من أوامر الدين، وكان المترجم له قد استخدمت أفكاره موجة الشباب، فراح ينظم بوحي منهم كقوله من قصيدة مطلعها:

يا حر رأيك لا تحفل بمنتقد — إنّ الحقيقة لا تخفى على أحد

ويوم بلغت الخصومة أشدها بين المرجعين الكبيرين السيّد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ أحمد كاشف الغطاء حول شخصية الخطيب السيّد صالح

1- شعراء الغري ١٢: ٢٠٨ - ٢١٦.

الحلّي، فقد حرّم الأولّ الاستماع إلى خطاباته، وأحلهاّ الثاني وعقد له مجلسا فيً بيته، وكان المترجم له – كما قلنا – تلميذا ً للشيخ أحمد كاشف الغطاء، فأنشد قصيدته التي يقول فيها:

أنتَ العميد لهم رغم انُوفهم — بل أنتَ سيدّها وكلهّم سدى

رأت الشويعة منك أكبر قائد فومت إليك زمامها والمقودا

والعلم مثل البحر هذا غائص فيه وهذا منه ما بلّ الصدا

والعرب تعلم أنّ تاج فخارها بسوى شويعة (أحمد) لن يعقدا

سلها غداة تصفّحت قرآنها أفهل رأت (بيغموا أو يا خدا)

فخر البيوت بأهلها فافخر بأبي الرضا والمرتضى علم علي الهدى

وإذا روي عن آل جعفر في خبر فمن كفّ (الحسين) العلى المبتدا

إنّي وإن كنت البعيد قرابة منكم فشعري عنكم لن يبعدا

وشاءت الإرادة السماوية والحكمة الربانية –والحمد للّه على جميل صنعه – أن تنحصر الزعامة الدينية في الآية الكبرى السيّد أبو الحسن بعد وفاة المرحوم الحجّة الشيخ أحمد كاشف الغطاء، فيكون الشيخ الحجّار من تلاميذه ومخلصيه ورواسله على سبيل المداعبة، يستجديه ويستميح نيله وفضله فيقول:

عجبتُ وكلّ زماني عجب ولستُ أصوّح ماذا السبب

ولكن أُشير وأنتَ الخبير ولا أستحي منك إذ أنت أب

(قسم عجمرا نامعدود شدم) فهلا أعد بقسم العرب

فيغدق السيّد عليه بكرمه المعهود ويجعله ممثلاً عنه في جانب (معقل) البصرة، ويقوم الشيخ بأداء وظيفته الدينية كما يأمر به الشرع الشريف، ولكن لم

يطل عهده وعاجله القدر فتوفّي ليلة السبت ٨ شعبان ١٣٥٨ هـ ، فنقل نعشه بموكب فخم إلى النجف ودفن بوادي السلام [1] .

وفي رسالة ثورة التتويه: ومن الشعر الذي قيل، الأبيات التي جاءت ردّاً على ما كان ينشده لاطمو الصدور وضاربو الرؤوس وهم يجولون في شوارع النبطية، ممّا لقنّهم إياه مهاجمو الحركة الإصلاحية، وهو:

لعنَ اللّه أناُسا ً حرّموا ندبَ الحسُين

فكان الردّ الشعبي:

أبعدَ اللّه ُأناسا قولهم كذبٌ ومين

ألصقوا بالدين ممّا قد أتوه كلّ شين

أظهروا للدين حبّاً و هو حب الوهمين

قطّ ما سالت عليه منهم دمعة عين

قد أعادوا عصر عمرو يوم نصب الحكمين

ولكم سُبّ علي المر تضى في الخافقين

أسد اللّه ببدر وبأُحدٍ وحنُين

بعلي لبنيه شبه في الحالتين

ولعثمان قميص لم يزل في الزمنين

أنا لا أطلب فيهم أوّاً من بعد عين

كلّ عصر في الورى فيه يزيد والحسين[2]

1- أدب الطفّ ١٠: ٣١٤ - ٣١٥.
2- ثورة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

عامّة الناس:

لم يكن الناس، سواء في العراق أو لبنان أو غيرهما من البلدان الإسلاميّة،بعيدين عن هذه المعركة الفكرية القائمة آنذاك.

ومن طبيعة عوامّ الناس أن تحركهم العاطفة، خصوصا إذا كان المتحدثوّن أو القائمون على عمل معين ّمن الذين يجيدُون التلاعب بعقول البسطاء. فكيف إذا كانت القصة تتعلّق بالشعائر الدينية؟! فمن الطبيعي أن يشُارك الناس فيها مشاركة فعالّة، ومن المتسالم عليه أن يخسر المصلحون الساحة لوقت ما ؛ لأنّ كلّ حركة إصلاحيةّ لابد لّها من تضحية.

وفي هذه القضيّة بالذات كانت هنالك عدّة شخصيات علميةّواجتماعية بّارزة قد أعطترأيها،وعملت على تحريك الساحة ضدّ فتوى السيدّ الأمين:

فبعض المراجع أصدر فتوى بالجواز. وبعض الكتّاب ردّ على «التنزيه» برسائل طبعُت ووزعّت مجانا.

والعلاّمة الجليل المجتهد والمصلح الشيخ محمدّ جواد البلاغي على كبر سنه وضعفه يتقدمّ مواكب العزاء بشكل مؤثرّ جدا.

والخطيب البارع المفوّه السيدّ صالح الحليّ يحرُضّ الناس على السيد الأمين من فوق المنابر التي يعتليها،وهكذا.

فكانت ردّة الفعل عنيفة جداً، يصورهّا لنا أحد المعاصرين لها،وهو الاستُاذ جعفر الخليلي قائلا:

«وانقسم الناس إلى طائفتين – على ما اصطلح عليه العوام –: «علويّين»، و«أمويّين». وعنُي بالأمويين: أتباع السيدّ محسن الأمين، وكانوا قلّة قليلة لا يعتدّ

بها،وأكثرهم كانوا متستّرين خوفاً من الأذى.

واتّخذ البعض هذه الدعوة وسيلة لمجردّ مهاجمة أعدائه واتهامه بالأموية، فكثر الاعتداء على الأشخاص،واهُين عدد كبير من الناس، وضُرب البعض منهم ضرباً مبرحا. وبدافع إعجابي بالسيدّ محسن،وانطباعاتي عنه منذ الصغر،وايماني بصحةّ دعوته، أصبحتُ أمويا وًأمويا قحًا ُفيّ عرف الذين قسموا الناس إلى أمويين وعلّويين. وكّنت شابا فُائر الدَم كثير الحرارة، فصببتُ حرارتي كلهّا في مقالات

هاجمتُ بها العلماء الذين خالفوا فتوى السيدّ أبي الحسن والذين هاجموا السيدّ محسن.

وكنتُ أجد في كثير من الأحيان رسالة أو أكثر وقد الُقي بها من تحت باب الدار،وهي تتضمنّ – إلى جانب التهديد بالقتل

– شتائم بذيئة تدلّ على خسة وجبن. وكان التيارّ جلفا، والقوة كلها كانت في جانب العلويين، وكان هؤلاء العلويون وأتباعهم يتفنّون في التشهير بالذين سموّهم بالأمويين.

وبلغ من الاستهتار أن راح حملة القوب وسُقاة الماء في مأتم الحسين يوم عاشوراء ينادون مرددّين: «لعن اللهّ الأمين – ماء»، بينما كان ندؤهم من قبل يتلخّص في ترديدهم القول: «لعن اللهّ حرملة – ماء»، فأبدلوا «الأمين» بـ«حرملة» نكاية وشتماً.

ولا تسل عن عدد الذين شُتموا وضُربوا واهُينوا بسبب تلك الضجةّ التي أحدثتها فتوى السيد الأمين يومذاك، وكان السبب الأكبر في كلّ ذلك هو العامليّون – أعني أهل جبل عامل – الذين كانوا يسكنون النجف طلبا للعلم، وكان

معظمهم من مخالفي السيّد محسن»[1].

وقال الخليلي أيضاً:

«لم يكن يمرّ على صدور هذه الرسالة اُسبوع أو أكثر وتنتقل من الشام – حيث تم تطبعها – إلى العراق حتىّ رافقها كثير من الدعايات ضدّها، ووجدت هذه الدعايات هوىً في نفوس البعض، فأشعلوها فتنة شعواء تناولت السيدّ محسن الأمين وأتباعه بقسوة لا تُوصف من الهجاء والذمّ والشتم المقذع.

وخاف الذين آمنوا بقدسيّة هذه الرسالة وصحّة فتوى العلماء، لقد خافوا أن يعُلنوا رأيهم في وجوب الذب عّن موضوع الرسالة والدفاع عن شخص مؤلّفها. ومن الذي كان يجرأ أن يُخالف للناس رأياً؟! ومن كان يستطيع الظهور بمظهر المخالف في ذلك اليوم»[2] ؟!

والغريب في الأمر أنّ تسمية المؤيّدين لآراء السيدّ محسن الأمين بـ«الأمويين» و«المتسننين» لم يصدر من عوام الناس فحسب، بل صدر من بعض العلماء والفضلاء أيضاً:

فالشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨ هـ)، قال في رسالته «نصرة المظلوم»: «فعلمتُ من أين جاءت هذه البليّة التي تقضي – إن تمّت – على حياة

الشيعة، وتيقّنتُ إن كيد المموهين والمنافقين وخاصة أفراد «الجمعية الأموية» ذلك الكيد الذي لا ينطلي إلا علىّ السذج والبسطاء»[3].

1- هكذا عرفتهم ١: ٢٠٨ - ٢١٠.
2- هكذا عرفتهم ١: ١٢٢.
3- نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

وقال المتتبّع الكبير الشيخ الطهراني (ت١٣٨٩ هـ)، عند ذكره لهذه الرسالة «نصرة المظلوم»: «كتبها جواباً على بعض المتجدّدين المتسنّين»[1].

وقال أيضاً عند ذكره لرسالة «النظرة الدامعة» التي ألفّها الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي رداً على السيد الأمين: «كتبه ردّاً على بعض المتسننيّن المتجدديّن»[2].

والأغرب من ذلك كلّه أنّ الشيخ عبد الحسين قاسم الحليّ (ت١٣٧٥ هـ)، في مقدّمة رسالته «النقد النزيه لرسالة التنزيه» أشار إلى السيّد مهدي البصري – باعتباره من أهل البصرة – وإلى السيّد محسن الأمين – باعتباره من أهل الشام – بقوله: «إنّ الحسين عليهالسلام لمّا قُتل بكى عليه جميع ما خلق اللهّ مما يرى ومما لا يرى إلا ثلاثة أشياء لم تبك عليه: البصرة، والشام، وآل الحكم بن أبي العاص»[3].

والمطالع لهذه الرسائل بدّقة، يقف على عبارات جارحة قويّة، صدرت من الطرفين، إن دلتّ على شيء إنما تدل علّى حساسيّة هذه الشعائر وأهميّتها ومكانتها عند الناس، وتأثيرها في أتباع مدرسة أهل البيت عليهمالسلام.

ومن حقّنا أن نتسائل هنا – وبكلّ موضوعية – هل يستحق السيدّ الأمين كل هّذا الهجوم وهذه النعوت، التي بعضها أخرجته من دائرة مذهب أهل البيت عليهمالسلام؟

وهل يستحق مناصروه ومؤيّدوه كلّ ما صدر من أصحاب الرأي الآخر؟ ونفس الأسئلة نوجهّها لدعاة الإصلاح المؤيديّن للسيّد الأمين، الذين لم تقتصر عبارتهم في جرح أصحاب الرأي الآخر المقابل لهم.

1- الذريعة ٢٤: ١٧٨ / ٩٢١.
2- الذريعة ٢٤: ١٩٦ / ١٠٣٠.
3- النقد النزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣: ١١.

الرسائل الواردة في هذه المجموعة

نورد هنا توضيحاً مختصراً للرسائل التي قمنا بجمعها، المتعلقّة بهذا الموضوع، وهو الشعائر الحسينية، المختصة برسالة «التنزيه»، وقبلها رسالة

«الصولة» ؛ لعدم إمكان تجزئتهما، ولارتباطهما بموضوع واحد وفي زمان واحد. وقد عانيت الكثير من المصاعب في جمعها، واستغرق وقت تحقيقها منّي سنوات عديدة، لكثرة المشاغل وتشتتّ البال، وتعددّ الأسفار، وتكليفنا بإدارة مركز الأبحاث العقائدية الذي أخذ كلّ وقتنا.

قمتُ بتصحيح هذه الرسائل وضبط نصوصها، واستخراج كلّ ما يحتاج إلى استخراج من: آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، وأقوال مختلفة، وترجمتُ لبعض الأعلام، وشرحتُ الأحداث التاريخية والوقائع المهمةّ، كل ذّلك من أجل إيصال المعلومة كاملة للقارئ الكريم.

ورتبتُ هذه الرسائل حسب تأريخ تأليفها، لا حسب وفيات مؤلفّيها ؛ لأنّ هذه الرسائل يرد بعّضها البعض الآخر.

(١) وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع

هذه الرسالة لكاتب هذه الأسطر، وجامع هذه الرسائل، العبد الفقير إلى اللّه تعالى محمّد ابن الحاج رضا ابن الحاج محمّد علي الحسّون النجفي. جعلتها في مقدّمة، بينّت فيها بشكل مختصر تاريخ الشعائر الحسينية، وفي مقدمتها إظهار الحزن والبكاء والنوح على الإمام الحسين عليهالسلام وكيفيّة تطوير هذه الشعائر زمن الأئمة عليهمالسلام في دولتي بني أُميّة وبني العباس، ثمّ في الحكومات التي تلتهما، إلى أن وصل الأمر للدولة العثمانية والصفوية، ثمّ في أيامنا هذه.

ثمّ شرعت ببيان المراحل التي مرّت بها هذه الحركة التي تطالب بإصلاح الشعائر الحسينية زمن السيد مهدي الموسوي البصري والسيّد محسن الأمين العاملي، والآثار التي خلفّها في المجتمع الإسلامي على اختلاف المستويات الثقافية التي كان يعيشها الأفراد آنذاك.

وأوضحت بشكل مفصّل أسماء مراجع التقليد ورجال الدين الذين ساهموا فيها، تأييداً ومعارضة، والرسائل التي ألفتّ في هذا الموضوع، سواء التي عثرت عليها أو تلك التي لم أعثر عليها.

وبيّنت الدور المهم للصحافة آنذاك، والمقالات التي طبعت تأييداً للسيد

الأمين، سواء كانت بأسماء واقعية أو مستعارة، وكذلك دور الشعراء، والقصائد التي قيلت في هذه المعركة الإصلاحيّة.

ثمّ ختمت هذا البحث ببيان دور عامة الناس فيها، وكيف أنّ الناس انقسموا في ذلك الوقت إلى «علويينّ» و«أمويينّ» – حسب ما اصطلح عليه آنذاك – وذكرت بعض العبارات التي تدلّ على حساسية هذا الأمر عند المجتمع الإسلامي.

وأخيراً ذكرت الرسائل التي عثرت عليها، تأييداً ومعارضة للسيد البصري والسيد الأمين، ونبذة مختصرة عن حياة مؤلفيها، والحمد للّه ربّ العالمين.

(٢) جريدة الأوقات العراقيّة

كانت هذه الجريدة هي الشرارة الأولى التي انطلقت منها هذه المعركة الإصلاحية، إذ قام رئيس تحريرها بزيارة للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨ هـ)، الذي كان يسكن آنذاك مدينة البصرة، وتباحث معه عن إصلاح الشعائر الحسينيّة وما دخلها من أمور غريبة، فتجاوب معه سماحة السيّد وأبدى رغبته في إصلاحها، فقام هذا الشخص – رئيس التحرير – بنشر هذه المقابلة وعرض آراء السيّد فيها.

علماً بأنّ السيد لم يكن راضياً عن نشر هذه المعلومات في الصحافة، كما هو واضح من رسالته «صولة الحق عّلى جولة الباطل».

وما أن انتشرت هذه المقالة التي كانت بعنوان «يوم عاشوراء» في تلك الجريدة في عددها ١٦٦١ الصادر في الأوّل من محرّم سنة١٣٤٥ هـ، حتّى أحدثت ضجّة كبيرة بين أوساط المؤمنين، وتجاوب معها البعض، ووقف ضدها البعض الآخر، وألفتّ

في تأييدها وردّها رسائل، وكتبت مقالات، ونظمت قصائد، بيّناه مفصلاً في مقالنا عنها المطبوع في أولّ هذه المجموعة.

كما سيأتي الكلام مفصّلاً عن هذه الجريدة، ومن أصدرها، والهدف من إصدارها، وكلّ ما يتعلقّ بها، وذلك في حديثنا عن رسالة «صولة الحقّ على جولة

الباطل».

وبما أنّنا لم نقف على هذه الجريدة الصادرة في البصرة آنذاك، لكي ننقل نصّ عبارتها، لذلك نقلنا ما ذكره منها الشيخ محمدّ جواد الحجّامي (ت١٣٧٦ هـ) في رسالته «كلمة حول التّذكار الحسيني»، وهي أربع عبارات فقط .

(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل

للسيّد محمدّ مهدي الموسوي البصري

المؤلِّف:

هو السيّد محمدّ مهدي – أو مهدي – ابن السيدّ صالح الموسوي القزويني. وأضاف العلامّة الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، لقبين له هما: الكشوان والكاظمي، وذلك عند ذكر كتابه «نوار الغالين»[1] . لم أعثر على ترجمة مفصّلة له في المصادر المتوفّرة لدينا، سوى ما ذكره العلاّمة الطهراني في ذريعته عند ذكر بعض مصنفاته، إذ قال:

«ولد بالكاظميّة سنة١٢٧٢ هـ ، واشتغل بها، وهاجر إلى سامراء حدود ١٣٠٠ هـ ، وكان يحضر بحث سيّدنا الشيرازي وبعض تلاميذه، منهم الميرزا إبراهيم ابن المولى محمّد علي المحلاتّي الشيرازي، والشيخ إسماعيل الترشيزي. وفي سنة ١٣٤٣ هـ تشرّف لزيارة مشهد خراسان، وبعدرجوعه أقام في الكويت، وكان سنين مرجع الأمور الشرعية بها إلى ١٣٤٣هـ ، فنزل إلى البصرة، وكان مقيماً بالوظائف الشرعيّة ومجداّ بالتأليف، إلى أن توفي بها يوم الاثنين

1- الذريعة ٣: ١٥٣ / ٥٣١.

سادس ذي القعدة ١٣٥٨ هـ ، وحمل إلى النجف ودفن بها يوم الأربعاء ثامن الشهر المذكور مع السيّد عدنان والسيدّ مهدي البحرانيين في الحجرة التي على يسار الداخل إلى الصحن من باب المغرب المعروف بباب السلطاني»[1] .

وقال عنه أيضاً في موضع آخر من الذريعة: «نزيل الكويت وعالمها الأسبق، ونزيل البصرة اليوم وعالمها»[2] .

له مجموعة من المؤلّفات – إضافة لرسالة الصولة – منها:

١) برهان الدين الوثيق في نقض «عمدة التحقيق»، الذي ألّفه بعض أهل السنّة، فرغ منه في ثالث شهر رمضان سنة ١٣٤٠ هـ ، كما ذكر في فهرس تصانيفه[3] .

(4)

٢) بوار الغالين، في الردّ على الشيخيّة، طبع سنة ١٣٣٢هـ .

٣) خصائص الشيعة التي جاءت بها الشريعة، فرغ من تأليفه في رجب ١٣٤١ هـ ، وطبع ببغداد في تلك السنة في ٧١٢ ص، وفي أوله فهرس مطالبه مفصّلاً من المقدمّة التي في أصول الدين الخمسة، ثم فصول كثيرة في المواعظ والآداب والأخلاق[5] .

٤) مخازي الشيخيّة ومفاخر الشيعة، وهو تعريب كتاب «إلقام الحجر» الفارسي، فرغ منه عصر الخامس والعشرين من ذي الحجّة سنة تسع وثلاثين

1- الذريعة ٧: ١٦٧ / ٥٩٤.
2- الذريعة ٣: ٩٥ / ٣٠٤.
3- المصدر السابق.
4- الذريعة ٣: ١٥٣ / ٥٣١.
5- الذريعة ٧: ١٦٨ / ٨٩٤ .

وثلاثمائة وألف[1] .

٥) هدى المنصفين إلى الحقّ المبين، فارسي، في الردّ على الشيخية أتباع الشيخ أحمد الأحسائي، في مجلدّين، أبسط من «بوار الغالين» بالعربية في مجلّد واحد، طبع في النجف سنة ١٣٤٢ هـ في ٢٩ صفحة، وقد لقّبه شيخنا شيخ الشريعة الأصفهاني بـ«إلقام الحجر»، ومعرّبه بـ«مخازي الشيخية»[2] .

«إلقام الحجر لمن تجبّر وجحد الحقّ وتكبرّ»، هذا الاسم اختاره له شيخنا العلامّة الشهير شيخ الشريعة الأصفهاني، واسمه المعروف به «هدى المنصفين»، ومعرّبه الموسوم بـ«مخازي الشيخيّة»[3] . وفي معجم مؤلّفي الشيعة، ذكر بعض مصنفاته قائلاً له: «بوار الغالين، تبصرة الحرّ الرشيد، حلية النجيب في ردّ الماديين، حي ّعلى الحق، ّخصائص الشيعة التي جاءت بها الشريعة، حلية النجيب في المنع عن تقليد الميّت...»[4] .

وذكر الشيخ عبد المهدي المظفّر (ت١٣٦٣ هـ) في رسالته «إرشاد الأُمّة للتمسك بالأئمة» قصة ّاختلاف المتوجم مع الشيخ حبيب قوين، أحد مشايخ الشيخيّة في الكويت، ثمّ مصالحتهما بوساطة بعض رجال الدين، من أراد الاطلاع عليها فلينظر تلك الرسالة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)[5] .

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

1- الذريعة ٢٠: ١٦٥ / ٢٤١٠.
2- الذريعة ٢٥: ٢٠٣ / ٢٧٥.
3- الذريعة ٢: ٣٠٠.
4- معجم مؤلّفي الشيعة: ٣١٨.
5- إرشاد الأمّة للتمسّك بالأئمّة المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٣: ٣٩٦.

الأولى: تعتبر هذه الرسالة هي نقطة البدء في تلك المعركة العلميّة التي حدثت آنذاك، والتي تبعها تأليف السيّد محسن الأمين لرسالته «التنزيه»، وكذلك تأليف مجموعة من العلماء رسائل عديدة في ردّها أو تأييدها. ذكرها العلاّمة الطهراني في الذريعة قائلاً: «صولة الحقّ على جولة الباطل، مقالة طبعت لبيان أنّ التعزية والتشبيه، مع كونهما راجحين، قد حفتّ بها أمور محرّمة لابدّ أن يتنزّه منها ولم يردُ مؤلفه غير هذا، كما اعترف به الراد عليّه في كتابه «الرواهين القائمات».

الثانية: الذي حثّ المؤلّف على تأليفه لهذه الرسالة، هو قيام بعض الصحفيين في نشر المحادثة التي جرت بينه وبين المؤلّف، التي استنكر فيها – المؤلّف – بعض الشعائر الحسينيّة كضرب الرؤوس بالقامات والظهور بالسلاسل الحديدية، وخروج المواكب الغوغائيّة في الشوارع، وتمثيل واقعة الطفّ، إذ قام هذا الصحفي ينشر آراء المؤلفّ في جريدة «الأوقات العراقيّة» العدد ١٦٦١ ، الصادرة في أوّل محرّم سنة١٣٤٥هـ .

ولم يكن المؤلّف راضياً بنشر هذه الأفكار في الجريدة، إذ يقول في هذه الرسالة: «ولو كنت عالماً بأنه سيتعوضّ لها في الجريدة لحظوت عليه ذلك ؛ إذ لا دخل لغير العلماء فيها. ولمّا كان بيانه باختصار، فأجمل فيها بعض التي لصاحب الغرض حملها على حسب غرضه...».

ويقول فيها أيضاً: «وصاحب الجريدة لم يلتفت إلى الحقيقة عند المفاوضة، فرسم في جريدته مالم يتوقعّ رسمه منه».

الثالثة: لما نشرت تلك الصحيفة آراء المؤلّف عن بعض الشعائر الحسينيّة، استنكرها الكثير من الناس، وتصوروّا أن المؤلّف يحرم كلّ الشعائر الحسينية، مما حدى بالمؤلفّ لتأليفه هذه الرسالة، مبينا فيها آراءه بشكل صريح، إذ يقول فيها

مشيراً إلى هذه النقطة:

«قامت قيامة بعض الجهلة بالشناعة في محافلهم، ينادون بأنّا قد حرّمنا التعزية بتاتاً، وبعضهم ينادي بأن مجالس التعزية والمآتم ستُسدّ في العام المقبل، وصاروا يتقولوّن علينا بالبهتان، وقد حصل لهم من ساعدهم على هذا من الذيّن هم من غير صنفهم، وصار لهم زفير وشهيق».

الرابعة: سمّاها في مقدمّتها: «صولة الحقّ على جولة الباطل»،ولا يخفى ما لهذه التسمية من دلالات على ردة الفعل التي أحدثتها تلك الجريدة عند نشر آراء المؤلّف.

الخامسة: انتهى من تأليفه لها في الخامس عشر من شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٥ هـ ، أي بعد أيام قلائل من صدور تلك الجريدة.

السادسة: يصف المؤلّف مخالفيه بعبارات جارحة مثل «بعض الجهلة» و«المفتري المرتاب».

السابعة: ردّ على هذه الرسالة بعض المؤلفّين مثل: الشيخ حسن المظفرّ في رسالته «نصرة المظلوم»، والشيخ عبد المهدي المظفّر في رسالته «إرشاد الأمُةّ للتمسكّ بالأئمة».

الثامنة: النسخة التي اعتمدنا عليها في تصحيح هذه الرسالة، هي الطبعة الأولى لها، موجودة في مكتبة أمير المؤمنين

عليهالسلام في النجف الأشرف، كتب عليها:

«صولة الحقّ على جولة الباطل، تصنيف العالم العامل، الورع التقي الزاهد، حافظ الشريعة، حجّة الإسلام آية اللهّ السيد محمّد مهدي الموسوي القزويني، متّع اللهّ المسلمين بحياته آمين. طبعت على نفقة بعض المؤمنين، طبعت في المطبعة الوطنية «عشّار» البصرة ١٩٢٦م – ١٣٤٥هـ».

(٤) المواكب الحسينيّة

للشيخ عبد اللّه المامقاني

المؤلِّف:

ترجمه الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧ هـ)، في كتابه (ماضي النجف وحاضرها) ٢: ٢٥٥ – ٢٥٨ قائلاً:

الشيخ عبد اللّه ابن الشيخ حسن المامقاني، ولد في النجف سنة ١٢٩٠ هـ . من العلماء البارزين وأهل الفضل السابقين، جدّ في التحصيل وألَّف فأكثر. قرأ بعض المباديء من العربية على والده العلاّمة، وقرأ على التقي الصالح العالم الشيخ هاشم الأورنقي الملكي الكافي الكتب المعروف قراءتها من النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والشرائع وشرح اللمعة، وحضر «المعالم» في الأُصول على والده، وقرأ «القوانين» على المولى غلام حسين الدربندي وبعض كتاب «الرياض» و«رسائل الشيخ» و«المكاسب» على الفقيه الشيخ حسن الخراساني أصلاً النجفي مسكناً الملقب بالميرزا، وحضر درس الأصول والفقه خارجاً عند والده العلاّمة الشهير، ومن ذلك الوقت أخذ في التأليف والتصنيف.

يمتاز هذا الشيخ بحسن الأخلاق ولطيف المعاشرة وصراحة القول، مع التمسّك بقوى الدين الوثيقة والإخلاص في ولاء أهل البيت عليهمالسلام، يحثّ على إقامة

المآتم الحسينيّة ويأنس بعقدها، كان عربي الذوق سليم الذات، جمعت فيه الخلال الحميدة والمزايا الفاضلة، رجع إليه في التقليد كثير من أنحاء آذربيجان وبعض أهالي العراق، خاض قلمه الشريف في أكثر فنون العلم ورزق التوفيق، فقد طبعت جلّ مؤلّفاته المهمّة على عهده، وكان من المدرّسين، له حوزة علمية يحضرها بعض طلبة العلم من الترك وغيرهم.

آثاره المطبوعة:

(١)– «مناهج المتقين» ثلاث مجلدات تمام الفقه.

(٢)– «نهاية المقال في تكملة غاية الآمال» حاشية على خيرات العلاّمة الأنصاري، مجلدان، وألحق بها في الطبع «القلائد الثمينة» مجلّد، وهو تعليق على الرسائل الستّ الملحقة بمكاسب الشيخ الأنصاري.

(٣)– «مرآة الرشاد في الوصية إلى الأحبّة والأولاد».

(٤)– «مرآة الكمال في الآداب والسنن» مجلّد، وهو من الكتب النافعة.

(٥)- «الاثنا عشرية» مجموع رسائل، طبع في النجف وهي:

(١)رسالة وسيلة النجاة.

(٢) مجمع الدرر.

(٣)رسالة المسائل الأربعين العاملية.

(٤) المسائل الخوئية.

(٥)رسالة في المسافر الذي عليه قضاء شهر رمضان مع ضيق الوقت.

(٦)رسالة عدم تأثير العقد على ذات البعل والوطئ لها شبهة في المواث وحرمتها عليه أبداً.

(٧)رسالة المسائل الجيلانية تتضمن تحكيمه بين علمين معاصرين في فرع من فروع إرث الزوجة من رقبة الأرض.

(٨)رسالة كشف الريب والسوء عن إغناء كلّ غسل على الضوء.

(٩)رسالة في إقرار بعض الورثة بالدين وإنكار الباقين.

(١٠)رسالة كشف الأستار في وجوب الغسل على الكفّار.

(١١)رسالة غاية المسؤول في انتصاف المهر بالموت قبل الدخول.

(١٢)رسالة مخزن اللئالي في فروع العلم الإجمالي.

(٦)- حواشي «مطارح الأفهام في مباني الأحكام» في الأصول.

(٧)- «هداية الأنام في أموال الإمام عليهالسلام.

(٨)- «تحفة الصفوة في الحيوة».

(٩)- «إزاحة الوسوسة عن تقبيل الأعتاب المقدّسة» مع مخزن اللئالي.

(١٠)- «مقباس الهداية في علم الدراية».

(١١)- مخزن المعاني في ترجمة الشامقاني».

(١٢)- «تحفة الخيرة في أحكام الحج والعمرة» فارسية مبسوطة.

(١٣)- «السيف البتّار في دفع شبه الكفّار».

(١٤)- «المسائل البصرية».

(١٥)- «وسيلة التقى» حاشية على العروة الوثقى.

(١٦)-رسالة «الدر المنضود في صيغ الإيقاعات والعقود».

(١٧)- «أرجوزة في العقود».

(١٨)- ترجمة كتابه العربي «مرآة الكمال» إلى الفارسية سمّاه «سراج

الشيعة في آداب الشريعة».

(١٩)- «المسائل البغدادية» في الفروع.

(٢٠)- «سؤال وجواب» فارسي.

(٢١)- «منهج الرشاد» سؤال وجواب فارسي.

(٢٢)- «مناسك الحج» فارسي وعربي صغير وكبير ومتوسط.

(٢٣)- تعاليق على رسائل العلماء العملية الفارسية والعربية كـ«ذخيرة الصالحين» و«منتخب المسائل»، و«الجامع العباسي»، و«مجمع المسائل» وغيرها.

(٢٤)- «صيغ العقود» للقزويني.

وآخر تأليفه:

(٢٥)- «تنقيح المقال في أحوال الرجال» ثلاثة مجلّدات كبار، وهو أحسن ما ألفّ في الرجال وأجمعها، قال بعض تلامذته مؤرخاً عام تمام الكتاب:

وشيخ الكلّ عبد اللّه أرّخ له قد تمّ تنقيح المقال

وأمّا مؤلّفاته التي لم تطبع منها:

١ - «منتهى مقاصد الأنام في نكت شرائع الإسلام» ثلاث وستون مجلّداً.

٢ - ورسالة «الجمع بين فاطميتين».

٣ - ورسالة في «أحكام العزل عن الحرّة».

وفاته: توفّي يوم التاسع عشر من شوال سنة ١٣٥١ هـ ، وشيّع بكلّ تبجيل واحترام، وعطلتّ له الأسواق، ومشى أمام نعشه باللطم على الصدور ونشر الأعلام، ودفن مع والده في مقبرتهم المعروفة، وأقيمت له عدّة فواتح في النجف

وخارجه، ورثته الشعراء برواث لاذعة، منهم الكامل الأديب المرحوم الشيخ حسن سبتي يقول من أوّل قصيدته:

نعى ناعيك يا شمس المعالي فذي أيامنا أمست ليالي

وأفق الدهر أمس مدلهما لفقدك قد نضا حلل الجلال

وكيف عليك لا يسوّد حزناً وعنه غبت يا بدر الجمال

وقال أيضاً مؤرّخا ً عام وفاته:

قد غاب عبد اللّه من أحيا العلوم بوقته

ناع نعاه فقد نعى حسناً أباه بصوته

فقضى لنا أرّخ أب مات الكتاب بموته

وأعقب رحمهالله ولداً واحداً وهو الشيخ محيي.

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: هذه الرسالة عبارة عن جوابٍ سؤال ورد إليه يتعلّق بالشعائر الحسينية، إذ ورد في أوله: «ما يقول مولانا حجةّ الإسلام والمسلمين – أيّده اللّه في العالمين ودام ظلهّ العالي – في المواكب المحزنة التي اعتاد الجعفويونّ اتخاذّها في العشر من المحرّم تمثيلا ً لفاجعة الطفّ، واعلاما بًما انتهك فيها من حرمة الرسول صلىاللهعليهوآلهوسلم في عترته المجاهدين عليهم السلام بالتمثيل للشهداء وجهادهم، وما جرى عليهم وعلى الأطفال من القتل والقسوة، بإعلانهم الحزن لذلك الفادح بكافّة أنواعه: من ندب، ونداء، وعويل، وبكاء، وضرب بالأكفّ على الصدور، وبالحديد

على الرؤوس والظهور، إلى غير ذلك ممّا هو معلوم ومشهور، منضمّا ً إلى بروزهم بهيئاتهم المعروفة وحالاتهم الموصوفة، فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر أم لا؟ افتونا مأجورين، مع بيان المستند ؛ ليكون حجّة على مَن أنكر أو عاند».

الثانية: هذا هو السؤال الثاني الذي يُسأل عنه المؤلّف عن الشعائر الحسينية، إذ سئلُ أولا وقَبل شهر من تأريخ السؤال الثاني، وأجاب رحمه اللّه عنه، إذ يقول: «قد سئُلت عن هذه قبل شهر تقريبا ً فقلت في الجواب...».

الثالثة: تاريخ السؤال الأوّل تقريبا ً في النصف من محرمّ سنة ١٣٤٥ هـ ، وتاريخ السؤال الثاني –وهو هذه الرسالة – الرابع عشر من شهر صفر من نفس السنة.

الرابعة: من تاريخ السؤالين يتّضح لنا أنّ هذه الرسالة ليست لها علاقة برسالة «التنزيه» للسيدّ محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، لأنّ تأريخ تأليفها – التنزيه – هو شهر محرمّ سنة١٣٤٦ هـ وطبعت طبعتها الأولى في صيدا عام١٣٤٧ هـ ، بل هي ردّ على السيّد محمدّ مهدي الموسوي البصري (ت١٣٥٨ هـ)، في رسالته «صولة الحقّ» التي ألفّها في محرمّ سنة١٣٤٥هـ .

الخامسة: لم نقف على السؤال الأوّل وعلى جوابه من قبل المؤلّف، إذ الظاهر أنهّ كان مجملا بدًون ذكر الأدلة والّلواهين، لذلك طلب السائل في السؤال الثاني «بيان المستند ليكون حجّة على من أنكر أو عاند»، وقد أشار المؤلّف إلى هذا بقوله: «قد سُئلت عن هذه قبل شهر تقريباً، فقلت في الجواب: لا ينبغي الشبهة في جواز الأمور المذكورة في السؤال، بل وادماء الرأس بالسيف، بل لو أفتى فقيه

الصفحة 86

متبحّر بوجوب ذلك كفاية في مثل هذه الأزمنة – التي صممّ جمع فيها على إطفاء أنوار أهل البيت عليهم أفضل الصلوات والسلام – لم يمكن تخطئته».

السادسة: طبعت هذه الرسالة في المطبعة المرتضوية في النجف الأشرف، وانتهى من تأليفها في الرابع عشر من شهر صفر سنة١٣٤٥هـ [1]، كما جاء في آخرها.

1- معجم المؤلّفين العراقيين ٢: ٣٣٤ / ١٨.

الصفحة 87

(٥) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء للشيخ مرتضى آل ياسين

المؤلِّف:

ترجمه الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧ هـ) في كتابه «ماضي النجف وحاضرها» ٣: ٥٣٤ قائلاً:

«الشيخ مرتضى ابن الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ باقر. أحد أقطاب هذه الأُسرة، وفي الطليعة من أعلام رجالها، ولد في الكاظمين

في الخامس والعشرين من ذي الحجّة سنة١٣١١ هـ ، نشأ تحت رعاية والده وتغذّى من معينه الروحي، فنما نمواً سريعاً.

وحضر مقدّمات دروسه على عدّة من الأفاضل في الكاظمين ثم هاجر إلى النجف طلبا للدراسة العالية، فلازم حوزة درس المحقّق النائيني والمرجع العامّ السيدّ أبو الحسن الأصفهاني، وحضر درس الفقيه أخيه العلامّة الرضا، وقد شهد له أساطين الفن ببلوغ الرتبة العالية من العلم والاجتهاد وهو في عقده الثالث.

وقد شرع منذ عدّة سنوات في التدريس العالي «بحث الخارج» والمساهمة مع الأعلام والمراجع في الدين، حتىّ أن أخاه الرضا فقيه عصره أرجع إليه جماعة

الصفحة 88

من مراجعيه في احتياطاته شفهيّاً تارة وتحريريا أخُرى ؛ لما يراه فيه من الأهلية.

ورجع إليه جملة من مقلّدي أخيه بالتقليد بعد وفاته، وطلب منه جماعات من المؤمنين العارفين بفضله أن يتصدّى عملياً لمهام المرجعية ونحوها فأبى إباءً شديداً ؛ إعراضاً عن الدنيا وزخارفها الزائفة وبهرجتها الفانية.

استخلفه أخوه الرضا على الجماعة في أيام مرضه، واستمر عليها بعده يقيم الجماعة في البهو الشريف العلوي في الصيف، وفي الحرم المطهر العلوي في الشتاء، وصلّى خلفه جماعة من المؤمنين. يمتاز سلمّه اللهّ بصباحة الوجه، وحسن المنظر وطيب المعشر، وصفاء القلب، وقد جمع خلالاً حميدة مضافاً إلى مركزه العلمي، قلّ أن توجد في فقيه يتمتعّ بملكات أدبية فذة تكاد تكون منقطعة النظير، وإنّ قلمه ليتفجّر بالسلسبيل

الرائع من البيان، كما أن شبابه زخر بشعر رائع حافل بأنواعه لم يحتفظ به.

آثاره: له تعليقات على العروة الوثقى وبلغة الراغبين، وله غير ذلك من الآثار في الفقه والأُصول وغيرهما لم تطبع».

تُوفيّ سنة١٣٩٨هـ .

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: هذه رسالة أدبيّة رائعة، تدلّ على المستوى الأدبي الرفيع للمؤلفّ رحمه اللهّ، فإنه يّتوجع وّيتأسف لهذه الأمة التّي وصلت إلى هذا الحدّ من الانحطاط الفكري الذي دعاها إلى التشكيك بالشعائر الحسينية، إذ يقول في أولّها:

«أجل واللّه، إنّه ليجدر بالرجل الديني ّفي عصره الحاضر، أن يثب فؤاده من بين جنبيه جزعا، ًوأن ينخلع قلبه عن موضعه أسفاً، عندما يلقي ببصره إلى ما

حوله، فلا يجد هنا وهناك إلاّ أضاليل وأباطيل، تتدحرج إلى قومه بين المضائق والمنعرجات، وتتدافع نحوهم خلال الثنايا والعقبات...».

الثانية: حصر المؤلّف شبهات وإشكالات المنكرين لبعض الشعائر الحسينيّة في أربع مواد، ثم ّبدأ بالجواب عليها ردا ّعلًميا، ً وهي:

(١)- إنّ التمثيل وما يتصل به من مظاهرات عاشوراء مما ّلم يكن عند الشيعة في الأعصر الغابرة، فهو بدعة محرمّة.

(٢)- إنّ التمثيل يشتمل على كثير من السخافات والأمور المستهجنة.

(٣)- إنّ تجول مواكب اللطم في الأزقة والشوارع مدعاة للخروج عن حدود الآداب الشرعيةّ ومجلبة لسخرية الأغيار واستهزائهم.

(٤)- إنّ إدماء الرؤوس بالسيف موجب لإدخال الضرر على النفس، والإضرار بالنفس حرام بلا كلام.

الثالثة: لم يذكر المصنّف أسماء الأشخاص الذين يردّ عليهم، والواضح أنهّ يرد ّعلى السيد ّمحمد مّهدي الموسوي البصري (ت١٣٥٨ هـ) ورسالته «الصولة» ؛ لأنّه ألفّها سنة١٣٤٥ هـ ، أي أنّ هذه الرسالة ليست ردا ً على «التنزيه»، لأنهّا ألفتّ وطبعت قبلها.

الرابعة: في آخر هذه الرسالة، حمل المصنّف المانعين عن بعض الشعائر على الصحّة، وأن ّليس قصدهم منع تلك الشعائر

(1)

الحسينيّة ، إذ قال: «هذا، ومن المرجّح عندي أنّ بعض المانعين ممنّ أحترم شخصيتهم، لم يقصد المنع عن القيام

1 - قال عنها الشيخ الطهراني في الذريعة ٢٤: ١٩٦ / ١٠٣٠ : «رداً على بعض المتسنّنين المتجدّدين الذين ينكرون على الشيعة هذا الفنّ العريق عندهم منذ قرون، مع أنّهم يحبّذونها في المسرحيّات الجديدة - كما ياتي بعنوان «نمايشنامه» - حيث لم يكن ضدّ بني أميّة».

بتلك الأعمال مطلقاً وإن شفّ عن ذلك ظاهر كلامه الذي أرسله على عواهنه ؛ لأنّ علمنا بحسن نوايا ذلك البعض ليضطرنا إلى تأويل كلامه بالرغم من ظهوره في خلاف التأويل، واللّه الموفّق للصواب، وهو الهادي إلى سواء السبيل».

الخامسة: في آخر هذه الرسالة تقويظ للعلاّمة السيّد حسن الصدر (ت١٣٥٤ هـ)، جاء فيه: «هذا هو الكلام الفحل والقول الجزل، فؤاد اللّه في شوف راقمه».

السادسة: طبعت في مطبعة الفرات في بغداد سنة١٣٤٥ هـ ، وكتب على غلافها: «نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء، للأستاذ العلاّمة الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي دام ظلّه، طبعت على نفقة بعض الأشراف».

(٦) كلمة حول التذكار الحسيني للشيخ محمّد جواد الحچّامي

المؤلِّف:

ذكره الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧هـ) قائلاً:

«الشيخ محمّد جواد ابن الشيخ طاهر ابن الشيخ عبد علي. ولد في شهر رجب سنة١٣١٢ هـ ، ونشأ تحت ظلّ والده، ورباه تربيّة جيدة.

قرأ المبادئ على فضلاء عصره، وقرأ الدروس العالية على المشاهير من مراجع العلم، كالعلاّمة النائيني، والشيخ آغا ضياء العراقي، والسيّد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والعلاّمة السيد محسن الحكيم.

وهو اليوم بقيّة هذه الأسرة والبارز من رجالها، ضمّ إلى فضله الكمال والأدب، ينظم الشعر أحيانا عند المناسبات ومقتضيات الوقت، قويّ السبك حسن الديباجة، رقيق الألفاظ، سامي المعاني، وله نثر مستحسن. له تعليقة على كفاية الأصول ملتقطة من تقريرات دروس شيخيه السيّد أبو الحسن والشيخ آغا ضياء العراقي، وله شرح مختصر على رسالة التبصرة، وله شبه الكشكول سمّاه «مكتل الفواكه والفكاهات» صغير يقرب من كراستين، وله مجموعة شعر فيها ما يقرب من خمسمائة بيت، وله مراسلات ومطارحات نظماً

ونثراً مع أخدانه من الأدباء كالشيخ محمّد حسين المظفرّ، والمرحوم الشيخ حسن البهبهاني المتوفىّ سنة١٣٦٠ هـ ، وغيرهما من أدباء عصره.

وحچّام قبيلة كبيرة متشعبّة الفروع متعددّة الأفخاذ والمكانة العلمية، يطمع فيها كل مّن له طموح للارتقاء سلم الشرف والسؤدد ومن له طموح وتطلّع إلى المجد العلمي»[1].

وفي شعراء الغري لعلي الخاقاني (ت١٣٩٨هـ) إضافة لما قاله محبوبة:

«عالم فاضل، أديب كبير وشاعر رقيق، أخذ عنه العلم فريق كبير من أهل الفضل، وحلقته كان لها صداها يوم أن كان أبناء الدين من النجفيّين لهم وزنهم وقيمتهم، فكان من بارزي المدرّسين وأفاضلهم، وله نادي يحضره الكثير من أهل الفضل وأعلام الأدب.

عرفته منذ ربع قرن إنساناً رقيق الروح طيبّ المعشر، قد ورث الكثير من صفات أبيه الفاضلة: خلق دمث وسيرة وادعة، وعرفته إنساناً يحبّ الخير»[2].

وذكره العلاّمة الطهراني (ت١٣٨٩ هـ) في ترجمة والده قائلاً: «وولده الشيخ محمّد جواد عالم أديب»[3].

وقال الأميني (ت١٣٢١ هـ)، في معجمه: «عالم فاضل، شاعر أديب، مجتهد. ضمّ إلى فضله وعلمه وكماله، الأدب ونظم الشعر والتواضع والخلق الكريم ومكارم الأخلاق. هاجر إلى النجف وأقام بها، وتلمذ على الشيخ مشكور

1- ماضي النجف وحاضرها ٢: ١٦١.
2- شعراء الغري ١: ٤١٨.
3- طبقات أعلام الشيعة نقباء البشر ٣: ٩٧١.

الحولاوي والسيّد عبد الهادي الشوراري والميرزا علي الإيرواني» [1].

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: يذكر المؤلّف في بدايتها سبب تأليفه لها، وهو أنّه وقف على العدد ١٦٦١ من جريدة الأوقات العراقيّة، الصادرة في أوائل شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٥ هـ، وفيها مقال بعنوان «يوم عاشوراء»، ينسب كاتبه فيها إنكار بعض الشعائر الحسينيّة إلى «أصحاب السيادة حضرات العلماء الأعلام»، لذلك بدأ المؤلّف في ردّ ما ورد في هذا المقال، إذ ذكر أربع عبارات منها وأخذ بردّها مفصّلاً.

الثانية: ينقل فيها عبارتين لعلمين من أعلامنا، إذ أجابوا على الشبهات الواردة على إقامة الشعائر الحسينيّة، هما:

أ) السيّد جعفر بحر العلوم (ت١٣٧٧ هـ) الذي نقل كلام صاحب القوانين الميرزا أبو القاسم القمّي (ت١٢٣١ هـ)، وكلام الشيخ مرتضى الأنصاري (ت١٢٨١ هـ)، في رسالته العمليّة «سرور العباد».

ب) الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت١٣٦١هـ).

الثالثة: لم يذكر المؤلّف تاريخ تأليفه لها، والظاهر أنّه ألفّها – وكذلك طبعُت – قبل شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٥ هـ، وهو تأريخ تأليف رسالة «نصرة المظلوم» للشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨ هـ)؛ لأنّ الشيخ المظفّر ذكرها في رسالته هذه.

1- معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٤٠١.

وكذلك ينقل فيها استفتاءً وجّهه بعض المؤمنين إلى جماعة من العلماء حول إقامة الشعائر الحسينية، وأجوبتهم على ذلك الاستفتاء، منهم: السيّد محمّد الفيروزآبادي (ت١٣٤٥ هـ)، والشيخ عبد اللّه المامقاني (ت١٣٥١ هـ)، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء (ت١٣٤٩ هـ)، والشيخ هادي كاشف الغطاء (ت١٣٦١ هـ)، والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (١٣٧٣هـ).

ويذكر أيضاً استفتاءً وجّهه بعض المؤمنين إلى العلماء عن هذه الشعائر، لكنّه يورد جواب العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (ت١٣٥٢هـ) فقط.

الرابعة: النسخة المتوفّرة لدينا، التي اعتمدنا عليها في تصحيحها، هي النسخة المطبوعة في المطبعة العلوية في النجف الأشرف، كما كُتب في آخرها، ولم يذكر تاريخ طبعها فيها، وكتب في أولها: «كلمة حول التذكار الحسيني لصاحب الفضيلة العالم الشيخ محمّد جواد الحجّامي».

قال العلاّمة الطهراني في الذريعة: «كلمة حول التذكار الحسيني، للشيخ محمّد جواد الحچّامي النجفي المعاصر، في إثبات جواز التغزية بأنواعها للحسين عليهالسلام، مطوع»[1].

1- الذريعة ١٨: ١٢٤ / ١٠١٣.

(٧) نصرة المظلوم للشيخ حسن المظفّر

المؤلِّف:

هو الشيخ حسن – أو محمّد حسن – ابن الشيخ عبد المهدي ابن الشيخ إبراهيم المظفّر. لم أعثر على ترجمة مستقلّة له، بل ذكره الأعلام ضمن ترجمتهم لوالده وجدّه. فجدّ الشيخ إبراهيم كان من أعاظم أعلام الأسرة العلمية الجليلة (آل المظفر)، وكان من تلاميذ الشيخ محمّد حسين الكاظمي المعروف بالمقدّس البغدادي، وهاجر بأمر أستاذه المذكور بعد عام ١٣٠٠هـ من النجف الأشرف إلى مدينة البصرة للقيام بالوظائف الشرعيّة، وقام بها خير قيام إلى أن توفّي عام١٣٣٣هـ .

وجاء من بعده ولده الشيخ عبد المهدي للقيام مقام والده، وقام بأعباء خدمة الناس في مختلف الشؤون الدينية والسياسيّة والاجتماعية، حتّى وافاه الأجل عام ١٣٦٣هـ .

وله رسالة أيضاً في ردّ رسالة التنزيه للسيدّ الأمين، سماها «إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة» – (مطبوعة ضمن هذه المجموعة) – وردّ فيها أيضاً على السيدّ محمدّ مهدي الموسوي القزويني في كتبه: الصولة، وخصائص الشيعة، وضربات المحدّثين، وبوار الغالين – طبعت سنة ١٣٤٨ هـ ، أي بعد طباعة رسالة ولده بثلاث سنوات وجاء ولده الشيخ حسن للقيام بدور والده وجدّه.

يقول الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧ هـ) في ذيل ترجمة والده: «أعقب عدّة أولاد، قام مقامه في محلّه ولده الفاضل الشيخ محمّد حسن، حذا حذو أبيه ونهج منهجه مدّ اللّه في عمره»[1].

وقال الشيخ الطهراني (ت١٣٨٩ هـ)، أيضاً عند ترجمة والده: «وقد قام مقام أبيه وخلفّه في سيرته الحميدة ونفعه للناس، وهو موضع احترام أهل العلم وباقي الطبقات. وقد توفّي في يوم عاشوراء في مستشفى الميناء بعشّار سنة١٣٨٨هـ ، ونُقل إلى النجف ودفن بها رحمه اللّه»[2].

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: كان سبب تأليفه لهذه الرسالة، هو وقوفه أوّلاً على جريدة الأوقات العراقية، وهي تحمل مقالا بعنوان «يوم

عاشوراء»، تنسب فيه إنكار بعض الشعائر لبعض العلماء.

1- ماضي النجف وحاضرها ٣: ٣٦٧.
2- طبقات أعلام الشيعة «نقباء البشر في القرن الرابع عشر» ٣: ١٣٤١ - ١٣٤٢.

ثمّ وقوفه على رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيدّ محمدّ مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ)، التي بيّن فيها آراءه حول الشعائر الحسينيّة. ثمّ وقوفه أيضاً على رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمدّ جواد الحجامّي (ت١٣٧٦ هـ)، التي ردّ فيها على مقالة جريدة الأوقات العراقية.

إلاّ أنّ المؤلفّ رأى أن تلك الرد غير كاف، خصوصا بعدً انتشار رسالة «الصولة» وتأثيرها في أوساط المجتمع، لذلك تصدّى للردّ بهذه الرسالة التي سماّها في مقدمتّها «نصرة المظلوم».

الثانية: يذكر المؤلِّف نصاً لتلك الجريدة ويرد عليه، وكذلك يورد عدة عبارات للصولة ويبدأ بردها ردّاً علمّياً.

الثالثة: يذكر فيها أنواع التذكارات الحسينيّة التي كانت –ولازالت – تقام في ذلك الوقت، ويبيّن مشروعيتها، مثل المآتم، والتمثيل، وتمثيل النساء خاصّة، واللطم، وخروج المواكب في الشوارع: موكب السلاسل، والقامات – أي ضرب الرؤوس بالسيوف – وغيرها.

ثمّ يسلطّ الضوء على الآلات المستعملة في الرثاء الحسيني: الطبل، والبوق، والصنّج.

الرابعة: يستشهد في أقواله على حليّة هذه التذكارات الحسينيّة، بآراء الكثير من علمائنا، إذ يورد عباراتهم المكتوبة والمسموعة.

وينقل فتوى الميرزا النائيني (ت١٣٥٥ هـ)، مفصّلةً. وكذلك ما كتبه العلامّة محمدّ جواد البلاغي (ت١٣٥٢ هـ)، عن مشاهداته لموكب القامات في سامراء، وكيف أنّ هذا الموكب كان يخرج من دار السيدّ الميرزا محمدّ حسن الشيرازي (ت١٣١٢ هـ)، وأنّ أفراد هذا الرثاء كانوا يضربون

رؤوسهم في داره ثمّ يخرجون للشوارع، واستمرّ الأمر كذلك إلى زمن الميرزا الشيخ محمدّ تقي الشيرازي (ت١٣٣٨هـ)، وأنّ السيدّ مهدي صاحب الصولة كان أحد الطلبة اللاطمين متجرداً مّن ثيابه إلى وسطه، وهو من دون اللادمين مؤتزرا فوق ثيابه بإزار أحمر.

الخامسة: يصف المؤلّف الذين يؤيدّون منع الشعائر الحسينيةّ بـ«الجمعية الأموية»، وكذلك يصف السيد مّهدي بـ«الصائل»، وغيرها من العبارات الجارحة[1].

السادسة: انتهى من تأليفها وطبعها في شهر ربيع الأوّل سنة١٣٤٥هـ .

السابعة: لدينا نسختان مطبوعتان لهذه الرسالة، والتي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأولى، المطبوعة في المطبعة

العلويّة في النجف الأشرف سنة١٣٤٥ هـ ، وفي صفحتها الأولى ورد: «هذه الرسالة المسمّاة نصرة المظلوم، من آثار العالم الفاضل المؤتمن الشيخ حسن آل العلاّمة الشيخ إبراهيم مظفّر قدّس سرّه». أما الطبعة الثانية لهذه الرسالة والتي فيها بعض الاستخراجات، فقد جعلناها نسخة ثانية في عملنا.

1- في الذريعة ٢٤: ١٧٨ / ٩٢١ قال العلاّمة الطهراني عن هذه الرسالة: «وفيها رجحان إقامة التعازي والتمثيليات لبيان ما حدث بالأيدي الظالمة على آل رسول اللّه، طبع سنة١٣٤٥ هـ ، جواباً على بعض المتجدّدين المتسنّنين الذين يحبّذون التمثيليات الفنيّة الدنيوية ويحرّمون الدينيّة منها».

(٨) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات

«المواكب الحسينيّة»

للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

المؤلِّف:

الشيخ محمّد حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمّدرضا آل كاشف الغطاء، ولد سنة١٢٩٤ هـ ، ونشأ في مدينة النجف الأشرف وتخرّج في المبادئ على أعلام عصره من النجفيين، وفي الفقه والأصول على الزعيم الديني الكبير السيّد محمدّ كاظم اليزدي، وكان أحد أوصيائه ومن أخصّ أخصّائه.

وله الرواية عن الحاج ميرزا حسين الخليلي، وعن أعمامه الشيخ عبّاس ابن الشيخ حسن والشيخ عبّاس ابن الشيخ علي، وعن العلاّمة النوري والشيخ علي الخيقاني. خلّف للأمّة الإسلامية مجموعة كبيرة من الآثار النفيسة، منها: الدين والإسلام، المراجعات الريحانيّة، أصل الشيعة وأصولها، الآيات البيّنات، التوضيح في بيان ما هو المسيح، الميثاق العربي الوطني، المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون، نبذة من السياسة الحسينيّة، الأرض والتربة الحسينية، حاشية على

تبصرة العلاّمة الحلّي، وجزء الأحكام، حاشية على سفينة النجاة لأخيه الشيخ أحمد، حاشية على العروة الوثقى، تحرير المجلّة، تعليقات على سحر بابل ديوان السيّد جعفر الحلّي، مختارات من شعراء الأغاني. وله كتب خطية كثيرة لم تطبع إلى الآن.

ومن أعماله المشهورة: سفره إلى بيت المقدس وحضوره في المؤتمر الإسلامي هناك، وإلقائه خطبة عصماء أعجبت الحاضرين، وكذلك سفره إلى الهند الذي لاقى فيه التبجيل والتكريم، ومن إصلاحاته الاجتماعية المشهورة، قضاؤه على الأعمال المنكرة الصادرة من بعض العوام في التاسع من ربيع الأوّل، فصعد المنبر في الصحن العلوي الشريف وخطب بالناس خطبة رائعة لمدّة ساعتين تقريباً، ووعظهم وبيّن لهم ضرورة القضاء على تلك الأعمال المنكرة.

وكان رحمه اللّه أديباً شاعراً، له ديوان شعر كبير. وصفه المؤرخّ الشيخ جعفر محبوبة – والذي اقتبسنا هذه الترجمة منه – بقوله:

هو عميد الطائفة الجعفريّة وزعيمها، وعلم من أعلام الفوقة الناجية وناصوها، منبع العلوم والآداب، وكعبة الفضل التي إليها تحث الركاب، سرّ الفصاحة وبحر البلاغة، إن تكلّم نسُي عنده حسانّ، أو رقى ذروة التدريس يضيع بحضوته سحبان، كيف وهو فوع الوحة الجعفريّة اليانعة، والنبعة العلميّة المثمرة التي لم يزل العلم والإرشاد ضلربا فيهم رواقه، ومادا ّعلًيهم سوداقه ما يقرب من قرنين.

توفّي رحمه اللّه في إيران يوم الاثنين الثامن عشر من شهر ذي القعدة سنة١٣٧٣ هـ ، ونقل جثمانه إلى بغداد، ومنها إلى النجف الأشرف ودفن في مقبرته

في وادي السلام، ورثاه الشعراء وأبّنه الخطباء[1].

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: إنّ هذا الكتاب «الآيات البيّنات» يحتوي على أربع رسائل للمصنّف هي:

«المواكب الحسينيّة، ونقض فتاوى الوهابيّة، والرد ّعلى الطبيعين، وخرافات البابية»، جمعها ابن أخ المؤلفّ محمد ابن الشيخ عبد الحسين كاشف الغطاء، اخترنا منها الرسالة الأولى هنا، التي هي محلّ بحثنا. الثانية: كتب المصنفّ رحمه اللّه عدة رسائل تتعلقّ بالشعائر الحسينيّة، إلاّ أنّ الموجود في هذه الرسالة ثلاث فقط، وذلك أنّ جامع هذه الرسائل وطابعها اختار هذه الثلاث فقط، إذ قال في مقدّمتها.

«كتب مُدّ ظلهّ في أجوبة الأسئلة الواردة إليه عن فتواه في المواكب الحسينية ّ–زادها الله ّعزا وكًرامة – عدة مقالات، وكتب مطولة ومختصرة، ومتوسّطة، ونحن ننتخب منها ثلاث على ذلك النسق».

وهذه الرسائل الثلاث هي:

(١)– جواب على استفتاء من بعض ذوي الفضل في مدينة النجف الأشرف، يسألون عن رأيه في الشعائر الحسينيّة مثل: مواكب العزاء، وتمثيل فاجعة الطفّ، واللطم، وضرب السلاسل على الظهور، ودقّ الطبول.

فأجاب رحمه اللّه بجواز جميع ذلك.

1- ماضي النجف وحاضرها ٣: ١٨٤ - ١٨٩.

ولم يذكر في آخر الجواب تأريخه، ولم أعثر على من أثبته، والظاهر أنّه كان قبل السابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٥ هـ وهو تأريخ الرسالة الثانية التي كتبها المصنّف لأهالي البصرة، والتي كانت بعد الرسالة الأولى.

(٢)– جواب على عدّة رسائل وردت إليه من أماكن مختلفة من العراق خصوصاً مدينة البصرة، يسألونه بيان رأيه في

الشعائر الحسينيّة، وكتابة رسالة بسيطة في ذلك، إذ أنّ جواب الرسالة الأولى لم يكن كافياً، فقد أشار جامع هذه الرسائل إلى هذه المسألة قائلاً:

«ثمّ تتابعت البرقيّات من البصرة وغيرها سائلين منه دام علاه، طالبين فتواه في تلك الأعمال، فكتب إليهم كتابا أبسط من الجواب المتقدّم، وقد طبع في مطبعة الكاظمية بالبصرة، وانتشر بصورة منشور منفرد في عامّة الأطراف».

علماً بأنّ تاريخ طباعته كان في السابع عشر من شهر صفر سنة١٣٤٥ هـ . وكتب المصنّف جوابه هذا إلى عدّة أشخاص قائلاً في أوّله: «إلى إخواننا المؤمنين وعباد اللّه الصالحين من السادة الأشراف والأماجد الكرام: السيّد هاشم البعاجّ، والسيّد عبد الباقي البعّاج، والحاج داود العطيّة، وعبد الواحد العطيّة، والملا جّعفر أدام الله حّواستهم وتوفيقهم».

وقد حكم المصنّف في رسالته هذه على الشعائر الحسينيّة: «المواكب الحسينيّة، واللطم على الصدور، وضرب السلاسل على الظهور، والضرب

بالسيوف والخناجر، وخروج الجماعات في الشوارع والطرقات» بكونها «مباحة مشروعة، بل راجحة مستحبّة، وهي وسيلة من الوسائل الحسينيّة، وباب من أبواب سفينة النجاة».

(٣)- جواب على عدّة رسائل وصلت إليه من البصرة، لذلك جعل جوابه

موجّهاً إليهم قائلا فًي أوله: «إلى عموم إخواننا من أهالي البصرة ونواحيها – وفقهّم الله جّميعا للعًمل الصالح، والمتجر الرابح، والسعي الناجح إلى سعادة الدارين، وفوز النشأتين إن شاء اللّه – بتوسط الأمجدين السيّد هاشم البعاّج والحاج داود العطية أدام اللّه لهما السلامة والكرامة».

والظاهر أنّ الرسالتين الأوّليين لم تكفيا بالمطلوب لذلك كتب هذه الرسالة الثالثة باسلوب مبسطّ ومفصلّ، إذ يقول جامع هذه الرسائل: «وحيث لم تنحسم الشبهة ولم تنو العلّة، ولم تمسُك ألسنة المعارضين بتلك البيناّت الشافية، لذلك تظاهرت وتظافرت عليه البرقيّات من عدّة جهات يرغبون إليه في أن يكتب ما هو أبسط من ذلك، فعززّهما بثالث، لم يبق للشبهة مجالاوًلا للشك موضعاً».

وهذه الرسالة الثالثة طبعت بشكل مستقل في المطبعة العلويّة في مدينة النجف الأشرف سنة١٣٤٥ هـ باسم «المواكب الحسينيّة»، وطبعت ثانية ضمن «الآيات البيّنات»، وذكرها الشيخ الطهراني قائلاً: «المواكب الحسينيّة» في الرد عّلى منكر بعض أنواع إقامة العزّاء، للشيخ محمدّ حسين آل كاشف الغطاء، صاحب المغني عن الأغاني، طبع سنة١٣٤٥هـ»[1] .

وقد تعرّض المصنفّ في هذه الرسالة إلى بعض الشعائر الحسينيّة بشكل مفصلّ: اللطم واللدم، خروج المواكب في الطرقات، ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل، ضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس، الشبيه ومواكب التمثيل.

وفي نهاية هذه الرسالة أورد جامعها وطابعها محمّد ابن الشيخ عبد الحسين كاشف الغطاء، نصّ محاضرة قيمّة ألقاها المصنّف تتعلّق بهذا الموضوع.

1- الذريعة ٢٣: ٢٣٢ / ٨٧٧٤ .

الثالثة: من خلال الوقوف على تاريخ الأجوبة الثلاثة التي كتبها الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، وكلّها كانت سنة١٣٤٥ هـ ، يتضح أنّها كانت جواباً على ما كتبه السيدّ محمدّمهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨ هـ) في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» التي طبعت في الخامس عشر من شهر محرّم سنة١٣٤٥ هـ ، وليس لها علاقة برسالة «التنزيه لأعمال الشبيه» للسيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) التي طبعت سنة١٣٤٧هـ .

الرابعة: يصف الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء المعترضين على الشعائر الحسينيّة بقوله: «ما أحسب وضعها – أي الشعائر الحسينيّة – في مجال السؤال والتشكيك إلاّ دسيسة أموية أو نزعة وهابيّة، يريدون أن يتوصلوا بذلك إلى إطفاء ذلك النور، الذي أبى اللّه إلاّ أن يتمّه ولو كره الكافرون... عرف من أين سرى هذا السم الخبيث، وجاءت تلك البلية، التي تريد أن تقضي على حياة الشيعة وتزهق روح الشريعة،ولا يروّج هذا إلاّ على السذّج والبسطاء والمغفليّن الذين يقتلون الدين باسم الدين من حيث لا يشعرون».

الخامسة: طبعت «الآيات البيّنات» بإجازة المصنفّ، كما أشار جامعها وطابعها بقوله:

«ثمّ استجزنا شيخنا الأعظم أدام اللّه أيامه في ذلك، فتكرّم بالإجازة، وكان جملة منها قد طبع منفردا، وقد جمعناها هنا مع ما أضافه إليها ثانية».

السادسة: كتب على الصفحة الأولى من النسخة المطبوعة التي اعتمدنا عليها في التصحيح: «الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات

١ – المواكب الحسينيّة

٢ – نقض فتاوى الوهابية

٣ –ردّ الطبيعية

٤ – خرافات البابيّة. جامعها

وناشرها محمّد ابن المرحوم الشيخ عبد الحسين آل كاشف الغطاء قدّس سرّه، من إفاضات علامة الدهر وناموس الفخر حجّة الإسلام آية اللّه في الأنام الشيخ محمدّ الحسين آل كاشف الغطاء النجفي».

(٩) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى

للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: في هذا الكتاب تعرّض الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣ هـ) إلى حكم إقامة الشعائر الحسينيّة، في جوابه على سؤال ضمن

المسائل القندهارية التي وردت إليه، والتي طبعت سنة١٣٣٩ هـ ، ثمّ قام السيّد الشهيد محمّد علي القاضي الطباطبائي بترجمتها إلى العربية وطبعها في أوّل الفردوس الأعلى سنة١٣٧١ هـ في النجف الأشرف، وسنة١٣٧٢ في تبريز[1].

الثانية: حكم المصنّف على بعض الشعائر الحسينيّة كلطم الصدور والضرب بالسلاسل والسيوف، بالمنع والتحريم بناءً على حرمة الإضرار وإيذاء النفس. وحكم أيضاً بكونها جائزة إذا صدرت من المكلّف بطريق العشق الحسيني، وانبعثت من احتراق القلب واشتعال النيران في الأكباد بمصاب الحسين عليهالسلام، بل تكون حينئذٍ من القربات وأجلّ العبادات.

1- الذريعة ١٦: ١٦٥ / ٤٦١.

ثمّ علّق على حكمه بقوله: ولكنّ هذا المعنى لا يتيسّر لكلّ أحد، وأغلب الأشخاص الذين يرتكبون هذه الأمور والكيفيات لا يأتون بها إلاّ من باب التظاهر والمراءات والتحامل والمداجاة.

الثالثة: الذي يظهر من كلامه في هذا الكتاب، أنّه يعارض ما ذهب إليه في كتابه الآخر «الآيات البيّنات» من جواز تلك الشعائر، بل جعله أمراً حسناً. فما هو الرأي الصحيح للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء في هذه الشعائر؟ وأي كتاب مقدم: «الآيات البينات» أو «الفردوس الأعلى»؟

ومن الواضح أنّ جوابه في المسائل القندهارية كان قبل سنة١٣٣٩ هـ وهي سنة طبعها، بينما كلامه في «المواكب الحسينيّة» المطبوعة مستقلاً ومع «الآيات البينات» كان سنة١٣٤٥ هـ ، فيقدّم ما في الأخيرة من جواز تلك الشعائر ؛ لأنّها متأخّرة تاريخيّاً.

لكنّ يمكن الجواب على هذا الكلام بأنّ كتاب «الفردوس الأعلى» تُرجم إلى العربية وطبع سنة١٣٧١ هـ بإجازة من المصنّف وبعد مراجعته له وتقويضه له أيضاً، وأنّه رحمه اللهّ جعل «الفردوس الأعلى» و«جنة المأوى» ختام مسك حياته، أي أنه أقرّ ما ورد في «الفردوس».

وبهذا يكون الرأي الأخير له رحمه اللّه هو ما في «الفردوس» من حرمة تلك الشعائر.

الرابعة: ذهب المصنّف رحمه اللّه إلى أنّ أحسن الأعمال وأزهاها في ذكرى الحسين عليهالسلام هو النياحة والندبة والبكاء عليه والزيارة له، واللعن على أعدائه، والتبرّي من ظالميه والمشركين في دمه وقاتليه والراضين بقتله.

(١٠) سيماء الصلحاء

للشيخ عبد الحسين صادق العاملي

المؤلِّف:

هو[1] الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ صادق الخيّامي النبّاطي العاملي النجّفي، ولد سنة ١٢٧٩ هـ ، وقرأ بعض مقدّمات العلوم في جبل عامل، ثمّ هاجر إلى النجف بلد العلم والهجرة وعمره آنذاك إحدى وعشرون سنة، أعني سنة ١٣٠٠ هـ في السنّة التي توفّي فيها زعيم الإماميّة السيد مهدي القزويني ورفيقه العالم الشيخ نوح القرشي.

وأكمل مقدّماته في النجف على الشيخ محمود ذهب (ت ١٣٢٤ هـ)، والشيخ علي الخاقاني (ت ١٣٣٤ هـ) والسيّد علي ابن السيّد محمّد البحراني الغريفي (ت ١٣٢١ هـ)، وحضر دروس الأعلام وتخرّج على المراجع العظام في النجف، حتّى صار مجتهداً وعالماً، شهد بفضله جلّ أساتذته.

وكان كاملاً، أديباً شاعراً، خفيف الروح، مستقيم الذوق، أريحي الطبع، على

1- اقتبسنا هذه الترجمة ممّا قاله فيه معاصره الشيخ محمّد حرز الدين ت١٣٦٥ه في معارف الرجال ٢: ٤٠ - ٤٧.

غزارة علمه وفضله وقداسته وتقاه، ويُعدُّ في عداد الطبقة الأولى من شعراء عصره.

له شعر كثير محفوظ لمتانته وحسن سبكه، فيه النكات الأدبيّة والمناسبات. من أساتذته: الشيخ محمّد حسين الكاظمي، والميرزا الخليلي، والميرزا حبيب اللّه الرشتي، والشيخ محمّد طه نجف، والملا محمّد الشرابياني، والشيخ رضا الهمداني، والآخوند الخراساني.

ومن مؤلّفاته: «المواهب السنيّة في فقه الإماميّة»، و«جامع الفوائد»، و«الشذرات في مباحث العقود والإيقاعات»، و«منظومة في علم الكلام»، و«منظومة في المواريث»، و«كتاب في الإجارة والوصيّة والقضاء»، و«أجوبة على مسائل عمر الرافعي»، و«سيماء الصلحاء»، و«رسالة في الرّد على القسّ الحلبي صاحب كتاب المشرح»، و«ديوان شعر».

خرج الشيخ عبد الحسين من النجف حدود سنة ١٣١٥ هـ عائداً إلى بلده وهو عالم فقيه، أديب ماهر، متضلّع في الأدب، صلب الإيمان، ورع ثقة عدل، كريم النّفس دمث الأخلاق، يقوم بواجبه الديني إلى أن وافاه الأجل في شهر ذي الحجّة سنة ١٣٦١ هـ ودفن في النبطيّة.

المؤلَّف:

نسلط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: هذه الرسالة هي الفائدة الثانية والسبعون من كتاب المؤلّف «جامع الفوائد» إذ قال في أولها:

«الفائدة الثانية والسبعون من كتابنا جامع الفوائد، المندرجة منه تحت عنوان: سيماء الصلحاء، إقامة عزاء سيّد الشهداء الحسين عليه‌السلام، مسّت الحاجة إلى

فصلها وطبعها على حدة»[1].

الثانية: لم يُثبت الكاتب فيها تاريخ تأليفها، والظاهر أنّه كان سنة١٣٤٥ هـ ، أي بعد أن صوّح السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١ هـ)، في بعض جرائد بيروت بآرائه حول إصلاح الشعائر الحسينيّة، وكان ذلك أوائل هذه السنة.

الثالثة: طبعت هذه الرسالة مستقلّة أوّلاً في مطبعة العرفان في صيدا سنة١٣٤٥ هـ ، وهي طبعة حجريّة، فيها بعض الأخطاء المطبعية، كتب عليها: «كتاب سيماء الصلحاء لمؤلّفه حجّة الإسلام العلاّمة الشهير والمصلح الكبير الشيخ عبد الحسين صادق. طبع على نفقة الجمعية الدينيّة في النبطيّة، حقوق الطبع محفوظة.

مطبعة العرفان صيدا١٣٤٥هـ – ١٩٢٧م».

وطبعت ثانية مع التعليقات عليها وتصحيح متنها، وقد أرسلها إلينا من لبنان على البريد الالكتروني صديقنا العزيز سماحة الحجّة السيّد باسم الصافي، فله من اللهّ الأجر والثواب ومنا جزيل الشكر والتقدير.

وقد اعتمدنا في تصحيحنا لهذه الرسالة على هاتين الطبعتين معاً. الرابعة: في هامش الطبعة المصحّحة يوجد تعليق مفيد على قول المؤلّف:

«ما نقلته بعض جرائد بيروت» وهو:

«يريد بها جريدة العهد الجديد، الذي كان يراسلها قدزار السيّد محسن الأمين – حسب نقل الأستاذ إبراهيم فرات عن المؤرّخ السيّد حسن الأمين نجل سماحة السيدّ محسن الأمين – وسأله عن رأيه في اللطم على الصدور والضرب على الرؤوس، فأجابه بالتحريم، ممّا أثار حفيظة المرحوم الشيخ عبد الحسين

1- سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٩.

صادق، فأصدر هذه الرسالة الموسومة بـ«سيماء الصلحاء» سنة١٣٤٥هـ – ١٩٢٧ م – مطبعة العرفان – صيدا، ردّاً على التصريح المشار إليه. عن حلقة دراسية حول عاشوراء ١٩٧٤ –رقم٢٢٥ ص٢٧»[1].

الخامسة: هدف المؤلّف من تأليف هذه الرسالة، هو الردّ على السيدّ محسن الأمين في دعوته لإصلاح الشعائر الحسينيةّ وتحريم بعضها[2] ، كما جاء في مقالة جريدة العهد الجديد، وكذلك الردّ على السيدّ محمدّ مهدي الموسوي القزويني البصري الذي دعا أيضاً إلى إصلاح الشعائر الحسينيّة، كما نقلته عنه جريدة الأوقات العراقية آنذاك، إلا أن نصيب السيد الأمين من الردّ في هذه الرسالة كان أكبر، وذلك لمكانته العلمية وشهرته العالمية.

لذلك نرى أنّ السيدّ الأمين غضب بعد صدور هذه الرسالة وقال مقولته المشهورة: «من أغضب ولم يغضب فهو حمار» وكتب رسالته «التنزيه لأعمال الشبيه» رداً على هذه الرسالة «سيماء الصلحاء».

السادسة: يصف المؤلّف في رسالته هذه المخالفين للشعائر الحسينيةّ والمنادين باصلاحها، بأوصاف جارحة، تدلّ على مدى تأثّره بها، وأهميّة

وحساسية هذا الموضوع، الذي ورثه الأبناء عن الآباء والأجداد، وتمسّك به الجميع، إذ يقول في واحدة من عبراته الجارحة:

«إنّ ناشئة عصرية ولدها الدهر بعد حيال، أوقاءها بعد جشأ، تنتحل دين الإسلام، وما هي منه بفتيل أو نقير، ولا بعير أو نفير، وإن تقشّفت بلبسته، وادّهنت بصبغته، لقد أتته من وجهته، وتسلقّت إليه من سلم ّثنيته، لتطعنه في ثغوه ولبته،

1- سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٨٩ .
2- الذريعة ١٢: ٢٩٢ / ١٩٦١.

وتقطع نياط وريديه، كتاباً وسنّة.

تهمّ – وما أعظم ما تهمّ – تهم ّأن تطفئ نور الله ّبأفواهها ويأبى الله إّلا أنّ يتم نوره ولو كره الشانئون، تهم أن تمحو أسطر أعلام النبوّة، وتطمس آثار الرسالة من لوح عالم الوجود وقرطاس التذكار.

فطائفة منها لزدلفت إلى مشاهدهم المقدّسة ببقيع الغرقد بالمدينة المشرّفة فهدمت تلك المعالم الشامخة... وطائفة منهم تألبّت لإبطال إقامة العزاء للنبيّ وآله وعترته أيام وفياتهم المعلومة، لاسيمّا يوم عاشوراء الذي استشهد فيه الإمام الثالث خامس أهل الكساء مولانا الحسين عليهالسلام» [1].

1- سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢: ٩.

(١١) التنزيه لأعمال الشبيه

للسيّد محسن الأمين

المؤلّف:

هو [1] السيّد محسن ابن السيّد عبد الكريم ابن السيّد علي ابن السيد ّمحمد ا ّلأمين ابن أبي الحسن موسى بن حيدر بن أحمد الحسيني العاملي المعروف بالأمين.

ولد في قرية شقرة من جبل عامل سنة١٢٨٣ هـ ونشأ فيها وأكمل مقدّماته العلميّة بها، ثم ّهاجر إلى العراق قاصدا ا ّلإقامة في النجف الأشرف بلد العلم والهجرة للمجتهدين، وأقام فيها سنين يطلب العلم والمعارف الإسلاميّة والكمالات الأخلاقيّة، وجد ّ في دراسته حتّى حضر دروس الأعلام، وكان قوي ّالحافظة فطنا ألمعيا لبيبًا شاعرا ينظّم الشعر المتين، وربما أسّمعنا بعض نظمه في المديح والرثاء والغزل.

ولمّا بلغ رتبة الاجتهاد والفضل الواسع غادر النجف داعيا ً إلى الحق ّمبشرا ً

1- أقتبسنا هذه الترجمة المختصرة ممّا قاله فيه معاصره الشيخ محمّد حرز الدين ت١٣٦٥هـ في معارف الرجال ٢: ١٨٤.

بالإيمان والصدق، وبثّ مكارم الأخلاق والفضائل الإسلاميّة، وأقام في دمشق والشام بطلب من وجوه المسلمين، وجعلها وطنه الدائمي. وهناك ظهرت علومه الجمّة وأخلاقه السامية، وطار صيته في الآفاق الإسلاميّة عامةً والأقطار العربية خاصةً. كما ألّف وصنّف الكثير، وكانت الأسئلة والانتقادات من المخالفين ترد عليه بمختلف ألوانها وصورها فيجيب عنها.

من مؤلّفاته: «أعيان الشيعة في تراجم طبقات أعلام الشيعة»، و«معادن الجواهر» و«المجالس السنيّة» و«الدرر المنتقاة» و«الدرّ الثمين» و«لواعج الأشجان» و«كشف الارتياب في أتباع محمّد بن عبد الوهاّب» و«مفتاح الجنات» و«الرحيق المختوم» و«الدروس الدينيّة» و«الدرر النضيد في رثاء الشهيد» و«حاشية على كتاب القوانين».

توفّي رحمه‌الله ليلة الأحد الرابع من شهر رجب سنة ١٣٧١ هـ ، الموافق لليوم الثلاثين في شهر آذار سنة ١٩٥٢م.

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: سبب تأليف هذه الرسالة هو الردّ على الشيخ عبد الحسين بن إبراهيم ابن صادق العاملي (ت ١٣٦١ هـ) ورسالته «سيماء الصلحاء» ؛ لأنّ السيّد محسن الأمين انتقد بعض الشعائر الحسينية، وقامت جريدة «العهد الجديد» الصادرة في بيروت بنشر انتقاده هذا آنذاك، ممّا آثار حفيظة الشيخ عبد الحسين فأصدر رسالة «سيماء الصلحاء» رداً على أفكار السيد الأمين.

وأشار المؤلّف السيّد الأمين أيضا إلى انتقاد السيد محمد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨ هـ) لبعض الشعائر الحسينيّة، ودافع عنه وعن آرائه ؛ لأنّ الشيخ

عبد الحسين صادق العاملي انتقده أيضاً في رسالته «سيماء الصلحاء».

علماً بأنّ جريدة «الأوقات العراقية» ذكرت آراءه في عددها ١٦٦١ الصادر في الأوّل من محرّم سنة ١٣٤٥هـ ، وكذلك قام هذا السيّد ببيان آرائه وانتقاده لبعض الشعائر الحسينيّة في رسالة مستقلةّ سماها «صولة الحق على جولة الباطل».

الثانية: ذكر المؤلّف في بداية رسالته هذه عدّة أمور اعتبرها من المنكرات والبدع التي أدخلت في الشعائر الحسينيةّ وقد «أجمع المسلمون على تحريم أكثرها وأنّها من المنكرات، وبعضها من الكبائر التي هدّد اللهّ فاعله وذمّه في كتابه العزيز»، وهي:

(١)- الكذب بذكر الأمور المكذوبة المعلوم كذبها وعدم وجودها في خبر ولا نقلها في كتاب.

(٢)- التلحين بالغناء الذي قام الإجماع على تحريمه.

(٣)- إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها.

(٤)- استعمال آلات اللهو كالطبل والزمر والصنوج النحاسية.

(٥)- تشبيه الرجال بالنساء في وقت التمثيل.

(٦)- إركاب النساء الهوادج مكشّفات الوجوه وتشبيههن ببنات رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم.

(٧)- صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب.

(٨)- الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة ا لقبيحة.

(٩)- كلّ ما يوجب الهتك والشنعة ممّا لا يدخل تحت الحصر.

الصفحة 115

الثالثة: انتهى المؤلّف من تأليفها في بيروت الثامن عشر من شهر محرّم الحرام سنة١٣٤٦ هـ ، وطبعت طبعتها الأولى في مطبعة العرفان في صيدا

سنة١٣٤٧ هـ ، وكُتب على غلافها عبارة «رسالة التنزيه لأعمال الشبيه، تأليف العلاّمة السيدّ محسن الأمين الحسيني العاملي، تتضمّن الكلام على ما يدخل في عمل الشبيه وإقامة العزاء للإمام الحسين الشهيد عليهالسلام من المحرّمات والتحذير منها».

ورأيت طبعة أخرى لهذه الرسالة، كُتب عليها أنّها الطبعة الثانية، نشر دار الهداية للطباعة والنشر. إلا أنّ هذه الطبعة لم يذكر فيها تاريخ طباعتها،ولا مكانه،ولا الجهة التي قامت بطبعها.

والذي يظهر من «التمهيد» الذي كُتب في بداية هذه الطبعة، أنّ الذين طبعوها هم من المؤيدّين لأفكار السيدّ الأمين،وأن تاريخ طباعتها هو

سنة١٣٩٣ هـ ، أي بعد وفاة المؤلّف باثنتين وعشرين سنة، وجاء في هذا «التمهيد»:

«هذه الرسالة موقف من مواقف الإصلاح الكبرى التي وقفها المجتهد الأكبر السيّد محسن الأمين منذ بدء حياته العلميّة بعد نيله إجازة الاجتهاد المطلق من النجف الأشرف.

وقد قوبل هذا الموقف كما قوبل غيره من المواقف بصيحات الجامدين وهجمات الحاقدين واستثارة الغافلين، ممّا لم يزد صاحبه إلاّ ثباتاً ومضياً في مخططّه الإصلاحي العظيم.

ولا يخفى على القارئ أنّ هذه الرسالة صدرت أول ما صدرت منذ ستّ وأربعين سنة، وأن أوّل ما عمل أعداء الإصلاح حين صدورها هو أن عمدوا إلى إثارة الغوغاء واستنفار الدهماء، ولكن شخصيّة السيدّ الأمين القويّة استطاعت أن

الصفحة 116

تصمد لكلّ ذلك وأن تنهض نفسها وتقود حركتها بشجاعة وصبر».

إلاّ أنّ الملاحظ في هذه الرسالة هو سقوط كلمات وأسطر بل صفحات كانت موجودة في الطبعة الأولى لها،ولا يمكن إن نُرجع هذه السقوط إلى المطبعة، إذ لا يمكن لأيّ مطبعة مهما كانت سيئة ورديئة أن تسقط من الكتاب كلمات وسطور بل عدةّ صفحات!!

ولا يمكننا هنا إلاّ أن نرُجع هذه السقوط إلى الأشخاص الذين قاموا بطباعة هذه الرسالة ثانية، فعمدوا إلى حذفها بدوافع

تظهر جليّاً عند مطالعة محتواها بدقة. أفهذا هو الإصلاح يا أولي الإصلاح؟! وأين الأمانة العلمية في النقل والاقتباس وإعادة طباعة كتب الماضين؟! وهل يقبل المؤلّف رحمه اللّه بحذف كلّ هذه الجمل والصفحات من رسالته؟! اللهمّ اغفر لنا – ولإخواننا – إن أخطأنا أو نسينا.

والعجيب في الأمر أنّ الطبعات الأخرى لهذه الرسالة اعتمدت على الطبعة الثانية لها المحرّفة، ولم تعتمد على طبعتها الأولى الصحيحة، فقد طبعت هذه الرسالة «التنزيه» في آخر كتاب «أعيان الشيعة»، وفي كتاب «ثورة التنزيه» لمحمّد القاسم الحسيني النجفي، دار الجديد – لبنان – ١٩٩٦ م، وفي كتاب «الاختلاف والنقد ثمّ الإصلاح» لمختار الأسدي، مؤسسة الأعراف للنشر – قم المقدّسة – ١٤١٨هـ .

الرابعة: اعتمدنا في تصحيح هذه الرسالة على الطبعة الأولى لها التي مرّ ذكرها، وأشرنا إلى السقوط والاختلافات مع الطبعات الأخرى في الهامش.

(١٢) رنّة الأسى «نظرة في رسالة التنزيه لأعمال الشبيه»

للشيخ عبد اللّه السبيتي العاملي

المؤلِّف:[1]

الشيخ عبد اللّه ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمّد السبيتي العاملي ينتمي لأسرة آل السبيتي، التي تعد من الأسر العلميّة والأدبيّة المعروفة في بلاد جبل عامل، ولها مصاهرات مع غيرها من الأسر العلمية الأدبيّة، فأم المترجم بنت العلاّمة الشيخ محمّد علي عزّ الدين، وزوجته بنت العلامّة السيد عبد الحسين شرف الدين.

ولد في قرية كفرا في جبل عامل سنة ١٣١٣ هـ ، وتلقّى في الجبل العاملي علومه الأولى، إذ درس المقدّمات الأدبيّة والشرعيّة على أفاضل العلماء والفقهاء، وأبرزهم كان العلاّمة السيدّ عبد الحسين شرف الدين.

ثمّ هاجر إلى مدينة العلم والعلماء النجف الأشرف سنة١٣٣٧ هـ ، وحضر

1- أقتبسنا هذه الترجمة ممّا ورد من معلومات قليلة عن المؤلّف في «الذريعة» للشيخ الطهراني ومن مقالة نشرت في مجلّة «ينابيع» العدد٣٣ الصادرة في مدينة النجف الأشرف في شهري ذي القعدة وذي الحجّة سنة ١٤٣٠ه ، والمقالة بقلم م م مجيد الحدراوي.

على أفاضل العلماء هناك كالسيّد محمّد جواد الصدر، والسيدّ حيدر الصدر، والشيخ محمّد تقي صادق، والشيخ مرتضى آل ياسين.

وحضر الأبحاث العالية على أساطين العلم والمرجعية آنذاك كالسيّد محسن الحكيم، والسيدّ أبي الحسن الأصفهاني، والميرزا النائيني.

كان الشيخ السبيتي عالماً فاضلاً فقيهاً، وقد تفتحت أمامه في مدينة النجف الأشرف آفاق واسعة في البحث والتأليف، وقد

رفد المكتبة الإسلاميّة بمجموعة من الآثار منها:

١) تحت راية الحقّ، في الردّ على كتاب «فجر الإسلام» لأحمد أمين المصري، فرغ من تأليفه سنة١٣٤٩ هـ ، وكتب له مقدّمة العلاّمة الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي، وطبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة١٣٥١هـ [1].

وقد منعت السلطة العراقية آنذاك دخول هذا الكتاب إلى العراق، وأصدرت أمراً باعتقاله في الكمارك العراقية، وبهذا الصدد قال المؤلّف: «وكانت الصدمة عنيفة جداً، وعلمت آنذاك أن الحق لاّزال في محبسه الضيق تحوطه سيوف الساسة ورماحها، ولم يتهيّأ له الانطلاق والتحرير ؛ لأنّ اللحظة المرجوة لبروز العلةّ والحقائق لم يأت وقتها».

٢) حياة أبي ذر، ويقال له «أبو ذر»، طبع في طهران سنة ١٣٦٥هـ [2].

٣) سلمان الفارسي، في ترجمة أحواله وسوانحه قبل الإسلام وبعده، قدّم له السيدّ صدر الدين ابن السيدّ عبد الحسين شرف الدين، وقد أهداه المؤلّف إلى

1- الذريعة ٣: ٣٧٥ / ١٣٦٣.
2- الذريعة ٧: ١١٤ / ٦٠٠.

السيّد عبد الحسين شرف الدين، طبع في صيدا سنة ١٣٥٨هـ [1].

٤) المباهلة [2].

٥)رسالة إلى مشيخة الأزهر، وهي ردّ على ما كتبه أحد علماء الأزهر الشيخ سعد حسن في كتابه «المهدويّة في الإسلام» إذ هاجم المسلمين الذين يعتقدون بوجود الإمام المهدي عليهالسلام.

في سنة ١٣٥٤ هـ عاد الشيخ السبيتي إلى بلدته كفوا عالماً مرشداً ومصلحاً وموجهّاً، فمكث فيها مدة سّبع سنين متواصلة، بعدها آثر العودة إلى مدينة النجف الأشرف، ومنها انطلق في سفرات متعددة إلى بعض دول العالم حيث سافر لإيران عدّة مرات زائراً وباحثاً، والتقى بالعديد من الشخصيات العلمية والفكرية.

وسافر إلى أفريقيا وأمريكا اللاتينية حيث توجد الجالية العربية وبدعوة منها في دول تلك القارتين، كما شارك في الاحتفال الذي أقيم في مدينة كراجي بمناسبة مرور ثلاثة عشر قرناً على وفاة الإمام علي عليهالسلام وألقى كلمة في المؤتمر. تزل الشيخ السبيتي في مدينة الكاظمية وعمل على تأسيس مؤسسة (حديث الشهر)، وعملت هذه المؤسسة على إصدار سلسلة كتب مختارة تصدر في الشهر مرّة إلاّ أنهّا توقفتّ بعد صدور كتابها الخامس عشر.

وبعد هذه الرحلة الطويلة للشيخ عبد اللّه السبيتي في البحث والاستقصاء التي وقفها للدفاع عن آل البيت عليهمالسلام ومحبيهم، حلّ ضيفاً على الرحمن ليلة الأربعاء ٢٥ رجب ١٣٩٧ م في مدينة الكاظمية، ونقل إلى النجف الأشرف ودفن

1- الذريعة ١٢: ٢١٩ / ١٤٥٤.
2- الذريعة ١٩: ٤٦ / ٢٤٢.

بالصحن الشريف مع عمّه أبي زوجته بحجرة رقم ٤٨.

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: كتب المؤلِّف هذه الرسالة رداً على رسالة «التنزيه» للسيد محسن الأمين، كما هو واضح من عنوانها، لذلك ينقل عبارات «التنزيه» ثمّ يبدأ بردّها ومناقشتها مناقشة علمية.

الثانية: للمؤلِّف بعض التعليقات التوضيحية وضعها في الهامش، ميزّناها عن عملنا بكلمة «المؤلف».

الثالثة: ينقل عبارات عن عدّة رسائل ألّفت رداً على المانعين لبعض الشعائر

الحسينيّة، وطبعت قبل رسالته هذه، وهي:

(١) المواكب الحسينيّة، للشيخ عبد اللّه المامقاني (ت١٣٥١ هـ) التي طبعت في الرابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٥٤هـ .

(٢) نظرة دامعة، للشيخ مرتضى آل ياسين (ت١٣٩٨هـ) التي طبعت في سنة ١٣٤٥هـ .

(٣) كلمة حول التذكار الحسيني، للشيخ محمّد جواد الحچّامي (ت١٣٧٦ هـ) التي طبعت في ربيع الأول سنة ١٣٤٥هـ .

(٤) نصرة المظلوم، للشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨ هـ)، التي طبعت في ربيع الأوّل سنة ١٣٤٥هـ .

(٥) المواكب الحسينيّة، للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣ هـ) التي طبعت مستقلّة سنة ١٣٤٥ هـ ، وطبعت بعد ذلك ضمن الآيات البيّنات.

(٦) سيماء الصلحاء، للشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١هـ) التي طبعت سنة ١٣٤٥هـ .

الرابعة: ذكر المؤلِّف في آخر رسالته فتاوى مجموعة من العلماء الذين أيدوا الشعائر الحسينيّة.

مثل: السيّد محمّد الفيروزآبادي، والشيخ عبد اللهّ المامقاني، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء، والشيخ هادي كاشف الغطاء، والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء، والشيخ هادي كاشف الغطاء، والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، والشيخ محمّد جواد البلاغي، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني.

الخامسة: ذكر في آخرها تأريخ الانتهاء من تأليفها، وهو شهر شوال سنة ١٣٤٧هـ .

السادسة: طبعت هذه الرسالة في مطبعة النجاح في بغداد سنة ١٣٤٧ هـ ، وكتب على غلافها: «رنّة الأسى أو نظرة في رسالة التنزيه لأعمال الشبيه، بقلم الأستاذ العلاّمة الشيخ عبد اللهّ السبيتي العاملي، حقوق الطبع محفوظة»، وهذه الطبعة هي التي اعتمدناها في عملنا هذا.

(١٣) كلمات جامعة حول المظاهر العزائيّة

للشيخ محمّد علي الأردوبادي

المؤلِّف:

ذكره معاصره وزميله الأديب الشيخ محمّد السماوي (ت١٣٧٠هـ) في الطليعة قائلاً:

«محمّد علي ابن الشيخ أبي القاسم بن محمّد تقي بن محمّد قاسم الأردوبادي التبريزي النجفي. فاضل، اشتمل على فضل جمّ، وغزير علم، وشارك في فنون مختلفة، وأتسّم بأحسن صفة إلى تقى طارف وتليد، وحسب موروث وجديد.

اجتمعتُ به كثيراً، وعاشرته طويلاً، فرأيت منه الرجل المتقدّم الفهم، الغزير العلم، الحصيف الذكر، المصنفّ الشاعر» ثم ذكر بعض أشعاره[1].

وذكره معاصره الآخر السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) في أعيانه[2] بنفس عبارات الطليعة.

1- الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ٢٧٥ / ٢٨٣.
2- أعيان الشيعة ٩: ٤٣٨.

وأضاف السيّد حسن الأمين في مستدركه على الأعيان:

«ونسبته إلى أردوباد، مدينة تقع على الحدود بين آذربيجان والقفقاز، قرب نهر أرس. وكانت ولادته في تبريز في ٢١ رجب سنة١٣١٢ هجرية.

وأتى به والده إلى النجف بعد عودته إليها في حدود سنة١٣١٥ فنشأ عليه ووجّهه خير توجيه.

قرأ مقدّمات العلوم على لفيف من رجال الفضل والعلم، وحضر في الفقه والأصول على والده، وشيخ الشريعة الأصفهاني

– وقد أخذ عنه الحديث والرجال أيضاً – والسيّد ميرزا علي الشيرازي، وفي الفلسفة على الشيخ محمدّ حسين الأصفهاني، وفي الكلام والتفسير على الشيخ محمّد جواد البلاغي، ولازم حلقات دروس مشايخه الثلاثة المتأخّرين أكثر من عشرين سنة. وبرع في الشعر والأدب العربيين، وتضلّع في التاريخ والسير وأيام العرب ووقائعها، وتوفّي سنة ١٣٨٠ في النجف الأشرف. له: كتاب ضخم في ستّ مجلدات على نهج الكشكول، فيه الكثير من الفوائد التاريخية والرجالية والتراجم والتحقيقات.

و«حياة إبراهيم بن مالك الأشتر» مختصر نشر في آخر «مالك الأشتر» للسيّد محمدّ رضا بن جعفر الحكيم المطبوع في طهران سنة١٣٦٥هـ .

و«حياة سبع الدجيل» في ترجمة السيّد محمدّ ابن الإمام علي الهادي عليهماالسلام صاحب المشهد المشهور في الدجيل قرب بلد، طبع في النجف أيضاً.

و«سبيك النضار في شرح حال شيخ الثار المختار».

و«الرد على ابن بليهد القاضي» وهو ردّ على الوهابيين، طبع. و«الأنوار الساطعة في تسمية حجّة اللهّ القاطعة». و«منظومة في واقعة الطفّ».

و«منظومة في مناضلة أُجوزة نيّر» جرى بها ألفيّة الشيخ محمدّ تقي التبريزي المتخلص بنيرّ، وقد بلغت (١٦٥١) بيتاً. و«علي وليد الكعبة» طبع في النجف عام وفاته١٣٨٠ مع مقدّمة لسبطه السيّد مهدي ابن الميرزا محمدّ ابن الميرزا جعفر ابن الميرزا محمّد الشيرازي. و«حياة الإمام المجددّ الشيرازي» في ترجمة السيدّ الميرزا محمدّ حسن المتوفّى سنة١٣١٢ ، وهو يشتمل على تراجم كثير من تلاميذه ومعاصريه.

و«سبك التبر فيما قيل في الإمام الشيرازي من الشعر» في (٦٠٠) صفحة، ترجم فيه لشعرائه ومادحيه مع إيراد قصائدهم مرتّبة على حروف الهجاء. و«ديوان شعر» عربي، معظمه في مدح آل البيت ورثائهم، ورثاء العلماء والعظماء وفي سائر الأغراض الأخرى، ويبلغ مجموع نظمه أكثر من ستة آلاف بيت.

و«التقريرات» في الفقه والأصول وغيرهما، كتبها من تقريرات مشايخه، وآخر آثاره «تفسير القرآن» خرج جزؤه الأوّل فقط»[1] . دفن في صحن أمير المؤمنين عليهالسلام في مدينة النجف الأشرف في الحجرة رقم٢٣[2] .

1- مستدرك أعيان الشيعة ١: ٢١٣.
2- مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف: ٣١١ / ٤٠٦.

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدةّ نقاط:

الأولى: هذه الرسالة لا زالت مخطوطة، نسختها موجودة عند سبط المؤلّف سماحة الحجّة السيدّ مهدي الشيرازي، الذي يعمل

حالياً على جمع وتحقيق كلّ آثار جدّه المؤلفّ، وقد بعث لنا مشكورا هذه الرسالة بعد صف حرّوفها، حيث جعلناها الأصل في عملنا هذا، فله من اللّه الأجر والثواب، ومنّا جزيل التقدير والاحترام.

الثانية: لم يذكر المؤلّف تاريخ تأليفه لهذه الرسالة، والظاهر أنّه ألفّها سنة١٣٤٧ هـ ؛ إذ يذكر فيه رسالة السيّد محمدّ مهدي الموسوي القزويني البصوي قائلاً: «وقد سبقه إليها البصوي منذ عامين»، علماً بأنّ هذا السيد ّألفّ رسالته «صولة الحق علّى جولة الباطل» سنة١٣٤٥ هـ ، وكذلك نشرت جريدة «الأوقات العراقية» آراءه عن الشعائر الحسينيّة في نفس السنةّ الثالثة: سمّاها مؤلفّها في أولها: «كلمات جامعة حول المظاهر الغرائية»، وذكرها العلامّة الطهراني (ت١٣٨٩ هـ)، في الذريعة ١٨: ١١٤ / ٩٦١ قائلاً:

«الكلمات الجامعة». الرابعة: سبب تأليفها كما أوضحه المؤلّف في مقدمّته لها، هو الردّ على السيدّ محسن الأمين ورسالته «التنزيه»، حيث يورد عدّة نصوص منها، ويبدأ بردّها ردا ًعلميا ًرزّينا فيً غاية الاحترام والأدب، وهذه ميزة امّتازت بها هذه الرسالة عن أكثر أخواتها في ردّ رسالة «التنزيه».

الخامسة: ينقل المؤلّف فيها كثيراً أقوال العلماء ومراجع الدين الذين أيدّوا الشعائر الحسينيةّ، وأصدروا فتاوى في حليتهاّ، خصوصاً ضرب الرؤوس

بالقامات والظهور بسلاسل الحديد.

السادسة: ينقل فيها مشاهداته، ومشاهدات كثير من العلماء، عن مواكب التطبير، وأنّ بعض مراجع الدين والعلماء كانوا يؤيّدون المتطوّعين ويدافعون عنهم ويدعموهم ماليا ّفيً تهيئة القامات والأكفان.

السابعة: يذكر عدّة رسائل لها علاقة بهذا الموضوع – تأييداً وردا ً– منها:

«صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيدّ محمدّ مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨ هـ)، ورسالة «نظرة دامعة» للشيخ مرتضى آل ياسين (ت١٣٩٨ هـ)، ورسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت١٣٧٦ هـ)، ورسالة «رنّة الأسى» للشيخ عبد اللّه السبيتي العاملي (ت١٣٩٧هـ)،.

(١٤) الشعار الحسيني

للشيخ محمّد حسين المظفرّ

المؤلِّف:

ذكره في أدب الطفّ قائلاً:

«الشيخ محمّد حسين المظفر ابن الشيخ محمدّ بن عبد اللهّ بن محمدّ بن أحمد بن مظفر النجفي، أحد الأعلام الموصوفين بالعلم والأدب.

ولد سنة ١٣١٢ هـ بالنجف الأشرف، وتُوفّي والده في الخامس من شوال ١٣٢٢ هـ فكفله أخوه الأكبر الشيخ عبد النبيّ وقام بتربيته أحسن قيام.

قرأ المقدّمات ودرس السطوح على أخيه الأكبر الشيخ محمّد حسن، ثمّ حضر درس الميرزا حسين النائيني، والشيخ ضياء العراقي، والسيّد أبو الحسن الأصفهاني، وبلغ درجة عالية في الفقه والأصول والتاريخ والأدب، وولع بالتأليف والتحقيق، فطرق الأبواب الصعبة وأنتج آثاراً جليلة. ومن محاسنه وأسلوبه في طرق التربية أن قام بتربية ثلّة من الشباب النابهين، فقبل رئاسة المجمع العلمي لمنتدى النشر، وكان لنشاطه أكبر الأثر في نفوس الأعضاء، وأذكر وأنا مقرّر المجمع العلمي والمعني بأُموره، وأرى الواجب

أن أكون المسؤول الأوّل، ولكن الشيخ أبو أمين كان له السبق والنشاط ممّا يجعلني استصغر نفسي، وكان قد هيأ نفسه لقبول أيّ طلب يكون في سبيل نصرة المبدأ والعقيدة.

آثاره:

«الإمام الصادق عليه‌السلام» في جزئين، وقد طبع في النجف، «ميثم التمّار» طبع في النجف، «الكتاب والعترة»، «الشيعة والإمامة»، «تأريخ الشيعة»، «الشيعة وسلسلة عصورها»، «دعاء الإمام الصادق عليه‌السلام»، «علم الإمام»، «هشام بن الحكم»، «مؤمن الطاق»، «الأوصياء»، «القرآن تعليمه وإرشاده»، «الإسلام نشوؤه وارتقاؤه»، «الآيات الثلاث»، «ديوان شعره» وأكثره في أهل البيت عليهم‌السلام.

وله إجازة الرواية كتبيّاً عن الحجة السيد عبد الحسين شرف الدين، ترجم له الشيخ محمد حرز الدين في «معارف الرجال»[1] ضمن ترجمة أخيه الأكبر العلاّمة الشيخ محمّد حسن فقال: كان كاملاً يَنظم الشعر، ونظم أرجوزة في بعض أبواب الفقه.

كانت وفاته سنة ١٣٨١ هـ بالنجف الأشرف رحمه اللّه رحمة واسعة، ودفن بمقبرتهم الخاصة بالأسرة إلى جنب أخيه الأكبر الشيخ محمّد حسن».

وذكر في أوّل ترجمته قطعةً من شعره، وهي:

شهر شعبان قد تجسّمت فاسم وافخر فقد سموت نورا الشهورا

لكَ بشرى بما حويت من الفخر فكم جئت بالسرور بشرا

1- معارف الرجال ٢: ٢٤٧.

أيّ شهر جلاك في حلبة السعد فوافى ويتبع النور نورا

أشرقت فيك للسعود شموس وباشراقها الوجود أنورا

كلّ شهر للشمس برج تقطع الشمس في السماء وفيه المسرا

وثلاث من الشموس بشعبا ن تجلّت من البروج ظهورا

في ثلاث منه، وفي الخمس، غدا الأفق باسماً والنصف مستنيرا

فاطم أولدت بهنّ حسيناً وابنه والمؤيّد المنصورا

أنفس صاغها المهيمن نورا قدّر اللّه صنعها تقديرا

وأفاض السنا على الخلق حتّى اشتق منه شمساً وبدراً منيرا

هو لولا ذاك السنا ما روى خلقاً كريماً ولا جناناً وحورا

أهل البيت قد أذهب اللّه الرجس اعتصاماً وطهّروا التطهيرا[1]

1- أدب الطفّ ١٠: ١٥٦.

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: اسم هذه الرسالة «الشعار الحسيني» كما هو مثبت على غلاف الطبعة الأولى منها، إلاّ أنّ العلاّمة الطهراني (ت١٣٨٩ هـ) ذكرها في ثلاثة مواضع في ذريعته باسم «الشعائر الحسينيّة»، ونحن أثبتنا الاسم كما في النسخة المطبوعة.

الثانية: ألّفها ردّاً على رسالة «التنزيه» للسيد محسن الأمين (ت١٣٧١ هـ) كما قال في أوّلها: «وبعد، فقد حمل البريد إلى النجف الأشرف رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه»، وبعدما تصفّحت صفحاتها وجدت فيها من التشويه لأعمال الشبيه، مالو أغضينا أو تغاضينا عنه لكنّا مسؤولين عند من تُصنع تلك الأعمال لأجله، إمامنا الحسين عليه‌السلام، فتنزيها لشعائره ونصرة للحق وكشفاً للحقيقة بادرت إلى تحرير هذه السطور، مستعيناً به تعالى ومستمداً منه». ثم بدأ بذكر عبارات «التنزيه» والرد عليها ردّاً علمياً متيناً. الثالثة: في آخرها ذكر رسالة «كلمه حول التذكار الحسيني» للشيخ محمد جواد الحجامي (ت١٣٧٦هـ)

قائلاً: «وأمّا بقيّة المظاهر والمراجع من العلماء الحضور، فقد نشرت فتاواهم منظمة إلى كلمة فاه بها الأستاذ الأخ الفاضل الشيخ محمّد الجواد الحجّامي، ردّاً على الجريدة، التي نشرت مزاعم السيد البصري وهم الحجج من آل كاشف الغطاء: الشيخ مرتضى، والشيخ هادي، والشيخ محمّد الحسين».

وذكر أيضاً رسالة «نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء» للشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي قائلاً: «وأمّا علماء الكاظمية فأشهرهم حجج الإسلام السيّد

الصفحة 131

حسن الصدر والشيخ عبد الحسين آل ياسين، والسيّد محمّد مهدي الصدر، وحالهم في الذهاب إلى الرجحان معلوم.

وشاهده أنّ العلاّمة الفاضل الشيخ مرتضى نجل حجة الإسلام الشيخ عبد الحسين آل ياسين صنفّ – في من صنفّ – رسالة ردّاً على السيدّ البصري رغبة من أبيه وذينك السيديّن العلمين، بل قد التمسه أخوه حجة الإسلام الشيخ محمد رضا، وقد قرّظها ذلك الحبر العلاّمة السيدّ حسن، وقد أبرزتها المطابع رأي العين، وقد سارت في الأقطار «الأمصار»، ولا أحسب أنّه لم يرَ تلك الرسائل المؤلفّة والكتب المصنفّة، ولكن الغضب سلطان قاهر».

الرابعة: يذكر فيها مواكب الرزاء التي كانت تخرج في سامراء زمن الموجع الشيرازي، إذ قال: «وأمّا ضرب الرؤوس بالسيوف فقد كان يأتي موكبه إلى داره، وأوّل ما يضربون رؤوسهم فيها، ولقد نقل حجّة الإسلام النائيني أنّ الأكفان كان يبذلها من عنده، فانظر وأعجب».

ويذكر أيضاً أنّ ضرب الرؤوس كان يحصل بمقتل السيدّ بحر العلوم، إذ قال: «وهل يخفى على أحد أنّ ضرب الرؤوس بالسيوف في النجف الأشرف من أوّل حدوثه وإلى اليوم أوّل ما يقع في دار العلاّمة السيدّ بحر العلوم طاب ثراه.

وناهيك بها من دارٍ، وياله من آلٍ، فإنّ من أبناء ولده العلاّمة السيد رضا كان ثلاثة من علماء أعلام في عصر واحد وهم: السيّد محمّد تقي، والسيدّ حسين، والسيدّ علي صاحب «البرهان»، والضرب على الرؤوس بالسيوف يقع في دارهم بمشهد منهم ومرأى، فلم يردعوا عن ارتكابه، وإن لم يستطيعوا فلمَ لمْ يدفعوهم عن الدخول إلى دارهم المنيعة».

الخامسة: طبعت هذه الرسالة في مطبعة النجاح في بغداد سنة١٣٤٧هـ ،

الصفحة 132

وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في تصحيح هذه الرسالة ونشرها ضمن هذه المجموعة.

السادسة: ورد على غلاف الطبعة الأولى لها: «رسالة الشعار الحسيني، تتضمّن الكلام على بيان رجحان عمل الشبيه وإقامة الشعائر للإمام الحسين عليه السلام، لمؤلّفها العلاّمة المفضال الشيخ محمدّ حسين المظفريّ النجفي».

الصفحة 133

(١٥) النقد النزيه لرسالة التنزيه

للشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي

المؤلِّف:

ذكره معاصره العلاّمة الشيخ محمّد السماوي (ت١٣٧٠ هـ)، في كتابه «الطليعة من شعراء الشيعة» قائلاً:

«عبد الحسين بن القاسم بن صالح بن القاسم بن محمّد علي بن هليل الحلّي النجفي، فاضل مشارك في الفنون، ثاقب الفكر، دقيق النظر، مصنّف في العلوم، عاشرته فرأيته جميل العشرة، كريم الأخلاق، حصيف الرأي، طيّب المفاكهة، إلى سليقة معتدلة، ودين قويم، وله أدب جمّ وشعر غزير».

وذكر مجموعة من أشعاره ثمّ قال:

«ومحاسنه كثيرة، ولد في أوائل محرّم سنة ألف وثلاثمائة وواحدة في الحلّة، وقرأ بها علوم العربية، وسافر إلى النجف سنة أربعة عشر، وبقي بها إلى الآن، وهو اليوم مجدّ في كسب الفضائل والفواضل، سلّمه اللهّ تعالى». وكتب محققّ الطليعة الأستاذ الفاضل كامل سلمان الجبوري، في الهامش:

«توفّي سنة١٣٧٧هـ»[1].

1- الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٤٩٠ رقم١٤٧.

وقال معاصره الآخر السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١ هـ)، في كتابه «أعيان الشيعة»: «ولد في أوائل المحرّم سنة١٣٠١هـ في الحلّة، وقرأ بها العلوم العربية، وسافر إلى النجف سنة١٣١٤ هـ، وتفقّه وتأدّب في النجف، وله شعر ونثر وكتب» ثمّ ذكر بعض أشعاره[1].

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: يبيّن المؤلّف سبب تأليفه لهذه الرسالة، وهو الردّ على الذين أنكروا بعض الشعائر الحسينية، إذ يشير إلى أنه وقف أولاً على رسالة «الصولة» ثمّ على رسالة «التنويه»، حيث يقول:

«حدث منذ أعوام في البصرة رأي لا يؤبه به، يتضمّن المنع عن كثير من الشعائر الحسينيّة التي تقام في بلدان الشيعة، عدا البكاء ولدم الصدور في الدور، وهو – مع أنّ صاحبه ليس بتلك المكانة – لم يدُعم بحجة ولم يقمُ على سوى التهاويل الفارغة. وقد قوبل هذا الرأي في ما مضى برسائل جمّة حافلة بالأدلّة التي لا يكاد يبقى بعد مراجعتها ريب في وجوب إقامة جميع الشعائر المذكورة كفاية، إلاّ لجاهل بأصول الاستدلال، أو قاصر بذاته عن البلوغ إلى مراتب الكمال. واليوم قد أوقفتنا العجائب الغرائب على أوراق مطبوعة في هذا الشأن، تدهورت علينا من الشام، وهي تنحو هذا المنحى.

1- أعيان الشيعة ٧: ٤٥٠.

إلاّ أنّ هذه – مع أنّ صاحبها في مفتتحها زعم أنه لم يقصد بها سوى إنكار المنكرات التي أدخلها الناس في الشعائر الحسينيّة – تشفّ عن روح التعصّب الحاد، ويستبين الغضب الشائن من خلال سطورها، ويقرأ كل أحد بوضوح من عناوينها التحامل المقذع على بعض الأعلام المعاصرين المعروفين بالعلم والأدب، حتّى أنّه لم يملك نفسه في حياته ما افتتح به مقالته دون أن رفع عقيرته مجاهراً في الصفحة: ١٣ منها بقوله: وأيّم اللّه لو لم يوجّه – يعني معاصره – لسباته ولسعاته إلينا ما تعرّضنا له».

الثانية: في هامش هذه الرسالة توجد تعليقات وبعض الفوائد العلميّة، لم أقف على كاتبها، هل هي من المؤلّف أو شخص آخر، لذلك أبقيناها كما هي، وجعلنا تعليقاتنا وكلّ عملنا في الهامش بين معقوفتين.

الثالثة: سمّاها مؤلّفها في أوائلها «النقد التزيه لرسالة التنزيه».

الرابعة: في كثير من الموارد يذكر عبارة «سيماء الصلحاء» ثمّ ردّ رسالة «التنزيه» عليها، ثم يبدأ بجوابه ومحاكمته بين العبارتين، منتصراً للشيخ عبد الحسين صادق العاملي في رسالته «سيماء الصلحاء».

الخامسة: ينقل عبارة من رسالة «المواكب الحسينيّة» للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣ هـ)، التي طبعت في السابع عشر من شهر صفر سنة١٣٤٥هـ .

السادسة: في آخر هذه الرسالة يذكر المؤلّف أنّه يسعى لتأليف جزء ثان من هذه الرسالة، إذ قال: «ونحن بتيسير اللّه وعونه سنتعرّض لذلك دعوىً ودليلاً في الجزء الثاني من هذا الكتاب، فإن العوارض الوقتية كما اقتضت تأخير إنجازه اقتضت انشطاره إلى جزئين».

السابعة: في آخر النسخة المطبوعة يذكر أنّه حدثت أخطاء كثيرة في تلك النسخة قائلاً: «وقع في هذا الجزء نقصان كلمات كثيرة، وأغلاط كثيرة جدّاً،

لإهمال المطبعة والمصحح معاً، يستوعب ذكرها صفحات عديدة، ونظراً إلى كثرة الغلط وعدم ملاحظة القارئ جدول الخطأ والصواب غالباً، تركناه والتزمنا بتصحيح القلم لكلّ نسخة.

الثامنة: لم يذكر المؤلّف في آخرها تأريخ انتهائه من التأليف، إلاّ أنّ تاريخ الطبع مثبت على الصفحة الأولى منها، وهو سنة١٣٤٧ هـ ، في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

(١٦) كشف التمويه عن رسالة التنزيه

للشيخ محمّد الگنجي النجفي

المؤلِّف:

لم أعثر على ترجمته، إلاّ ما ذكره الشيخ محمّد هادي الأميني (ت١٤٢١ هـ) في كتابه «معجم رجال الفكر والأدب في

النجف خلال ألف عام»، إذ قال فيه:

«عالم فاضل، سكن النجف، ومات في العشر السادس من القرن الرابع عشر الهجري، كتب وصنّف وجمع، وجاء في بعض المراجع: الگنبجي.

له كشف التمويه عن رسالة التنزيه»[1].

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: الهدف من تأليف هذه الرسالة – كما قال المؤلّف الكريم – هو إظهار الحقيقة لعموم الناس، وبيان أنّ مذهب أهل البيت عليهمالسلام خالص وأصيل وخالٍ عن الشوائب، إذ قال المؤلّف في أوّل الرسالة تحت عنوان «إيضاح وتنبيه»:

1- معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٣: ١١١٤، وانظر: الذريعة ١٨: ٢٤ / ٤٩٢، معجم المؤلّفين العراقيين ٣: ٢٣٢، المطبوعات النجفيّة: ٢٨٤.

«لا يخفى على إخواننا المسلمين المتورّعين في الدين، إنّا إنمّا كتبنا هذه الرسالة إظهارا للّحقيقة، وغوة علّى الشوع الحنيف أن يتلاعب به أهل الأهواء والأغواض، لذلك فقد أتينا بهذه الرسالة جامعة لأقوال العلماء الأعلام. وقد توخيّنا أقوالهم وفتاواهم لتتبيّن الحقيقة، وينكشف لعموم إخواننا الشيعة أنّ مذهبنا السامي منزهّ عن كل شّناعة وقباحة يحدثها المحدثون، وأن هذه الأمور ليست منه بشيء».

وقال تحت عنوان «كلمة المؤلّف» مبينّا هدفه من هذه الرسالة: «وما حداني إلى تأليف هذه الرسالة سوى ما في «سيماء الصلحاء» لبعض رجال النبطيّة من ادّعاء أنّ خواطر العلامةّ الشهير السيد مّحسن الأمين حول المواضيع التي اشتملت عليها المواكب الحسينيّة حديثاً، ممّا خالف بها الأئمةّ وعلماء الأمه، وتهويس أواد حول ذلك الادعاءّ الفارغ من دون ما روية ولا نظر».

الثانية: ذكر المؤلّف اسم هذه الرسالة قائلاً في مقدمّتها: وحيث إن وّجوب إنكار المنكر من الأولويات الإسلامية، ّضمنت صحيفة الوجود رسالتي «كشف التمويه عن رسالة التنزيه».

الثالثة: طبعت هذه الرسالة سنة١٣٤٧ هـ في المطبعة العلوية في النجف الأشرف.

الرابعة: في بداية الرسالة أوضح المؤلّف سبب تأليفه لها تحت عنوانين:

«إيضاح وتنبيه» و«كلمة المؤلّف»، ثمّ بين أن ّدين الإسلام دين فطرة، وسبب تقدمّه هو وجود المصلحين من أبنائه، والذين منهم السيّد الأمين، ثمّ بينّ أن السيد الأمين لم يمنع الشعائر الحسينية، ّبل دعى إلى تهذيبها من الشوائب التي لحقتها، ثم نقلّ كلامه من كتابه «إقناع اللائم في إقامة المآتم» الذي يوضّح فيه رأيه.

بعدها بدأ بذكر عبارات رسالة «التنزيه» والدفاع عنها، وردّ المعترضين عليها.

وأثناء بحثه ذكر كلام العلاّمة الميرزا حسين النوري والعلاّمة الشيخ هادي كاشف الغطاء حول الأحاديث المكذوبة التي ينقلها بعض قراء التعزية، وكذلك نقل فتوى الشيخ مرتضى الأنصاري حول حرمة الغناء في المآتم الحسينيّة، وفتوى الشهيد الأوّل والسيدّ كاظم اليزدي في حرمة جرح النفس، وكذلك فتاوى مجموعة أخرى من العلماء عن بعض الشعائر الحسينية.

الخامسة: يشير إلى رسالة «نصرة المظلوم» للشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨ هـ)، المطبوعة سنة١٣٤٥ هـ ،والمطبوعة أيضاً ضمن هذه المجموعة.

وكذلك يشير إلى رسالة «النقد التزيه لرسالة التنزيه» للشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي المطبوعة سنة١٣٤٧ هـ ،والمطبوعة أيضاً ضمن هذه المجموعة. وكذلك يذكر في آخر كلامه رسالة «نصرة الفقيه» للشيخ عبد المهدي الحجّار.

كما أنّه ينقل عبارات عديدة من رسالة «سيماء الصلحاء» للشيخ عبد الحسين الصادق العاملي (ت١٣٦١ هـ)، ويردّ عليها بعنف.

السادسة: يردّ على هذه الرسالة – كشف التمويه – السيدّ علي نقي النقوي اللكهنوي (ت١٤٠٨ هـ) في رسالته «إقالة العاثر في إقامة الشعائر» المطبوعة سنة١٣٤٨ هـ ،والمطبوعة ضمن هذه المجموعة أيضاً.

السابعة: يصف المخالفين لآراء السيّد محسن الأمين بألفاظ جارحة قائلاً:

(أ)– «ولكن يعترضنا في الحال الحاضر ما هو أدهى من ذلك وأمرّ، ألا وهو قيام أفراد من «المرتزقة» الذين تطفلّوا على هذا الصنف الروحاني، وهو يرأ إلى

اللّه منهم براءة الذئب من دم يوسف، قاموا ويابئس ما قاموا، قاموا على الدين بلباسه، وأخذوا يقذفون العلماء الروحانيين، ويلصقون بهم ما يبرّئهم منه العالم الإسلامي كلّه، ويكذبون عليهم ويموهون ويدجلوّن لدى العوام، بما يخشى لأجله من ترزع الثقة العامة بهذا الصنف المقدّس».

(ب)– قال واصفاً الشيخ عبد الحسين صادق العاملي صاحب رسالة «سيماء الصلحاء» التي ردّت على آراء السيدّ الأمين: «ويدفع فيها [أي السيّد الأمين في رسالته التنزيه] ما تحامل عليه بعض قومه ممّن حسد مركزه ويحقد على ما آتاه اللهّ من فضل، ذلك قوله: (إنّه خالف الأئمة وعلماء الأمُة) نعوذ بالله مّن هذه الافتراءات.

وقد نسج على منواله بعض من يمتّ به وينتسب إليه بقرابة، فأخذ يموّه على السذجّ والبسطاء، ويختلق ويفتري عليه الكذب، ممّا هو معروف ومشهور لدى الجميع، وقد خرجت أوراق مطبوعة مملوءة فحشاً لبعض المتطفليّن على موائد غيرهم، ونتكرمّ عن ذكرهم من باب حبّ (لوذات سوار لطمتني)».

(ج)– ويقول في مكان آخر رادّاً على الشيخ عبد الحسين صادق العاملي ورسالته «سيماء الصلحاء»: «اعلم أنّ كل مّصلح كبير يتمركز على كرسي الإمامة والسيادة في الأُمّة، لابدّ وأن يتهيأ له من مرضى النفوس من يحسده ويحقد عليه... وهنا

أقول: طالعت تلك الأوراق المطبوعة، فانكشف لي التحامل الشديد والكذب الصريح الذي نشأ عن مآرب شخصيّة وأحقاد كانت تتآكل في الصدور، ولسوف يلقون بها جده رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم وأمّه الزهراء وأبويه عليا والحسين عليهم السلام يوم حشرهم ونشرهم فيجازون».

الثامنة: ذكر المؤلّف في آخر رسالته هذه، ترجمة مفصّلة لحياة السيدّ

الصفحة 141

محسن الأمين تضمّنت: نسبه، مولده، تحصيله للعلوم، أساتذته، أقوال العلماء في حقّه، مشايخ إجازته.

التاسعة: يوجد في آخر الرسالة أيضاً قائمة بأسماء مؤلّفات السيدّ محسن الأمين.

العاشرة: النسخة التي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأولى لها، كُتب في أولها: كشف التمويه عن رسالة التنزيه لأعمال الشبيه، بقلم العلاّمة الكبير والمفكّر الخطير الجامع للمعقول والمنقول حضرة الأستاذ الشيخ محمدّ الكَنجي النجفي دامت تأييداته، حقوق الطبع محفوظة للمؤلّف، طبع في المطبعة العلوية في النجف الأشرف سنة١٣٤٧هـ .

الصفحة 142

(١٧) إقالة العاثر في إقامة الشعائر

للسيّد علي نقي اللكهنوي

المؤلِّف:

في أثناء تحقيقنا لهذه الرسالة، وبحثنا عن ترجمة المصنّف، أخبرنا الأخ العزيز المحقّق الشيخ أحمد الحليّ حفظه اللهّ ورعاه، بوجود ترجمة للمصنّف كتبها بنفسه، وصورتها الخطيّة موجودة في مكتبة العتبة العباسيّة المقدسّة في مدينة كربلاء المقدّسة، فطلبنا منه تصويرها لنا، فأرسل لنا صورتها، جزاه اللّه خير الجزاء.

فوجدتها ترجمة مفصّلة للمصنفّ كتبها بنفسه بناءً على طلب بعض السادة منه، وتاريخ كتابتها هو يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر ذي القعدة سنة١٣٤٩ هـ في مدينة النجف الأشرف. وقام باستنساخها السيّد محمدّ صادق بحر العلوم الطباطبائي في يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة١٣٥٠هـ .

وقد ذكر المصنّف في هذه الترجمة تاريخ ولادته، وهجرته إلى النجف الأشرف مع والده، وبداية دراسته مقدّمات العلوم، ثمّ رجوعه إلى الهند وإتمام دراسته هناك، ثمّ عودته إلى النجف الأشرف لإكمال أبحاثه العالية فيها.

الصفحة 143

وذكر فيها مؤلّفاته التي كتبها في الهند أو النجف، ثمّ ذكر أساتذته ومشايخه في الإجازة.

وبما أنّ تاريخ كتابة تلك الترجمة كانت أواخر سنة١٣٤٩ هـ ، ووفاته رحمه اللّه كانت سنة١٤٠٨ هـ ، لذلك لم يرد فيها الكثير من نشاطه العلمي وآثاره خلال تسع وخمسين سنة، لذلك لم تكن تلك الترجمة وافية بكلّ أبعاد حياته العلميّة. ونحن ننشر تلك الترجمة هنا باعتبارها صادرة منه رحمه اللّه، ولم تطبع لحد الآنّ، فقال فيها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذّي أكرمنا بالهدىُ، وجعلنا من أمةُ خير الورى، والصلاة على نبيه المصطفى وآله مصابيح الدجى. وبعد، فقد سألني بعض مَن يجب عليّ إجابة سؤله من السادة العلماء الأفاضل – جعله اللّه من أنصار الدينّ وحماة الشرع المبين – أن أذكر له نبذة من شؤون حياتي وترجمة أحوالي، حتّى تكون تذكرة باقية وأُحدوثة خالدة، فقولت على حكمه وانٍ كنت أرى قصور شأني وسقوط خطري ما لا أستحقّ سمعه لذلك.

ومن أنا حتّى يُعنى بشأني، ويبُحث عن أحوالي، ويسأل عن مبدأ أمري ومآلي؟

وهل أكون إلاّ امرأ قليل البضاعة، ساقط الغزيمة، كثير العثار، حلس زاوية، وعقيد حاجة وافتقار، «ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه».

ولكن حيث سُئلت وجب عليّ الإجابة، ومن اللّه استمد المعونة والتوفيق. أما نسبي، فهو ينتهي بثمان وعشرين واسطة إلى الإمام الهمام عليّ النقي

الهادي سلام اللّه عليه، وإليك بيانه:

أضعف العباد عليّ نقي ابن ممتاز العلماء الثاني السيدّ أبو الحسن دام ظلهّ سيدّ العلماء الثاني السيد مّحمد إبّراهيم ابن ممتاز العلماء السيّد محمدّ نقي سيدّ العلماء السيدّ حسين ابن العلامةّ المجتهد الكبير السيد دّلدار علي بن محمد معّين ابن عبد الهادي بن إبراهيم بن طالب بن مصطفى بن محمود بن إبراهيم بن جلال الدين بن زكريا بن جعفر بن تاج الدين بن نصير بن عليم الدين بن علم الدين بن شرف الدين بن نجم الدين بن عليّ بن أبي علي بن أبي يعلى محمدّ بن أبي طالب حمزة بن محمدّ بن الطاهر ابن جعفر ابن الإمام علي النقي الهادي سلام اللّه عليه.

ولدت يوم السادس والعشرين من رجب الحرام سنة١٣٢٣ ثلاث وعشرين بعد ألف وثلاثمائة من الهجرة في بلدة «لكهنؤ»، عاصمة العلم والتشيّع في بلاد الهند. ولمّا كنت ابن ثلاث سنين وأشهر سافر بي السيدّ والدي دام ظلهّ إلى النجف الأشرف سنة١٣٢٧ ، فبقي فيها خمس سنين ملتقطاً فوائد العلم عن أصداف صدور العلماء الأعلام، ونشأت هناك في جوار باب المدينة (والحمد للّه).

فلمّا بلغت سبع سنين رأى أن يشرع في تعليمي بيوم سعيد، فأتى بي إلى مشهد أمير المؤمنين سلام اللّه عليه، وكان العلامّة الورع السيّد محمدّ علي الشاه عبد العظيمي وقتئذٍ جالساً عًلى مصلاه يرّيد صلاة الظهر بالجماعة، فسأله السيد والدي أن يبدأ بتعليمي تيمّناً بأنفاسه الشريفة، فعلمّني بسم اللهّ الرحمن الرحيم، ونحن اتجاّه الضريح المقدسّ والصلاة قائمة بصفوفها وراء السيّد الجليل. ومنذ ذلك اليوم واظب السيدّ بنفسه على تعليمي، فضرب لي وقتاً مّن الفراغ، وسلك بي منهجاً كًان هو المؤسسّ له، فسار بي سيراً حثيثاً قلمّا يسير

الطالب مثله، حتّى أنّي في طي ّستة أشهر فرغت من القرآن المجيد وبعض الكتب الفارسية بكل ضّبط واتقان ودخلت في النحو والتصريف.

وكان في كلّ من يومي الخميس والجمعة يلقي عليّ أسئلة في ما قرأته في أيام الإسبوع، مع ما يتعلقّ بها من الفروع والأشباه التي يناط تخريجها بقوّة الفطنة والذكاء.

فكنت أجيب فيها بما ساعدني عليه الفكر والحافظة، ولربما أقف فيها، فإن كان ممّا يحقّ لمثلي أن يقصر عنه ؛ لصعوبة، كان هو دام ظلّه يوقفني عليه. وإن تراءى له منّى شيء من التفريط والتقصير، فهنالك الزجر والتنديد والبأس الشديد، إلى أن أكون أنا المجيب عنه جواباً صحيحاً، فإذا رأيت منه الرضى والإقرار أكتبه تحت سؤاله حتىّ يكون تذكرة في ما يأتي، فاجتمع عندي من ذلك كتب مدوّنة.

وقد رأيت لذلك في نفسي أثراً كبيراً من الزيادة في قوة الفطنة، وتشحيذ الفكرة، والإتقان في الضبط، والمحافظة والتمرّن على التأليف والتصنيف. ومن مسلكه الخاصّ في تدريسي أنّه لم يدعني أسمع وهو يقرّر مطلب الكتاب، بل ألزمني أن أقرأ العبارة وأُبيّن معناها ومفادها. والغرض منها حسب ما فهمت في أثناء المطالعة، فإن كان صحيحاً بنظره أمضاه، وإن كان خطأً أمرني بالمراجعه ثانياً، إلى أن أكون أنا المبيّن للمطلب.

نعم، لو كان من المطالب الصعبة المستصعبة التي لا يمكن لمثلي أن يحلّ عقدتها بيّنها بنفسه، حتىّ أنّه ربما يمضي الوقت كلّه ويتمّ الدرس وهو لا يتكلمّ فيه بكلمة غير الإمضاء أو الأمر بالتأمل والمراجعة. فبذلك وجد في نفسي ملكة استخراج المطالب المشكلة من العبارات

الصعبة بقوّة المطالعة، ثمّ ملكة التقرير وبيان الطلب العلمي على نحو يفهم المخاطب، فكأنّه في حين أنّه يدرسني كان يجعلني مستعدّاً للبحث والتدريس، فهو دام ظلهّ بذلك المنهج وهذا حاول أن يجعلني مصنفاً ومدرساً في وقت واحد. ولم أزل ملازماً له غدوة وعشياً في حين إقامته بالعراق، ومن بعد رجوعه، إلى الهند وهو في صفر سنة ١٣٣٢ ، حتّى قرأت عليه كلّ ما قرأت من العلوم من النحو والتصريف والمنطق والحكمة والهيئة والفقه والأُصول.

ولم يبعثني يوماً إلى أُستاذ سواه، حتىّ عندما كنت أتعلمّ حروف الهجاء المفردة، فهو بنفسه الشريفة كان يهتم بيّ في كل الأدوار وكلّ الفنون.

اللّهمّ إلا الأدب، فإنه أمرني بالحضور فيه على زميله العلامةّ المفتي السيد محمد علّي دام ظله ابنّ العلم الشهير المفتي السيّد محمدّ عباّس آل المحدثّ السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله، وما كان من قرائتي على بعض الأجلة منّ الفقهاء والأعلام بالهند – على ما ستأتي الإشارة إليه – فإنّما كان التزاماً بقانون المدرسة التي توجب على تلاميذها الحضور في مجلس بحثها البتّة.

وكان من آثار ما سلكه بي من المنهاج، أني طويت مراحل الدروس السطحيّة، وأخذت الشهادات العالية من كبار مدارس

الهند وجلّتها وأنا ابن عشرين سنة.

ولولا ما ظهر في البين من العراقيل التي عطّلتني في خلال ذلك زهاء ثلاث سنين، لكنت أبلغ الغاية قبل هذا الأوان بمدّة طويلة، ولكنّ الأُمور مرهونة بأوقاتها، والأشياء تجري على مقاديرها، والأمر للهّ وحده. كان السيد آلى على نفسه أن لا يبعثني إلى أُستاذ سواه – على ما ذكرت –

لكن دعته مصالح شتّى من بعد ذلك إلى أن يدخلني في بعض المدارس العلميّة،

حتّى أنال منها الشهادات الثمينة.

فدخلت «الجامعة السلطانيّة» المشتهرة بـ«سلطان المدارس» في «لكهنؤ»، وحضرت على أكبر أساتيذها العلاّمة حجة الإسلام السيّد محمّد باقر قدسّ اللهّ سرّه، فسمعت منه شطرا منَ أصولُ «الكافي»، وطهارة «الرياض»، و«فوائد» شيخنا الأنصاري رحمه اللّه.

ودخلت الجامعة الناظميّة المسمّاة «مشارع الشرائع»، فحضرت لدى أُستاذها الأكبر العلامّة المصلح الشهير السيد نّجم الحسن مؤسّس «مدرسة الواعظين» دام ظلّه، وسمعت منه أيضا شطرا قليلا منَ «الرياض» و«الرسائل»، وقرأت لديه أيضا من كتب الهيئة كتاب «التصريح في شرح التشريح». وعرضت على مسرح الامتحان في كلّ منهما ثلاث سنين، وأدّيت أيضا الامتحان في الكليّة العربيّة ببلدة «إله آباد» وفي الكليّة العظمى العربية أيضا فيَ «لكهنؤ»، فكان مجموع ما أديتّ من الامتحانات ثمانية.

وكان من فضل اللّه عليّ ولطفه أنيّ في كلها نلت قصب السبق وسبقت على شركاء الامتحان، فلقبتّ من تلك المدارس حسب قواعدها بألقاب: «سند الأفاضل»، و«صدر الأفاضل»، و«الفاضل»، و«ممتاز الأفاضل»، و«العالم»، و«فاضل الأدب».

وأخذت في التدريس منذ مباديأموري، ومن لطف اللّه سبحانه عليّ إن جعل قلوب الطلاّب تهوي إلي، حتى أني بّعد إتمام الدروس المرسومة في الهند واختصاصي بالتدريس مدّة سنة أو أكثر ربما، باحثت في يوم واحد أكثر من خمسة عشر درساً من فنون متباينة كالمنطق والفقه والأُصول والأدب، حتّى أن السيد أبي دام ظله خّاف علي كثرة الاشتغال، فربما منعني إرشادا وكان ينهاني

مولويّاً.

ولمّا فهمت الدروس السطحيّة إلى «الرسائل» و«المكاسب» في تلك البلاد، وأدّيت الامتحانات، ساعدني التوفيق الإلهي على المهاجرة إلى النجف الأشرف. فوممت ركاب السفر، وشددت رحال الطلب، وخرجت من بلدي مودّعاً للأهل والإخوان، ليلة الأحد الثالث من شعبان سنة١٣٤٥ ووصلت إلى النجف الأشرف بعد التشرّف بزيارة مشاهد الكاظمين والعسكريين سلام الله عليهم، ومشهدي الطفّ على صاحبيهما السلام، يوم الثلاثاء السادس والعشرين من الشهر نفسه، وكانت عطلة عامّة في

الأبحاث لأجل قرب شهر رمضان، فبقيت.

وفي شهر رمضان ألّفت رسالتي «كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب» وقد جعلها اللّه سبحانه مرضيّة عند الناس جميعاً، وسبباً لمعرفة الناس وحسن ظنهّم بي.

ومن التاسع من شهر شوال أخذت في تحصيل العلم بسعي متواصل وجهد مستمر إلى اليوم، والحمد للّه.

فقرأت الدروس السطحيّة في «الرسائل» و«المكاسب» و«الكفاية» على أُستاذي العلاّمة عمدة العلماء المحققيّن حجة الإسلام والمسلمين الميرزا أبو الحسن المشكيني النجفي دام ظلّه صاحب «الحاشية على الكفاية»، وحضرت لديه أيضاً في خارج بحثه بكتاب الصلاة.

وحضرت في خارج الأُصول بحث آية اللّه العظمى إمام المحققيّن شيخنا الأعظم الميرزا محمدّ حسين النائيني متع اللّه المسلمين بطول بقائه.

ومن حسن الاتفاق أن صادف أوّل حضوري لديه شروع دورته في مباحث الألفاظ، فقد أدركت دورته الأُصولية هذه من أوّلها إلى الحال على

الاستمرار، إلاّ نادراً في بعض الليالي إذا صادفني ما نع سفر ونحوه.

وحضرت في مباحث الألفاظ وشطر من الأدلّة العقليّة ونبذة من كتاب الطهارة مجلس بحث رئيس الشيعة والمرجع في أحكام الشريعة آية اللّه في العالمين السيدّ أبو الحسن الأصفهاني دام ظلهّ، وقليلا مَن بحث الفقه والأصُول لحضرة مقدام المحقّقين وواحد الأساطين الشيخ ضياء الدين العراقي أدام اللّه أيام إفاضاته.

اللّهم هؤلاء مشايخي فأجزهم عنّي خير جزاء المحسنين وآتهم الحسنى في الدنيا والدين.

أمّا ما برز منّي من المؤلفّات، فمنها ما كتبته وأنا بالهند، ومنها ما كتبته بعد تشرفّي بالنجف الأشرف.

إمّا القسم الأول فمنه:

«رسالة البيت المعمور في عمارة القبور»[1]، ردّاً على الوهابيين. «روح الأدب في شرح لامية العرب»[2]. «فرياد مسلمانان عالم»، مجموعة مناشير ومقالات ضافية والاستغاثة بالعالم الإسلامي.

وهذه الثلاث مطبوعات وهي بلغة «أُردو» اللغة الإسلامية بالهند. «تذكرة السلف»، وهو كتاب في ترجمة جدّي الأكبر العلاّمة المؤسّس

السيّد دلدار علي قدّس سرهّ، نشر كثير منها في بعض صحف الهند.

1- الذريعة ٣: ١٨٥ / ٦٦١.
2- الذريعة ١١: ٣٦١ / ١٥٩٤.

«أرواق الذهب في استواك مافات وذهب عن صاحب أوراق الذهب»، في ترجمة جدّنا العلاّمة الوحيد سيدّ العلماء السيدّ حسين قدّس سرّه، بالعربية.

«رسالة في حكم انتقاض التيمّم بدلاً عن الغسل بالحدث الأصغر».

«تواريخ الأعلام»، وهي مجموعة لطيفة في تواريخ ولادات أو وفيات العلماء الأعلام والأفاضل الكرام.

هذه عدا ما أشرنا إليه من كتب درسيّة في النحو والتصريف، جمعناها من الأسئلة والأجوبة عند اشتغالنا بقراءة المبادئ العربيّة.

وأمّا القسم الثاني فمنه:

«كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب»[1]، وهو أوّل ما ألفته في النجف الأشرف، وقد تقدّم ذكره، طبع في المطبعة الحيدريّة بالنجف الأشرف.

«السيف الماضي على عقائد الإباضي»[2]، في زهاء ٣٥٠ صحيفة.

«شنف النضير في مسألة التصوير».

«تراجم مشاهير علماء الهند».

«الردود القرآنيّة على الكتب المسيحيّة»، في الردّ على النصارى.

«إقالة العاثر في إقامة الشعائر»[3]، ردّاً على رسالة «التنزيه» السورية، طبعت بالنجف.

«مطارحة علميّة»، وهي ما جرى من المراسلات بيني وبين أحد الفقهاء

1- الذريعة ١٨: ٦٥/ ٧٠١.
2- الذريعة ١٢: ٢٨٨ / ١٩٣٨.
3- الذريعة ٢: ٢٦٣ / ١٠٧٢.

والأعلام حول مواضيع رسالتي «إقالة العاثر».

«رسالة في الاجتهاد والتقليد» من تقوّرات بحث آية اللّه السيّد الأصفهاني دام ظلّه.

«مباحث الألفاظ»، من تقوّرات بحث آية اللّه شيخنا الأعظم النائيني دام ظلّه، مجلّد تام.

«مباحث الأدلّة العقليّة»، من تقوّراته دام ظلّه، برز منها جزء إلى أواخر الواءة.

«مجموع ديوان البقيعيّات»، جمعتُ فيه ما قيل في فاجعة البقيع من المنظوم والمنثور.

«نظرات على كتاب السفور والحجاب»، للآنسة نظوة زين الدين السوريّة.

«تاريخ وفيات الشيعة»[1]، برز منها زهاء مجلّدين، ونشر منها شيء كثير في مجلّة «الهدى» الإسلامية بالعملة.

«تقوّرات بحث الصلاة»، لآية اللّه الأصفهاني.

«أقرب المجازات إلى مشايخ الإجازات»، برز منه مجلّد ضخم يزيد على ٣٠٠ صفحة، لم يتمّ.

«أصول الدين والقرآن»[2]، رسالة بلغة «أُردو» الهنديّة.

«نظرات بحّاثة في الأخبار الثلاثة» كتبتها رداً على السيدّ رشيد رضا المصري صاحب مجلة «المنار» في إنكاره لقوله صلىاللهعليهوآلهوسلم: «أنا مدينة العلم وعليّ

1- الذريعة ٣: ٢٩٤ - ٢٩٥ / ١٠٩٠.
2- الذريعة ٢: ١٩٦ / ٧٤٩.

بابها»، وقوله صلىاللهعليهوآلهوسلم: «أقضاكم علي»، وقول الخليفة الثاني: لولا علي لهلك عمر.

«الشعائر الحسينيّة في العراق».

«بغية المرتاد في شرح نجاة العباد» لم يتمّ.

«لمحات على كتاب الفتاة والشيوخ»، للآنسة نظوة زين الدين السوريّة.

«رشحات القلم»، وهي مجموع مقالات دينيّة نشرت منّي في الصحف والمجلاّت الهندية.

«الظلّ الظليل في المكاتيب والمراسيل»، وهو مجموع ما دار بيني وبين جملة من الأعلام من المكاتيب العربيّة متضمنة لنكات من البلاغة والأدب.

«حاشية الأدلّة العقليّة من الكفاية»، وفيها فوائد استفدتها من بحث شيخنا العلاّمة المشكيني دام علاه.

«تعليقات على المكاسب»، كذلك.

إلى غير ذلك من حواشي غير مدوّنة، ومقالات ضافية منشورة، وملاحظات انتقادية على الكتب التي طالعتها مما لا يسعني الآن بيانه[1].

1- أضاف الشيخ الطهراني إلى مؤلّفاته:

«الحجج والبيّنات في ما ظهر من المشاهد المشرّفة بالعراق من الكرامات في سنة١٣٥٠، طبع في لكهنو. الذريعة ٦: ٢٦٣ / ١٤٤٠.
«الفرقان في تفسير القرآن»، طبع مجزّءاً شهرياً في مجلّة الرضوان، ابتداءً من شهر ذي الحجّة سنة١٣٥٣ ه . الذريعة ١٦: ١٧٤ - ١٧٥ / ٥٢٩.
«الفجعة في الرجعة»، طبع في مجلّة الرضوان سنة١٣٥٤ه . الذريعة ٢٤ / ٦٨ / ٣٤١.
وأضاف الأخ الكريم المحقّق السيّد محمّد رضا الجلالي حفظه اللّه ورعاه في «ثبته»: ٨٢ ، لمؤلّفات المصنّف:
«لزوم المسح على الرجلين في الوضوء»، في الفقه المقارن.
«البيان في تفسير القرآن»، طبع بعضه في الهند.

وإنّي أعترف بالتقصير، وأسأل اللّه سبحانه أن يوفقّني للعلم والعمل، والقيام بواجب الدين من نشر آثار سيدّ المرسلين وآله المعصومين، إنّه أرحم الراحمين.

وأمّا مشايخي في الرواية فهم كثير من أعلام الطائفة كالآيات والحجج والأعلام: الميرزا محمدّ حسين النائيني، والميرزا علي آقا الشيرازي، والسيّد حسن الصدر، والشيخ عبد اللّه المامقاني، والشيخ محمدّ باقر البيرجندي، وآقا رضا الأصفهاني النجفي، والشيخ مرتضى آل كاشف الغطاء طاب ثراه، والسيّد نجم الحسن اللكهنوي، وسيدّنا الوالد العلامّة، والشيخ محمدّ كاظم الشيرازي، والسيّد ميرزا هادي الخراساني، والميرزا محمدّ الطهراني، والشيخ محسن – المعروف بآقا بزرگ الطهراني – تريلي سامراء، والحاج الشيخ عبّاس القمي، وغيرهم ممّن

ذكرت تراجمهم وأسانيدهم بأجمعها في كتاب «أقرب المجازات».

هذا ما أردت بيانه في هذا المختصر، قضاءً للوطر وابقاءً للأثر، أسأل اللّه سبحانه أن يجعل عاقبة أمري خيراً، ويرزقني الحسنى في الدين والدنيا، إنّه بالإجابة جدير، وهو على كلّ شيء قدير.

كتبه في غاية الاستعجال وتزعّ البال، يوم الأربعاء الثاني عشر من ذي القعدة سنة١٣٤٩ ، في بقعة النجف الطيّبة الزكيّة على مشرّفها ألف سلام وتحيّة. وأنا الأقل علي نقي النقوي عفي عنه.

وقد تمّ استنساخه يوم الخميس١٤ شهر ربيع الأوّل سنة١٣٥٠ ، على يد أقل الخليقة، بل لا شيء في الحقيقة، محمّد صادق بن الحسن آل بحر العلوم

الطباطبائي الحسني، عفى اللّه عن جرائمه بالنبي وآله الكرام عليهم السلام سنة١٣٥٠ هجرية.

المؤلّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: كتب المؤلّف هذه الرسالة ردّاً على رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه»، التي ألفهّا السيد مّحسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، إذ ينقل عبارات منها ويبدأ بردّها، وفي عدّة موارد يذكر نصوصها دون نسبتها إليها. الثانية: ينقل عدّة عبارات من رسالة «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»،

التي ألّفها الشيخ محمدّ الگنجي دفاعاً عن السيدّ الأمين ورسالته «التنزيه»، مما يدّل علّى أن هذه الرسالة طبعت بعد تلك الرسالة.

الثالثة: ينقل عبارة للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣ هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّة» في معرض كلامه على شجّ الرؤوس بقوله: «بلغنا من العمر ما يناهز الستيّن وفي كلّ سنة نصب أعيننا تلك المحاشد الدموية، وما رأينا شخصا ماتَ بها أو تضرّر، ولا سمعنا به في الغابرين».

الرابعة: يشير إلى رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت١٣٧٦ هـ)، التي جمع فيها نصوص فتاوى بعض العلماء في جواز هذه الشعائر.

الخامسة: يذكر أنّ له كتاباً في الردّ على الوهابيّة.

السادسة: ذكر في آخرها أنّه انتهى من تأليفها في اليوم الثاني من شهر رمضان سنة١٣٤٧ هـ ، وأخرجها إلى البياض مع بعض الزيادات في شهر محرّم سنة١٣٤٨ هـ . إلاّ أن الموجود في الصفحة الأولى من الطبعة الأولى المتوفّرة لدينا

أنّها طبعت سنة ١٣٤٧هـ .

السابعة: النسخة التي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأولى، كتب في الصفحة الأولى منها: رسالة إقالة العاثر في إقامة الشعائر، نظريات شريفة حول مواضيع رسالة التنزيه في أعمال الشبيه السورية، للعلاّمة الثقة البارع السيّد علي نقي النقوي اللكهوي دام ظلّه، طبعت على نفقة بعض أهل الخير من التجّار زادهم اللهّ شرفا، وطبع بالمطبعة الحيدرية في النجف الأشرف سنة١٣٤٧هـ .

الثامنة: في آخر الطبعة الأولى من هذه الرسالة، طبع ملحق يبيّن فيه أسماء الأعلام الذين أيّدوا إقامة الشعائر الحسينيّة، وكذلك طبعت عبارة تشكّك في إصدار فتوى من قبل المرجع الديني السيّد أبو الحسن الأصفهاني يعارض فيها بعض الشعائر الحسينيّة.

(١٨) قطعة من إرشاد الأُمّة للتمسك بالأئمّة

للشيخ عبد المهدي المظفّر

المؤلِّف:

عبد المهدي ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ نعمة بن جعفر بن عبد اللّه بن عبد الحسين المظفّر.

ولد سنة١٢٩٦ هـ وقرأ المقدّمات على لفيف من المدرّسين، وحضر خارج الفقه والأصول على آية اللهّ السيدّ محمد كاظم اليزدي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ علي الجواهري، وعمدة تتلمذه على الأخير، فقد لازمه وحضر بحثه سنين طوال، حتّى برع وحظي بمكانة عند أساتذته وعلماء وقته وفضلائه، لغزارة فضله وسعة اطلاعه.

يقول عنه معاصره الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧ هـ): «هذا الشيخ من أهل الفضل، ومن المبرزين في الكمال والأدب، قام في البصرة مقام والده للهداية والإرشاد، فحمدت سيرته وفشى معروفه، وطار ذكره، وملأ صيته الأصقاع والبقاع.

نصب نفسه لقضاء حوائج المؤمنين، فكان ملجأ للعاني والعافي والرائح والغادي، فكانت داره مأوى الضيوف ومقرّاً للوفادّ، وله في كلّ جيد مكرمة من

مكارمه الكثيرة التي لا تُعدّ ولا تحصى، فهو من حسنات الدهر ونوادر العصر، لم تحصى مناقبه، ولم تحصر مآثره.

عاش في العشّار محترم الجانب، مرعي الحرمة، يقوّه سائر الطبقات ؛ لما انفرد به من غرّ الخصال، وهي حسن الخلق ولين العريكة، ولم يحمل في قلبه غلاً لأحد. لم يعرف له عدو، وكلّ يستقبله بوجه متهلل وثغر باسم، كان يجود بماله وجاهه.

يمتاز هذا الشيخ بكثرة الحافظة وسعة الاطلاع، يحفظ الكثير من السير والتاريخ والنكات والشعر والشواهد المستحسنة، وإذا حلّ في نادي كان له الصدر، وهو بلبله الغريّد، ويضم إلى تقواه وصلاحه نبله وحسن خلقه وخفة طّبعه، من عاشره لا يمل عشرته ولا يستطيع مفارقته[1].

وقال عنه معاصره الآخر الشيخ الطهراني (ت١٣٨٩ هـ): «وكان بالإضافة إلى براعته في الفقه وأصوله ملمّاً بالسير والتاريخ، راوية لطريق الحوادث والأخبار، حافظاً لغرر الشعر من القديم والحديث، مستحضراً للنكات المستملحة والنوادر المحتشمة.

وكان بشوش الوجه حسن الأخلاق، كثير التواضع، طيب القلب، لين العريكة، مرعاً تقياً محبوباً عند عارفيه.

وقد كانت بيننا وبينه صلة وثيقة وعلاقة متينة، وكان يأنس بنا ونأنس به، حتّى خرج من النجف للقيام مقام أبيه رحمه اللّه.

هبط البصرة فكان مرجع أهلها في القضاء والإمامة وأخذ الأحكام، وأحلّه

1- ماضي النجف وحاضرها ٣: ٣٦٦.

مرعاه وخلقه محلاً مرموقاً بين الناس، وطار صيته في تلك الأطراف، فاجتمعت القلوب على حبّه، والناس على تكريمه وتعظيمه، وامتدّت زعامته ووجاهته، فكان ملجأ العفاة، وسند المحتاجين، وكهفاً وملاذاً للمؤمنين، وصارت داره كعبة الوافدين ومأوى الضيوف، يستقبل الكلّ بثغر باسم، ويطوق رقابهم بمعروفه والمكارم، ولا يبخل على أحد بمال أو جاه، وكانت له كلمة مسموعة ونفوذ واسع.

وقد وفّقه اللّه لخدمة الناس وقضاء الحوائج، فهو صاحب فضل على الكثيرين.

توفّي في العشار ٢١ ذي القعدة سنة١٣٦٣ هـ ، فجرى له تشييع قليل النظير، فقد نقل في قطار خاص إلى كربلاء، وكلّما مرّ بمدينة أو توقّف فيها خرج أهلها لاستقباله بمظاهر الحزن، وعطلت له أسواق كربلاء، واستقبلت النجف جثمانه في اليوم الثاني من وفاته بتبجيل لم يتّفق لكثير من المراجع، ودفن مع والده في مقبرته بمحلّة المشراق، وأقيمت له فواتح عديدة في النجف وأكثر المدن العراقية، ورثاه غير واحد من الشعراء، وأرّخ وفاته جماعة منهم الشيخ علي البازي قال:

لقد نكب الإسلام أيّة نكبة بفقد زعيم منه عزَّ نظيره

بيومٍ به مهديّها الندب قد و أرّخته المهدي فيه غيبّ

قضى نوره

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: يقع هذا الكتاب في١٤٣ صفحة، إلاّ أنّ أكثره ليس له علاقة بالشعائر الحسينية،ولا برسالة التقريظ»،وانما تعرّض المؤلّف فيه لمواضيع

الصفحة 159

مختلفة مثل: الإمامة ووجوبها،واختصاص الخلافة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وذكر الأدلّة على ذلك من: حديث الغدير، والولاية، والمنزلة، والثقلين، والوصيّة، والموآخاة، والطائر المشوي، وغيرها.

ثمّ تعرّض للردّ على كلام ابن خلدون في الإمامة، وكذلك ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج.

وبيّن مظلوميّة أهل البيت عليهمالسلام، ابتداءً بعميد البيت العلوي الإمام علي بن أبي طالب عليهالسلام، ولما وصل إلى مظلوميّة الإمام الحسين عليهالسلام تعرّض لمسألة إقامة الشعائر الحسينية،واستحباب البكاء واللطم واظهار الحزن والخزع عليه.

الثانية: يبدأ المصنّف ابتداءً من الصفحة١١٩ من هذا الكتاب بذكر الشعائر الحسينيّة تحت عنوان «خاتمة: في فاجعة الطفّ والمظاهر الحسينيّة»، فيتعرّض لاستحبابها وسيرة علماء الشيعة على ذلك.

ثمّ يبدأ بالردّ على رسالة «التقريظ» للسيدّ الأمين، فيعقد بابا خاصا بعنوان «السيد محسن الأمين ورسالته التقريظ لأعمال الشبيه»، فيورد عدّة عبارات منها ويبدأ بالردّ عليها.

الثالثة: يصفّ المصنفّ السيدّ الأمين أثناء الرد عليه بقوله: «وها أنا أذكر لك بعض من أوقعته الغفلة في الورطة، وقذفته البساطة والاستبداد في الرأي في الهوّة، فمنهم السيدّ الأجل المحسن الأمين العاملي في رسالته الموسومة بـ«التقريظ لأعمال الشبيه».

وهذا السيّد قد كنّا نسمع عنه أنهّ من أهل المآثر الحسان، وذوي المكانة السامية في العلم، لكن لما اطلعنّا على هذه الرسالة وقعنا في حيرة الشكّ ؛ لما اشتملت عليه من التهجّمات على الشيعة، والتهويلات الفارغة على مظاهر

الصفحة 160

الشريعة، والاستدلال على مقصوده بما لا يليق أن ينسب إلى مثله.

وليته اكتفى بذلك وكفّ عن صاحب الشريعة وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، ولم ينسب إليهم عدم العصمة عن فعل المحرّمات جهلاً بمواقعها، أو لسلب الاختيار منهم عند وقوعها.

الرابعة: يذكر صدور بعض الرسائل للردّ على «التقريظ» دون أن يذكر أسماءها أو أسماء مؤلفّيها، إذ يقول: «وانيّ لا أريدُ

الردّ عليه في مقاصده، وإثبات رجحان تلك المظاهر الشريفة أو وجوبها الكفائي، لكفاية ما كتبه للردّ عليه جملة من إخواننا الأفاضل، لكن أتعرّض لبعض ما كتبه ؛ استغواباً له وإن كان كلّ ما فيها غريباً».

علماً بأنّ ولد المصنفّ الشيخ حسن (ت١٣٨٨ هـ)، كتب أيضاً رسالة مفصلة في الشعائر الحسينية، ردّ فيها على ما كتبه السيّد محمدّ مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨ هـ)، في جريدة الأوقات العراقية، وكذلك ما كتبه في رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» ينتقد فيهما بعض الشعائر الحسينيّة، وقد طبعت تلك الرسالة سنة١٣٤٥ هـ ، وطبعت هنا ضمن هذه المجموعة أيضاً، أي أنّ الأب ردّ على السيد الأمين في رسالته «التنزيه»، والابن رد على السيد القزويني في رسالته «الصولة».

الخامسة: يشير إلى رسالة «كشف التمويه عن رسالة التنزيه» للشيخ محمّد الكنجي التي طبعت في المطبعة العلوية في النجف الأشرف سنة١٣٤٧ هـ ، والتي دافعت عن السيّد الأمين ورسالته «التنزيه»، إذ قال: «وقد بلغني عن رسالة هي بنت جماعة كُتبت حديثاً انتصاراً للسيد الأمين، أبدوا بها منع دفن زين العابدين عليهالسلام لأبيه عليهالسلام، بدعوى أنه مخالف لمقدورات البشر».

السادسة: يذكر رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيّد القزويني بقوله: «وأنّ حضرة السيد لم يكن منفرداً بالتهجم على الشيعة والمظاهر المقدّسة،

بل هناك من هو أعظم منه، وهو صاحب «الصولة»، التي أنكرها كلّ من يهمّه أمر أهل البيت الطاهر عليهم السلام».

إلاّ أنّه لم يرد على هذه الرسالة «الصولة»، بل بدأ بالرد على كتابين آخرين لنفس المؤلفّ هما: «خصائص الشيعة» و«ضربات المحدّثين»، إذ نقل عبارته وردّ عليها.

ثمّ أفرد باباً خاصاً للرد على السيد محمد مهدي الموسوي القزويني بعنوان:

«صاحب الصولة وتهوّره في الفتيا»، فذكر عدّة أمُور استشكل فيها عليه منها:

افتؤه بوجوب تغسيل الميّت بماء السدر على وجه يكون السدر مخرّجاً له عن الإطلاق.

ومنها: تحريمه أكلّ الدجاج الموضوع بالماء الحار قبل خروج أمعائه.

ومنها: إيجابه الكفارة على مَن أدمى صدره في عزاء الإمام الحسين عليهالسلام.

ومنها: تحريمه المعاملة مع البنوك.

ومنها: ما صدر بينه وبين الشيخ حبيب قرين.

ومنها: طعنه بنسب السادة آل البعّاج.

السابعة: في آخر هذا الكتاب تقريظ للعلاّمة الأديب الشاعر الشيخ محمدّ علي الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ)، يقع في ستة أبيات.

الثامنة: النسخة التي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأولى لها، كتب في الصفحة الأولى منها: «كتاب إرشاد الأُمّة للتمسّك بالأئمّة، لمؤلفّه العلامّة البارع ثقة الإسلام حضرة الشيخ عبد المهدي المظفر دام تأييده، حقوق الطبعة محفوظة

(1)

للمؤلّف، طبع في المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف سنة١٣٤٨هـ» .

1- الذريعة ١: ٥١٢ / ٢٥١٠.

(١٩) رسالة في الشعائر الحسينيّة

للسيّد محمّد هادي البجستاني

المؤلِّف:

ترجمه سبطه الأخ الكريم المحقّق الفاضل سماحة السيّد محمّدرضا الحسيني حفظه اللهورعاه في كتابه «ثبت الأسانيد العوالي»: ٤٢ قائلاً:

«السيّد محمّد هادي – ويدعى علي نقي – بن علي بن محمّد البجستاني الخواساني الحائري.

ولد في كربلاء، وتوفّي بها، وهاجر إلى النجف وأخذ من أعلامها السيّد المهدي الخراساني صاحب العروة والشيخ الخراساني صاحب الكفاية، وشيخ الشريعة الأصفهاني.

ثمّ هاجر إلى سامراء واختصّ بالميرزا محمّد تقي الشيرازي الحائري ولازمه واجيزُ منه، ثم هاجر معه إلى كربلاء مشاركاً في حركته الجهاديّة ضد المستعمرين الإنجليز في ثورة العشرين، وأرجع إليه الميرزا في الاحتياطات اللازمة، وتزعم التدريس في كربلاء، فكان علمها البارز.

واشتغل بالتأليف والتصنيف، واشتهر بالتحقيق والتدقيق وسعة العلم

والمعرفة، خصوصاً في مجال المناظرة والجدل، وهو من المشاركين في العلوم، والمكثرين في التأليف، وقد بلغت مؤلّفاته (١٣٠) كتاباً ورسالة، منها:

أحسن الجدل مع أحمد بن حنبل، ناقداً ما أثبته في مسنده.

وله: «أسِنَّة السنَة السنية فِي قطع ألسنة المِسنَية» مُعجّم فقهي مقارن واسع، أثبت فيه أحكام الفقه الشيعي بأحاديث العامة، وناقش الفقه السُنيّ من خلال مصادرهم وأدلتهم، وهو عمل ضخم يقع في سبعة مجلدات ضخام.

وله: دعوة الحقّ إلى أئمة الخلق، في الردّ على الفرقة الوهابية.

وله: مرقاة الثقات في تمييز المشتركات.

وهو جدّي أبو والدتي، وقد تَرجمتُ له مفصلاً في كتاب «آية الله الخراساني سيرته بقلمه وأقلام الآخرين».

وله ثَبَتٌ اسمه «الصحُفُ المُطهرُة» سَماه أولاً بـ«العلّيين» يحتوّي على فصلين: أورد في فصله الأول: فضل العلم وتدوينه، وفي فصله الثاني: نُصوص الإجازات الصادرة إليه من مشايخه، وختمه بذكر مؤلّفاته، وقد بدأتُ بإخراجه وتحقيقه بعون الله.

يروي عن شيخ الشريعة الأصفهاني، والسيّد حسن الصدر، وعن الشيخ آقا بزرك الطهراني بالمدبّجة.

ويروي عن الوالي إبراهيم بن محمّد البغدادي الشافعي الرفاعي، من علماء العامّة، وهو الذي قال في حقّه: «أشهد أنه أعلم بالمذاهب الأربعة من أئمّتها».

وعنه آقا بزرك الطهراني، والسيّد محمّد صادق بحر العلوم، والسيّد علي نقي اللكهنوي، والسيد شهاب الدين المرعشي النجفي.

وأنا الجلالي أروي عن هؤلاء كلّهم عنه».

وفي «المسلسلات في الإجازات» ٢: ٤٠٨ – ٤١٢ جمع السيّد محمود المرعشي، قال: «ولد في كربلاء سنة ١٢٩٧هـ، تتلمذ على السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، والمولى محمّد كاظم الآخوند الخراساني، وشيخ الشريعة الأصفهاني.

وفي سنة ١٣٢٠ هـ انتقل إلى سامراء وحضر أبحاث الميرزا محمّد تقي الشيرازي، جمع بين المعقول والمنقول، والأدب والحكمة والكلام، كما كانت له اليد الطولى في الرياضيات والطبيعيّات.

وأصبح في السنوات الأخيرة من عمره من زعماء كربلاء، ورجع إليه جماعة في التقليد.

كان متّصفاً بالزهد والتقوى وطول التهجّد، كما أن داره كانت محفلا لأهل العلم وطلاب الحقيقة، وكان شاعراً بالعربية والفارسيّة، له ديوان «دعوة دار السلام»، وله مؤلّفات كثيرة منها «رسالة في الشعائر الحسينية» طبعت بمطبعة النجاح ببغداد سنة ١٣٤٨هـ.

توفّي في كربلاء ١١ ربيع الأول سنة ١٣٦٨هـ، ودفن في الصحن الحسيني».

المؤلَّف:

نسلطّ الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: ذكر المصنّف سبب تأليفه لهذه الرسالة، وهو منام رأى فيه الإمام زين العابدين عليه السلام، إذ قال في آخرها: «وسمعت جدّي الإمام زين العابدين عليه السلام يقول لي بلا واسطة راوٍ – وإن كان في المنام – ما معناه: أخبروا المؤمنين بمصائبنا

حتّى يبكوا فتجب لهم الجنّة.

فقلت له: سيّدي قل: حتّى تجب لك الجنّة.

فقال: حتّى تجب لك أيضاً الجنّة.

وكان ذلك بين النوم واليقظة، ولأمره عليه السلام نشرت هذا البلاغ المبين، والحمد للّه ربّ العالمين».

الثانية: لم يذكر المصنّف السيّد الأمين ولا رسالته «التنويه»، ولا السيد الموسوي القزويني ورسالته «الصولة»، بل رد

عليهما وعلى الذين يشكلون على بعض الشعائر الحسينيّة دون ذكر أسمائهم.

الثالثة: وصف في أوّل رسالته المستشكلين على بعض الشعائر الحسينية بقوله: «ولا أرى أخف كلمولا أدق قلم على خلاف شيء من هذه الدعوة الإسلاميّة والتظاهر الديني، إلاّ نفثة من السموم الأموية، ونزعة مروانية، شوشت بعض الآراء الراكدة والأوهام والجامدة».

الرابعة: هذه الرسالة في الواقع عبارة عن منشور صغير عبّر عنه كاتبه بـ«البلاغ المبين»، وأوضح رأيه في الشعائر الحسينيّة، وبيّن فيه كون البكاء والإبكاء والمواكب والتشابيه من أفضل القربات الإلهية، والوسائل المطلوبة إلى الفوز العظيم، والمثوبة الخالدة في العاجلة والآجلة.

ثمّ ردّ الاستدلال بقاعدتي «حرمة اللهو» و«لا ضرر» على منع بعض الشعائر، وحثّ على تجديد العهد في كل عام بهذه الشعائر الحسينيّة.

الخامس: الظاهر أنّ المصنّف لم يضع لها اسما معيناً، ففي النسخة المطبوعة التي وقفنا عليها كتب: «هذه رسالة شريفة ومقالة منيفة في جواز التشابيه وضرب

القامات والطبول في عزاء سيّد الشهداء عليهالسلام» وهذا العنوان لا ينطبق على محتوى هذه الرسالة، والظاهر أنّه من وضع الذي قام بطبعها.

وفي «المسلسلات في الإجازات» ٢: ٤٠٨ سمّاها «رسالة في الشعائر الحسينيّة».

السادسة: ألّفها في التاسع من شهر صفر، كما هو مثبت في آخرها، وطبعت في مطبعة النجاح في بغداد سنة ١٣٤٨هـ ، كما هو مثبت في الصفحة الأولى منها.

السابعة: ترجمها إلى الفارسيّة الرباني الخلخالي بأمر أُستاذه السيد مهدي الحسيني اللاجوردي، وطبعت الترجمة مع الأصل العربي.

الثامنة: اعتمدنا في تصحيحنا لها على الطبعة الأولى لها، والتي كتب في أولها: «هذه رسالة شريفة ومقالة منيفة في جواز التشابيه وضرب القامات والطبول في عزاء سيّد الشهداء عليهالسلام، بقلم حضرة آية اللّه في العالمين فقيه الشيعة السيد ميرزا هادي الخراساني الحائري دام ظلّه، سنة ١٣٤٨هـ – مطبعة النجاح – بغداد».

(٢٠) ثورة التنزيه

لمحمّد القاسم الحسيني النجفي

هذه ثالث رسالة عثرت عليها مؤيّدة لآراء السيّد محسن الأمين في رسالته «التنزيه»، طبعت سنة ١٩٩٦م في بيروت «دار الجديد»، ولم أتعرّف على مؤلفها – أو الذي أعدها – محمد القاسم الحسيني النجفي.

علماً بأنّ أكثر أبحاث هذه الرسالة ليس له علاقة بمتن «التنزيه»، بل هي تتحدث كثيراً عن مؤلفها السيد الأمين وما ورد في مدحه والثناء عليه.

ذكر مؤلّفها – محمّد القاسم – أولاً الحركات الأصلاحية عند الشيعة، خصوصاً حركة ابن إدريس الحلي وابن زهرة والسيد هبة الدين الشهرستاني، ثمّ وصف حركة السيّد الأمين الإصلاحية بـ«الحركة الاصلاحية العالمية الكبرى»، وأشار إلى مبدئها وتطوّرها، ومن وقف معها من العلماء والمثقفين والصحفيين والشعراء بشكل مختصر.

ثمّ أورد النصّ الكامل لهذه الرسالة، معتمداً الطبعة الثانية المحرّفة لها، لذلك نحن لم نورد هذا النص هنا، اكتفاءً بالنص الكامل الصحيح الذي طبعناه ضمن هذه المجموعة.

ثمّ أفرد بحثاً بعنوان «مواقف من الرسالة» ذكر فيه مقالات بعض الصحف،

وبعض الأبيات الشعرية المتعلّقة بهذا الموضوع.

وختم رسالته بفصل «آراء في السيّد محسن الأمين» أورد فيه ما قاله بعض المؤيّدين له مثل: الأستاذ جعفر الخليلي، والدكتور حكمت هاشم، والدكتور محمّد سعيد الوحيل، والدكتور وجيه بيضون، ومقالة لمجلّة العرفان.

ونحن إنّما قمنا بإيراد هذه الرسالة في آخر هذه المجموعة، وفاءً بعهدنا بإيراد كلّ ما يتعلق برسالة التنزيه من رسائل مؤيدة ومعارضة لها، على الرغم من أنّ كلّ ما ورد فيها لا يمثّل رأينا، وقد وضعنا متن الرسالة وهامشها كما وجدناه في طبعتها الأولى ولم نجرِ عليه أيّ تغيير.

ختاماً:

أحمد اللّه وأشكره أن وفّقني لجمع هذه الرسائل وتحقيقها والتعليق عليها، وأقدّم شكري وتقديري لكل مَن ساعدني في العثور على نسخ هذه المجموعة وتصحيحها، والحمد للّه أولاً وآخراً.

محمّد الحسّون

الأوّل من شهر رمضان ١٤٣١هـ

البريد الإلكتروني: muhammad@aqaed.com

الصفحة على الإنترنيت: www.aqaed.com/Muhammad

(٢) جريدة الأوقات العراقية

العدد ١٦٦١ الصادر في البصرة

في الأوّل من شهر محرّم سنة ١٣٤٥هـ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

بما أنّنا لم نعثر على هذه الجريدة، حتّى ننقل نصّ المقال الوارد فيها، الصادر في الأولّ من شهر محرم سنة ١٣٤٥هـ ، في عددها ١٦٦١ ، لذلك نقلنا هنا ما عثرنا عليه من بعض فقراتها التي أوردها الشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت١٣٧٦ هـ) في رسالته «كلمة حول التذكار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)، وهي أربع عبارات فقط، آملين مستقبلاً أن يوفقّنا البارئ عزّ وجلّ للوقوف عليها.

العبارة الأولى

قال الشيخ محمّد جواد الحجّامي: قالت الجريدة –ولا أنقل إلا ّعنها،ولا أنتقد إلا عّليها، حيث لا يهمنيّ من قال،وانما يّهمني ّ المقال – بعد أن ذكرت اعتياد الجعفريين في هذه الأيام – أي في العشرة الأولى من محرّم الحرام – على إقامة المآتم والتعازي، وتنظيم المواكب المختلفة للشوارع، حاملة للأعلام والمشاعل ليلاً، وتدفقّ الجماهير عواة الصدور، حاسرة الرؤوس، تندب ابن بنت رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم:

«وقد شعر أصحاب السيادة، حضرات العلماء الأعلام حفظهم اللّه تعالى، بهذه الحقيقة، وأدركوا بثاقب بصرهم، وما وهبهم اللّه من عقل راجح غزير، ما لهذه الأعمال من التأثير السيّئ في سمعة الإسلام في العالم، وفي نظر الأجانب، فقاموا يستنكرون إتيانها وينهون عنها» [1] .

1- كلمة حول التذكار الحسيني المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١: ٢٧٢.

العبارة الثانية

وقال أيضاً: وإن قالت الجريدة: مرادي الثاني – أي المواكب المنظمّة، الحاملة للأعلام والمشاعل –زد على ذلك التمثيل والتشبيه، المعبّر عنه بلسان العامة بـ«السبايا» و«الشبيه»، فإنّ الجريدة وإن أغفلت ذكر تلك الزيادة أوّلاً، وتعرضّتها أخرا عًند نقلها تحريم المحرّم، حيث قالت:

«فإنّه [1] حفظه اللّه لم يكتف بتقبيح إقامة السبايا في الشوارع وتنظيم المواكب، بل حرمّها تحريما ًباتا» [2] .

1 - أي السيّد مهدي الموسوي القزويني البصري ت١٣٥٨ ه، صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٧٧.
2- كلمة حول التذكار الحسيني المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١: ٢٧٦.

العبرة الثالثة

وقال أيضاً: ثمّ إنّ الجريدة بعدما خلطت الحابل بالنابل[1]، ونقضت ما أبرمت[2] وحرّمت ما حلّله الشرع ورجّحه اجتهاداً في مقابلة النصّ، دخلت المسألة في صورة سياسية، وتَحككت[3] تحكّك العقرب بالأفعى، فكانت كالساعي إلى حتفه بظلفه[4] فقالت – بعد أن ذكرت أنّ أمنيتها الوحيدة هي إعلاء كلمة الإسلام، وإزالة التعصّب المذهبي – :

«إنّ هذه المواكب هي عامل من عوامل التفرقة، ورمز يشير إليها»[5].

---

1 - الحابلُ: الذي يَنصب الحِبَالَةَ للصيد، وفي المثل «اختلَطَ الحابُل بالنابلِ»، ويقال: الحابِلُ: السَدَى في هذا الموضوع، والنابلُ: اللُحَمةُ. الصحاح ٤: ١٦٦٥ «حبل».

2- أبرَمتُ الشيءَ: أي أحكمتُهُ. الصحاح ٥: ١٨٧ «برم».

3- فلا يَتَحَكَّكُ بي، أي يتمرّس ويتعرّض لشرّي. الصحاح ٤: ١٥٨٠ «حكك».

4- ذهب دمه ظَلَفاً وظَلْفَاً: أي هدراً، ويقال: ذهب ظَلِيفاً: أي مجاناً، أخذه بغير ثمن. الصحاح ٤: ١٣٩٨ «ظلف».

5- كلمة حول التذكار الحسيني المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١:٢٧٩.
وهذه العبارة بعينها نقلها عن الجريدة المذكورة الشيخ إبراهيم المظفّر (ت١٣٨٨ه)، في رسالته «نصرة المظلوم» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ٤١٨.

العبرة الرابعة

وقال أيضاً: ثمّ إنّ الجريدة لم تقنع بذلك حتىّ زادت في الطين بلة، وفي الطنبور[1] نغمة، فقالت:

«إنّني استفظع هذه المواكب، كما استفظع أعمال الوهابيّين في الحجاز»[2].

1- الطُنْبُورُ: من آلات العزف، فارسي معرّب. الصحاح ٢: ٧٢٦ «طنبر».

2- كلمة حول التذكار الحسيني المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١: ٢٨١.

(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل

تأليف

السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني

(١٢٧٢ هـ . ١٣٥٨ هـ)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه ربّ العالمين، وصلى اللّه على محمد وعترته الطاهرين.

أمّا بعد، فقد قال اللّه سبحانه وتعالى في محُكم كتابه المجيد : ﴿ كُنتُمْ خَيرَ أُمَةٍ أُخرِجَتْ لِلنَاسِ تَأمِرونَ بِالمَعْرُوفِ وتَنهونَ عَنِ المُنكَرِ ﴾ [1].

وورد في السُنّة ما دلّ على وجوب إظهار العالم علمه عند ظهور المبتدعات، فمنَ لَمْ يفعل ذلك يكبه اللّه علّى منخريه في النار [2].

فبطاعة اللّه سبحانه، وطمعا في مثوباته، وهربا من العقوبة الفادحة [3] التي

1- آل عمران ٣: ١١٠.
2- روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن محمّد بن جمهور العمّي، يرفعه قال: قال رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم: «إذا ظهرت البدع في أُمّتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة اللّه» الكافي: ١: ٤٤، حديث ٢ باب البدع والرأي والمقائيس.
ورواه أحمد بن محمّد بن خالد البرقي في المحاسن: ٢٣١ حديث ١٧٦ أيضاً بسنده عن محمّد بن جمهور العمّي يرفعه إلى رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم.
وأخرجه عنهما الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ١٦: ٢٦٩ حديث ١ باب ٤٠ من أبواب الأمر والنهي من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
ولمزيد من الاطلاع انظر: وسائل الشيعة ١٦: ٢٦٩ ـ ٢٧٢ باب ٤٠ من أبواب الأمر والنهي.
3- أي الثقيلة الباهضة الصحاح ١: ٣٩٠ «فدح».

يُعاقب بها كاتم العلم، ما زلتُ بحمد اللّه سبحانه وحسنُ توفيقه صادحا [1] منذ دخولي البصرة من شهر شعبان [2] إلى اليوم [3] في الناس بالنهي لهم عمّا قد تعوّدوه من الإتيان بضروب المحرّمات والمنكرات والسخافات [4] والحماقات [5] وجعلهم إياها من جملة الديانات الشرعيّة، خصوصا مسألة التشبيهات [6] التي يُمثّلونها في عاشوراء، فصرت مُنوّها برفضها ومصرّحا بما فيها من التحريم؛ لأنّي أراها مُجلبة لسخرية الملل الخارجة، وداعيا من دواعي الاستهزاء.

فحرّمتها علنا، مناديا بذلك بين الخلق، هاديا لهم إلى سبيل الحقّ والرشاد، ومقدسًا للدينّ القويم عما جعله منه جماعة الجاهلين.

ولمّا علمَ بتحريمي لذلك أرباب العقول السليمة والآراء النيرّة وأصحاب الحجا [7] والمعرفة، طفقوا يشكرون لي على تنزيهي للدِّين الشريف عن سخافات الجهلة، حتىّ لقد جرت بيني وبين بعض من جاءني محادثة في هذه وغيرها من

1- في الصحاح ١ : ٣٨١ «صدح» : صدح الديك والغراب صدحا : أي صاح.
2- في سنة ١٣٤٣ هـ وهي السنة التي ترك فيها دولة الكويت واستقر في مدينة البصرة، كما ورد ذلك في ترجمته في بعض المصادر.
3- أي في سنة ١٣٤٥ هـ وهو تأريخ تأليفه لهذه الرسالة.
4- السخف : رقّة العقل، وقد سخف الرجل سخافةً فهو سخيف. الصحاح ٤ : ١٣٧٢ «سخف».
5- الحمق : قلّة العقل، وقد حمق الرجل حماقةً فهو أحمق. الصحاح ٤ : ١٤٦٤ «حمق».
6 - يُسمّى في اللغة العاميّة في العراق «السبايا» و«الشبيه» و«الدائرة»، وكانت تُقام في عدّة أماكن في العراق منها الكوفة والحيرة، وهي عبارة عن تمثيل الأحداث المأساوية التي جرت يوم عاشوراء على الإمام الحسين عليهالسلام وأهل بيته وأصحابه الشهداء.
7- الحجا: العقل. الصحاح ٦ : ٢٣٠٩ «حجا».

الديانات وغير الديانات، وبعد أيام نشرها على صفحات الأوقات العراقيّة [1] ، وقد

1 - المقالة كانت بعنوان «يوم عاشوراء»، وقد نُشرت في العدد ١٦٦١ من هذه الجريدة التي كانت تصدر في مدينة البصرة في العراق. انظر الصفحة ٣ من رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمد جواد الحجّامي المطبوعة ضمن هذه المجموعة.
وعن هذه الجريدة ـ الأوقات العراقيّة ـ يقول السيّد عبدالرزاق الحسني (ت١٤١٨ هـ) في كتابه «تاريخ الصحافة العراقيّة» : ٧٤ ـ ٧٥ تحت عنوان : الجرائد التي صدرت بعد الاحتلال البريطاني للبصرة وكانت سياسيّة:
«الأوقات البصريّة» : لمّا احتلّ الجيش البريطاني البصرة في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٤ م وضع يده على ثلاث مطابع للأهالي فيها، مضافا إلى مطبعة الولاية التي صادرها وأخذ يطبع فيها نشرة يوميّة باللغتين ا لعربية والإنكليزية عن سير القتال في الشرق والغرب. وقد تطوّرت هذه النشرة إلى جريدة يومية سياسية أدبية مصوّرة، يحرّر فيها «جون فلبي» وغيره من مروّجي السياسة البريطانية.
ولمّا شعرت الحكومة المحتلّة بضرورة وجود جريدة ثانية تعبّر عن سياستها وتهيء الرأي العامّ في البلاد إلى الأحداث المقبلة، أوعزت إلى «سليمان بك الزهير» ـ أحد سراة البصرة ـ أن ينشئ جريدة باسمه لهذا الغرض، فصدرت جريدة «الأوقات البصريّة» من أول عام ١٩١٥ م بأربع لغات وهي : العربية، والإنكليزية، والفارسية، والتركية، ولبثت تصدر بانتظام خمس سنوات كاملات، حيث حلّ محلّها جريدة «أوقات ما بين النهرين» باللغة الإنكليزية في أواسط عام ١٩٢١ م أوّل مايس، إذ لم تبق ضرورة لبقاء الجريدة الأولى.
وكانت الجريدة يومية سياسية استبدلت اسمها باسم «الأوقات العراقية» ونقلت إدارتها من البصرة إلى بغداد لتحلّ محلّ جريدة «الأوقات البغدادية» التي عطّلتها الحكومة».
ويقول عن «الأوقات العراقية» منير بكر التكريتي في كتابه «الصحافة العراقية» : ٦٨ بعد نقله لكلام السيّد الحسني المتقدّم : «وكانت خير أداة للإعلان عن سياستهم، وقد لعب المستر «جون فلبي» ـ السياسي الإنكليزي المعروف ـ دورا هاماً في تحريرها».
ويقول أيضاً في الصفحة ١١٣ من هذا الكتاب: «حرّر فيها السياسي المعروف المستر «جون فلبي»، ولها سياسة معروفة، فهي خادمة لأغراض السلطات البريطانية ومروّجة لسياسة الحلفاء، وقد استمرت في الصدور إلى احتلال بغداد في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧ م وانتقال حكومة الاحتلال إليها، إذ ذاك أُعطيت بطريقة الالتزام إلى أحد وجوه البصرة السيد سليمان الزهير، وقد استقدم لها محرّرا من مصر هو «عطا عوام» زميل «توفيق حبيب» المعروف بالصحافي العجوز.
فالمتصفّح لأعدادها يجد أنباء العالم والبلاغات الحربيّة تحتلّ معظمها، فهي أشبه ما تكون بنشرة حربية لخدمة مصالح الإنكليز والترويج لسياستهم وحلفائهم.
أمّا المقالات الثقافية فتكاد تكون قليلة جدّا بالقياس إلى الموضوعات الأخرى، وحتّى هذه الموضوعات القليلة لا تخلو بين ثناياها من مدح الإنكليز وذمّ العثمانيين».
ويقول رجب بركات في كتابه «من صحافة الخليج العربي» : ٧٦ ـ ٧٧ : «خلال فترة الإصدار الأول استخدمت حكومة الاحتلال لتحرير الجريدة من غير العراقيين كلاًّ من : محمّد شوقي، وعبدالحميد مرعي. وأمّا العراقيون الذين حرّروا في «الأوقات البصريّة» فكان منهم : الأستاذ شاكر نعمة، والمرحوم الأديب الشاعر هادي الدفتر. ومن كتّابها أيضاً المرحوم سليمان فيضي المحامي، وعبدالوهاب الطباطبائي».

تعرّض لأكثر ما جرت فيه المفاوضة باختصار، وكان من جملة ما تعرّض إليه هذه المسألة : «التشبيهات والمواكب العاشورية»، ولو كنتُ عالما بأنّه سيتعرّض لها في الجريدة لحظرت عليه ذلك؛ إذ لا دخل لغير العلماء فيها.

ولمّا كان بيانه لها باختصار [1] ، فأجملَ فيها بعضَ التي لصاحب الغرض

1 - إذ قال فيها: «وقد شعر أصحاب السيادة حضرات العلماء الأعلام حفظهم اللّه تعالى بهذه الحقيقة، وأدركوا بثاقب بصرهم وما وهبهم اللّه من عقل راجح وعلم غزير ما لهذه الأعمال من التأثير السيّئ في سمعة الإسلام في العالم، وفي نظر الأجانب، فقاموا يستنكرون إتيانها وينهون عنها». انظر رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» المطبوعة ضمن هذه المجموعة: ٤.

حملها على حسب غرضه، قامت قيامة بعض الجهلة بالشناعة [1] في محافلهم، ينادون بأنّا قد حرّمنا التعزية بتاتا، وبعضهم ينادي بأنّ مجالس التعزية والمآتم ستُسد في العام المقبل، وصاروا يتقولّون علينا بالبهتان [2] وقد حصل لهم مَن ساعدهم على هذا من الّذين هم من غير صنفهم!!! وصار لهم زفير وشهيق [3] و و و... .

ولكنّي لا تضرّني زعقاتهم [4] ،ولا يقلقني اصطخابهم [5] بتشنيعهم عليَّ بالبهتان البيّن، وهم وغيرهم يعلمون بأنّ ما أعلنت حرمته قد وصل خبره إلى العتبات المقدّسة، فأمضى تحريمي له سيدّ مشاهير مجتهدي العصر وعمدة مشيدّي دين سلفه الصالحين، متّعنا اللّه بطول بقائه، فلم أرَ منه رأيا مخالفا لما حرمّته البتة [6] ، وستعرف حقيقة الحال عن قريب، فأيّ فائدة يا ترى في رعد وبرق المفترين، ورتق وفتق [7] المغرضين؟!

1- الشناعة: الفظاعة، قد شَنُعَ الشيء يَشْنُعُ فهو شنيع وأشنع والاسم الشُنعة. الصحاح ٣:١٢٣٩ «شنع».
2- أي كذبوا علينا ونسبوا لنا ما لم نقله. وفي الصحاح ج ١ : ٢٤٤ «بهت» : بَهَتَهُ بَهْتا وبَهَتا وبُهتانا فهو بَهَّات: أي قال عليه ما لم يفعله.
3- الزفير : أوّل صوت الحمار، والشهيق : آخره؛ لأنّ الزفير إدخال النَفَس، والشهيق : إخراجه. الصحاح ٢ : ٦٧٠ «زفر».
4- الزعقُ : الصياح، وقد زعِقتُ به زعقا. الصحاح ٤ : ١٤٩٠ «زعق».
5- الصَخَبُ : الصياح والجَلَبةُ. الصحاح ١ : ١٦٢ «صخب».
6- هو المرجع الديني الكبير آية اللّه العظمى السيّد أبو الحسن الأصفهاني ت ١٣٦٥ هـ.
7- فتقتُ الشيء فتَقا : شققته. والرَتْقُ : ضدّ الفتق، وقد رتقت الفتق أرتقته فارتتق : أي التأم. الصحاح ٤ : ١٤٨٠ «رتق» و ١٥٣٩ «فتق».

ونحن نسأل اللّه سبحانه وتعالى التفضّل على المفتين بالتوفيق للتوبة، ولمتابعة دينه القويم جميعه، آمين ربّ العالمين.

ولقد طلبَ إليَّ بعضُ المؤمنين كتابة شيء مختصر جلي[1] في الباب، يتحقّق به فصل الخطاب، ويحتوي بحججه الدامغة المفتري المرتاب، فأجبته إلى ما طلب ؛

تنزيها للدّين عن السخافات، وقمعا لمن جعل شعاره المفتريات، وقد سمّيته «صولة[2] الحق على جولة[3] الباطل» .

فأقول : يا ذوي المعرفة والبصيرة، وأهل الشرف والشهامة والغيرة، مَن منكم يرضى بأن تشُبهّ محجباتّه . كأمهُ وبنته وخالته وزوجته وغيرهنّ من نسوته . بالنسوة غير المحجّبات اللائي لا شرف لهن ولا حيثية[4] تحوطهن؟ فيُجعلن على الجمال في المحامل[5] وغيرها، ويشهرنَ بين الفسقة وغيرهم من الملل

1- الجليّ : نقيض الخفيّ. الصحاح ٦ : ٢٣٠٣ «جلا».
2- صال عليه: وثبَ، صولاً وصولةً، والمصاولة : المواثبة. الصحاح ٥ : ١٧٤٦ «صول».
3- التجوال : التطواف. وجال ويجول وجولانا. الصحاح ٤ : ١٦٦٢ ـ ١٦٦٣ «جول».
4- أي لا قيمة لهنّ ولا اعتبار بين الناس.
5 - المحامل، جمع مِحْمَل : وهو الذي يُركب عليه، قال ابن سيدة : المِحْمل شِقّان على البعير يُحمل فيهما العديلان. لسان العرب ١١ : ١٧٨ «حمل».

الخرجة، وقد ضُربت الطبول[1] والطوس[2]، وصدحت[3] الأبواق[4] أمامهنّ وخلفهنّ، والخلق حولهنّ من كل صّنف وشاكلة، ما بين وقوف وجلوس، يتوّجون عليهنّ: بعض بالاستهزاء، وبعض بالشماتة[5] وآخر راث[6] لهذه الهيئة. وهنّ يُسار بهنّ في الطرق والأزقة على هذه الهيئة الشنيعة[7] البشعة، والناس يشيرون إليهنّ بأيديهم، ويسموّنهنّ بأسمائهن، وقد سخر الآخرون من هذه الحماقات، فتواهم

1- الطبول، جمع طَبْل: وهو اسم يشمل الطبول المحرّمة وغيرها؛ إذ ليس كافّة الطبول محرّمة في الشريعة، والمحّرم منها ما يستعمله المخنّثون وأهل اللهو والطرب، وهو الذي يُسمى باللغة «كُوبة».
قال الجوهري في الصحاح ١ : ٢١٥ «كوبه» : الكُوبة : الطبل الصغير المُخَصّر.
وانظر المصباح المنير : ٥٤٣، والقاموس المحيط ١ : ١٣١ «كوبة».
2- الطوس، كلمة عراقيّة، وهي الصَّنْجُ، وجمعها صُنُوج، وهو اسم يشمل الصنوج المحرّمة وغيرها.
قال الجوهري في الصحاح ١ : ٣٢٥ «صنج» : الصّنج الذي تعرفه العرب : هو الذي يُتّخذ من صُفرٍ، يُضرب أحدهما بالآخر، وأمّا الصّنج ذو الأوتار فيختصّ به العجم، وهما معرّبان.
وانظر القاموس المحيط ١ : ٢٠٤ ومجمع البحرين ٢ : ٣٠٣ «صنج».
3- في الصحاح : ١ : ٣٨١ «صدح» : صدح الديك والغراب صدحا : أي صاح.
4 - الأبواق، جمع بوق : وهو الآلة المستعملة في المواكب العزائيّة، ويُسمّى بلسان العامة في عرف العراقيين «البوري» أو «البرزان»، وهو غير المزمار المنهيّ عنه.
5- الشَماتَةُ : الفرح بِبَليَّةِ العدوّ، يقال : شَمِتَ به يَشْمَتُ شماتَةً. الصحاح ١ : ٢٥٥ «شمت».
6 - أي متألّم، يبكي على ما وصل إليه بعض الناس في أساليب التعزية من طرق غير صحيحة. وفي الصحاح ٦ : ٢٢٥٢ «رثي»: ورثيت

الميّت مرتيّةً : إذا بكيته.
7- الشناعة : الفظاعة. وقد شَنُعَ الشيء فهو شنيع وأشنع، والاسم الشُنعة. الصحاح ٣:١٢٣٩ «شنع».

يزدرون[1] طورا، وطورا يضحكون من سخافات المسلمين التي ليست من الإسلام في شيء، وما يدرون بأنّ هذه المضحكات من مبتدعات الطَغَام[2] غير الملتزمين بدين المسلمين، المنزّه عن مثل هذه المنكرات، التي تنفر منها القلوب، وتشمئز[3] منها النفوس.

فأيّ عاقل يرضى بهذه السيرة السخيفة الفظيعة في حقّ محارمه، بل لن يرضى ولو بدون هذه الهيئة في حقهنّ.

ونحن نقول لمن جعل هذه الهيئات دينا للّه يعبده بها : تجعل نسوة الناس غير المحجّبات شبيهات لبنات الرسول صلّى اللهّ وسلّم عليه .وعلى عترته .وقرّة عين البتول، ولم تجعل محجبّاتك شبيهات بهن؟ فإن كان التشبه ّعلى هذه الهيئة المعلومة دينا حسنا عندك، فاختر الدّين الحسن لنفسك، فما وجه جعله لغيرك؟!

فهل الدّين عندك ملعبة تلعب بها؟!

وهل عيالك في النجابة والشرف والحذر مثل بنات البضعة البتول؟! حاشا للّه حاشا!

فإن كُنتَ صادقا في محبة أهل البيت، فما بالك لا تشهر بناتك أو غيرهن مّن عائلتك ومحجباتك بهن، فتخرجهن علّى هذه الهيئة الشنيعة؟! ومن المحال صدور ذلك منك، ومن هنا إنّك تلعب بالدّين، نسأل اللهّ التفضلّ عليك برفض هذه الديانة الخبيثة، والرجوع إلى ديانة الحقّ الشريفة.

1- ازْدَرَيْتُهُ : أي حَقَرته. الصحاح ٦ : ٢٣٦٨ «زري».
2- الطَغَامُ : أوغاد الناس. الصحاح ٥ : ١٩٧٥ «طغم».
3- اشْمَأَزَّ الرجل اشمِئزَازا : انقبض، وقال أبو زيد : ذُعر من الشيء وهو المذعور الصحاح ٣ : ٨٨١ «شمز».

فيا أيّها المبُتدع في الدينّ هذه السخافات، المحفوفة بجملة من المحرمات، لم لِمَ تسَأل من تعتمد عليه وتركن في دينك إليه، عن هذه الهيئات السخيفة الموجبة للسخرية بالشريعة الشريفة،زاعمين بأنّها عند المسلمين من أجزاء الديانة؟ فليت شعري هل ورد عن الرسول وآله ولو خبر ضعيف في شرعيّتها، حتىّ تصولبه على المتشرّعين؟

أما علمتَ أنّ متابعة الهوى وخيمة العاقبة؟!

إذا فما هذه الحماقة تتظاهر بها بين الخلق، هاتكا عقائل الرسالة ومحجّبات النبوّة، وتسُميّ ذلك تغزية؟!

أما دريتَ معنى التغزية المندوب إليها المثاب عليها ما هي؟

بلى واللّه العظيم لقد عرفتَ ذلك حق ّالمعرفة، ولكن قد حالت متابعة الهوى والشيطان بينك وبين الحقائق، واللهّ جل ذكره يقول : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ** ﴾[1].

فالنصيحة النصيحة في رفض هذه الخرافات الموجبة لسخرية الملل الخارجة بشريعة خير البريّات، وفي لزوم طريقة عباد اللّه المتقّين في مسائل

التعزية لسيّد المرسلين وعترته الطاهرين صلّى اللّه عليه وعلى عترته، فإن في الهوي عليها شرف الدينّ والدنيا.

فإن لم تكن متّقيا، فتابعهم على هذه الطاعة العظيمة، وحسبك في رفعة مقامها ما نقله إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل في كتاب المناقب[2] في فضلها

1- الجاثية ٤٥: ٢٣.
2- وهو كتاب «فضائل الصحابة» الذي يعبّر عنه كثيرا بـ«المناقب».

مرفوعا: ﴿ **من بكى علينا ففرجت من عينه دمعةٌ أو قطرت قطرة يؤته اللّه الجنةّ**﴾[1] ، نقله عنه حافظهم الجليل السيّد علي في كتابه مودّة القُربى[2] .

ومن طُرق الشيعة بمعناه كثير[3] .

1- فضائل الصحابة ٢ : ٦٧٥ ـ ٦٧٦ حديث ١١٥٤ وفيه : عن الربيع بن منذر عن أبيه قال : كان حسين بن علي يقول : «من دمعتا - كذا - عيناه دمعة أو قطرت عيناه فينا قطرة أثواه اللّه عزّوجلّ الجنة».
وحكاه عن ابن حنبل في المناقب أيضاً : أحمد بن محمّد الطبري المكي ت ٦٩٤ ه في كتابه ذخائر العقبى في مناقب القربى : ٥٢ الباب الخامس : «في فضل أهل البيت عليهمالسلام» فصل «ذكر ما لمن توجَّع لهم». وفيه «دمعت» بدل «دمعتا» و «آتاه» بدل «أثواه».
2 - كتاب «المودة في القربى» للسيّد علي بن شهاب الدين الهمداني ت٧٨٦ هـ من مشاهير علماء السنّة وعرفائهم، ومن فقهاء الحنفيّة، ويُعدُّ من رواة حديث الثقلين بصيغته «كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي»، وحديث السفنية : «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق» وغيرها من الأحاديث المتعلّقة بأهل البيت عليهمالسلام. له ترجمة في نفحات الأنس في حضرات القدس للجامي : ٤٤٧، ونزهة الخواطر ٢ : ٨٧، وذكره المحقّق الطباطبائي في «أهل البيت في المكتبة العربية: ٦٣٥ـ٦٣٦.
3- منها ما رواه الشيخ الطوسي في أماليه : ١٩٤ حديث ٣٣٠ بسنده عن محمّد بن أبي عمارة الكوفي، قال: سمعت جعفر بن محمّد عليهماالسلام يقول : «من دمعت عينه دمعة لدم سُفك لنا أو حقّ لنا أُنقصناه، أو عرض انتُهك لنا أو لأحدٍ من شيعتنا بوّأه اللّه تعالى بها الجنّة حقبا».
وفيه أيضاً في الصفحة ١١٦ ـ ١١٧ حديث ١٨١ روى بسنده عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، عن الحسين بن علي عليهماالسلام قال : «ما من عبدٍ قطرت عيناه فينا قطرة أو دمعت عيناه فينا دمعة إلاّ بوّأه اللّه بها الجنّة حقبا».
ولمزيد الاطلاع انظر بحار الأنوار ٤٤ : ٢٧٨ باب «ثواب البكاء على مصيبته ومصائب سائر الأئمة».

فإن كُنتَ مسلما، وجبت عليك محافظة هذا الأثر بأعظم توقير وتبجيل لمقام شرف محجبّات الرسالة بالصون، حتىّ بمجرد تشبيه غيرهنّ من أجلّ المحجبّات النجيبات بهن.

حسب الدهر صدمةً عظيمة مدهشةً، وطامة مفجعة موحشة، ومصيبة هائلة تتضاءل دونها المصائب وتضمحل إزائها الرزايا، ما فعله يزيد وشيعته بعقائل النبوّة ومحجبّات الرسالة، فما بالك في كل سّنة على ما فعلوه تزيد؟! دعهم منفودين بالغوي الذي سوّد وجوههم في الدنيا والعقبى.

فما وجه تكويرك ما فعلوه وما لم يفعلوه كلّ عام، حتىّ توجب سخرية ذوي العقول والأوغاد[1] الطغام[2] بدين المسلمين بما يشاهدون من السخافات، التي قد جعلتها من أعظم الطاعات المترتّب عليها ما ليس يعلمه غير اللّه من جليل الثواب؟!

وفّقنا سبحانه وسائر المؤمنين للقيام بوظائف الطاعات، ورفض المحرّمات عن شريعة سيدّ الكائنات.

وأمّا مسألَة لطم الصدور، فما حرّمته وما منعته، بل الذي ناديت عُلنا في ذلك بين الناس على المنبر وغيره، بأن يصير ذلك في المآتم، وذلك لِما بلغني من ترتّب بعض المحرّمات على خروجهم، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما

1- الوَغْدُ : الرجل الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه. الصحاح ٢ : ٥٥٢ «وغد».
2- الطَّغَامُ : أوغاد الناس. الصحاح ٥ : ١٩٧٥ «طغم».

يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل، إلى غير ذلك، فكأنّما بعضهم يلطم على آل الرسول، وبعضهم يلطم على يزيد وشيعته ويحارب بعضهم بعضا.

نحن نأسف ونحزن إلى الغاية على مَن يتعب نفسه باللطم لغير اللّه سبحانه وتعالى، فإنّه لو كان لله لما حصل ما ذكرت، نسأله سبحانه التوفيق لفعل طاعاته على وجهها.

ناهيك بما يصدر من جدال وضرب وتقاتل بين أهل اللطم وغيرهم من جهلة فوق سائر المسلمين، فتكثر القتلى والجرحى من الفريقين، وجميعها ناشئة عن سخافة العقل وشدّة الجهل، ولقد صدر الكثير من هذه الفتن، وحتّى في العام الماضي [1] صدر شيء منها في بغداد، فقُتل من قتُل حبُس من حبُس.

فاللطم إذا في المآتم لن يترتّب عليه شيء من هذه، والشريعة المقدّسة والعقل السليم قاضيان بأنّ اللطم محله المآتم دون الطرقات؛ هربا ممّا بيّناه، فعلى المتدينين طاعة الشريعة والتمسك بقولها؛ دفعا للفتن وصيانة للنفوس.

نعم، إنّ ذوي الحجا وأهل التقوى والمعرفة، ليس في لطمهم في الطرق محذور البتّة؛ إذ هم يخرجون على حالة خاشعة وهيئة مُفجعة تحزن الناظر

وتجري دموعه، فياليت أنّ جميع أهل اللطم يكونون بهذه الهيئة المرضيّة عند اللهّ ورسوله وسائر ذوي العقول، وما نوري ما الضرر الذي يحصل إلى عموم أهل اللطم لو يسيرون بهذه السيرة الحسنة، الفاقدة للمحرّمات، المأمونة من ترتّب شيء

1- أي في سنة ١٣٤٤ هـ ؛ لأنّ تأريخ تأليفه لهذه الرسالة وطبعها ونشرها هو سنة ١٣٤٥هـ .

من الفتن والمفاسد؟!

فنسأل اللّه سبحانه التفضّل عليهم برفض ما قد تعوّدوه في اللطم من المحرمات، وسيرهم على الهيئات المنكرة من الوثبات [1] والرقعات [2] الوحشيّة.

وأمّا الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحرّم؛ لما شاهدناه وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كل سنة؛ لكثرة ترف الدم.

ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجيّ وحشيّ، مثل الضرب بسلسلة من الحديد، ولم يرد دليل شرعي على

تجوزها، وما من سورة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال وحشيّة، ما فيها من ثورة في التعزية. ولو صُرف المال الذي يُصرف في جهتها في المآتم الموجودة، أو بزيادة مأتم أو مأتمين على ما هو موجود لكان أجود.

وقبل مضيي إلى الكويت كان أهلها يخرجون الشبيه على التفصيل الذي سبق، فلمّا علمت بذلك منعتهم منه، فأطاعوني، وذلك في سنة الثلاثين [3] ، فصاروا يلطمون في المآتم ولا يخرجون، وبذلك قُطع دابر ما ربما ينجم من المحرّمات والفتن.

ومن المعلوم أنّ الذي جرى على سيّد الشهداء من الصدمات المفجعة والمصائب المدهشة، إنّما صدر من جهة قيامه بتشييد الدّين وترويجه له؛ لأنّه سلام اللهّ عليه قد تحمّل من البليات ما لم يتحملها غيره.

1- الوثبات، جمع الوثبة : وهي الطفرة، ووثب وثبا ووثوبا ووثبانا : طفرَ الصحاح ١: ٢٣١ «وثب».
2- الزعقُ : الصياح، وقد زعقتُ به زعقا. الصحاح ٤ : ١٤٩٠ «زعق».
3- أي سنة ١٣٣٠ هـ .

إذن ينبغي على أهل الدّين ذِكرْ صنيعه الحِسن على المنابر وغيرها، وبيان ما صدر عليه إلى يوم القيامة؛ ليكون سلام الله عليه قوة لكلّ من أراد أن ينحو هذا النحو، فلذا نحن لا نستحسن غير تشييد المآتم وانعقاد المحافل تشهوا بجهاد الحسين عليهالسلام.

ونحن نحمدُ اللهّ سبحانه على ما نرى من ضيق المآتم في هذه السنة بالمستمعين، وحصول المقصود منها للباني [1] والقارىء، ممّا سينالون من الثواب العظيم بخدمتهم وبذلهم وبكائهم على آل الرسول صلىاللهعليهوآلهوسلم وقد نقل لي أنّه لم تكن تحصل في المآتم هذه الهيئة في اليوم العاشر الذي الناس يخرجون إلى النظر وراء المواكب السائرة في الطرقات.

فنسأل اللّه سبحانه التوسعة على من رفضها ولم يفعلها طاعة للّه سبحانه في تعظيمه سامي مقام شرف عقائل الرسالة، وفي تنزيهه للشريعة المقدّسة عن هذه السخافات، ونطلب من اللّه جلّ وعلا تسديد عموم من تعودّوا على فعلها .ولو في غير البصرة . إلى رفضها وتركها بتاتا.

والأولى أن تُصرف هذه المبالغ الطائلة في سبيل العلم والعرفان، وتمهدّ فيها الطرق لطلبة العلوم الدينيّة، فإنهمّ . على قلتهمّ في عصرنا . مشغولون في تحصيل معيشتهم؛ لعدم من يقوم بمصارفهم، فهم يضربون البرَّ والبحر في سبيل ذلك، فلذا لا يتسنّى لهم تحصيل العلوم.

أليس هذا خير من إنشاء السفاسف [2] وبناء هياكل السخرية؛ إذ به يتّسع نطاق المعارف، وتتوامى أطراف دائرة العلوم، فيكثر المتعلّمون، وينشأ المحققّون،

1- أي الذي تبنّى إقامة مجلس العزاء وتكلّف جميع مصاريفه.
2- السفساف : الردىء من كلّ شيء، والأمر الحقير. الصحاح ٤ : ١٣٧٥ «سفف».

فيرفعون منار الدّين، ويبرزون للملأ أسرار الشريعة المحمديّة المكنونة. فطوبى لباذلي أموالهم في هذا السبيل؛ لدخولهم في

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾[1].

ونحن نحذّرهم من الدخول في قوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[2].

ومن المعلوم أنّ المال عارية غير باق عند الخلق، فهو ينفد في حياتهم : إمّا بخسارة تجارة، أو سرقة، أو غرق، أو حريق، أو بغير ذلك. أو يبقى للورثة، وتبقى معه التبعة على جامعه، والمهنّأ لغيره.

فإن بذله جاء معه في سبيل اللّه، فقد فاز برضاة اللّه سبحانه وتعالى وعظيم مثوباته، ونجا من الكيّ في نار جهنمّ فنسأله تعالى أن يوفّق ذوي المال لتشييد الدّين وترويجه.

ونحن نُلفت أنظار ذوي الشعور إلى أن يميّزوا بين الضارّ والنافع، وأن يجتنبوا الرذائل كالتياترو[3] والسينما والقمار وغير ذلك من الملاهي، وأن يصرفوا ما يُصرف في هذه الطرق غير المشروعة والمعاقب عليها في ما هو مشروع

1- البقرة ٢ : ٢٦١.
2- التوبة ٩ : ٣٤ ـ ٣٥.
3 - كلمة فارسية، وأصلها «تئاتر»، وقد تلفظ «تياتر» : وهي محل إقامة التمثيليات المعبّر عنه بالعربية بـ «المسرح». انظر لغت نامه «دهخدا» ١٤ : ١١٧٤.

ومثاب عليه في النشأتين ممّا يرضي الربّ ويخلدّ الذكر الحسن.

فالمأمول من إخواننا المؤمنين، الذين قد غلبهم هوى النفس وهة من الزمان، فأدخلهم في بذل المال النفيس في المحرّمات، التوبة من ذلك، ومخالفة النفس، وصرف مثل ذلك المال في سبيل طاعة اللّه؛ ليحصل لهم الفوز بما ضمنه سبحانه في آية «سَبْعَ سَنابِلَ »[1].

وأمّا ما فعله الوهابيوّن . المستحلونّ دم ومال وعرض عامة مّن خالفهم من المسلمين . بقبور أهل البيت وخاتم الرسلُ صلىاللهعليهوآلهوسلم، في المدينة المنوّرة المقدّسة المعظمّة، وقبابها الشريفة المحترمة[2]، فهو في الفظاعة والشناعة والجرأة على التجسّر عليها، تالٍ لما فعله يزيد وشيعته لعنهم اللّه بسيدّ شباب أهل الجنةرّيحانة خير الرسل، وبأهل بيته صلىاللهعليهوآلهوسلم على جدّهم وعليهم وسلمّ، فإنهّا من أفاضل البيوت التي ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[3] حسْبمُا روى ما دلّ على ذلك مُحبّ الدينّ الطبري في الرياض النضرة[4].

وحديث مسلم في صحيحه[5].

1- البقرة ٢ : ٢٦١.
2- وهو ما جرى في الثامن من شوال سنة ١٣٤٤ هـ من هدم قبور الأئمة عليهمالسلام في البقيع إثر الفتوى التي أصدرها مجموعة من

علماء الوهابيين بعد السؤال الذي وجهه لهم الشيخ عبد اللّه بن بليهد.
3- النور ٢٤ : ٣٦.
4- الرياض النضرة ٣ : ١٥٢.
5- صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ حديث ٢٤٠٨ وفيه عن يزيد بن حيّان التيمي قال : انطلقت أنا
وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيدٍ خيرا كثيرا رأيت رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت معه، لقد رأيت يا زيد خيرا كثيرا، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم.
فقال : يا ابن أخي واللّه لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلمفما حدّثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفونيه.
ثمّ قال : قام رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم يوماً خطيبا فينا بماء يُدعى خّما بين مكّة والمدينة، فحمد اللّه وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثمّ قال:
«أمّا بعد يا أيها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي عزّوجلّ فأجيب، وأنّي تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب اللّه عزّوجلّ فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه تعالى واستمسكوا به».
فحثّ على كتاب اللّه ورغّب فيه: قال : «وأهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي اذكّركم اللّه في أهل بيتي، اذكّركم اللّه في أهل بيتي».
فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟
قال: إنّ نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.
قال: ومن هم؟
قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.
قال: كلّ هؤلاء حرم الصدقة؟
قال: نعم.
ورواه بهذا اللفظ أحمد بن حنبل في مسنده ٥ : ٤٩٢ ـ ٤٩٣ حديث ١٨٧٨٠.

وغيره من الصحاح المعتمدة[1] عن زيد بن أرقم قال : قال النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم: ﴿ **أنّي تارك فيكم الثقلين : أولهما كتاب اللّه فيه الهدى والنور . إلى قوله : وأهل بيتي، اذكّركم اللّه في أهل بيتي، اذكّركم اللّه في أهل بيتي، اذكّركم اللّه في أهل بيتي** ﴾ قالها ثلاثا.

1- وورد هذا الحديث في مجاميع حديثية كثيرة معتمدة عند أبناء السنّة. انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ٣: ٦٤٣.

والثقل : عبارة عن الشيء العظيم الذي ليس له نظير في الخطر[1].

نعلم من الخبر الشريف كون الكتاب المجيد وأهل البيت الذين قد قرنهم به، ليس لهما في عظم الخطر نظير في ما تركه في أُمّته بعده.

ومَن هذه حال رفعة قدرهم وعظم خطرهم، يجب على أُمّته تعظيمهم وتوقيرهم وتجليلهم، وحرمة المؤمن ميتاً مثل حرمته حيّا[2]، فكيف بحرمة من هذه عظمة خطرهم؟!

ولذلك ندب شرعا إلى زيارة قبور عموم المؤمنين، روى ما دلّ عليه إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل في مسنده في عدّة مقامات من طُرق عديدة[3].

1- قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ١ : ٢١٦ «ثقل» : فيه ـ أي في الحديث
- «إني تارك فيكم الثّقلين : كتاب اللّه وعترتي». سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل ويقال لكلّ خطر نفيس ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاما لقدرهما وتفخيماً لشأنهما.
2 - روى الشيخ الطوسي في التهذيب ١ : ٤٤٥ حديث١٤٤٠ بسنده عن الفضل بن يونس الكاتب عن أبي الحسن موسى الكاظم عليهالسلام أنه قال : «كان أبي يقول : إنّ حرمة المؤمن ميتا كحرمته حيّا.
وروى الشيخ الكليني في الكافي ٧ : ٢٢٨ حديث٣ باب حدّ النبّاش بسنده عن أبي جعفر عليهالسلامقال : «إنّ حرمة الميّت كحرمة الحيّ».
ورواه أيضاً الشيخ الصدوق في الفقيه ٤ : ٥٢ حديث ١٨٩ والشيخ الطوسي في التهذيب ١٠: ١١٦ حديث ٤٦١، والاستبصار ٤: ٢٤٦، حديث

.٩٣٠
3- مسند أحمد بن حنبل ٣ : ١٨٦ حديث بسنده عنه أبي هريرة قال : زار النبي صلىاللهعليهوآلهوسلمقبر أمّه فبكى وبكى من حوله... فزوروا القبور فإنّها تذكر الموت.
وفي الصفحة ٤٢٧ الحديث رقم ١٠٩٣٦ روى بسنده عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: قال رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم: «إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّ فيها عبرة».

وما وجهه سوى تعظيم شأن المؤمن، فزيارة مَن عرفتَ عظم خطرهم بطريق أولى، فما حال من خرّب بيوتهم التي هي من أفاضل البيوت التي أمر اللّه أن تُرفع ويذكر فيها اسمه [1].

وصاحب الجريدة [2] لم يلتفت إلى الحقيقة عند المفاوضة، فرسم في جريدته ما لم يتوقّب رسمه منه.

وأمّا مسألة وقعة نهر اليهودي، فقد بيّنها صاحب الجريدة على غير وجهها، فإنيّ قد قلت له صريحا بأنه في العام الماضي [3] قدرُمي المأتم بالحجارة، فأُخبر المختار بذلك فمنعهم.

وفي هذه السنة قدرُمي بالحجارة ثانيا، فاُخبر المختار بذلك فانكفّ الرمي به.

ثمّ صار البعض يجلسون في طريق المآتم يؤذون من يمضي إلى المآتم، فاُخبر المختار بحقيقة الحال، فأوعد بمنعهم عن الجلوس.

وبعد ذلك بلغنا الهجوم على المآتم، وجرى ما جرى من المضاربة.

والعاقل من هذه المقدّمات يلتفت إلى أنّ الهجوم على المآتم قد تسبّب عن عصبيةّ دينية، دون غيرها من الجهات، ولذلك خشيت الهيئة العلميّة ـ لمّا بلغها ذلك ـ من التعدّي إلى سائر المآتم، فيعظم الفساد ويختل نّظام الوفاق بين

1- إشارة الى الآية ٣٦ من سورة النور.
2- أي جريدة الأوقات العراقيّة التي كانت تصدر في مدينة البصرة في العراق.
3- أي في سنّة ١٣٤٤ هـ ، لأنّ تأريخ تأليف وطبع هذه الرسالة كانت سنة ١٣٤٥ هـ .

المسلمين، الذي يجب عليهم خاصّة وعلى كلّ مسلم المحافظة عليه بكل ّما يقدرون عليه.

ففي الفور مضت الهيئة العلميّة إلى سعادة المتصرّف وبينّت له الحال، وحذرتّه من وخامة المآل، فبعث ذلك الوقت من يخمد هذه النائرة على وجه يستحيل صدور مثلها، ثمّ جرى ما يلزم من التحقيقات في هذه القضيّة، وما يترتبّ عليها من المجازات، فشكرته الهيئة العلميّة على عظم همتّه، وودعّته وخرجت مسرورة منه.

فنسأله سبحانه التسديد لنا ولهم ولسائر عباده إلى ما يُحبّ ويرضى.

وكان الفراغ من تبييضها في ١٥ محرّم سنة ١٣٤٥ هـ .

(٤) المواكب الحسينيّة

تأليف

الشيخ عبد اللّه المامقاني

(١٢٩٠هـ - ١٣٥١هـ)

الصفحة 200

الصفحة 201

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وله الحمد، والصلاة والسلام - على أشرف الخلق محمّد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى يوم الدين.

السؤال: ما يقول مولانا حجّة الإسلام والمسلمين - أيّده اللّه في العالمين ودام ظلّه العالي - في المواكب المحزنة التي اعتاد الجعفريّون اتخاذها في العشر من المحرّم تمثيلا لفاجعة الطف، واعلاما بما انتهك فيها من حرمة الرسول صلىاللهعليهوآلهوسلم في عترته المجاهدين عليهمالسلام بالتمثيل للشهداء وجهادهم، وما جرى عليهم وعلى الأطفال من القتل والقسوة، بإعلانهم الحزن لذلك الفادح بكافّة أنواعه:

من ندب، ونداء، وعويل، وبكاء، وضرب بالأكفّ على الصدور، وبالحديد على الرؤوس والظهور، إلى غير ذلك مما هو معلوم ومشهور، منضمّاً إلى بروزهم بهيئاتهم المعروفة وحالاتهم الموصوفة، فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر أم لا؟ افتونا مأجورين، مع بيان المستند ؛ ليكون حجّة على من أنكر أو عاند؟

الجواب: قد سُئلتُ عن هذه قبل شهر تقريباً، فقلت في الجواب: لا ينبغي الشبهة في جواز الأمور المذكورة في السؤال، بل وإدماء الرأس بالسيف، بل لو أفتى فقيه متبحّر بوجوب ذلك كفاية في مثل هذه الأزمنة - التي صممّ جمع فيها

الصفحة 202

على إطفاء أنوار أهل البيت عليهم أفضل الصلوات والسلام - لم يمكن تخطئته.

نعم، يجتنب الرجل لبس لباس المرأة على وجه لا يتميّز عنها، وبالعكس على الأحوط، ومن ضرب آلات اللهو على الكيفيّة التي تضرب بها للّهو والطرب، لا على الكيفيّة المرسومة في الغناء الشائعة، واللّه العالم. انتهى.

وحيث إنّك الآن طلبت بيان المستند في ذلك، أقول مستمداً من ولي التوفيق:

إنّه قد تطابق العقل والشرع، ونطق الكتاب [1] والسنّة [2] من الفريقين بإباحة كلّما لم يدرك العقل فيه قبحاً ولا ضرراً، أو لم يرد فيه من المولى نهي ولا تحريم،

1- قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً». البقرة ٢ : ٢٩.

2 - من لا يحضره الفقيه ١ : ٣١٧ الحديث ٩٣٧ باب «استحباب البكاء من خشية اللّه»، وفيه: عن الصادق عليهالسلام أنّه قال: «كلّ شيء مطلق حتّى يرد فيه نهي».

وفيه أيضاً ٣: ٣٤١ الحديث ٤٢٠٨ : قال أبو عبد اللّه عليهالسلام: «كلّ شيء يكون فيه حلال وحرام فهو لك حلال أبداً حتّى تعرف الحرام منه بعينه فتدعه».

والسنن الكبرى للبيهقي ١٠: ١٢ باب «مالم يذكر تحريمه...» وفيه: عن سلمان الفارسي رضي اللّه عنه قال: سألنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن السمن والجبن والفراء، فقال: «الحلال ما أحلّ اللّه في كتابه، والحرام ما حرّم اللّه في كتابه، وما سكت عنه فهو عفو».

والفراء، قال القاري: بكسر الفاء والمدّ، جمع الفراء مدّاً وقصراً، وهو حمار الوحش وقيل: هو هاهنا جمع الفرو الذي يلبس، وشهد له صنيع بعض المحدثين كالترمذي فإنّه ذكره في باب لبس الفرو...» تحفة الأحوذي للمباركفوري ٥: ٣٢٤.

وفي السنن الكبرى أيضاً: عن أبي الدرداء رضي اللّه عنه، رفع الحديث قال: «ما أحلّ اللّه في كتابه فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما

سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من اللّه عافيته، فإنّ اللّه لم يكن نسياً، ثمّ تلا هذه الآية «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» مريم ١٩ : ٦٤ ».

بل على ذلك إجماع العقلاء وأهل الملل والأديان، ومن يظهر منه الخلاف بادئ بدئ فهو بعيد التأمّل، منازع في الصغرى أو مشكّك فيه، كما شرحناه سابقاً مستوفى في محله.

ومن البيّن عند كلّ محيط بالأخبار، متطلّع في كلمات فقهائنا الأخيار، عدم ورود آية، ولا رواية ولو ضعيفة أو مرسلة، بحرمة تشبيه شخص بشخص وإيجاد مثال قضيّة شخصيّة سيمّا إذا كان لغرض عقلائي.

وهذه زبرُ[1] الأوائل والأواخر، وكتب الأخبار من الفريقين، ليس فيها مَن منع ذلك عين ولا أثر. ومن ادّعى ذلك فليأتِ بكلام فقيه واحد أو رواية واحدة إن كان صادقاً.

وكيف؟! وأوّل من أسّس أساس تشبيه وقعة الطفّ العلامّة المجلسي قدس سره، الذي هو أطلع العلماء بالأخبار والآثار وكلمات الفقهاء الأبرار، وكلّ من أتى بعده من علماء البلاد أمضى قوله وفعله، ولم ينكر ذلك عليه، ولا على المرتكبين له.

فبان أنّ المنع من التشبيه ممّا لا دليل عليه، وأنّ مقتضى الأصل جوازه، ومنَ منع منه مطالب بإقامة دليل عليه مخرُج عن الأصل، ودون ذلك خرط القتاد[2] ؛ لأنّ غاية ما يتصوّر تمسّكه به – تمسكّ الغريق بالحشيش – أمور وهمية:

أحدها: أنّ ذلك فعل عبث.

1- الزِبْرُ: الكتاب، والجمع زُبُورٌ. الصحاح ٢: ٦٦٧ «زبر».
2 - خرطت العود وأخرطه خرطاً: قشرته. وخرطت الورق: حتته، وهو أن تقبض على أعلاه ثمّ تمرّ يدك إلى أسفله. وفي المثل: «دونه خرط القتاد». الصحاح ٣: ١١٢٢ «خرط».
والقتاد: شجر له شوك. الصحاح ٢: ٥٢١ «قتد».

وضعفه ظاهر عند أولي البصائر:

أمّا أولاً: فلأنه لا دليل على حرمة كل عبث.

وأمّا الثاني: فلأن عدّ ذلك عبثاً يلحق قائله بأهل السوداء، ضرورة أن من أعظم ما تداول بين العقلاء عند إرادة إفهام شخص كُنه أمر معقول أو منقول، وهو تجسيم ذلك المعقول أو المنقول، حتّى يسارع الطرف الآخر إلى تلقيّه بالقبول، ولا تناله يد الإنكار من معاند أو مغفول.

وذلك أنّ مَن عدا نادر من كملي العقلاء لا يصلون إلى حقيقة الأمر إلا بالإحساس بالبصر، ولذا صار من السائر من المثل أنّه: «ليس البيان كالعيان» من حيث إنّ القوة الباصرة أقوى القوى المدركة، فكلمّا أراد إفهامه على حقيقته لبسوه لباس التشخّص الخارجي وأخرجوه إلى بروز العيان، حتّى يسهل للعموم فهمه وإدراكه والنيل إلى كنهه وعمقه.

ولذا ترى أنّ أهل الهيئة صنعوا كرة من صفر، ورسموا عليها البروج السيارات ؛ ليسهل تعليم المبتدئ مطالب الهيئة.

بل اللّه سبحانه لمّا أخبر آدم عليه السلام بوقعة الطفّ، وأراد إفهامه حقيقتها، صورّ له ثالا[1].

1- بحار الأنوار ٤٤: ٢ الحديث ٤٤ باب «إخبار اللّه تعالى أنبياءه ونبينا صلى اللّه عليه وآله شهادته» وفيه: وروى صاحب الدر الثمين في

تفسير قوله تعالى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ»البقرة(٢:٣٧) أنّه رأى ساق العرش وأسماء النبيّ والأئمة عليهم السلام، فلقّنه جبرئيل قل: «يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ علي، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان».
فلمّا ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: «يا أخي جبرئيل، في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي»؟
قال جبرئيل: ولدك هذا يُصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب.
فقال: «يا أخي وما هي»؟
قال: يقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً، ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: واعطشاه واقلّة ناصراه، حتّى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان فلم يجبه أحد إلاّ بالسيوف، وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه، وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنّان، فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى.

وكذلك اللّه سبحانه لمّا أراد ستر جسد سيدّة النساء عليهاالسلام، أمر الملائكة صوروّا لها صورة النعش، فأوصت أمير المؤمنين باتّخاذه لها قائلة: «إنيرأيت الملائكة صورّت لي صورته» [1].

وكذلك لمّا ضجّت الملائكة إلى اللهّ سبحانه بالبكاء والنحيب «وقالوا: إلهنا وسيدنّا أتغفل عمن ّقتل صفوتك، وابن صفوتك، وخيرتك من خلقك؟! أوحى اللّه عزّ وجل ّإليهم: قووا ملائكتي، فوعزتيّ وجلالي لأنتقمن منّهم ولو بعد حين.

ثمّ كشف اللّه عزّ وجل ّعن مثال من ولد الحسين عليهالسلام، فسرتّ الملائكة بذلك، فإذا الحجة المنتظر عجل اللّه تعالّى فوجه قائم يصلّي، فقال اللّه عزّ وجل:ّ بذلك القائم أنتقم منهم».

1- روضة الواعظين: ١٥١ «مجلس في ذكر وفاة فاطمة الزهراء» وفيه:
قال أمير المؤمنين عليهالسلام: «أربعة ليس إلى فراقهن سبيل: أمامة أوصتني بها فاطمة، ثمّ قالت:أوصيك يابن عم أن تتخذ لي نعشاً فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته».

كما نصّ على ذلك مولانا الباقر عليهالسلام في وجه تسمية مولانا الحجّة عجل اللّه تعالى فوجه بالقائم، في خبر أبي حمزة الثمالي المروي في العلل [1].

وكذلك اللّه سبحانه لمّا أراد أن يرُي الملائكة عبادة عباده له، خلق لكل مّؤمن مثالا فيً العرش، يركع المثال يركوعه، ويسجد بسجوده، فتراه الملائكة ويصلّون عليه، ويستغفرون له.

إلى غير ذلك ممّا يقف عليه الخبير بالأخبار والسير.

فالتمثيل والتشبيه ليس بأمر حادث مبتدع، بل هو أمر عقلائي قديم متّبع، يرتكبه العقلاء لغاية جعل المعقول والمنقول محسوساً، ليرسخ فيراً في ذهن منرآه.

وبالجملة، فالغاية العقلائيّة العظيمة في صنع شبيه ما جرى بالطفّ، هو تجسيم الواقعة لينال عموم الناس إلى حقيقة الحال، فيحزنوا ويبكوا، ليؤجر الباكي ببكائه، ومحدّث الشبيه بإبكائه، إذْ قد ورد في الصحّاح والمستفيض بل المتواتر من أخبار الفريقين، بكاء النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم لمصاب الحسين عليهالسلام عند إخبار جبرئيل به، وبكاء علي عليهالسلاموفاطمة عليهاالسلام معه لذلك [2].

1- لاحظ علل الشرائع ١: ١٦٠ باب ١٢٩.
2- كامل الزيارات: ١٢١ باب ١٦ «ما نزل به جبرئيل عليهالسلام في الحسين بن علي أنّه سيقتل»
وفيه: لما هبط جبرئيل عليهالسلام على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام، أخذ بيد علي فخلا به مليّاً من النهار، فغلبتهما العبرة...».

وفيه أيضاً: ١٢٥:
دخلت فاطمة عليهاالسلام على رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم وعيناه تدمع، فسألته: مالك؟
فقال: إنّ جبرئيل عليهالسلام أخبرني أنّ أمّتي تقتل حسيناً، فجزعت وشقّ عليها، فأخبرها بمن يملك من ولدها، فطابت نفسها وسكنت».
والمستدرك على الصحيحين ٤: ١٩ وفيه:
حدّثني سلمان قال: دخلت على أمّ سلمة وهي تبكي، فقلتُ ما يبكيك؟
قالت: رأيت رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: مالك يا رسول اللّه؟
قال: «شهدت قتل الحسين آنفاً».
ومسند أحمد ٣: ٢٤٢ ومجمع الزوائد ٩: ١٩٠ وصحيح ابن حبّان ١٥: ١٤٢ والمعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٦ وموارد الضمآن ٧: ١٩٨ والإكمال في أسماء الرجال: ١٧٢ واللفظ لمسند أحمد:
عن أنس بن مالك: أنّ ملك المطر استأذن ربّه أن يأتي النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم فأذن له، فقال لأمّ سلمة: «أملكي علينا الباب لا يدخل أحد».
قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبيّ صلى اللّه عليه وسلم وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبي صلى اللّه عليه وسلم أتحبه؟
قال: «نعم».
قال: أما أنّ أمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أمّ سلمة فصرّتها في خمارها.
قال: قال ثابت: بلغتها أنّها كربلاء.

وبكاء أمير المؤمنين عليهالسلام عند مروره بأرض كربلاء في بعض حروبه بعد النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم[1].

1- الإرشاد ١: ٣٣٢ وفيه:
عن جويرية بن مسهر العبدي قال: لما توجّهنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهالسلام إلى صفّين، فبلغنا طفوف كربلاء، وقف عليهالسلام ناحيةً من العسكر، ثمّ نظر يميناً وشمالاً واستعبر ثمّ قال: «هذا - واللّه - مُناخُ ركابهم وموضع منيّتهم».
فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما هذا الموضع؟
قال: «هذا كربلاءُ، يقتلُ فيها قومٌ يدخلون الجنّة بغير حسابٍ»، ثمّ سار.
فكان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتّى كان من أمر أبي عبد اللّه الحسين بن علي عليهالسلاموأصحابه بالطفّ ما كان، فعرف حينئذٍ من سمع مقاله مصداق الخبر فيما أنبأهم به.
ومجمع الزوائد ٩: ١٩١ وفيه:
وعن أبي هريمة قال: كنت مع علي رضي اللّه عنه بنهر كربلاء، فمرّ بشجرة تحتها بعر غزلان، فأخذ منه قبضة فشمّها ثمّ قال: «يحشر من هذا الظهر سبعون ألفاً، يدخلون الجنّة بغير حساب. رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وكذا ورد في أخبار الفريقين: «أنّ من بكى للحسين عليهالسلام[1]، أو أبكى أو تباكى وجبت له الجنّة»[2].

1- كامل الزيارات: ٢٠١ الباب ٣٢ «ثواب من بكى على الحسين بن علي عليهالسلام» وفيه:
عن أبي جعفر عليهالسلام، قال: «كان علي بن الحسين عليهالسلام يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليهالسلام دمعة حتّى تسيل على خدّه بوّأه اللّه بها في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه فينا لأذى مسّنا من عدّونا في الدنيا بوّأه اللّه بها في الجنّة مبوأ صدق، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه من مضاضة ما أوذي فينا صرف اللّه عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار».
المضض: وجع المصيبة. الصحاح ٣: ١١٠٦ «مضض».
2- الأمالي للشيخ الصدوق: ٢٠٥ وفيه:
عن أبي عمّارة المنشد، عن أبي عبد اللّه عليهالسلام، قال: قال لي: «يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين ابن علي عليهالسلام». قال: فأنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، قال: فواللّه مازلت أنشده ويبكي حتّى سمعت البكاء من الدار.
قال: فقال لي: «يا أبا عمارة، من أنشد في الحسين بن علي عليهالسلام فأبكى خمسين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فبكى فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فتباكى فله الجنّة».

وإنّ «من ذُكر الحسين عليهالسلام عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على اللهّ تعالى، ولم يرض له بدون الجنّة»[1].

إلى غير ذلك من الأخبار التي لا يسعنا هنا استقصاءها، وفي ما سطّرناه كفاف لمن كان له إنصاف، ومن لا إنصاف له لا

يدع الجحد والخلاف.

ثمّ إنّ في التشبيه المذكور واستطراق الشرائع به فوائد أُخر عقلائيّة شرعيّة مترتّبة عليه:

فمنها: ملئ قلوب عموم الناس بوقوع هذه الفاجعة العظمى، حتّى لا يبقى للإنكار مجال ضرورة.

إنّ الثبت في الكتب إنّما ينفع في إلزام العلماء، وأمّا العاميّ فليس له من الكتب حظ، فلو لم يكن للوقعة شبيه في الخارج نالتها يد الإنكار، كما أنّ وقعة الغدير نالتها يد الإنكار من عموم العامّة، مع أنّ كتبهم بنقلها وروايتها مشحونة

1- ثواب الأعمال للصدوق: ١١١ وفيه:
عن أبي هارون المكفوف قال: قال لي أبو عبد اللّه: «يا أبا هارون أنشدني في الحسين»
فانشدته... فلمّا فرغت قال: «يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه‌السلام شعراً فبكى وأبكى عشرة كتب لهم الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه‌السلام شعراً فبكى وأبكى خمسة كتب لهم الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه‌السلام فبكى وأبكى واحداً كتب لهما الجنّة، ومن ذكر الحسين عليه‌السلام عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة كان ثوابه على اللّه عزّ وجلّ ولم يرضى له بدون الجنّة».

متواترة.

ولقد عثرت بعد يسير تتبّع في كتب أهل السنّة والجماعة، فضلاً عن كتبنا، على أكثر من أربعين رواية متكفلة لنقل وقعة الغدير[1].

ولو كان للوقعة مثال في الخارج في كلّ سنة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة الحرام، لكانت القضيّة إلى الآن مسلمة عند عموم الناس، ولم يسع أحّد إنكارها.

ولقد اعترض منذ ثلاثين سنة[2] تقريباً ابن باشي العسكر على جمع كانوا يلطمون على الصدور في صحن مولانا سيّد الشهداء أرواحنا فداه: بأنّه ما هذا الغوغاء في المجامع والطرقات، وما غرضكم بذلك؟!

فرأى أنّه إن أجاب: بأنّا نطلب بذلك الأجر ؛ لاحتاج إلى إثبات أنّ فيه أجراً، ولا يمكنه ذلك في تلك الحال، فقال: إنا لمّا وجدناكم أنكرتم وقعة الغدير على تواترها عندكم، التزمنا بالغوغاء في أيام هذه الوقعة في المجامع والشوارع ؛

كي لا يسعكم إنكار وقوع هذا الظلم العظيم من يزيد لعنه اللّه، ولو كنّا نلتزم في وقعة الغدير بمثله لما وسعكم إنكارها.

ومنها: التفاف عموم الناس برؤية هذه التشبيهات إلى قبح الظلم وفخم عاقبته ومبغوضيّته حتّى يجتنبوه، فإنّ السواد إذا رأوا أنّ العموم يستقبحون أفعال

1- مسند أحمد ١: ٨٤ و١١٨ و١١٩ و١٥٢ و ج٤: ٢٨١ و٣٧٢ و ج٥: ٣٤٧ و٣٦٦ و٣٧٠ وسنن ابن ماجة ١: ٤٥ وسنن الترمذي ٥: ٢٩٧ وفضائل الصحابة للنسائي: ١٤ والمستدرك على الصحيحين ٣: ١١٠ و١١٦ و٣٧١ و٥٣٣ ومعجم الزوائد ٧: ١٧ و ج٩: ١٠٣.
2- في سنة ١٣١٥ه تقريباً ؛ لأنّ تاريخ تأليف هذه الرسالة هو سنة ١٣٤٥، كما مثبت في آخرها.

بني أُميّة، ويسوّهم، دعاهم ذلك إلى الاجتناب عن الظلم ؛ حذرا مِن السب والفضيحة الدنيوية أقلا.

ومنها: أن تتحقّق عند جميع أهل الملل خروج يزيد بأفعاله بما صنع بأهل بيت نبيّنا صلىاللهعليهوآلهوسلم من هذا الدين، حتّى لا يحتجّ الكفارّ بشربه للخمر واشتغاله بالملاهي على حلهاّ في شرعنا.

ومنها: رؤية ا لكفّار والتشبيهات في الشوارع، ورقتّهم – بموجب الرقةّ البشرية – لرؤية نّبينا صّلىاللهعليهوآلهوسلم الملازمة للرغبة في الإسلام.

ولقد أنتجت التشبيهات في بلاد إيران وقفقاسيا والهند وغيرها تشرّف جمع منهم إلى الإسلام، ونذر الكتابيّين والوثنيين وعبدة النار والبقر لأهل البيت عليهمالسلام، ودفعهم في كلّ سنة أموالاً خطيرة إلى الشيعة ليصرفوها في عزاء سيدّ الشهداء أرواحنا فداه.

ولقد أدّى الحال إلى وضع شركة في تلك البلاد من تجاّر النصارى بين أنفسهم وبين سيدّ الشهداء عليهالسلام، وكانوا يصرفون سهمه عليهالسلام من الربح في عزائه، وكان يبلغ أُلوفاً، كما لا يخفى على منَ أحاط خبرا بأحوال تلك البلاد، وهذه كلّها ثمرة المواكب المحزنة في الشوارع والمجامع.

ولقد نقل لنا متواتراً منذ نشأنا إلى الآن، وشاهدنا في بعض أسفارنا بأبصارنا، أنّ الكفارّ – حتىّ الوثنيينّ منهم – عند مرور التشبيهات في الشوارع يقفون، ويكشفون رؤوسهم احتراماً، ويبكون بمقتضى الرقةّ البشرية، بل يضربون أحيانا بالأيدي على الرؤوس ضرباً خفيفاً.

قد جرت عادة عبدة النار في بعض أقطار الهند على صنع شبيه «حجلة

القاسم»[1] من خشب، وإعدادهم يوم عاشوراء نزاراً جزيلاً، وحملهم «الحجلة»، ودخولهم من جانب إلى النار، وخروجهم من جانب آخر، وعدم تأثير النار فيهم، ولا في «الحجلة».

ولعلّ أساس ذلك من مسلم دخل فيهم قديماً، وأظهر التدينّ بدينهم، ودلهمّ على ذلك، فبقى بينهم عادة.

إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والشعائر الفخيمة التي تجعل الفعل حسناً ممدوحاً، بعد عدم ورود منع من المولى فيه، ويجزئ اللّه سبحانه منشيء التشبيه، عن أنفسهم، وعنا، وعن الإسلام خيرا.

أمّا عن أنفسهم ؛ فلإبكائهم الناس واستحقاقهم لذلك الأجر الجزيل.

وأمّا عنا فبحملهم ما لولاهم لكناّ مكلفينّ بتحمله لتحصيل المقاصد المزبورة.

وأمّا عن الإسلام ؛ فلتشييدهم له، وترغيبهم الكفارّ فيه.

ثانيها: أنّ ذلك موجب لهتك حرمة رؤساء الدين وأئمته، وتشبيه الرعيةّ بهم.

وأنت خبير بوضوح فساده ؛ ضرورة أنّه ليس الغرض هو تشبيه النفس بالنفس، والشخص بالشخص، بل هو تشبيه محض للصورة والزيّ واللباس ؛ لتذكار أحوالهم، وللتأثرّ ممّا جرى عليهم.

فهو نظير تشبيه أمير المؤمنين عليهالسلام بالأسد – الذي هو حيوان مفترس –

1 - في هامش النسخة المطبوعة ورد: «الحجلة، محركة، واحدة حجال العروس: وهي بيت يزيّن بالثياب والأسرّة والستور، ومنه الحديث: عقولهم كعقول ربّات الحجال». مجمع البحرين ١: ٤٦٥ «حجل». انظر: الكافي ٥: ٦ الحديث٦ باب «فضل الجهاد» وفيه: «يا أشباه الرجال ولا رجال، وحلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال، لوددتُ أنّي لم أركم ولم أعرفكم».

تارةوباليعسوب (1) أخرى، وبالزناد القادح (2) – الذي هو جماد – ثالثة، وبالشجوزابعة (3)، وبالسيف (4) – هو حديد خامسة، وتشبيه الأتقياء بالخيل

1- المعجم الكبير للطبراني ٦: ٢٦٩ وفيه:
عن أبي ذر وعن سلمان قالا: أخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بيد علي رضي اللّه عنه
فقال: «إنّ هذا أوّل من آمن بي، وهو أوّل من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصّدّيق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأُمّة، يفرق بين الحقّ والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين».
اليعسوب: ملك النحل، ومنه قيل للسيّد: يعسوب قومه. الصحاح ١: ١٨١ «عسب».
2- العقد النضيد والدر الفريد: ١٣٤ وفيه:
خرج معاوية ذات يوم إلى خارج دمشق راكباً على بغلة شهباء للتفرّج... فلمّا أصحر إذا شيخ قد أقبل من صدر البريّة... فقال له معاوية: كيف خلّفتَ أبا تراب؟
فقال الشيخ: فمن أبو تراب؟
قال: علي بن أبي طالب.
فقال: خف، ولمَ لا تقول: الميزان الراجح، والطريق الواضح والزناد القادح...».
وفي المزار للشهيد الأوّل: ٤٧:
«... السلام على الصراط الواضح والنجم اللائح والإمام الناصح والزناد القادح ورحمة اللّه وبركاته».
والزند والزنادة: خشبتان يستقدح بهما، العليا زند، والسفلى زنده. كتاب العين ٧: ٣٥٦.
والقَدّاح: الحجر الذي تُورى منه النار... والقَدْح: فعل القادح بالزند وبالقداح ليوري. كتاب العين ٣: ٤٠ «قدح».
3- كنز العمال ١١: ٦٠٨ الحديث ٣٢٩٤٣ وفيه:
«أنا وعلي من شجرة واحدة والناس من أشجار شتّى».
4- الأمالي للشيخ الصدوق: ٦١ وفيه:
عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: «... عليّ سيف اللّه على أعدائه».

المحجّلة (1)، كلّ ذلك بلحاظ صحيح، فأين التشبيه المبحوث عنه من الهتك المنهيّ عنه؟!

نعم، الإنصاف إنّ جعل المتجاهر المعروف بالفسق شبيه هؤلاء الأطهار، والمعلنة بالفسوق شبيهة الطاهرات، هتكٌ يجب اجتنابه بجعل شبيههم وشبيههنّ الأخيار أو مجهول الحال أقلاً، وجعل المعلن بالفجور شبيه شمر وحرملة وسنان ونحوهم، والمعلنة بالفجور شبيهة نساء الأعداء.

بل الأحوط لزوماً ترك شبيهة حرم أهل الطفّ أصلاً، أو تشبيه رجل بهن بوضع عباءة على رأسه، وستره وجهه بها.

وتوهّم كونه مشمولاً لما دلّ على حرمة تشبّه الرجال بالنساء (2) ولبسهم لباسهن، لا وقع له ؛ لأنّ المراد بالتشبيه الممنوع منه إنّما هو التشبيه التام، بحيث لا يتميّز الرجل عن المرأة، ولا المرأة عن الرجل بوجه ؛ لأداء ذلك إلى مفاسد عظيمة

1- روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ١٠٥ وفيه:
وقال [الإمام الباقر عليهالسلام] أيضاً: «قال رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم لعليّ مبتدياً: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواالصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» البينة ٩٨ : ٧، هم أنت وشيعتك، وميعادي وميعادكم
الحَوض إذا حشر الناس حيث أنت وشيعتك شباعاً مرويين غُرّاً مُحجّلين».
والغرّة، بالضم: بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم. الصحاح ٢: ٧٦٧.
وحجل في صفة الخيل (خير الخيل الأفرح المحجل) هو الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد، ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين ؛ لأنّهما مواضع الأحجال وهي الخلاخيل والقيود. النهاية في غريب الحديث ١: ٣٤٦.

2- روضة الواعظين: ٣١٠ وفيه:

وروي أنّ رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم لعن المشبّهين من الرجال بالنساء، والمشبّهات من النساء بالرجال.

لا تحصى.

ولقد بُلّغنا سابقا أنّ في بعض البلدان تتشكّل المرأة – التي زوجها مشغول عنها – بالغلمان بشكل الولد، وتكلفه بأن يأتيها من حيث يأتي الغلمان، وأنّ النساء المساحقات تتشكّل الراكبة منهن بشكل الرجل تشبيها تامّا، حتى أنّها تسود محلّ شاربها، فيركبها ويساحقها.

وأنّ الفاسد من الذكور قد يلبس لباس النساء ويدخل في مجامعهنّ ؛ ليطلع على أشكالهن، ويجد من يفجر بها منهن.

ولعلّ ذلك ونحوه هي أسباب المنع من تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، فتحريم التشبّه بهما إنما هو للمنع من هذه النتائج التي لا تحصل إلاّ بالتشبّه التام الذي لا يتميزّ به عمنّ شبه نفسه به.

وأين ذلك، وكيف هو من لبس الرجل إزاراً أو عباءة على رأسه، فوق ثياب الرجال، وستر وجهه، وركوبه الناقة العريانة ؛ لتجسيم الظلم الوخيم الصادر من أعداء الدين لغرض إبكاء الناس والفوز بالأجر، مع علم الناس بأنّه رجل؟!

ولئن تنزّلنا غاية التنزّل، وسلمنّا المنع من مطلق اللبس حتىّ مثل لبس الإزار على ثيابه، فذلك لا يوجب إلا المّنع من التشبّه بنساء أهل الطفّ، وأين ذلك من مطلق التشبيهات المتداولة الخالية عن لبس الرجل لباس المرأة؟!

ثالثها: أنّ في التشبيه هتكاً لهم من جهة أخُرى، وهي: أن إظهار ما جرى عليهم من الذل والصغار والاستهانة والاستحقار هتك لهم عليهم السلام.

وفيه: أولاً: أنّه استفاضت الأوامر الأكيدة في الأخبار بذكر ما جرى عليهم من الذل والصغار والهتك والإضجار في المجامع الكبار، والتفجّع عليهم،

البكاء[1].

بل العقل السليم يقضي بحسن إشاعة ما جرى عليهم، بل لزومه ؛ وذلك أنّ من ضروري مذهبنا أنّ تحملّهم لما جرى عليهم لم يكن لعجزهم عن الدفع ضرورة، وأنّهم بسبب بلوغهم في العبادة والإطاعة إلى درجة، صاروا بها مصداق قوله سبحانه: «عبدي أطعني تكن مثلي إذا قلت لشيء كن فيكون»[2].

1- الكافي ٤: ٥٨٣ الحديث ١١ باب «فضل الزيارات وثوابها» وفيه:
عن معاوية بن وهب: استأذنت على أبي عبد اللّه عليهالسلام... فوجدته في مصلاه... فسمعته وهويناجي ربّه ويقول: «... وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك
القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا».
والأمالي للشيخ المفيد: ٣٤١ وفيه:
ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه فينا دمعة، إلاّ بوأه اللّه بها حقباً».
والحقب بالضم: ثمانون سنة، ويقال: أكثر من ذلك، والجمع أحقاب. الصحاح ١: ١١٤ «حقب».
والعوالم في ترجمة الإمام الحسين عليهالسلام للشيخ عبد اللّه البحراني وفيه:
فقال النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم: «يا فاطمة إنّ نساء أمّتي يبكين على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كلّ سنة، فإذا كان يوم القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، وكلّ من بكى منهم على مصاب الحسين

عليهالسلامأخذنا بيده وأدخلناه الجنّة، يا فاطمة كلّ عين باكية يوم القيامة إلاّ عين بكت على مصاب الحسين عليهالسلام فإنّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنّة».
2- إرشاد القلوب للديلمي ١: ١٥٦ وفيه:
وروي أنّ اللّه تعالى يقول في بعض كتبه: «يا ابن آدم، أنا حيّ لا أموت، أطعني في ما أمرتك أجعلك حيّاً لا تموت، يا ابن آدم أنا أقول للشيئكن فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون».
وبحار الأنوار ٩٠: ٣٧٦ وفيه:
في الحديث القدسي: «يا ابن آدم أنا غنيّ لا أفتقر، أطعني في ما أمرتك أجعلك غنيّاً لا تفتقر، يا ابن آدم أنا حيّ لا أموت، أطعني في ما أمرتك أجعلك حيّاً لا تموت، يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني في ما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون».
وشجرة طوبى للشيخ محمّد مهدي الحائري ١: ٣٣ ا لمجلس الثاني عشر وفيه:
قال عزّ من قائل: «عبدي أطعني حتّى أجعلك مثلي أقول للشيء كن: فيكون، تقول للشيء كن: فيكون».

كانوا قادرين على إفناء الأعداء، بل جميع العالم بكلمة واحدة في طرفة عين، كما يشهد بذلك: أنّ يزيد لعنه اللّه لماّ أذن لهم في الوجوع، وخرجوا وساروا يسواً، ندم على ترخيصه إيّاهم في الوجوع ؛ لأنهّم يفضحونه ببيان ما جرى عليهم منه، فأرسل جيشاً لإرجاعهم، فوعظهم مولانا السجاد عليهالسلام فلم يتعظوا، فطرح عصى كانت بيده بقدر ذراع فصارت ثعباناً كثعبان موسى عليهالسلام، وبلعت الجيش إلاّ

اثنين منهم، فأمرهما بالوجوع وإخبار يزيد بما جرى.

فقيل له عليه السلام: أين كانت هذه العصا في كربلاء؟!

فقال عليهالسلام ما حاصله: إنّا إلى الخروج من باب الشام كنّا ملتزمين بأمر من اللّه سبحانه بتحملّ ما يجري علينا، وقد وفينا بعهدنا، والآن هم أعجز وأذلّ من أن يصيبونا بشوكة.

فقبولهم عليهمالسلام لهذه المصائب مع قدرتهم على الدفع ؛ لما كان بالنظر إلى حكم بالغة إلهيّة، كإنجائهم جمّ غفير في الآخرة بشفاعتهم، وإزائة العباد كيفيّة الإطاعة اللازمة عليهم، وتسليّ من تصيبه مصيبة بتذكر مصائبهم [1].

1- في هامش النسخة المطبوعة التي اعتمدنا عليها في التصحيح: كما قال الشاعر:
أمست رزيّتكم رزايانا التي سلفت وهوّنت الرزايا الآتية
وهذا البيت من قصيدة للشاعر الشيخ عبد الحسين الأعسم الزبيدي النجفي، ولد في حدودسنة ١١٧٧ه ، وتوفّي سنة ١٢٤٧ه .
كان عالماً، فقيهاً أصوليّاً، ثقة، محقّقاً مدقّقاً، مؤلّفاً، أديباً شاعراً مُفلقاً، مشهوراً.
أعيان الشيعة ٧: ٤٥٢.
وأولها:
قد أوهنت جلدي للديار الخالية من أهلها ما للديار ومالية
والبيت الذي قبله:
تبتلّ منكم كربلا بدم ولا تبتلّ منّي بالدموع الجارية
والبيت الذي بعده:
وفجائع الأيام تبقى مدّة وتزول وهي إلى القيامة باقية

وغير ذلك من الحكم، لزم عقلاً إفشاء ما جرى عليهم، حتّى يعمّ التسلي لأهل المصائب، ويلتفت عموم الناس إلى ما ينبغي تحمّله في مقام إطاعة الربّ تعالى وتقدّس، فإشاعة ما جرى عليهم من الذلّ والصغار، وتحملهمّ في مقام العبودية، مع القوة على الدفع، ما يعجز عن تحمّله أواسط البشر، لازمة عقلاً فضلاً عن النقل.

وبعبارة أُخرى: علةّ وقوع هذه الفاجعة هي العلةّ في لزوم إشاعتها.

وثانياً: أنّه لو تمّ ما ذكر وجها للإشكال، لزم المنع من إظهار ما جرى عليهم حتى باللسان نظما ونثرا، معً أن جواز ذلك

من ضروريّات المذهب.

رابعها: أنّ تشبيه المؤمن الموحّد بالكافر الملحد شمر ونحوه لا يجوز لوجهين:

أحدهما: ما ورد من أنّ «من تشبّه بقوم فهو منهم»[1].

وفيه: أوّلاً: أنّه ليس المبحوث عنه من التشبّه الممنوع منه ؛ لأنه عبارة عن التشبه، مع حب أنّ يعد من صنف المشبه به طوعاً ورغبة واستحساناً لشيمه وعمله، كلبس المتفونجين لباس الإفونج، والتزامهم بأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وشيمهم.

فحال الخبر المانع من التشبّه حال ما ورد مستفيضاً: من أن «من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم»[2].

وأين ذلك من التشبّه بعدوّ الدين كلها له، مبغضا إياه، لغاية الإبكاء رجاء للأجر والمثوبة؟!

ولو سلّم تنزّلاً ومماشاة صدق التشبه عليه، وقبول سنده ودلالته وعمومه، فلا شك في أن عمومات الإبكاء أرجح منه سنداً ودلالة واعتضاداً.

ثانيهما: أنّ فيه إذلالاً للنفس واستهانة، وهو حرام.

وفيه ما في سابقه، مضافاً إلى منع حرمة مثل هذا الإذلال الذي فيه غرض صحيح عقلائي، وهو الإبكاء ونحوه، بل يمكن دعوى أنّ هذا الإذلال من أعظم المجاهدات ؛ لأنّه يشبّه نفسه بأبغض الخلق إليه طلبا لمرضاة الله سبحانه، والله أجلّ من أن يحرم من الأجر من أذلّ نفسه لأجله.

خامسها: أنّ التشبّه سبب لسخرية أهل سائر الأديان والمذاهب على

1 - عوالي اللئالي ١ : ١٦٥ الحديث ١٧٠ الفصل الثامن، وسنن أبي داود ٢: ٢٥٥ الحديث٤٠٣١ باب «في لبس الشهرة» ومجمع الزوائد للهيثمي ١٠: ٢٧١ باب «من تشبه بقوم فهو منهم».
2- بشارة المصطفى: ١٢٦.

الشيعة، فلا يجوز.

وفيه أوّلاً: أنّه دعوى محضة تشهد بفسادها البديهة، ضرورة أن أهل سائر المذاهب من فرق الإسلام لا يعقل تمسخرهم بذلك ؛ لأنّ السخرية لا تكون إلاّ من المبغض، ولا يعقل بغضهم لسيدّ شباب أهل الجنة ؛ فإنهم وان لم يقولوا بإمامته إلا أنهم يشركونا في القول بأنّه سبط نبيهم صلوات اللهّ عليه، ولا يعقل أن يكونوا أقل من النصارى الذين كانوا يعظمون رسول ملك الروم ؛ لكونه من حوافد داود[1].

وقد شحنت كتب أهل السنّة والجماعة بالأخبار الصحاح عن النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم

1- مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٨٢ وفيه:
عن أبي الأسود محمّد بن عبد الرحمن قال: «لقيني رأس الجالوت بن يهوذا فقال: واللّه إنّ

بيني وبين داود سبعين أباً، واليهود تلقاني فتعظّمني، وأنتم ليس بين ابن النبيّ وبينه إلاّ أب واحد وقد قتلتم ولده؟!
وكان يزيد يتخذ مجالس الشراب واللهو والقيان والطرب ويحضر رأس الحسين بين يديه، فحضر مجلسه رسول ملك الروم وكان من أشرافهم
فقال: يا ملك العرب هذا رأس من؟
قال: مالك ولهذا الرأس؟
قال: إنّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء شاهدته، فأحببت أن أُخبره بقضيّة هذا الرأس وصاحبه ليشاركك في الفرح والسرور.
قال: هذا رأس الحسين بن علي.
قال: ومَن أمّه؟
قال: فاطمة بنت رسول اللّه.
فقال النصراني: أفٍّ لك ولدينك، لي دين أحسن من دينكم، إنّ أبي من حفدة داود عليهالسلام، وبيني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظّمون قدري ويأخذون من تراب قدمي تبركاً بأنّي من الخواص. وقد قتلتم ابن بنت نبيكم، وليس بينه وبينه إلاّ أمّ واحدة، فقبّح اللّه دينكم...».

الناطقة بالملازمة بين حبّ النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم وحبّ الحسين عليهالسلام [1] ؛ بأنّه سيّد شباب أهل الجنة [2] .

وببكائه صلّى اللّه عليه وآله لمصاب الحسين عليهالسلام [3] ، وجعله صلىاللهعليهوآلهوسلم بأمر من اللّه سبحانه مودّته، ومودّة أبيه، وأُمّه، وأخيه، وأولاده، أجر الرسالة بنص الآية [4] ، وروايات الفريقين [5] .

1- مسند أحمد ٢: ٢٨٨، وفضائل الصحابة للنسائي: ٢٠ والمستدرك ٣: ١٦٦ وفيها:
عن أبي هريرة قال: «قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني، يعني حسناً وحسيناً».
وسنن ابن ماجة ١: ٥١ الحديث ١٤٣ فضل الحسن والحسين وفيه:
«من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».
2- المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٨١ وفيه:
عن حذيفة عن النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم قال: «أتاني جبرئيل عليهالسلام فقال: إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، ثمّ قال لي رسول اللّه صلى عليه وآله وسلم: غفر اللّه لك ولأمّك يا حذيفة».
ولاحظ مسند أحمد ٥: ٣٩١ - ٣٩٢ وفضائل الصحابة للنسائي: ٥٨ ومجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٨٣ والمصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٢ الحديث ٥ «ما جاء في الحسن والحسين»، والأمالي للشيخ المفيد: ٢٣ الحديث ٤ المجلس الثالث، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٦٤ باب «إمامة السبطين».
3- كامل الزيارات: ١٢٥ الحديث ٨ باب «ما نزل به جبرئيل...» وفيه:
«عن أبي عبد اللّه عليهالسلام قال: دخلت فاطمة عليهاالسلام على رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم وعيناه تدمع، فسألته: ما لك؟
فقال: إنّ جبرئيل عليهالسلام أخبرني أنّ امتي تقتل حسيناً، فجزعت وشقّ عليها، فأخبرها بمن يملك من ولدها فطابت نفسها وسكنت».
4- وهو قوله تعالى: «قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» الشورى ٤٢ : ٢٣.
5- الكافي ١: ٤١٣ الحديث ٧ باب «فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية» وفيه:
عن أبي جعفر عليهالسلام في قوله تعالى: «قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» الشورى ٤٢ : ٢٣ قال عليهالسلام: «هم الأئمّة عليهمالسلام».
ومجمع الزوائد للهيثمي ٧: ١٠٣ وفيه:
وعن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت «قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قالوا يا رسول اللّه من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟
قال: «علي وفاطمة وابناهما».
والمستدرك على الصحيحين ٣: ١٧٢ وفيه:
قال الحسن بن علي: «وأنا من أهل البيت الذي افترض اللّه مودّتهم على كلّ مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيّه صلى اللّه عليه وآله: «قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

فكيف يعقل سخريّتهم لذلك، وهم محبّون له، ومبغضون لعدوه؟!

وكيف يعقل بغضهم له؟!

مع أنّ الإمام الشافعي – الذي هو أحد أعمدة مذهبهم – قد بالغ في حبهم نظماً ونثراً في وقائع عديدة فمنها:

ما نقله البيهقي عن الربيع بن سليمان أحد أصحاب الشافعي، قال: قيل للإمام الشافعي رحمه اللّه: إنّ أناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة لأهل البيت الطيّبين عليهمالسلام، فإذا رأوا واحداً منا يذكرها، يقولون: هذا رافضي، فأنشأ الشافعي:

إذا في مجلس ذكروا عليّاً وسبطيه وفاطمة الزكيّة

(1)

فأجرى بعضهم ذكراً سواه فأيقن أنّه لسلقلقيّة

1- السلقلق، كسفرجل، والسلقلقية: هي المرأة تحيض من دبرها. كما صرّح به في القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣: ٢٤٦ «سلق».ولسان العرب ١٠: ١٦٣ «سلق».وانظر تاج العروس ١٣: ٢٢٢ «سلق».

إذا ذكروا عليّاً أو بنيه تشاغل بالروايات العليّة

وقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضية

يرئت إلى المهيمن من أناس يرون الرفض حبّ الفاطميّة

على آل الرسول صلاةربي ولعنته لتلك الجاهليّة[1]

وقال الحافظ أبو عبد اللّه جمال الدين محمّد بن أبي المظفرّ يوسف الزرنّدي المدني في كتابه «معراج الوصول في معرفة آل الرسول» قال الإمام الشافعي:

يا أهل بيت رسول اللّه فرض من اللّه في القرآن

حبّكم أنزله

كفاكم من عظيم القدر من لم يصلّ عليكم لا صلاة

أنّكم له[2]

إلى غير ذلك ممّا نقله في الباب الثاني والستيّن من ينابيع المودة[3].

ولئن اتّفق بغض نادر منهم للحسين عليهالسلام، فهو بمقتضى الأخبار المرويّة من طرقهم صحيحاً - فضلاً عن طرقنا - ابن زنا أو...، بل هو كافر ملحد، بمقتضى

1- نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ١١١ وفيه: «فأجرى بعضهم ذكرى سواه...».
وفي ينابيع المودّة ٣: ٩٧ - ٩٨ باب ٦٢. «فأجرى بعضهم ذكراً سواه...»، «وقال تجاوزا ياقوم عن ذا...».
2- نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ١٨ وينابيع المودّة ٣: ١٠٣ باب ٦٢.
3- ينابيع المودّة ٣: الباب الثاني والستون في إيراد مدائح الإمام الشافعي وتفسير بعض الآيات والأحاديث الواردة في كثرة ثواب من بكى على الحسين وآل بيته رضي اللّه عنهم.

أخبار الفريقين الناطقة بأنّ من أبغض حسيناً فقد أبغض رسول اللهّ صلىاللهعليهوآلهوسلم[1]، فإنّ مبغض الرسول صلىاللهعليهوآلهوسلم كافر، فكذا مبغض الحسين عليهالسلام.

وورد أيضاً في أخبار الفريقين صحيحاً مستفيضاً قول النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم: «حسين منيّ وأنا من حسين»[2].

وعليه فمن أبغض الحسين فقد أبغض الرسول الأكرم صلىاللهعليهوآلهوسلم. وقوله: «لا يبغض أهل هذا البيت إلاّ منافق»[3]

بضميمة قوله سبحانه: «إِنَّ

1- كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٩ - ٢٦٠ الحديث ٥ الباب ٢٤ وفيه:
عن الأصبغ بن نباتة، قال: خرج علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهالسلام ذات يوم ويده في يد ابنه الحسن وهو يقول: «خرج رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم ذات يوم ويده في يده هكذا وهو يقول: خير الخلق بعدي وسيّدهم أخي هذا... ولقد سئل رسول اللّه - وأنا عنده - عن الأئمّة بعده فقال للسائل: «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ» البروج ٨٥ : ١ إنّ عددهم بعدد الشهور.
فقال السائل: فمن هم يا رسول اللّه؟
فوضع رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم يده على رأسي فقال: أوّلهم هذا وآخرهم المهدي، من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني، ومن أحبَّهم فقد أحبّني، ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن أنكرهم فقد أنكرني...».
والمستدرك على الصحيحين ٣: ١٦٦ وفيه:
قال رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم في حقّ الحسن والحسين عليهماالسلام: «من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».
2- الإرشاد ٢: ١٢٧ والعمدة لابن البطريق: ٤٠٦ الحديث ٨٣٩ وذخائر العقبى: ١٣٣ ومسند أحمد ٤: ١٧٢ وسنن الترمذي ٥: ٣٢٤ الحديث ٣٨٦٤ ، والمستدرك على الصحيحين ٣: ١٧٧ وتحفة الأحوذي ١٠: ١٩٠ والمصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٥ .
3- كفاية الأثر للخزاز القمي: ١١٠ وذخائر العقبى: ١٨ وينابيع المودّة للقندوزي ٢: ١١٦ وفيها:
عن رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم: «لا يحبنا أهل البيت إلاّ مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلاّ منافق شقي».

الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»[1].

وبالجملة، فنسبة البغض للحسين عليهالسلام إلى أهل السنّة والجماعة بهتان عليهم أجلنا اللّه تعالى منه، وكيف ينسب ذلك إليهم، وهم لا يزالون ينذرون الأموال والتحف لأبي الفضل العبّاس عليهالسلام، الذي هو أحد خدّام الحسين؟!

ولقد كان يأتينا قبل الحرب العمومي من اسلامبول من أهل السنّة والجماعة، بتوسط تجار الشيعة نذورات من النقود ومصوغات الذّهب والفضّة لأبي الفضل عليهالسلام، لنصرفها عليه، ولعمري إنّي طول عمري ما لاقيت سنيا وّفتشته إلا وجدته محبّاً لأهل البيت عليهمالسلام.

وثانياً: إنّ من سخر من أهل السنّة والجماعة على التشبيهات، ننقض عليه تارة بمجالس ذكرهم، وأخرى بما تداولوه من حمل هودج أُمّ المؤمنين عائشة في كلّ سنة من مصر إلى الحجّ[2]، وزيارة النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم، وصرف أموالاً خطيرة في

1- النساء ٤ : ١٤٥.
2- لاحظ: «أزمة سياسية بين مصر والسعودية بسبب محمل الحجّ» بقلم إبراهيم كامل:
المحمل الشريف: فهو عبارة عن هودج من عدّة قطع من القماش المزخرف بالآيات القرآنية يحمل على جمل خاصّ، وكان يسير من بلاد مصر وتركيا وسوريا متزامناً مع مناسك الحجّ، ابتداءً من عصر المماليك، حين خرجت «شجرة الدر» قاصدة الحجّ، واستمرّ حتّى ملك آل سعود، وتحديداً في عهد الملك عبد العزيز آل سعود.
وفي عهد الملك عبد العزيز وقعت حادثة تقاتل بعض الحجاج النجديين المنتمين للإخوان فرقة عسكرية وهابية مناصرة لآل سعود مع عسكر المحمل المصري في عام ١٣٤٤هـ .
واتّفق الملك عبد العزيز مع المصريّين أخيراً على أنّه لا حاجة للمحمل بعد توفّر الكسوة، ووقّع معهم بعد تولي الملك فاروق الحاكم المعاصر معاهدة على وفق القوانين الدولية عام ١٣٥٥هـ تضمّنت السماح للمصريّين بالتطوّع لعمارة الحرمين الشريفين.

ذلك.

وكذلك حملهم لشبيه هودج النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم من الشام إلى الحجّ[1].

1- في كتابه «دمشق في مطلع القرن العشرين» يوضح «أحمد حلمي العلاّف» كيف كانت

ترتب شؤون الحجيج أيام الدولة العثمانية، والتفاصيل الدقيقة لكلّ مراسم المحمل الشامي بدءاً من الإعداد له، ومروراً بمسيرته، وانتهاءً بالاحتفالات التي يقيمهما الدمشقيّون بعد عودة الحجّاج من الأراضي المقدّسة، وكانت هذه التفاصيل قد عُرضت في أحد الأعمال الدراميّة السورية «الخوالي» لبسّام الملاّ، واتكأت على هذا المرجع لتقديم صورة عن حياة الناس، عاداتهم وطقوسهم في أيام الحجّ البعيدة تلك.

تبدأ مراسم المحمل في اليوم الأوّل لعيد الفطر، وتسمّى «مراسم الزيت والشمع والمحمل»، حيث تصطف الفرق العسكرية أمام المسجد الأموي، وتؤدّي التحية لوالي المدينة وقائدها العسكري، وبعض كبار الموظفين، وبعد الانتهاء تجري حفلة إخراج الشموع والزيوت المهيّأة لإرسالها مع موكب الحجّ إلى الحرمين الشريفين.

في «يوم الزيت» وهو الثاني من شوال كلّ عام، يتمّ الاحتفال بنقل الزيت من «كفر سوسة» أحد ضواحي دمشق في الماضي، وهو أحد أحيائها اليوم، ضمن ظروف على ظهور الإبل حتّى «الكيلار» في البحصة، وهو المستودع الخاص بأدوات محمل الحجّ.

أمّا في اليوم الثالث من شوال يوم الشمع فينقل الشمع باحتفال رسمي أيضاً، من الدار التي سكب فيها في «كفر سوسة» ووزنه ثلاثة قناطير، وماء الورد من محصول قرية «المزّة» - وهو حي المزّة المشهور في دمشق اليوم - ووزنه نحو قنطار، والملبّس ووزنه عشر أرطال، ويُحمل الشمع على أعناق الرجال ملفوفاً بالشال «الكشمير» لإهدائه إلى الحرمين.

وفي يوم السنجق، يُخرج السنجق الشريف «الراية أو اللواء» وهو كلمة فارسية، من القلعة حيث يُحتفظ به، وينقل باحتفال مهيب إلى دائرة المشيرية، ليستقبله المُشير ويضعه في قصره.

أمّا اليوم الرابع من هذه المراسم، فهو (يوم المحمل)، حيث يخرج موكب الحجّ الشريف مع المحمل والسنجق إلى حي الميدان، ثمّ باب مصر، ومنه إلى قرية القدم التي فيها قبة جامع «العسالي»، وتحت هذه القبة، يوضع المحمل نحو عشرة أيام، ريثما تنتهي أسباب السفر إلى الحجاز.

التشرف بإمارة الحجيج: من هنا كان يبدأ المحمل رحلته.

يعتبر «آل سعد الدين» من أعرق العائلات الدمشقية، وأكثرها ارتباطاً بطقوس محمل الحجّ الشامي، حيث كان لشيوخ الأُسرة السعديّة موقعهم المميّز في احتفالات المحمل ؛ لأنّ دارهم كانت المحطة الأهم لاستراحة المحمل الشريف، الذي كان شعاراً لسيادة السلطان العثماني على الحرمين الشريفين.

يوضع (المحمل) على ظهر جملٍ جميل الشكل قوي وعال لا يستخدم لأي عمل سوى الحجّ، ويحمل إضافة للمحمل الكسوة السلطانية إلى الكعبة الشريفة.

وحين كان المحمل يتوقّف في دار سعد الدين يتقدّم شيوخ الأُسرة ووجهاؤها ليلقموا الجمل قطعاً من اللوز والسكر، فيتهافت الناس على التقاط الفضلات من فم الجمل تبركاً وتحبباً ؛ لأنّه يحمل أعظم شعار يجتمع إليه المسلمون عند ذهابهم إلى الحجّ.

وبعد وصول المحمل إلى العسالي، ينتظر تجمّع الحجاج يوماً أو يومين، حيث تسير قافلة أمير الحجّ في طريقها إلى مدينة الرسول صلى اللّه عليه وسلم.

كانت الدولة العثمانية تتحمّل نفقات الحجّ، وتعهد بإمارته لواحد من كبار العسكريين في دمشق، أو من زعماء العشائر العربية في فلسطين، ويهيأ هذا الأمير للخروج بالحجّ، قبل حلول الموسم بثلاثة أشهر، فيقوم أوّلاً بـ«الدورة» أي زيارة المناطق الجنوبية من دمشق لجمع المال اللازم، وقد يكون الوالي نفسه أمير الحجّ، وهي مهمّة صعبة وخطيرة ؛ لأنّ من واجباته أن يدفع عن الحجّاج اعتداءات القبائل التي تنوي بهم شرّاً، وقد تولّى أسعد باشا العظيم - والي دمشق - إمارة الحجّ مدّة ١٤ عاماً، وكان الباشاوات في مختلف أنحاء السلطنة العثمانية يتوقون إلى هذا اللقب.

تتكون قوافل الحجّ الشامي من عدّة فئات تقوم بخدمة الحجاج والسهر على راحتهم وحمايتهم، ولكلّ من هذه الفئات وظائفها:

فالسقاة،، كانوا يحملون القرب لنقل المياه من البرك والآبار إلى الحجيج.

والبرّاكون، هم أصحاب الدواب التي تنقل الحجاج، وتكون من البغال والبراذين.

والعكّامة، وهم أصحاب الجمال والهوادج التي تنقل الحجاج أيضاً.

وأصحاب المشاعل، وهم حملة القناديل ومشاعل الزيت، وطائفة أصحاب الخيم.

ولكلّ هؤلاء رؤساء ومعاونون كثيرون، مهيؤون لتأمين راحة الحجاج، فأهل حي الشاغور وقصبة دوما للجمال، وأهل الصالحية كان أكثرهم للسقاية والمشاعل وللبراكة، والبياطرة منهم أيضاً، والجنود يخدمون أنفسهم، أمّا الأمير وأتباعه فإن مئات الأشخاص يكونون تحت خدمته وخدمة معاونيه.

كان أمير الحجّ يخرج من سراي الحكم «المشيريّة أو العسكريّة» على رأس موكب الحجّ بين ١٥ - ١٧ شوال، ويتّخذ طريقه: الميدان، مجتازاً باب المصلّى، ثمّ الميدان الفوقاني، إلى باب اللّه أو بوابة مصر، في ممرّ يمتدّ نحو ثلاثة كيلومترات متجهاً إلى قرية مزيريب، وبعد خروج الحجّ ببضعة أيام «من يومين إلى خمسة» تخرج قافلة الحجّ الشامي من الطريق نفسه، يتلوها قافلة الحجّ الحلبي، ومعهم حجاج العجم، ويبقى الجميع في مزيريب حتّى يتمّ خروج الموكب بأجمعه، وكانت رحلة الحجّ الشامي تستغرق أربعة أشهر من شوال حتّى صفر.

الحبوب والمحبوب:

بعد انتهاء مناسك الحجّ، يتجمّع الحجاج في المدينة المنوّرة حول المحمل والسنجق ويعودون في نفس الموكب الذي ذهبوا به، وحين يقارب وصولهم إلى دمشق، تستعد الحكومة والأهالي لاستقبالهم باحتفالات كبرى.

وكان معروفاً عند الناس قولهم أثناء مغادرة الحجاز: «يأكلون الحبوب ويفارقون المحبوب»، والحبوب نوع من الحلوى تطبخ فيه الحبوب المتنوعة كالحمص والقمح واللوبياء والفاصولياء مع السكر، وعادة ما يصنع يوم عاشوراء في العاشر من محرّم، والمحبوب هو الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - .

في العودة، يكون مع القافلة رجل يُدعى «أمين الصر»، - والصر - هو بعض الهدايا التي كانت توزع على عربان بين الحرمين تملقاً لهم وخوفاً من بطشهم، ويحوي هذا الصر مختلف المتاع من أحذية، ومحارم وهي مناديل قطنية أو حريرية كان بعضها يصنع في دمشق أو تحضر من إستانبول، والعُقل، والعباءات والجوارب.

أمّا «الجوخة دار» (الجوقة دار) وهي كلمة تركية الأصل تعني فتيان السلطان أو القصر السلطاني، ثمّ أصبحت الكلمة تطلق على رسول السلطان أو الوالي، فيقوم في الحجّ بدور الرسول الذي يرسله أمير الحج إلى دمشق ليبشّر الناس بعودة الحجّاج قبل وصولهم ببضعة أيام، وينفصل «الجوخة دار» عن الحجاج في تبوك، يصل قبلهم بسبعة أيام، ويبشر الناس بسلامة الحجّ ونظافته من الوباء والأمراض والمصائب، وبمجرّد وصول «الجوخة دار» يبدأ الناس بالسفر إلى مزيريب أو غباغب أو الكسوة، حاملين مختلف الأطعمة لملاقاة حجاجهم من أقارب وأصحاب.

أمّا الدولة فتعيّن يوماً لاستقبال موكب الحجّ، يأتي فيه الناس مهللين مكبّرين، يصطفّون على جوانب الطرق من بوابة مصر في العسالي، إلى دار الحكومة وهي مكان القصر العدلي في دمشق اليوم. وتطلق مدفعية قلعة دمشق عند وصول الموكب عشرين طلقة متقطعة، وفي تلك الأثناء يمرّ الموكب ثانية في دار آل سعد الدين الذين يناولون جمل الحجّ اللوز والسكر كما فعلوا عند ذهابه إلى الحجاز.

فحيث لا مرض في قلوبنا لم نكن نسخر بفعلهم هذا، فمن سخر منهم بتشبيهات الطفّ، فهو مريض لا عبرة بقوله وفعله.

وكذا من سخر من الكفّار، ننقض عليه بما يرتكبونه في عيد الصليب[1].

وثالثاً: إنّ استهزاء أعداء الدين بعمل حسن ديني لا يسلب حسُن العمل، ولا يجعله قبيحا، ولا يلزم تركه، كما أن نبّح الكلاب لا يمنع من سير القافلة عند العقلاء، وإلاّ للزم الرسول الأكرم صلىاللهعليهوآلهوسلم أن لا يظهر نبوته لسخرية أبي جهل، وأبي لهب، وأمثالهما به، ولزم أن لا يصلّي أحد عند بعض المستهزئين بها من الكفّار والمرتدين.

ولئن كان التمسخر على التشبيه موجب للمنع منه، للزم المنع من مطلق إقامة العزاء والبكاء، وذكر أسماء النساء على المنابر ؛ لأنّ من يسخر بالتشبيه يسخر بذلك كلّه.

ولقد اعترض منافق على مؤمن في ذكر أسماء حرم الطفّ على المنابر؟

فأجابه بقراءة قوله سبحانه: وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا...»[2] الآيَة، فإنّه لو كان ذكر أسماء الحرم قبيحاً لما سمّى اللّه تعالى مريم

في كتابه المجيد.

سادسُها: اقتران التشبيهات بضرب آلات اللّهو من الطبل والمزمار ونحوهما.

1- الكامل في التاريخ ١: ٣٢٩ - ٣٣٠ وفيه:
«ثمّ ملك قسطنطين المعروف بأمه هيلاني في جميع بلاد الروم...
وفي السنة السابعة من ملكه سارت أمّه هيلاني الرُّهاوية، كان أبوه سباها من الرُّهاء،فأولدها هذا الملك، فسارت إلى البيت المقدس وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى أنّ
المسيح صلب عليها، وجعلت ذلك اليوم عيداً، فهو عيد الصليب، وبنَت الكنيسة المعروفة بقمامة، وتسمّى القيامة، وهي إلى وقتنا هذا يحجّها أنواع النصارى».
2- التحريم ٦٦ : ١٢.

وأنت خبير بأنّ المحرّم ليس نفس الآلة، ولا استعمالها بأيّ نحو كان، بل المحرم إنما هو ضربها على الكيفية الملهية، فحال تلك الآلات حال حنجرة الإنسان، فالصوت الذي يخرج منها على وجه الغناء حرام، والخارج منها لا على تلك الكيفيّة ليس بحرام.

وحينئذٍ، فإنْ ضُربت تلك الآلات على الكيفية الملهية كان حراما محرّما، يجبُ تركه، والنهي عنه بكل ما يمكن، لكن اقتران هذا المحرّم بالتشبيه لا يجعل التشبيه محرّما ؛ لأنهما شيئان متباينان مقترنان في الوجود، لا تلازم بين حرمة أحدهما وحرمة الآخر، ولا مانع من حلّ أحدهما أو حرمة الآخر.

فتلخّص ممّا ذكرنا كلّه: أن حرمة التشبيه مما لا دليل عليه، وأن الأصل جوازه، وكذا ضرب الرأس والظهر بسلاسل من حديد، بل وضرب الرأس بالسيف وإخراج الدم مالم يكن فيه خوف الضرر ؛ إذ لا دليل على حرمة إدماء الجسد حتّى يكون ذلك

أصلاً ثانوياً معدلاً عن أصالة الإباحة حتىّ يحتاج الجواز إلى الدليل المخرج عن الأصل الثانوي، فما صدر من بعْض من سَبقَ من علمائنا رضوان اللّه تعالى عليهم من التأمل في جواز ذلك[1]، بل جواز اللّطم على الصدور المدمي، لم أقف على مستنده.

ولوهن منه التأمّل في جواز اللطم الموجب لإحمرار الجسد.

ويمكن الاستيناس لجواز التشبيه بما مرّ من تمثيل اللّه سبحانه مثال الطف لآدم عليهالسلام، ومثال مولانا القائم عليهالسلام للملائكة، وتمثيله مثال المؤمن في العرش وتمثيله النّعش للحوراء الإنسية عليهاالسلام.

ولإدماء الرأس بالسّيف والسلسلة بضرب زينب جبينها بمقدّم المحمل،

1- في هامش النسخة المطبوعة: «يعني جواز إدماء الرأس بالسيف» منه دام ظلّه.

وسيلان الدّم من تحت قناعها[1] بل استدلّ الفاضل القمي رحمه الله لحلّ التشبيه لإبكاء الناس بعموم: «من أبكى» في ما مرّت إليه الإشارة من الأخبار[2].

ولعلّه بالنظر إلى أنّ شموله لآحاد المبكين يستلزم بعد حذف المتعلقّ لشمول الآحاد أسباب البكاء.

وكذا استدلّ لذلك بعموم قوله سبحانه: ﴿وَمَن يعُظِّم شَّعائرَ اللهِ فإنهَّا مِنَ تقَّوَى القلوبَ﴾[3].

وأيّ شعار لله أعظم من التذكار للشعائر الحسينيّة، التي عظمّها صلوات الله عليه يوم الطف، إحياء لدِّين جده ببّذل نفسه، وجمع من ولده وإخوته وأحامه وأحبّته، ونهب ثقله، وسبي عياله وأطفاله على يد شرّ الخلق وأذلهم وأعصاهم لله سبحانه ابن مرجانة، كما اعترف بتوقّف بقاء طريقة جدّه على بذل نفسه المقدسّة، والأنفس الزاكية ممنّ معه، ونقله الإمواطور الروسي في تاريخه.

وبهذا التقريب يمكن الاستدلال المطلوب بقوله سبحانه: ﴿قُل لاَّ أسَألكمَ

1- العوالم، الإمام الحسين عليهالسلام: ٣٧٣ - ٣٧٤ وفيه:
«... فالتفتت زينب عليهاالسلام فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل، حتّى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها وأومأت إليه بحرقة وجعلت تقول:
يا هلالاً لما استتمّ كمالاً غاله خسفه فأبدا غروباًما توهّمت يا شقيق فؤادي كان هذا مقرّراً مكتوباًيا أخي فاطم الصغيرة كلّمها فقد كاد قلبها أن يذوبا
2- الأمالي للشيخ الصدوق: ١٣١ الحديث ٤ المجلس السابع عشر وفيه:
«عن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه، قال: قال الرضا(عليه السلام): من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».
3- الحج (٢٢) : ٣٢.

عَلَيَهْ أجِرَا إلاّ المِودَّة فْيَ القَرَبى﴾[1] بعد تفسير «القربى» في المتواتر من أخبار الفريقين بعليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام ; إذ أيّ مودّة أعظم من إقامة عزائهم بكشف الرؤوس والصدور واللطم عليها في المجامع والشوارع، وتجسيم ما جرى عليهم الموجب للبكاء عليهم، والحزن لحزنهم.

وبالجملة، فوجحان إقامة عزاء سيّد المظلومين سلام الله عليه، والبكاء على مصابه، واللّطم على الرؤوس والصدور في الطرقات والمجامع، وتهيئة التشبيهات، ممّا لاريب ولا إشكال فيه، ولا في كونه من أعظم الشعائر الإسلاميّة والعبادات المندوبة.

نعم، يعتبر فيها قصد القربة، وتعريتها عمّا هو منهي عنه، كضرب آلات اللهو على الكيفيّة المطربة، وتشبّه الرجال بالنساء تشبّهاً تاماً ؛ إذ لا يطاع الله سبحانه من حيث يعصى [2] ، سيّما وسيّد الشهداء – أرواحنا فداه – إنمّا بذل النفسّ والأولاد والأرحام والأحباب والمال والعيال ; لإحياء دين جدّه الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا يعقل رضاه بما منع منه في الدين.

هذا ما وسعه الوقت من الكلام في المقام في اليوم الرابع عشر من صفر ١٣٤٥ وأنا الفاني عبد الله المامقاني عفي عنه طبعت في المطبعة المرتضوية في النجف الأشرف على نفقة جمع من إخواننا المؤمنين.

1- الشورى (٤٢) : ٢٣.
2- معاني الأخبار: ٢٤٠ الحديث ١ باب «معنى العبادة» وفيه:
عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي قال: سأل عيسى بن عبد الله القمّي أبا عبد الله(عليه السلام) وأنا حاضر فقال: ماالعبادة؟ قال: «حسن النية بالطاعة من الوجه الذي يطاع منه».

(٥) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء

تأليف

الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي

(١٣١١ هـ . ١٣٩٨ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمدّ وآله الطيبينّ الطاهرين.

الى أين الفرار ولا مفرّ أما في هذه الدنيا مقرّ

لقد عمّ الفساد فلا صلاح ولكن كلّ ما في الكون شرّ

وطبّق هذه الدنيا ضلال تنوّع سمّه برّ وبحر

وأنكرت النفوس الدين حتّى كأن لم يأتها نهي وأمر

ولا عجب فإن الدين حقّ وطعم الحقّ في الأفواه مرّ

وما ديني ّ هذا العصر إلا ّ كمسجون على كفّيه جمر

أجل واللّه، إنّه ليجدر بالرجل الديني ّ في عصوه الحاضر، أن يثب فؤاده من بين جنبيه جزعا، وأن ينخلع قلبه عن موضعه أسفاً، عندما يلقي ببصوه إلى ما حوله، فلا يجد هنا وهناك إلا ّ أضاليل وأباطيل، تتدحوج إلى قومه بين المضائق والمنوجات، وتتدافع نحوهم خلال الثنايا والعقبات، حتّى إذا اتصلت بأحدهم اتصال الأفعى ببدن السليم، تسلقّت إلى كوة دماغه بسلمّ التمويه والخداع، فتوبّعت

على دسته [1] الوحيب كملك على عوشه، ثمّ أخذت تلعب دورها في روحه وبدنه، فلا تلبث إلا ّ كويثما تشرب الصهباء [2]، فتدبّ حتّى تبعث به إلى مركز جيشها المتألبّ، كجندي جهز ّ بآخر طرز من آلات الفناء، وعند ذلك تهجم به في طليعة أنصارها، على سياج دينه الأقوم، وسوادقه [3] الأعظم; لتستطيح منه عمده الوفيع، وتستبيح من حومته كلّ فظيع وشنيع.

بينما نجد شخص الدين الكويم قد أفرد في ميدانه، واصفوّت كفهّ من أنصاره وأعوانه، وهو يدير بعينيه يمينا وً شمالا، ًفلا يجد الا ّ من يقوه [4] بسيفه، أو يركوه [5] برمحه، أو يستهدفه بسهمه، وكلّما احتوشت شخصه الموقر خباشات [6] من البشر، رفع عقيرته بالاستنصار، وصوخ منادياً بالويل والدمار، فلا يسمع من أبنائه إلا ّ أصواتا ًخافتة، وأنفاسا ًهافتة، لاتسمن من جوع ولا تؤمن من خوف.

وهكذا أصبح هذا الدين في وسط معتوك رهيب، مفعم بالمخاطر والأهوال، مكتظّ بالخيل والرجال، محتشد بالأفاعي والصِلال [7]، مشتبك بالعصي والحبال،

1 - الدست، له عدة معاني والمراد به هنا صدر المجلس، ففي تاج العروس ٣: ٥٠ «دست» الدست: صدر المجلس. والمراد أنّ هذه الأضاليل والأباطيل هيمنت على صدر مجلس الشخص كناية عن هيمنتها عليه.
2- الصهباء: الخمر، سمّيت بذلك للونها، الصحاح ١: ١٦٦، «صهب».
3- السرادق: واحد السرادقات التي تمدّ فوق صحن الدار، الصحاح ٤: ١٤٩٦، «سردق».
4- خزّه بسهمه واختزّه: أي طعنه، الصحاح ٣: ٨٧٧، «خزز».
5- ركزت الرمح أركزه: غرزته في الأرض، الصحاح ٣:، ٨٨٠، «ركز».
6- الخباشات من الناس: الجماعة من قبائل شتّى، تاج العروس ٩: ١٠١، «خبش».
7 - الصِلُّ: الحيّةُ التي لا تنفع منها ا لرقية، يقال: إنّها لَصِلُّ صَفاً: إذا كانت مُنكرة مثل الأفعى. ويقال للرجل إذا كان داهياً مُنكراً: إنّه لَصِلُّ أَصلال: أي حيّة من الحيّات. الصحاح ٥: ١٧٤٥ «صلل».

في وسط معتوك قد زقا [1] فيه الضجيج وعلا منه العجيج، وارتفعت فيه الضوضاء إلى أجواز [2] الفضاء، إلى عنان السماء.

وقد وقف أبناؤه من دونه على كثب، كوقفة المتوّج، ينظرون إلى ما ينال جسمه الزكي، في كلّ ليل إذا يغشى، أو نهار إذا تجلّى، [3] من جروح وقروح، وتخريق وتمزيق، حتّى لقد كادت تتناثر أشلاؤه أوزاعا [4]، ويذهب روحه الطاهر شعاعاً.

وهو لايوح فيما بين ذلك كلّه يستثير حفائظ أبنائه بذكرى تلك الأعمال الكبيرة والتضحيات الخطيرة، التي قام بها آباؤهم العظام في سبيل نشر دعوته وبثّ تعاليمه، تلك التعاليم العالية التي لم يصدع بها صاحبها صلّى اللهّ عليه وآله وسلم ّ إلا لكّي يقيل بها هذا العالم من كبوته [5]، وينشله من هوّته [6]، فينهج به إلى سبيل السعادة والخير، ويحيد بأهله عن مهاوي الشقاء

والضير.

فهل ياترى يجدر بنا – ونحن أبناء أُولئك الآباء – أن ندع تلك التعاليم القيّمة تذهب على مشهد منا ّضحية ّلتعاليم الغرب التي اندلعت ألسنتها في بلاد الإسلام، فطفقت تتوصّل إلى تزريق سمومها القتّالة في أدمغة المسلمين بكل ّحيلة

1- زقا، يزقي: صاح، وكلّ صائح زائق، الصحاح ٦: ٢٣٦٨، «زقا».
2- جوز كلّ شيء وسطه، والجمع الأجواز، الصحاح ٣: ٨٧١، «جوز».
3- تجلّى الشيء: أي تكشّف، الصحاح ٦: ٢٣٠٥، «جلا».
4- يقال: أتيتهم وهم أوزاع: أي متفرّقون، تاج العروس ١١: ٥٠٩، «وزع».
5- كبا، يكبو، كبواً وكبوة: عثر، تاج العروس: ١١٥، «كبو».
6- الهوة: الوهدة العميقة، الصحاح ٦: ٢٥٣٨، «هوى».

ووسيلة، وتتنوّع إلى بثّ بذورها الفتاكّة بكل مّالديها من نخوة وقوة، ّحتى انخدع بها من الشبيبة المسلمة عدد ليس بالقليل ممّن افتتن بحبّ المدنية الحاضرة المبهرجة بمظاهرها الخلابة، فانقلبوا إلى قومهم يحملون على متونهم ألوية الباطل والضلال، يريدون أن يفيؤا بها على رؤوسهم، بالرغم من كلّ وازع إلهي، أورادع ديني ّ.

فكأنّهم – وهم أبناء أولئك المجاهدين في سبيل هذا الدين – يريدون أن يرجعوا بقومهم القهقرى إلى عهد الجاهلية الأُولى، عهد الكفر والإلحاد، والجحود والعناد، ذلك العهد المظلم، الذي لم تكد تنجلي غمرته بنور الإسلام، إلاّ بعد أن تكبدّ دعاة الحق ّعليهم الصلاة والسلام في سبيل تأييده وتوطيد أركانه من النكبات والمفادات ما يعجز القلم عن تحديده، ويقصر الكلم عن تعديده.

وهذا التاريخ الإسلامي الباهر، لازال ماثلاً أمام أعيننا، يذكّرنا بصحائفه البيضاء، بما قام به أُولئك المجاهدون العظام والزعماء الكرام من الأعمال المجهدة، التي خلّدت لهم مدى الدهر أجمل الذكر وأعظم الشكر.

فأواه ثمّ أواه، أين أولئك الآباء الصلحاء عن هؤلاء الأبناء الأعقاّء[1]، لينظروا إليهم كيف خلّفوهم في الوديعة التي تركوها بين أيديهم قائمة على أكداس من أشلائهم الموزّعة، وأوصالهم المقطعّة؟!

وكيف أصبحوا يشنّون الغارة إثر الغارة على معقلها الحصين، ليفتتحوا منه منفذاً يجهزون منه على آخر نفس من أنفاس حياتها العزيزة؟!

فكأنّ الغرب بعدتّه وعديده، وسلاحه وكراعه، ودسائسه ووساوسه[2]، لم

1- عقّ والدَهُ يَعُقُّ عُقُوقاً ومَعَقَّةً، فهو عاقٌ وعُقَقٌ، والجمع عَقَقَةٌ. الصحاح ٤: ١٥٢٨ «عقق».
2- الوساوس بالفتح: هو الشيطان، لسان العرب ١٦، ٢٥٤، «وسس».

يكفهم مؤنة ذلك الجهاد والجلاد، حتّى برزوا إلى ساحة الوغى منظمين إليه، ومتطوعيّن بين يديه، يعبدّون له السبل والسكك[1]، ويقتلعون من طريقه الشوك والحسك[2]، ثمّ لا يأتي عليهم يوم بعد آخر إلاّ ويمدوّنه بماشاء من مال ورجال، ويبذلون له من أنفسهم كلّ رخيص وغال، من حيث يشعرون ولا يشعرون، فإنّا للهّ وانا إليه راجعون.

وليت الخطب قد وقف عند هؤلاء الأعقّاء، ولم تضف إلى بليّتنا بهم بليتنا بالسذج والبسطاء، من الذين يضعون أنفسهم مواضع المصلحين من هذه الأمّة، ثمّ هم يفسدون أكثر ممّا يصلحون، ويهدمون أكثر مما يبنون، لاقصدا منهم إلى ذلك، ولكن جهلاً منهم بأسباب الإصلاح الذي يريدون إدخاله على أمتهم.

وكم بين ظهرانينا من هؤلاء المصلحين الذين لايميّزون بين سوانح الخير، وبوارح[3] الشرّ، قد منيت بهم هذه الأمّة من حيث ترضى ولا ترضى، فألقت بخطامها[4] إلى أيديهم، أومتوا أيديهم فأخذوا بخطامها، ثمّ طفقوا يسيرون بها على الجادة طوراً، وعلى غير الجادة أُخرى; ذلك لأنّ القائد لم يتعوّد الطريق قبل أن يأخذ بخطام ناقته، وقد ارتبكت[5] عليه السبل والمذاهب، فراح يخبط بها

---

1 - السكك، جمع سكّة والسكّة المأبورة: هي الطريق المستوية المصطفة من النخل، والسكة الزقاق، وقيل سمّيت الأزقة سككاً لا صطفاف الدور فيها كطرائق النخل، الصحاح ٤: ١٥٩٠ «سكك».
2- الحسك: نبات له ثمرة خشنة، تعلق ثمرته بصوف الغنم ووبر الإبل في مراتعها، تاج العروس ١٣: ٥٤٠، «حسك».
3- سوانح، جمع سانح: وهو ما يتبرك به، والبارح يتشاءم به، تاج العروس ٤: ٩٧، «سنح».
4- الخطام: الزمام: وخطمت البعير، زممته، الصحاح ٥: ١٩١٤، «خطم».
5- ارتبك: أي اختلط. الصحاح ٤: ١٥٨٦ «ربك».

الأرض خبط عشواء في ليلة ظلماء، لايهوي ولا ناقته تدري، متى تعترضهما الهوة في الطريق فتبعث بهما جميعاً إلى حيث لاقائد ولا مقود، ولا سائد ولا مسود.

إنّي وأيم اللهّ لا أريد بكلمتي هذه أن أزلزل بأولئك النفر في مراكزهم مهما كبر على الأمة شيء من أقوالهم وأعمالهم، ولكنّي أريد أن يتدبرّوا قبل أن يتهورّوا، أريد أن يتعلموّا أكثر مما علّموا، أريد أن تسعد بهم الأمه أكثر مما تشقى، أريد أن يكونوا أكياساً[1] أذكياء، لابسطاء بلهاء; لئلاّ تتطلي عليهم دسائس الباطل ووساوس الضلال، ولئلاّ تموهّ عليهم الحقائق بألسنة المكر والخداع، فكم قد قتل من الحقائق بسيف التمويه الذي لازال مسلولاً على هواديها[2]، ينحر منها في كلّ يوم على قدر ما تسنح له الفرصه وينفسح له المجال؟!

فإلى مَ نقابل اليقظة بالسنة[3]، والنباهة بالبلاهة، والكياسة بضعف الرأى وضعة[4] المدار؟!

وإلى مَ لا تثقفّ عقولنا التجارب، ولا توقظنا العبر والمثلات، وقد أصبحت ملأ السمع والبصر، وعداد الرمل والحجر؟!

حتّام أيهّا القوم نطُمع فينا عادية هذا الدهر، فلا يأتي علينا يوم واحد إلا

1- الكَيسُ : خلاف الحمق 453:8 ، كيس.
2 - الهادي: العنق، وأقبلت هوادي الخيل: إذ بدت أعناقها، الصحاح ٦: ٢٥٣٤ ، «هدى» والمعنى: أنّ سيوف التمويه لاتزال مسلولة على أعناقها.
3- السنة: النعاس يبدأ في الرأس، فإذا صار إلى القلب فهو نوم، لسان العرب ١٣: ٤٤٩، «وسن».

4- والضّعة: خلاف الرفعة في القدر، لسان العرب ٨: ٣٩٧، «وضع».

ويوقفنا أمام رزيّة جديدة، وبليّة شديدة.

ألم يكفه بالأمس ما أتوله بمشاهد القدس في البقيع[1] من الخطب الفادح،

1 - في سنة ١٣٤٤ هـ استفتى قاضي القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن بليهد علماء المدينة المنوّرة في جواز البناء على القبور، وتقبيل الأضرحة، والذبح عند المقامات، حيث يتناول الزائرون لها تلك اللحوم. فأجاب العلماء - وكان عددهم خمسة عشر شخصاً - بعدم جواز ذلك ووجوب منعه ومعاقبة من يفعله.

وقد نشرت هذه الفتوى في أكثر الصحف الصادرة آنذاك كجريدة أمّ القرى الصادرة في مكّة المكرّمة، وجريدة العراق الصادرة فيه.
وكان الهدف الرئيسي من هذه الفتوى هو تهيئة الرأي العام لهدم المراقد في الحرمين الشريفين. وفعلاً فقد تمّ في الثامن من شوّال من تلك السنة هدم قبور الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) في بقيع الغرقد في المدينة المنوّرة. وفي مقبرة المعلّى في الحجون في مكّة المكرّمة، والمراقد الموجودة في الطائف.
وقد ضمّ بقيع الغرقد في المدينة المنوّرة عشرة آلاف مرقد من مراقد الصحابة والشهداء والأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام)، منها: مرقد الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) سبط رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومرقد الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين(عليه السلام)، وابنه الإمام محمد الباقر(عليه السلام)، ثمّ ابنه الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)، وهم عند عمّهم العبّاس بن عبدالمطّلب تحت قبّته التي كانت مشادة.
وعلى رواية أنّ هناك مرقد الصديقة الزهراء(عليها السلام)، وكذلك مراقد عمّات الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)وزوجاته - عدا السيدة خديجة الكبرى والسيّدة ميمونة بنت الحارث - وعقيل بن أبي طالب، وإبراهيم بن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، والإمام مالك بن أنس، ونافع شيخ القرّاء، وحليمة السعدية.
كما طال الهدم مرقد عمّ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) حمزة بن عبد المطّلب، وغيره من شهداء أحد مثل مصعب بن عمير، وجعفر بن شمّاس، وعبد الله بن جحش.
وقد امتدّ التدمير إلى مرقد حبر الأمّة عبد الله بن عبّاس في الطائف، وقد كانت عليه قبّة مشادة لاتزال صورتها موجودة على صفحات التاريخ.
وعندما امتدّ الزحف العسكري إلى مكّة المشرّفة عمدوا إلى آثارها فدمّروها، وهدموا المراقد الشريفة في مقبرة المعلّى في الحجون، فهدموا قبّة عبد المطّلب جدّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومرقد عمّه أبي طالب.
كما دخلوا إلى مدينة جدّة فهدموا قبّة حوّاء أمّ البشريّة الأولى وخرّبوا قبرها، كما طال الهدم بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنزل فاطمة الزهرا(عليها السلام)، ومنزل حمزة بن عبد المطّلب، ودار الأرقم ابن أبي الأرقم، ومكان العريش التاريخي الذي أشرف منه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على معركة أحد. انظر مقدّمة «دعوة الهدى الى الورع في الأفعال والفتوى».

والعمل الفاضح، الذي ملأ صدور المسلمين قيحاً، وفجّر عيونهم دماً، ولا يزال الشغل الشاغل لأفكارهم وخواطرهم؟!

حتّى جاءنا اليوم يريد أن يزيد على الإبالة ضغثاً[1]، وأن يذرّ على الجرح ملحاً، فيبتزّ من أيدينا أغلى مجوهراتنا، وأعزّ مقدّساتنا، ألاّ وهي المظاهرات الغوائية، التي اعتاد الشيعة القيام بها كلّ عام في العشر الأول من شهر محرم الحرام، حزناً على سبط الرسول، وقرّة عين الزهراء البتول عليه الصلاة والسلام.

وذلك كاللطم على الصدور في الشوارع، والضرب على الظهور بالسلاسل، وإدماء الرؤوس بالسيوف، وتمثيل فاجعة الطفّ بالصورة التي يسمّونها «الشبيه».

وما كان أجدرنا بالتغاضي اتّجاه هذه العادية الطارية، لولا ما اكتنفها من الهتاف العالي، المنبعث عن كثير من الألسن والأقلام، التي أخذت على نفسها أن توحّب بكلّ عادية تأمل من ورائها القضاء على شيء من المقدّسات الدينية مهما كبر ذلك بعين اللّه وعين رسوله(صلى الله عليه وآله وسلم).

1- ضغث على إبالة: أي بليّة على أخرى كانت قبلها، الصحاح ٤: ١٦١٩ «أبل».

وما أدري، وليتني كنت دريت، ما الذي يؤلم أولئك الهاتفين من تلك الشؤون، ولمّا يلطم لهم صدر بين الصدور، أو يقرع لهم ظهر بين الظهور، أو يدم لهم رأس بين الرؤوس؟!

أفلغوهم تواهم يرثون ويتوجّعون، أمران [1] على قلوبهم ما كانوا يعملون؟!

عبثاً يحاول أولئك الهاتفون أن يقضوا على ذلك الروح الديني، في الوقت الذي أدركت فيه الطائفة نجاح تلك الأعمال بالنظر إلى مقصدها الأسمى وغايتها الوحيدة التي ترمي إليها من وراء تلك المظاهرات والتمثيلات.

فلقد يحسب الغبيّ أنّ جلّ ما يقصده المتظاهرون من تلك الأعمال ليس إلا إيّلام أجسامهم وأرواحهم، ولم يعلم بأن لهّم في تلك الأعمال أسراراً ورموزاً تعود عليهم بأكبر الفوائد، وتتقدّم بهم في جميع شؤونهم الأدبيةّ والاجتماعيةّ والسياسية.

كيف لا، وهذا التذكار الحسيني ليلقي عليهم في كلّ سنة من دروس التضحية والمفاداة في سبيل الحقّ ما يهبط بسعر الحياة في سوقهم الاجتماعيّة إلى درجة الصفر.

حتّى لقد أدرك فلسفة ذلك التذكار كثير من مستشرقي فلاسفة الغرب، وكتبوا عنه في مؤلفّاتهم فصولاً طويلة ومقالات ضافية.

منهم ذلك الدكتور «جوزف» الفرنسوي في كتابه «الإسلام والمسلمون»، فقد ذكر في جملة كلام له مسهب يتعلّق ببيان فلسفة مآتم الحسين(عليه السلام) وأسرار

1- الرين: الطبع والدنس، الصحاح ٥: ٢١٢٩ «رين».

شهادته عليه السلام ما نصّه مترجماً إلى العربيةّ عن الترجمة الفارسيةّ بقلم أحد العلماء:

«ومن جملة الأمور السياسيّة التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصيغة مذهبية منذ قرون، وجلبت لهم قلب البعيد والقريب، هي قاعدة التمثيل باسم الشبيه في مآتم الحسين(عليه السلام).

وقد قرّر حكماء الهند التمثيل لأغراض ليس هذا موضع ذكرها، وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أوربا وأخرجته بعامل السياسة بصورة التفرّج، وصارت تمثّل الأمور المهمةّ السياسية في دور التمثيل للخاصةّ والعامةّ، وجلبت القلوب بسببه، وأصابت بسهم واحد غرضين معاً: تفريج النفوس، وجلب القلوب في الأمور السياسيّة.

والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصيغة دينيّة، ويمكن القول بأنّ الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود.

وكيف كان، فالأثر الذي ينبغي أن يعود من التمثيل، إلى قلوب الخواصّ والعوام، قد عاد.

ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم، وذكر المصائب الواردة في فضل البكاء على مصاب آل محمدّ، إذا انضمّت إلى تمثيل تلك المصائب، تكون شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواصّ هذه الفرقة وعوامها فوق حدّ التصور، وهذا هو السبب الذي أوجب أن لانسمع من ابتداء ترقّي مذهب الشيعة إلى الآن أنّ ترك بعضهم دين الإسلام أو دخل في سائر الفرق الإسلاميةّ.

هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة، في مجالس خصوصيّة وأمكنة معينّة، وحيث إنّ الفرق الأخرى قلما تشترك معهم

في المجالس، اخترعوا تمثيلاً

خاصاً، وصاروا يدورون به في الأزقة والشوارع أمام جميع الفرق المختلفة، فتتأثر قلوب جميع الفرق من القريب والبعيد عين الأثر الذي يحصل من التمثيل.

ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجّه الأنظار من الخاصّ والعامّ، حتىّ قلد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلاميه والهنود واشتركوا معهم في ذلك، وهو في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلاميّة، كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد.

ويغلب على الظنّ أنّ أصول التمثيل بين الشيعة قد تداول من زمن الصفويّة[1] الذين هم أوّل من نال السلطنة بقوّة المذهب، وأجاز العلماء والرؤساء الروحانيّون هذه الأصول.

ومن جملة الأمور التي أوجبت رقيّ هذه الفرقة وشهرتهم في كلّ مكان، هو تعرّضهم، بمعنى أن هذه الطائفة قد جلبت إليها قلوب سائر الفرق من حيث الجاه والقوّة والشوكة والاعتبار، بواسطة المآتم والمجالس والشبيه واللطم والدوران، وحمل الألوية والرايات في عزاء الحسين(عليه السلام).

ومن الأمور الطبيعيّة المؤيّدة لفرقة الشيعة في تأثير قلوب سائر الفرق، هو إظهار مظلوميّة أكابر دينهم، وهذا التأثير من الأمور الفطرية; لأنّ كلّ أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم ويحبّ نصرة الضعيف والمظلوم على القوي، والطبائع البشريّة أميل إلى الضعيف والمظلوم ولو كان مبطلاً من الظالم ولو كان محقّاً لاسيما إذا مرّت عليه السنون والأعوام.

وهؤلاء مصنّفوا أوربا – مع أنّهم لايعتقدون بهم – يذعنون بالمظلوميّة لهم،

1- سيأتي منّا أنّه أقدم تاريخاً من ذلك، و أنّه كان متداولاً عند الشيعة منذ المائة الرابعة «المؤلف».

ويعترفون بظلم وتعدّي قاتليهم، وعدم رحمتهم، ولا يذكرون أسماءهم إلاّ مشمئزين، وهذه الأمور الطبيعية لايقف أمامها شيء، وهذا السرّ من المؤيّدات الطبيعيّة لفرقة الشيعة».

ومنهم ذاك الحكيم الألماني المسيو «مارسبين»، فقد ذكر في جملة كلام له طويل في كتابه «السياسة الإسلاميّة»[1] مانصّه معرّباً عن الترجمة الفارسية أيضاً:

«إنّ عدم معرفة بعض مؤرّخينا بحقيقة الحال، أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين إلى الجنون، ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام.

فإنّا لم نر في سائر الأقوام ما نراه في شيعة الحسين من الحسيّات السياسيّة والثورات المذهبيّة، بسبب إقامة عزاء الحسين.

وكلّ من أمعن النظر في رقيّ شيعة علي، الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم في مدّة مائة سنة، يذعن بأنهمّ فازوا بأعظم الرقيّ، فإنّه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة علي والحسين في الهند إلاّ ما يعدّ بالأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة

من حيث الجمعيّة إذا قيسوا بغوهم، وكذلك هم في سائر نقاط الأرض.

1- في الذريعة ٢٢: ٢٤ : «مقتل أبي عبد الله الحسين(عليه السلام) للسيّد ميرزا حسن ابن السيّد علي القزويني... وفي آخره تعريب كلام موسيو ماربين الألماني في فلسفة شهادة الإمام الحسين(عليه السلام)».
وفي معجم المطبوعات النجفية: ٢١٥ : «السياسة الحسينيّة: مسيو ماربين والدكتور جوزيف. المطبعة العلوية سنة ١٣٤٧هـ ، بحجم الكفّ، اللغة فارسية، ٥٨ صفحة.
وفي الأعلام للزركلي ٢: ٢٤٣: «وللفيلسوف الألماني ماربين كتاب سمّاه «السياسة الإسلامية» أفاض فيه بوصف استشهاد الحسين».

وإذا قسنا دعاتنا مع تلك المصارف الباهظة والقوّة الهائلة بالشيعة، نرى دعاتنا لم يحظوا بعشر توفيقات هذه الفرقة وإن كانت قسمنا تحزّن القلوب بذكر مصائب المسيح، ولكن لابذلك الشكل والأسلوب المتداول بين شيعة الحسين،

ويغلب على الظنّ أنّ سبب ذلك هو أنّ مصائب الحسين أشد حزنا وأعظم تأثيرا منّ مصائب المسيح.

وإنّي اعتقد بأنّ بقاء القانون الإسلامي، وظهور الديانة الإسلاميّة، وترقيّ المسلمين هو مسببّ عن قتل الحسين وحدوث تلك الوقائع المحزنة.

وهكذا مازاه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة وإباء الضيم ما هو إلاّ بواسطة عزاء الحسين، وما دامت في المسلمين هذه الملكة والصفة لايقبلون ذلاًّ ولا يدخلون في أسر أحد.

ينبغي لنا أن ندقّق النظر في ما يذكر من النكات الدقيقة الحيويّة في مجالس إقامة العزاء، ولقد حضرت دفعات في المجالس التي يذكر فيها عزاء الحسين في إسلامبول مع مترجم، فسمعتهم يقولون:

الحسين الذي كان إمامنا ومقتدانا، ومن تجب طاعته ومتابعته علينا، لم يتحمّل الضيم، ولم يدخل في طاعة يزيد، وجاد بنفسه وعياله وأولاده وأمواله في سبيل حفظ شرفه، وعلوّ حسبه ومقامه، وفاز في قبال ذلك بحسن الذكر والصيت في الدنيا، والشفاعة يوم القيامة، والقرب من اللّه، وأعداؤه قدخسروا الدنيا والآخرة.

فرأيت وبعد ذلك وعلمت أنّهم في الحقيقة يدرّس بعضهم بعضا ًعلنا، ًبأنكمّ إن كنتم شيعة الحسين وأصحاب شرف، إن كنتم تطلبون السيادة والفخر، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد، لا تحملوا الذلّ، بل اختاروا الموت بعزّة عن الحياة

بذلة، حتّى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة، وتحظوا بالفلاح.

ومن المعلوم حال الأمّة التي تلقى إليها أمثال هذه التعاليم من المهد إلى اللحد، في أيّ درجة تكون من الملكات العظيمة والسجايا العالية.

نعم هكذا أمّة تحوي كلّ نوع من أنواع السعادة والشرف، ويكون جميع أفرادها جندا ًمدافعين عن عزهمّ وشرفهم، هذا هو التمدّن الحقيقي اليوم، هذا هو طريق تعليم الحقوق، هذا هو معنى تدريس أصول السياسة».

هذا ما ذكره ذانك المستشرقان الغربيّان عن فلسفة تلك المظاهرات العزائية، التي تقوم بها الطائفة الشيعيّة من عام إلى آخر، تذكراً لذلك الإمام الشهيد.

وأنتوى أنّهما قد فطنا إلى كثير من أسرارها الخفيّة، ورموزها المختبئة حتىّ عن كثير من أبنائها وأصدقائها.

وليت فلاسفتنا الأقوبين قد أدركوا ولو طرفاً يسيراً ممّا أدركه أولئك الفلاسفة الأبعدون، كي يعلموا بأن تلك المظاهرات هي من أهمّ المقدّسات الطائفيّة والنواميس المذهبيّة التي لايمكن القضاء عليها بقوة التمويه مهما أوغل عليه من مبرقشات[1] الثياب.

وأنّى للموهيّن أن يقضوا على عادة يمتدّ بها التاريخ منذ عهد البويهيين إلى اليوم؟!

أي منذ عشرة قرون تقريباً، كما يرشدك إلى ذلك ابن الأثير، في ما ذكره من

1- البرقشة: شبه تنقيش بألوان شتّى، تاج العروس ٩: ٦٠، «برقش».

حوادث بعض السنين على عهد ملوك آل بويه في المائة الرابعة[1].

ومن ذلك تعرف أنّ الإنكار على تلك العادة بكلمة «لم تكن» لم ينبعث في الحقيقة إلاّ عن الجهل بالتاريخ، ولاريب أنّ تلك الكلمة لم تدخل العراق إلاّ عن طريق نجد، الذي اعتاد الإنكار بها على أيّ عمل مستحدث، بالرغم ممّا عليه طريقة عامة المسلمين وكافة أهل الدين – إلاّ من شذّ – من التمسك بالواءة في كل مشتبه الحكم إلى أن يقوم الدليل على تحريمه.

وليت شعري متى أصبح التمثيل عادةً سيئةً، وهذه الطوائف الإسلامية كلهّا كانت تحترم بالأمس «المحمل» الذي كان يمثلّ به الشاميّون محمل النبي صلىّ اللهّ عليه وآله وسلم،[2] كما أنّها تحترم اليوم «الهودج» الذي يمثلّ به المصريون كل

1- قال: «في هذه السنة ٣٥٢ ه عاشر المحرّم أمر معزّ الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء، منشّرات الشعور، مسوّدات الوجوه، قد شققن ثيابهنّ، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههنّ على الحسين بن علي رضي اللّه عنهما.
ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنيّة قدرة على المنع منه، لكثرة الشيعة، ولأنّ السلطان معهم» الكامل في التاريخ ٨: ٥٤٩، ذكر عدّة حوادث فى سنة ٣٥٢ ه .
وقال في موضع آخر: «في هذه السنة ٣٥٣ عاشر المحرّم أغلقت الأسواق في بغداد يوم عاشوراء، و فعل الناس ما تقدّم ذكره، فثارت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنية جرح فيها كثير ونهبت الأموال» المصدر السابق، ذكر عدّة حوادث لسنة ٣٥٣.
ويقول في حوادث السنة ٣٥٨ : «في هذه السنة عاشر المحرّم عمل أهل بغداد ما قد صار لهم عادة من إغلاق الأسواق وتعطيل المعايش وإظهار النوح والمآتم بسبب الحسين بن علي رضوان اللّه عليهما.

2 - في كتابه «دمشق في مطلع القرن العشرين» يوضح «أحمد حلمي العلاف» كيف كانت ترتّب شؤون الحجيج أيام الدولة العثمانية، والتفاصيل الدقيقة لكلّ مراسم المحمل الشامي بدءاً من الإعداد له، ومروراً بمسيرته، وانتهاء بالاحتفالات التي يقيمها الدمشقيّون بعد عودة الحجّاج من الأراضي المقدّسة، وكانت هذه التفاصيل قد عرضت في أحد الأعمال الدرامية السورية «الخوالي» لبسام الملاّ، واتكأت على هذا المرجع لتقديم صورة عن حياة الناس، عاداتهم وطقوسهم في أيام الحجّ البعيدة تلك.
تبدأ مراسم المحمل في اليوم الأول لعيد الفطر، وتسمّى «مراسم الزيت والشمع والمحمل»، حيث تصطف الفرق العسكرية أمام المسجد الأموي، وتؤدّي التحية لوالي المدينة وقائدها العسكري، وبعض كبار الموظفين، وبعد الانتهاء تجري حفلة إخراج الشموع والزيوت المهيأة لإرسالها مع موكب الحجّ إلى الحرمين الشريفين.
في «يوم الزيت» وهو ا لثاني من شوال كلّ عام، يتمّ الاحتفال بنقل الزيت من «كفر سوسة» أحد ضواحى دمشق في الماضي، وهو أحد أحيائها اليوم، ضمن ظروف على ظهور الإبل حتّى «الكيلار» في البحصة، وهو المستودع الخاص بأدوات محمل الحجّ.
أمّا في اليوم الثالث من شوال يوم الشمع فينقل الشمع باحتفال رسمي أيضاً، من الدار التي سكب فيها في «كفر سوسة» ووزنه ثلاثة قناطير، وماء الورد من محصول قرية «المزّة» - وهو حي المزّة المشهور في دمشق اليوم - ووزنه نحو قنطار، والملبّس ووزنه عشر أرطال، ويحمل الشمع على أعناق الرجال ملفوفاً بالشال «الكشمير» لإهدائه إلى الحرمين.
وفي يوم السنجق، يخرج السنجق الشريف «الراية أو اللواء» وهو كلمة فارسية، من القلعة حيث يحتفظ به، وينقل باحتفال مهيب إلى دائرة المشيرية، ليستقبله المشير ويضعه في قصره.
أمّا اليوم الرابع من هذه المراسم، فهو (يوم المحمل)، حيث يخرج موكب الحجّ الشريف مع المحمل والسنجق إلى حي الميدان، ثمّ باب مصر، ومنه إلى قرية القدم التي فيها قبة جامع «العسالي»، وتحت هذه القبة، يوضع المحل نحو عشر أيام، ريثما تنتهي أسباب السفر إلى الحجاز.
التشرف بإمارة الحجيج: من هنا كان يبدأ المحمل رحلته.
يعتبر «آل سعد الدين» من أعرق العائلات الدمشقية، وأكثرها ارتباطاً بطقوس محمل الحجّ الشامي، حيث كان لشيوخ الأسرة السعديّة موقعهم المميّز في احتفالات المحمل ؛ لأنّ دارهم كانت المحطة الأهم لاستراحة المحمل الشريف، الذى كان شعاراً لسيادة السلطان العثماني على الحرمين الشريفين.
يوضع (المحمل) على ظهر جمل جميل الشكل قوى وعال لايستخدم لأي عمل سوى الحجّ، ويحمل إضافة للمحمل الكسوة السلطانية إلى

الكعبة الشريفة.
وحين كان المحمل يتوقّف في دار سعد الدين يتقدّم شيوخ الأسرة ووجهاؤها ليلقموا الجمل قطعاً من اللوز والسكر، فيتهافت الناس على التقاط الفضلات من فم الجمل تبركاً وتحبباً؛ لأنّه يحمل أعظم شعار يجتمع إليه المسلمون عند ذهابهم إلى الحج.
وبعد وصول المحمل إلى العسالي، ينتظر تجمّع الحجاج يوماً أو يومين، حيث تسير قافلة أمير الحجّ في طريقها إلى مدينة الرسول صلىاللهعليهوآلهوسلم.
كانت الدولة العثمانية تتحمّل نفقات الحجّ، وتعهد بإمارته لواحد من كبار العسكريين في دمشق، أو من زعماء العشائر العربية في فلسطين، ويتهيّأ هذا الأمير للخروج بالحجّ قبل حلول الموسم بثلاثة أشهر، فيقوم أولاً ب «الدورة» أي زيارة المناطق الجنوبية من دمشق لجمع المال اللازم، وقد يكون الوالي نفسه أمير الحجّ، وهى مهمّة صعبة وخطيرة؛ لأنّ من واجباته أن يدفع عن الحجاج اعتداءات القبائل التي تنوي بهم شراً، وقد تولّى أسعد باشا العظم - والي دمشق - إمارة الحجّ مدة ١٤ عاماً، وكان الباشاوات في مختلف أنحاء السلطنة العثمانية يتوقون إلى هذا اللقب.
تتكون قوافل الحجّ الشامي من عدّة فئات تقوم بخدمة الحجاج والسهر على راحتهم وحمايتهم، ولكلّ من هذه الفئات وظائفها:
فالسقاة، كانوا يحملون القرب لنقل المياه من البرك والآبار إلى الحجيج.
والبرّاكون، هم أصحاب الدواب التي تنقل الحجاج، وتكون من البغال والبراذين.
والعكّامة، وهم أصحاب الجمال والهوادج التي تنقل الحجاج أيضاً.
وأصحاب المشاعل، وهم حملة القناديل ومشاعل الزيت، وطائفة أصحاب الخيم.
ولكلّ هؤلاء رؤساء ومعاونون كثيرون، مهيؤون لتأمين راحة الحجاج، فأهل حي الشاغور وقصبة دوما للجمال، وأهل الصالحية كان أكثرهم للسقاية والمشاعل وللبراكة، والبياطرة منهم أيضاً، والجنود يخدمون أنفسهم، أمّا الأمير وأتباعه فإن مئات الأشخاص يكونون تحت خدمته وخدمة معاونيه.
كان أمير الحجّ يخرج من سراي الحكم «المشيرية أو العسكرية» على رأس موكب الحجّ بين ١٥ - ١٧ شوال، ويتّخذ طريقه: الميدان، مجتازاً باب المصلّى، ثمّ الميدان الفوقاني، إلى باب الله أو بوابة مصر، في ممرّ يمتدّ نحو ثلاثة كيلومترات متّجهاً إلى قرية مزيريب، وبعد خروج الحجّ ببضعة أيام «من يومين إلى خمسة» تخرج قافلة الحجّ الشامي من الطريق نفسه، يتلوها قافلة الحجّ الحلبي، ومعهم حجاج العجم، ويبقى الجميع في مزيريب حتّى يتمّ خروج الموكب بأجمعه، وكانت رحلة الحجّ الشامي تستغرق أربعة أشهر من شوال حتّى صفر.
الحبوب والمحبوب:
بعد انتهاء مناسك الحجّ، يتجمّع الحجاج في المدينة المنوّرة حول المحمل والسنجق ويعودون في نفس الموكب الذي ذهبوا به، وحين يقارب وصولهم إلى دمشق، تستعد الحكومة والأهالي لاستقبالهم باحتفالات كبرى.
وكان معروفاً عند الناس قولهم أثناء مغادرة الحجاز: «يأكلون الحبوب ويفارقون المحبوب»، والحبوب نوع من الحلوى تطبخ فيه الحبوب المتنوعة كالحمص والقمح واللوبياء والفاصولياء مع السكر، وعادة ما يصنع يوم عاشوراء في العاشر من محرّم، والمحبوب هو الرسول صلىاللهعليهوآلهوسلم.
في العودة، يكون مع القافلة رجل يدعى «أمين الصر»، والصر - هو بعض الهدايا التي كانت توزع على عربان بين الحرمين تملّقاً لهم وخوفاً من بطشهم، ويحوى هذا الصر - مختلف المتاع من أحذية، ومحارم وهى مناديل قطنية أو حريرية كان بعضها يصنع في دمشق أو تحضر من استانبول، والعُقل، والعباءات والجوارب.
أمّا «الجوخة دار» أو «جوقة دار» وهي كلمة تركية الأصل تعني فتيان السلطان أو القصر السلطاني، ثمّ أصبحت الكلمة تطلق على رسول السلطان أو الوالي، فيقوم في الحجّ بدور الرسول الذى يرسله أمير الحجّ إلى دمشق ليبشّر - الناس بعودة الحجّاج قبل وصولهم ببضعة أيّام، وينفصل «الجوخة دار» عن الحجّاج في تبوك، يصل قبلهم بسبعة أيام، ويبشر الناس بسلامة الحجّ ونظافته من الوباء والأمراض والمصائب، وبمجرّد وصول «الجوخة دار» يبدأ الناس بالسفر إلى مزيريب أو غباغب أو الكسوة، حاملين مختلف الأطعمة لملاقاة حجّاجهم من أقارب وأصحاب.
أمّا الدولة فتعيّن يوماً لاستقبال موكب الحجّ، يأتي فيه الناس مهلّلين مكبّرين، يصطفّون على جوانب الطرق من بوابة مصر في العسالي، إلى دار الحكومة وهي مكان القصر العدلي في دمشق اليوم. وتطلق مدفعية قلعة دمشق عند وصول الموكب عشرين طلقة متقطعة، وفي تلك الأثناء يمرّ الموكب ثانية في دار آل سعد الدين الذين يناولون جمل الحجّ اللوز والسكر كما فعلوا عند ذهابه إلى الحجاز.

سنّة هودج أمّ المؤمنين عائشه رضي اللهّ عنها [1].

1- لاحظ «أزمة سياسية بين مصر والسعودية بسبب محمل الحجّ» بقلم إبراهيم كامل:
المحمل الشريف؛ فهو عبارة عن هودج من عدّة قطع من القماش المزخرف بالآيات القرانية يحمل على جمل خاصّ، وكان يسير من بلاد مصر وتركيا وسوريا متزامناً مع مناسك الحجّ، ابتداءً من عصر المماليك، حين خرجت «شجرة الدر» قاصدة الحجّ، واستمرّ حتّى ملك آل سعود، وتحديداً في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود.
في عهد الملك عبد العزيز وقعت حادثة تقاتل بعض الحجّاج النجديين المنتمين للإخوان فرقة عسكرية وهابية مناصرة لآل سعود مع عساكر المحمل المصري في عام ١٣٤٤ ه .
واتفق الملك عبدالعزيز مع المصريين أخيراً على أنّه لا حاجة للمحمل بعد توفّر الكسوة، ووقّع معهم بعد تولي فاروق الحاكم معاهدة على وفق القوانين الدولية عام ١٣٥٥ ه تضمّنت السماح للمصريّين بالتطوّع لعمارة الحرمين الشريفين.

وليس في حجّاج المسلمين من لم يشاهد أبهّة ذلك الهودج الموقرّ، حينما يسير بين الجماهير محاطا بالجند والسلاح، وقد تقدّم أمامه الموسيقي يعزف له بألحانه المطربة، حتىّ لقد قتل الجند المصري في هذه السنة عند «وادي منى» ثلاثة من الوهابيين دفاعاً عن موسيقي الهودج.

وإذا كان التمثيل عادة سيئة، فلماذا تنكره الألسن والأقلام على ممثّلي فاجعة الطفّ خاصة،ولا تنكره على ممثليّ «المحمل» و«الهودج»؟

لماذا لاتنكره على الإفرنج، وقد غصّت مدنهم بقاعاته وساحاته؟

لماذا لاتنكره على النصارى في اتّخاذ الصلبان؟ وليست هي إلاّ تمثيلا لِلخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام.

وها أنّي وإن كنت أعترف للمنكرين بوجود شيء ما من السخافات في ضمن التمثيل الحسيني، غير أنّي لاأرى أن ّذلك مما ّ يدعو إلى حظره وتحريمه، بل اللازم على محبّ الإصلاح أن يدعو أولئك النفر الذين يقومون بتنظيم ذلك التمثيل إلى تهذيبه وتنزيهه ممّا يشوّه صورته أو يشين سمعته؛ ليبرز إلى الناس بصورة محتشمة تروق الناظرين إليه، وتعجب الواقفين عليه.

وهكذا القول في مواكب اللطم التي تتجوّل في الأزقّة والشوارع، فإنهّا وإن تجاوزت حدود الآداب الشرعية ّأحيانا، غير أن ّ ذلك لايوجب تحريم التجوّل عليها في السبل والمذاهب، فإنّ اللازم الاتفاّقي لايكاد يغير ّحكم الملزوم إذا خالفه في الحكم بضرورة العلم.

ولماذا لانعذر أولئك اللاطمين –وجلّهم من الشباب – إذا دفعهم الغرور الشخصي في سنة ما إلى الملاكمة مع بعضهم؟!

في الوقت الذي نقرأ فيه على صفحات الجرائدأنباء الملاكمات المدهشة، التي تجرى بتوسّط الكراسي والمناضد في أهمّ المجالس النيابيّة المنعقدة في عواصم أوربا، وهي تلك المجالس التي لاتضمّ إليها إلا ّالصفوة المنتخبة من عقلاء الأمة ّ ومفكّريها، وهم على الأغلب يؤمون مقصداً واحدا ًوينتمون إلى ديانة واحدة،ولا يبعثهم على ذلك التلاكم إلا ّالانشطار الحزبي.

وبهذا الانشطار عينه ينبعث أولئك اللاطمون إلى التلاكم فيما بينهم أحياناً، عندما يتزاحم فريقان منهم لدى جادّة واحدة، طلبا ً للسبق في ذهاب أو إياب، مهما كان المقصد واحداً والديانة واحدة.

فهلّم معي أيهّا الصديق لأضع يدي في يدك، فنذهب جميعا إًلى أولئك المفندين فنسأل منهم: لماذا استباحوا تفنيد ذلك الفريق اللاطم، ولم يستبيحوا تفنيد الفريق المنتخب، وكلاهما يتلاكمان ويتشاجران؟!

لماذا ينتقصون العمل شرقيّاً،ولا ينتقصونه غربياّ،ً والعمل واحد من كل وجّه؟!

لماذا يرحّبون بعادات الغرب على هنأتها وعلاتهّا، ثم يتنكرون على الشرق كل عّاداته وأخلاقه؟!

أليس ذلك كلّه من تأثير القوّة على الضعف، والرفعة على الضعة، وتلاشي نفسيةّ الشرقي إزاء نفسية الغربي؟!

على أنّ الشيعة لو أرادوا أنّ يحبسوا اللطم بين جدران البيوت وحيطان الدور، لخسروا أكثر أغراضهم التي يرمون إليها من وراء تلك المظاهرات، لذلك

فإنّي لاأعتبر المنع عن سير تلك المواكب إلاّ خطأً فاحشا في العلم، وبالأخص إذا جعل الوجه في منعه سخرية بّعض المتوّجين من أولئك اللاطمين.

فإنّ سخرية الأغيار لوصحّ لنا أن نتخذها وجها للّمنع عن مثل هذا العمل العبادي، لصح لنّا أن نتخذها وّجها للمنّع عن كثير من العبادات، التي يسخر منها من لايعرفها من الأجانب.

ولا سيّما مثل الحجّ، الذي لايكاد يغرب عن فكر المانع مايوجد فيه من الأعمال المستغربة، التي لايمكن لشخص ما أن يقف على حكمها الكبرة، بعقليّتة الصغرة.

ولا شكّ أنّ المانع لايرضى للرجل المسلم أن يتمنع عن الحجّ، أو عن التظاهر بشيء من عباداته المشروعة؛ محتجا بّمًا يجلبه عليه من سخرية الأعداء أو استهزاء الغرباء.

كيف، والأنبياء عليهم الصلوات والسلام لم ينهضوا بنشر دعوتهم الإلهيّة إلاّ بين هزؤ المستهزئين وسخرية المستسخرين؟!

وما من ملّة على وجه الأرض إلاّ ولها من الأعمال والشعائر ما تسخر منه سائر الملل الأخرى.

فهل بلغك لحدّ اليوم أنّ ملةّ من تلك الملل، أضربت عن القيام بشيء من أعمالها وشعاؤها فرارا مّن سخرية الآخرين واستهزائهم؟

إذاً فلماذا لانثبت على المبدأ أمام أولئك الجهلاء، ثمّ نقول لهم كما قال نوح لقومه: ﴿ **إِن تَسخَرُوا منّا فإنَّا نَسخَرُ مِنكُم كَمَا تَسْخَرُونَ**»[1] «**اللّهُ يَستَهزِئُ بِهِمْ ويَمدُهمْ فِي طُغيانِهِم يعمَهُونَ**﴾[2].

1- هود ١١: ٣٨.
2- البقرة ٢: ١٥.

أجل، إنّ على محبّ الإصلاح أن يتحرّى مواضع النقص من تلك الأعمال، ثم يّسعى جهده في ملافاتها بكل مّا أوتيه من قوة ورباطة جأش، وليس له في أيّة شريعة سماويّة أو وضعيّة أن يقذفها بالكراهة، بل التحريم، سيماّ وأن القيام بتلك الأعمال من القيام بواجب المودّة في القربى التي أمر اللّه بها في صريح كتابه المجيد[1]، ومن الحزن لحزنهم عليهم السلام الذي ندب إليه أشياعهم وأتباعهم في جملة من الروايات المستفيضة عنهم[2].

وزد إلى ذلك قول صادقهم عليه السلام، فيما رواه عنه خالد بن سدير «لقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليهما السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»[3].

على أنّ في السيرة المستمرة على مشهد ومسمع من أكابر أهل الدين، غير متورّعين ولامنكرين، لغني عن إقامة الحجج وإدلاء البراهين.

ومن الرواية المتقدّمة آنفاً المرويّة عن صادق أهل البيت عليهم السلام يمكنك أن تعرف الحكم في إدماء الرؤوس إشعارا

بالحزن على شهيد الطفّ، فإنّ إطلاق الأمر باللطم على الخدود لما يقضي باستحبابه ورجحانه وإن استلزم الخدش والإدماء.

بل إنّ انبعاث الدم من الخدّ بسبب توالي اللطم عليه يكاد يعدّ لازماً عادياً له على الأغلب، بالنظر إلى رقة جلّدته وطراوة بشرته.

1- قال تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة فى القربى»، الشورى ٤٢: ٢٣.
2- راجع وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٨، باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهمالسلام.
3- تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، حديث ١٢٠٧.

وما ضرّ المسلمين أن يسفحوا قليلاً من دمائهم على أبدانهم مواساةً لتلك الأبدان الطاهرة، التي تضرّجت بدمائها فداءً لقضيتّهم وخدمة لمصلحتهم؟

أو ليس من الجفاء الممقوت أن يتحمّل أولئك الشهداء في سبيل أمّتهم كلّ تلك المصائب والنوائب، ولاتتحملّ هي في سبيلهم ما يريق من أبدانها ملء محجمة دماً؟!

ولئن احتجّ المانع عنه بكونه إضراراً بالنفس، فإنّ جلّ أولئك الذين يدمون رؤوسهم بحد السّيف لايعترفون له بتلك الحجة، وإن شاء فليحفهم السؤال وليستخبرهم الحال، فسوف لايجد بينهم إلاّ منكراً للضرر، أو مدعّيا للانتفاع.

ولا غرو، فإنّ كثيرين في الناس، من لاتستقيم صحتّهم إلا بإسالة كمية وافرة من دمائهم، وربما أسالوا منه في السنة أكثر من مرّة واحدة.

على أنّ الإضرار بالنفس في سبيل مواساة ذلك الإمام الشهيد ممّا تحمله كثير من أكابر رجال هذا الدين، ومنهم العباسّ ابن أمير المؤمنين عليهما السلام، وهو أفضل أولاد أبيه بعد أخويه الحسنين، فإنّه بعد أن اخترق بسيفه صفوف أهل الكوفة، ووصل المشرعة من شطّ الفرات، وكان قد أخذ منه العطش مأخذاً لايوصف، مدّ يده إلى الماء فاغترف منه غرفة، فلما أدناها من فمه ليشرب، ذكر عطش أخيه الحسين وأهل بيته، فرمى الماء من يده، وقال: ياماء لاأذقتك وأخي الحسين وعياله عطاشى[1].

إذاً، فما يمنع سائر أفراد المسلمين من قبول الضرر على أنفسهم في سبيل تلك المواساة، بعد أن قبله على نفسه مثل ذلك الرجل الكبير، أعني العبّاس بن

---

1 - لم نعثر على هذا النصّ بخصوصه وهناك نصّ مشابه له في ينابيع المودّة وهو: «واللّه لا أذوق الماء وأطفاله عطاشى و...» ينابيع المودّة ٣: ٦٧، مقتل العبّاس.

علي عليهما السلام، وهو من لاتجهل مكانته السامية في العلم بدين اللّه وأحكامه، وتمييز حلاله من حرامه.

ولو أردنا غضّ النظر من هذه الوجهة، فإنّه لايسعنا أن نتغاضى عن إطلاق الحكم بالتحريم، بعد أن لم نقف له في أصول الشرع وقواعد العلم على أيّ مبرّر يذكر.

وهنا أودّ أن أقفك على بضعة كلمات لبضعةرجال من كبار رجال الدين، لتكون لك بمثابة نموذج لنظرية سائر العلماء الأعلام في الموضوع:

قال شيخنا الأكبر المرحوم الشيخ جعفر في كتابه «كشف الغطاء»، بعد أن ذكر الأعمال التي تصنع في مقام عزاء الحسين عليهالسلام من دق طبل إعلام، أو ضرب نحاس، وتشابيه صور، ولطم على الخدود والصدور، مالفظه:

«وجميع ما ذكر وما يشابهه إن قصد به الخصوصيّة كان تشريعاً، وإن لوحظ فيه الرجحانية من جهة العموم فلا بأس به»[1].

وقال شيخنا المحقّق الميرزا القمّي رحمه اللهّ في كتابه «جامع الشتات»، بعد ذكره ما ورد إليه من السؤال عن حكم تلك الأعمال والمظاهرات، ما ترجمته:

«إنّي لا أرى وجهاً للمنع عن ذلك، ويدلّ عليه عمومات رجحان البكاء والإبكاء والتباكي على سيدالشهداء عليهالسلام، ولا شكّ أنّه من الإعانة على البرّ»[2].

وقال شيخنا الإمام الفقيه المتبحّر الشيخ زين العابدين الحائري عليه الرحمة في كتابه «ذخيرة المعاد» بعد ذكره السؤال الوارد إليه عن حكم التمثيل

1- كشف الغطاء ١: ٥٤، نهاية مبحث القواعد المشتركة بين المطالب الفقهية.
2- جامع الشتات ٢: ٧٥٠.

الحسيني بما يشتمل عليه من تشبه الرجل بالمرأة، ما ترجمته:

«لابأس بذلك، بل هو من المرغوب فيه، مالم يشتمل على محرّم خارجي كالغناء ونحوه»[1].

وقال أيضاً في جواب السؤال عن حكم استعمال الطبل والصنج في عزاء الحسين عليهالسلام مع كونهما لايستعملان إلاّ في مقام الغناء، ما ترجمته:

«لابأس به، بل هو من الأمور المطلوبة المحبوبة»[2].

وفي الكتاب المذكور أسئلة كثيرة تتعلّق بالمقام، ضربنا عنها صفحاً طلباً للاختصار[3].

وقال شيخنا العلاّمة المحدّث الكبير الخضر بن شلاّل في مزاره «أبواب الجنان وبشائر الرضوان» في جملة كلام له متسعّ الأطراف، مالفظه:

«قد يستفاد من النصوص التي منها مادلّ على جواز زيارته ولو مع الخوف على النفس[4]، جواز اللطم عليه والجزع لمصابه بأي نحو كان لو علم أنّه يموت من حينه، فضلاً عماّ لايخشى منه الضرر على النفس التي قد تكون عند كثير من الناس أهون من المال الذي قد قامت ضرورة المذهب على مزيد فضل بذله في

1- ذخيرة المعاد: ٣٦٨.
2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق.
4 - ورد في كامل الزيارات: ٢٢٧، الباب ٤٠ (دعاء رسول اللّه وعلي وفاطمة والأئمّة لزوّار الحسين عليهالسلام). روايات عديدة تشير إلى هذا الأمر، منها عن معاوية بن وهب عن أبي عبد اللّه قال: قال لي: «يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين عليهالسلام لخوف...»، الحديث ١ - تسلسل٣٣٥.

مصابه وزيارته».

وخلاصة القول: أنّ حجج المانعين التي تتوآى لنا من خلال مقالهم، لاتزيد على أربع مواد، نفهرسها لك في ما يأتي، مشفوعة بخلاصة ماقدّمناه من الملاحظات عليها، لتقف على حقيقة ما ورد في الموضوع من النقد والردّ بصورة منتظمة:

المادة (١): إنّ التمثيل وما يتصّل به من مظاهرات عاشوراء ممّا لم يكن عند الشيعة في الأعصر الغابرة، فهو بدعة محرّمة.

والجواب عن ذلك: إنّ التمثيل وما يتصّل به كان متداولاً عند الشيعة منذ عصر البويهيين، أي منذ عشرة قرون تقريباً.

ولو قدّر أنّه أمر مستحدث، فلايلزمه أن يكون بدعة محرّمة، كيف والبدعة كماقد تكون معروضة للكراهة أو الحرمة، كذلك قدتكون معروضة للوجوب أو الاستحباب، فهي في الحقيقة من الأمور التي تنقسم إلى الأحكام الخمسة، ويكفي في استحبابها أن تتناولها عمومات بعض المستحبّات.

ولا يجب أن تكون من المنصوص عليها بالخصوص، كما هو الشأن في قضيّة التمثيل وما يتصّل به من مظاهرات عاشوراء، فإنّها مضافاً إلى ما ورد في بعضها من النصوص الخاصة، لاتكاد تعدوها العمومات الحاثّة لتابعيهم على البكاء والإبكاء عليهم، والخوع لمصابهم، وإظهار أمرهم، والقيام بواجب مودّتهم، إلى غير ذلك من الأدلّة العامة الشاملة لتلك الشؤون وغيرها، ممّا ينطبق عليه شيء من تلك العناوين الراجحة.

ولو قطع النظر عن جميع تلك الأدلّة الخاصّة والعامة، فلابد عند ذاك من المصير إلى المرجع الوحيد، ألاوهو الأصل في المسألة، ومن المعلوم لدى

الأصوليّين أنّ مقتضاه حينئذٍ الواءة ليس إلا.

المادة (٢): إنّ التمثيل يشتمل على كثير من السخافات والأمور المستهجنة.

والجواب عن ذلك: إنّ اشتماله على تلك الأمور لايسوّغ المنع عنه بتاتاً، وإنما اللازم – بناء عليه – هو الاهتمام بتنزيهه عما فيه.

المادة (٣): إنّ تجول مواكب اللطم في الأزقة والشوارع مدعاة للخروج عن حدود الآداب الشرعيّة، ومجلبة لسخرية الأغيار واستهزائهم.

والجواب عن ذلك: إنّ خروج اللاطمين عن تلك الحدود بسبب تجولهم ليس إلا أمراً اتّفاقيّاً؛ فلا سبيل إلى اتخاذه وجهاً لمنعهم عن التجوّل شرعاً.

وأمّا ما يجلبه عليهم من سخرية الأغيار واستهزائهم، فقد عرفت أنّه من لوازم المغايرة في الديانة، وكم لأولئك الأغيار من الأعمال ما يجلب عليهم سخريتنا واستهزائنا، إذاً فليسقط الاحتجاج بالسخرية والاستهزاء.

المادة (٤): إنّ إدماء الرؤوس بالسيف موجب لإدخال الضرر على النفس، والإضرار بالنفس حرام بلا كلام.

والجواب عن ذلك: إنّ أولئك المدمين لرؤوسهم لايعترفون بدخول الضرر عليهم من قبل ذلك الإدماء، فلا وجه للإنكار عليهم بعمل لايكون ضرريّاً بالقياس

إليهم، ولو قدّر أنّ فيهم من يتضرّر بإدماء رأسه اختصتّ الحرمة به دون غيره.

هذا، ومن المرجّح عندي أنّ بعض المانعين ممنّ أحترم شخصيتهّم، لم يقصد المنع عن القيام بتلك الأعمال مطلقا، وإن شف عن ذلك ظاهر كلامه الذي أرسله على عواهنه، لأنّ علمنا بحسن نوايا ذلك البعض ليضطرّنا إلى تأويل كلامه بالرغم من ظهوره في خلاف التأويل، واللّه الموفّق للصواب، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الصفحة 265

كلمة حول الرسالة

لسيّدنا الأعظم حضرة آية اللّه السيدّ حسن صدر الدين دامت بركاته:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا هو الكلام الفحل والقول الجزل، فؤاد اللّه في شرف راقمه.

حسن صدر الدين

الصفحة 266

الصفحة 267

(٦) كلمة حول التذكار الحسيني

تأليف

الشيخ محمد جواد الحجّامي

(١٣١٢ هـ . ١٣٧٦ هـ)

الصفحة 268

الصفحة 269

بسم اللّه ولا حول ولا قوّة إلا باللّه

لقد أوقفني الحبّ الصميم[1] والولاء الصادق لسيّد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام وآله النُجباء[2] موقفَ الحزُن والأسى، أنا وفوج[3] من صَفوَةِ إخواني[4] «بحالٍ للنواظر غير حال»[5] قلوب واجدة[6] و أنفاس هامدة[7] و عيون

1- أي الحبّ الخالص والشديد. انظر الصحاح ٥ : ١٩٦٨ «صمم».
2- رجل نجيب : أي كريم بيّن النجابة. الصحاح ١ : ٢٢٢ «نجب».
3- الفَوْجُ: الجماعة من الناس، والجمع فُؤُوجٌ وأفواج، وجمع الجمع أفاوجُ وأَفَاويج. الصحاح ١ : ٣٣٦ «فوج».
4- صَفْوَةُ الشيء: خالصُه، ومحمّد صلىاللهعليهوآلهوسلم صَفْوَةُ اللّه من خلقه ومُصطَفاه. الصحاح ٦: ٢٤٠١ «صفا».
5- عجز بيت للشاعر معروف الرصافي ت ١٣٦٤ هـ من قصيدة له بعنوان «إلى كم أنت تهتف بالنشيد»، وتمام البيت والذي قبله:
قد التَفعَوا بأسمال بَوَال مُشاةً في السهول وفي الجباليَجدُّون المسير بلا نعال بحال للنواظر غير حالوزيٍّ غير مازيّ الجنود ديوان معروف الرصافي ١٥٠.
و«غير حالٍ» بمعنى غير طيّب، أي حالته كانت سيّئة. انظر الصحاح ٦ : ٢٣١٧ «حلا».
6- أي شديدة الحزن ، و توجدت لفلان : أي حزنت له . الصحاح ٢:٥٤٧ وجد .
7- أي ساكتة . الصحاح ٢:٥٥٦ همد .

مُغرورقة[1] ، وذلك حيث يقام التذكار الحسيني للحادثة الكوى، والكارثة العظمى، التي حيّرت العقول والحواس، فضربت أخماساً لأسداس.

ولا غرو[2] ، فقد ميّزت تلك الواقعة . ببوتقة[3] الامتحان والاختبار . التبر[4] من الصفر، والإيمان من الكفر، مثّلت للعالم بأسوه أخلاقاً محمديّة، إلى شجاعة حيدريّة، إلى إباء عربي، وتصلب ديني، أبيا له(عليه السلام) أن يضوع[5] إلى الدنيّة فيمدّ يد المبايعة إلى ملحد بغيض، لا يعرف من الحقّ موضع قدم، ولا مغرز إبرة.

فجاد بنفسه ونفيسه، وآله وعياله، تضحيةً للدين، وفداء لشريعة جده سيد المرسلين(صلى الله عليه وآله وسلم)، ﴿لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحيَا مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[6].

فأبانَ وأظهرَ لمن تعامى وتبصرّ ما أبطنه هؤلاء المعاندون، من حسيكة[7]

1- أي مملوءة بالدمع. انظر الصحاح ٤ : ١٥٣٦ «غرق».
2- الغَرْوُ : العجب، وغَرَوْت أي عجبت، يقال : لا غَرْو : أي ليس بعجب. الصحاح ٦: ٢٤٤٦ «غرا».
3- البوتقة والبودقة هي البوطة.
في كتاب العين ٧ : ٤٢٦ «بوط» : البوطة : التي يذيب فيها الصاغة ونحوهم من الصنّاع.
وفي لسان العرب ٧ : ٢٦٦ «بوط» : البوطة : التي يذيب فيها الصائغ المعدن ونحوه من الصنّاع.
وفي تاج العروس ١٠ : ٢٠٦ «بوط» بعد أن ذكر معنى البوطة قال : قلت : وهي البودقة والبوتقة.
4- التِبْرُ : ما كان من الذهب غير مضروب، فإذا ضُرب دنانير فهو عين، ولا يقال تبرٌ إلاّ للذهب، وبعضهم يقوله للفضة أيضاً. الصحاح ٢ : ٦٠٠ «تبر».
5- ضَرَعَ الرجل ضَرَاعَةً : أي خضع وذلّ. الصحاح ٣ : ١٢٤٩ «ضرع».
6- الأنفال (٨): ٤٢.
7- أي ضِغنٌ وعداوة. الصحاح ٤ : ١٥٧٩ «حسك».

النفاق والإلحاد في الدّين، وباطنة المروق عمّا انتحلوه من الإسلام ذريعة لأطماعهم، ووسيلة لأغراضهم.

وإليك شاهداً على ذلك ما ارتكبوه منه ومن عياله من الهمجيّة القحّة[1]، والوحشيّة الفاضحة التي يتحامى عوينتها[2] ويتقاصر دونها وحوش الزنج والبربر.

وبينا أعوم في تيار الأفكار في فوائد تلك التضحية والفداء، وعوائد هذا التذكار، المعيد للذاكرة غيضاً من فيض[3]، وبَرْضاً[4] من عِدّ، الجدير بأن يجدّ المعادي جدّه، ويجهد جهده في إطفاء منارة ومحو آثاره، إذ همزني[5] بعض أصحابي الوقوف، فأشرفني على العدد المخزون (١٦٦١) من جريدة «الأوقات العراقيّة»، فتطلّعت على مقال عنوانه «يوم عاشوراء».

فرُددتُ على ما أنا فيه من الوجد والكآبة، فتصاعدت لذلك حسراتي، وتصوّبت عواتي، فإنّ العنوان يرمز غالبا إلى المعنون، فأطلقتُ عنان النظر رغبةً بذلك العنوان في مضمار ذلك المقال بروية وامعان، وسبرت غُوره[6] من مبدئه إلى منتهاه، وإذا جلّ مرماه بل كلّه لا يتجاوز صريح الكذب، وقبيح المين[7] على العلم وحملته العلماء الأعلام، والقصد إلى إلقاح فتنة عمياء، وبث بذور التعصّب

1- القُحُّ : الخالص من اللؤم والكَرم ومن كلّ شيء. لسان العرب ١١ : ٤٢ «قحح».
2- العرين والعرينة : مأوى الأسد الذي يألفه. لسان العرب ٩ : ١٧٤ «عرن».
3- أي قليل من كثير. الصحاح ٣ : ١٠٩٦ «غيض».
4- البَرْضُ: الماء القليل. الصحاح ٣: ١٠٦٦ «برض». العِدّ: الماء الذي له مادة لا تنقطع، كماء العين والبئر. الصحاح ٢: ٥٠٦ «عدة».
5- أيّ أشار عليّ ودفعني للاطلاع على هذه الجريدة. «انظر الصحاح ٣ : ٩٠٢ «همز».
6- سَبَرْتُ الجُرحَ أَسْبُرُهُ: إذا نظَرت ماغَوْرُه. الصحاح ٢ : ٦٧٥ «سبر».
7- المَيْنُ : الكذب. الصحاح ٦ : ٢٢١٠ «مين».

المذهبي بين إخواننا المسلمين، وإليك ذلك فاضحك أو فابكي.

قالت الجريدة .ولا أنقل إلاّ عنها، ولا أنتقد إلاّ عليها، حيث لا يهمني منَ قال، وانما يهمني المقال . بعد أن ذكرت اعتياد الجعفريين في هذه الأيام . أي في العشرة الأولى من محرّم الحرام . على إقامة المآتم والتعازي، وتنظيم المواكب المختلفة للشوارع، حاملة للأعلام والمشاعل ليلاً، وتدفق الجماهير عراة الصدور، حاسرة الرؤوس، تندب ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):

«وقد شعر أصحاب السيادة حضرات العلماء الأعلام[1] حفظهم الله تعالى بهذه الحقيقة، وأدركوا بثاقب بصرهم وما وهبهم الله من عقل راجح وعلم غزير، ما لهذه الأعمال من التأثير السيّئ في سمعة الإسلام في العالم، وفي نظر الأجانب، فقاموا يستنكرون إتيانها، وينهون عنها»[2] .

فهلمّ معي أيّها القارىء نسأل من الجريدة : ما مرادها من الأعمال التي قام العلماء باستنكار إتيانها والنهي عنها:

]١ [أهي المآتم والتعازي؟

]٢ [أم هي المواكب المنظّمة، الحاملة للأعلام والمشاعل ليلاً.

]٣ [أم هي الجماهير المتدفّقة، العراة الصدور، الحاسرة الرؤوس؟

(3)

فإن قالت : الأوّل، فغوغائك اللهمّ غوغائك من هذه الجوأة على العلم والعلماء والعقل، والفوية الصويحة. وهذه العوب ببابك من النجف، إلى بقيّة العراق، إلى

1- إشارة للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨ هـ) صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل».
2- انظر رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٠.
3- أي الكذب. الصحاح ٦ : ٢٤٥٤ «فرا».

إيران، إلى الهند، إلى سورية، إلى سائر الأقطار الإسلاميّة، تقُيم المآتم الحسينيّة، وتأمر بإقامتها، وتتسابق إليها، وتتنافس فيها، ولم نسمع بمنكر ولا مستنكر لها، فضلاً عن محرّم ناه عنها.

وكيف؟! وهذه كتبهم مشحونة بالأحاديث المستفيضة عن أئمّتهم(عليهم السلام)الحاضّة على إقامة العزاء، والحاثّة على البكاء وإظهار الحزن والأسى بما هو غنيّ عن البيان، يظفر به مَن له أدنى إلمام بكتبهم ومجاميعهم في ذلك الموضوع.

وحسبك من واضح الدلالة، وقاطع البرهان على ذلك حديث دعبل [1]

1 - أبو علي، وقيل : أبو جعفر، دعبل بن علي بن رزين الخزاعي. وقيل : إنّ دعبلاً لقبه واسمه الحسن، وقيل : عبدالرحمن، وقيل : محمّد. وهو شاعر مطبوع مفلّق، من أهل الكوفة، ولد فيها سنة ١٤٨ هـ ، وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها من البلدان كدمشق ومصر وخراسان.
كان رحمه الله متفانياً في حبّ أهل البيت(عليهم السلام) وهو الذي يقول : حملتُ خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لستُ أجد أحداً يصلبني عليها.
أخذ الشعر عن أستاذه صريع الغواني مسلم بن الوليد واستقى من بحره، وله عدّة مؤلّفات منها: «الواحدة» في مناقب العرب ومثالبها، وكتاب «طبقات الشعراء»، وله ديوان شعر مجموع.
ذكر النجاشي في رجاله ١ : ٣٧١ عن ابن أخيه أنّه رأى الإمام الكاظم(عليه السلام)، ولقي الإمام الرضا(عليه السلام).
وعدّه ابن شهر آشوب في المعالم : ١٣٩ من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا(عليهما السلام) .
وذكره العلاّمة الحلّي في الخلاصة:٧٠، وابن داود في رجاله : ١٤٧ في القسم الأوّل من رجالهما.
قتل رحمه الله وهو شيخ كبير سنة ٢٤٦ هـ ، وسبب قتله أنّ مالك بن طوق بعث رجلاً ليقتله وأعطاه عشرة آلاف درهم، فلحقه في الأهواز وقتله هناك.

المشهور المسطور في غالب كتب الشيعة، وبعض كتب أهل السنّة كمعاهد التنصيص [1] ، يوم وفوده على الرضا(عليه السلام) وبكائه البكاء الغزير عند إنشاده تائيّته المشهورة [2] .

1- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٢ : ١٩٨.
2 - وهي قصيدة شعريّة رائعة، تعتبر من أحسن الشعر وأسنى المدائح، قالها دعبل في أهل البيت(عليهم السلام)، وأنشدها أوّل مرّة بحضور الإمام الرضا(عليه السلام) في خراسان، بعد أن بويع بولاية العهد في زمن المأمون.

وذكر العلاّمة الأميني في الغدير ٢ : ٣٤٩ أنّ عدد أبياتها هو مائة وواحد وعشرون بيتاً، والموجود في ديوانه المطبوع: ١٢٤ ـ ١٢٥ مائة وخمسة عشر بيتاً.
علماً بأنّ كثيراً من المصادر لم تذكر القصيدة كاملةً، بل من البيت الثلاثين منها : (مَدارسُ آيات...) لأنّ دعبل أنشدها الإمام الرضا(عليه السلام) من هذا البيت، ولم ينشدها من أوّلها الذي هو في التشبيب والغزل، الذي يقول فيها:

تَجاوبنَ بالإرنانِ والزَّفراتِ نوائِحُ عُجمُ اللَّفظِ والنَطِقاتِ
يُخَبِّرنَ بالأنفاسِ عَن سرِّ أنفُس أُسارى هَوىً ماض وآخرَ آتِ
فأسعدنَ أو أسعفْنَ حتّى تَقوَّضَتْ صُفوفُ الدُجى بالفَجرِ مُنهزِماتِ

قال الأصفهاني في الأغاني ٢٠ : ١٦٢ : قال دعبل : دخلت على علي بن موسى الرضا(عليه السلام)بخراسان فقال لي: «أنشدني شيئاً ممّا أحدثت» فأنشدته : (مدارسُ آيات...) حتّى انتهيت إلى قولي :

إذا وُتِروا مدّوا إلى واتريهُمُ أَكُفّاً عنِ الأوتارِ مُنْقبضاتِ

فبكى الإمام حتّى أُغمي عليه، وأومأ إليّ خادم كان على رأسه: أن اسكت. فسكت ساعة.
ثمّ قال لي: «أعد». فأعدتُ حتّى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذي أصابه في المرّة الأولى ـ وأومأ الخادم إليّ : أن اسكت. فسكتُ، ومكثت ساعة أُخرى، ثمّ قال لي: «أعد»، فأعدت حتّى انتهيت إلى آخرها، فقال لي: «أحسنت» ثلاث مرات.
ثمّ أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضُرب باسمه، ولم تكن دُفعت إلى أحد بعد، وأمر لي مَن في منزله بحليّ كثير أخرجه إليّ الخادم، فقدمتُ العراق فبعتُ كلّ درهم منها بعشرة دراهم اشتراها منّي الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم.
قال ابن مهرويه : وحدّثني حُذيفة بن محمّد : أنّ دعبلاً قال له : إنّه استوهب من الرضا(عليه السلام)ثوباً لبسه ; ليجعله في أكفانه، فخلع جبّة كانت عليه فأعطاه إياها.
انظر: تأريخ بغداد ٨ : ٣٨٢، تنقيح المقال ١ : ٤١٧، شذرات الذهب ٢ : ١١، الغدير ٢ : ٣٦٣ و٣٨٥، لسان الميزان ٢ : ٤٣٠، معجم الأدباء ١١ : ٩٩، ميزان الاعتدال ٢ : ٢٧: ٢٦٧٣، وفيات الأعيان ٢ : ٢٦٦.

الصفحة 275

وما رواه الماوردي الشافعي . المتوفّى سنة ٤٥٠ هـ في كتابه أعلام النبوّة . عن عائشة، قالت : دخل الحسين بن علي على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يوحى إليه، فبرك على ظهره وهو منكب ولعب عليه، فقال جبرئيل : يا محمّد إنّ أُمتك ستفتن بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك، ومد يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال : في هذه الأرض يقتل ابنك، اسمها الطف.

فلمّا ذهب جبرئيل، خرج رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أصحابه والتربة بيده . وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمّار وأبو ذر .وهو يبكي، فقالوا : ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال : «أخبرني جبرئيل أنّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطّف، وجائني بهذه التربة فأخبرني أنّ فيها مضجعه»[1] .

هل ترى أنّ علياً(عليه السلام) لم يشارك النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بالبكاء، وكل منهما ثكلى؟!

أمّ أنّ باقي الصحابة يحجمون عنه مع فعل النبي وعلي له؟!

بل من الضروري المحقّق أنّ الكل اشتركوا في البكاء.

وهل هذا إلاّ عين إقامة العزاء، عزاء وأيّ عزاء؟! المقيم له النبي المختار،

1- أعلام النبوّة : ١٠٨.

الصفحة 276

والباكي فيه كبار الصحابة الأخيار.

وإذا ثبت رجحان البكاء عليه، وإقامة العزاء له في حياته، فيثبت بالأولوية القطعيّة رجحانهما بعد وفاته، إذاً فكيف يجسر عاقل فضلاً عن عالم فقيه . على استنكار مثل ذلك أو النهي عنه؟! أعاذنا الله من مفتريات الأنقال، ومحرّمات الأقوال.

وإن قالت الجريدة: مرادي الثاني . أي المواكب المنظّمة، الحاملة للأعلام والمشاعل .زد على ذلك التمثيل والتشبيه، المعبرّ عنه بلسان العامّة بالسبايا والشبيه، فإنّ الجريدة وإن أغفلت ذكر تلك الزيادة أولاً، وتعوضّها أخيراً عند نقلها تحريم المحرم، حيث قال : «فإنّه حفظه الله لم يكتفِ بتقبيح إقامة السبايا في الشوارع وتنظيم المواكب، بل حرّمها تحريما باتاً»[1] .

فهو من سوء التعبير وإدماجه، وإلاّ فهي الجديرة بالذكر أولاً وآخراً، ولكنا لسنا بصدد انتقادها من هذه الوجهة، أو من وجهة الخروج عن القواعد العربيّة، كخفضها «الجعفريين» وهم مرفوعون، وغير ذلك ممّا لا يخفى على الناقد البصير.

1-قال في رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١:١٨٠ «ما زلت بحمد الله سبحانه وحُسن توفيقه صادحاً ـ منذ دخولي البصرة من شهر شعبان إلى اليوم ـ في الناس بالنهي لهم عمّا قد تعوّدوه من الإتيان بضروب المحرّمات والمنكرات والسخافات والحماقات، وجعلهم إياها من جملة الديانات الشرعيّة، خصوصاً مسألة التشبيهات التي يمثّلونها في عاشوراء، فصرت مُنوّهاً برفضها ومصرّحاً بما فيها من التحريم، لأني أراها مجلبةً لسخرية الملل الخارجة وداعياً من دواعي الاستهزاء.
فحرّمتها علناً منادياً بذلك بين الخلق، هادياً لهم إلى سبيل الحقّ والرشاد، ومقدّساً للدّين القويم عمّا جعله منه جماعة الجاهلين».

فنقول: التمثيل والتشبيه ـ بما هو حكاية عن شيء غابر بشيء حاضر، بتمثيل حركاته وسكناته وتنقّلاته وكلماته، مشاهدة بالعيان والحاسّة البصريّة، بعد ما لم تكن مشاهدة إلا بالقوة الخيالية ـ أمر عادي قديم، تستعمله غالب الفرق، من مسلمين وأجانب.

فهؤلاء المسلمون، من مصريّين وشاميّين، مازالوا أو لا يزالون ينفقون الأموال الطائلة الجسيمة، والحلل الفاخرة الثمينة، في سبيل تذكار هودج أو محمل عائشة أمّ المؤمنين، حتىّ يساق بكل حفاوة واحترام، أمام موكبهم الموقر إلى بيت الله الحرام وحرم النبيّ عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

وناهيك اهتمام الأجانب في عقد المحافل والمحاشد والاجتماعات الضخمة الفخمة لرواياتهم التمثيليّة، فالتمثيل ليس بأمر حادث مُبتدع، بل عاديّ قديم متبّع.

ونحن وإن تحاشينا عن القول بوجود آية أو رواية تندب إليه، وتحضّ عليه، فلا نتحاشى عن القول بجوازه وإباحته بالنظر إلى ذاته وعنوانه الأوّلي، أي بما أنّه تمثيل وتشبيه، وإلا فقد يكتسي الحرمة والمبغوضية أو الرجحان والمحبوبية بالنظر إلى العناوين الثانوية.

فمن الأوّل ما لو اشتمل على سخرية واستهزاء بمن يجب إعظامه وإجلاله، أو على إمساس بكرامة مسلم محترم، أو إلقاح الفتنة بين المسلمين، أو نحو ذلك من العناوين المحرّمة، فإنّه لا إشكال حينئذ في الحرمة والمبغوضية.

ومن الثاني ما لو كان مشتملاً على ما يحبّه المولى ويهواه، كتعظيم شعائره،

﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[1] والقيام بواجب المودّة في القربى المسؤول عنها بقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[2].

وهذا التذكار الحسيني قد اشتمل على كلا العنوانين، فأيّ شعائر الله أعظم من التذكار للشعائر الحسينيّة، التي عظمّها سلام الله عليه يوم الطفّ، إحياء لدين جدّه، بتضحية نفسه وولده ونهب ثقله وسبي عياله على يد أشرّ الخلق والخليقة البغي ابن مرجانة؟!

أمّ أيّ مودّة في القربى ـ وهم علي وفاطمة وأبناؤهما الطاهرون (عليهم السلام)، باتفاق جملة من المفسرين[3]، كالزمخشري وغيره ـ أعظم من إقامة عزائهم وتذكارهم، والحزن لحزنهم، والفرح لفرحهم؟!

ومن ذلك يهون الخطب، ويسهل الأمر لو قالت الجريدة: مرادي الثالث، أي تعرية الصدور، وحسر الرؤوس. فإنّ الصدور

العلية، والرؤوس الحاسرة، تفجّعاً وتوجعّا، وتذكرا لصدور مرضضة، ورؤوس مقطعة، لمن أولى مراتب القيام بواجب المودّة في القربى المسؤول عنها، ومن أدنى تعظيم الشعائر السالف ذكرها.

وبعدئذ فهل يحسن للجريدة ويجمل بها أن تنسب للعلماء الأعلام . افتراءً

1- الحجّ (٢٢): ٣٢.
2- الشورى (٤٢): ٢٣.
3 - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) قال في تفسيره «الكشّاف عن حقائق التنزيل» ٣ : ٤٦٧ في تفسير قوله تعالى (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) الشورى (٤٢) : ٢٣ : والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة. والمراد: في أهل القربى، وروي أنّها لمّا نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودّتهم؟ قال : «علي وفاطمة وابناهما».

وتزويراً . استنكارَ الإتيان بتلك المشروعات الراجحة والنهي عنها، وهي برأى منهم ومسمع ومنتدى ومجمع، لم يفهَ[1] أحد منهم بكلمة، ولم ينبس ببنت شفة[2] .

كيف، وهذه فتاواهم بين يديك معربةً عمّا قلناه، مصرحة في ما ادعّيناه، فإليك اللهم نبرأ من هذه الفرية، الذاهبة بالعار والويلات على مفتريها.

ثمّ إنّ الجريدة بعد ما خلطت الحابل بالنابل[3] ، ونقضت ما أبرمت[4] ، وحرّمت ما حلّله الشرع ورجّحه اجتهادا في مقابلة النصّ، دخلت المسألة في صورة سياسية، وتحككت تحكك العقرب بالأفعى[5] فكانت كالساعي إلى حتفه بظلفه[6] ، فقالت . بعد أن ذكرت أنّ امنيتها الوحيدة هي إعلاء كلمة الإسلام، وإزالة التعصبّ المذهبي . : «إن هذه المواكب هي عامل من عوامل التفرقة ورمز يشير إليها».

ولم تحسّ ولم تبصر .ولا عجب، فإنّ حب الشيء يعمي ويصم .أن الحسين بن علي(عليهما السلام) مجمع علاقات وانتسابات لكثير من العالم البشري، فالعربي يتعلّق به وينتسب إليه بعربيته وإن جحد رسالة جده ودعوته، والمسلم بسائر مله

1- أي لم ينطق بكلمة، والفوهُ : هو الفَمُ، والجمع أفواهٌ، وفاه بالكلام يفوه : لفظ به. الصحاح ٦: ٢٢٤٤ آ ٢٢٤٥ «فوه».
2- أي لم يتكلّم بكلمة واحدة. الصحاح ٣ : ٩٨١ «نبس».
3 - الحابِلُ : الذي يَنصب الحِبَالَة للصيد، وفي المثل «اختلطَ الحابِلُ بالنابِل»، ويقال : الحابِلُ: السَدَى في هذا الموضع، والنابلُ : اللُحمَةُ. الصحاح ٤ : ١٦٦٥٠ «حبل».
4- أبْرَمتُ الشيء : أي أحكمتُه. الصحاح ٥ : ١٨٧٠ «برم».
5- فلان يَتَحَكَّكُ بي، أي يتمرّس ويتعرّض لشرّي. الصحاح ٤ : ١٥٨ «حكك».
6- ذهب دمه ظَلَفاً وَظَلْفاً: أي هدراً، ويقال: ذهب ظَلِيفاً: أي مجاناً، أخذه بغير ثمن، الصحاح ٤: ١٣٩٨ «ظلف».

ونحله يتعلّق به وينتسب إليه برسالة جدّه ونبوته عليه،ولا اختصاص للشيعي عن غيره إلا باعتقاده إمامته،وهذا لا يقضي له بالمزّة والاختصاص عمّن سواه من أولئك المنتسبين، بل الجدير بالجميع الاشتراك في إقامة تذكاره ونصب غرائه، حزناً على مصابه، وتقديراً لمساعيه المشكورة، وتخليداً لخدماته المحمودة.

اللهمّ إلاّ أن يسبق إلى القيام بواجب تلك العلاقة الحسينية بعض ذويها، فيفوز بفضيلة السبقة إليها، وحلاوة الشكر والثناء، من بقيّة المشاركين له بها على كفايته مؤونة القيام بواجبها، فإنّ الحسين(عليه السلام) . كما علمت . حسين الجميع: العربي،

والسنيّ والشيعيّ. يعود فخره وشرفه إليهم على حسب تعلقّهم به وانتسابهم إليه، فهو جامعة من جوامعهم، ورابطة أكيدة من روابطهم، فكيف يكون تذكاره الشريف «عاملاً من عوامل التفرقة بينهم، ورمزاً مشيراً إليها»؟! كما زعمته الجريدة ودلستّه اختلاساً للحقّ والحقيقة، ودساّ للسّم في الدسم، وهل يكون الجامع مفرقاً؟!

أجل إنّ هذه التمويهات والاختلاسات غير الخافية على مَن له أدنى تعلقّ بالسياسات، هي العوامل القويةّ والرموز الجليةّ المشيرة بيد وبنان إلى التفرقة والنفرة، والموقدة لنار الفتنة والخلاف، الباثّة لبذور التعصبات المذهبيةّ، التي كل مّن هؤلاء يرأ منها، ويتوحّشها بصوف طبعه ومدنيتّه، لا أن يحضّ عليها، وينبهّ لها بمثل هذه الدسائس والهواجس، التي ربما تخفى على بعض البسطاء من الناس، فتهوي بهم إلى هوّة الشقاق والخلاف.

وإلاّ فالناقد البصير أجل من أن يخدع بمثل هذه الأساطير، أو يطرب على

مثل هذه التصدية[1] والمُكاء[2]، ولا يمتعض[3] أو يتمعّر[4] من تقدير نابغة من نوابغ قومه على فضيلة جديرة بالتقدير وإن خالفه بالنحلة والمذهب.

فهذا السموأل[5] حيث وافقنا بالقوميّة العربيةّ وإن خالفنا بالنحلة الدينية، نقدرّ وفائه المشهور، حتىّ اقيمُت له رواية تمثيلية في بعض مدارسنا النجفيّة.

ثمّ إنّ الجريدة لم تقنع بذلك حتىّ زادت في الطين بلةّ، وفي الطنبورُ[6] نغمة، فقالت : «إنّني استفظع هذه المواكب، كما استفظع أعمال الوهّابيّين في الحجاز».

فليتها ضربت صفحاً، وطويت كَشْحاً[7]، عن ذلك التشبيه الهائل، الآخذ بضبع التطرّف والتزلفّ والتمايل عن قيل الحق إلى الباطل، فاكتفت بما زخرفته من قرارع كلامها التي أسكتت لهول دويّها الأسماع، فأينَ الصلاح والإصلاح اللذان سعت الجريدة بتمام سعيها إليهما، وأوقفت حياتها عليهما؟ فعليها وعلى صلاحها وعلى إصلاحها السلام.

1- الصَدَى : الذي يُجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها. الصحاح ٦ : ٢٣٩٩ «صدى».
2- المُكاءُ : الصَفير، وقد مَكَا يَمْكُو مَكْواً ومُكَاءً: صَفَرَ. الصحاح ٦ : ٢٤٩٥ «مكا».
3- لا يمتعض : أي لا يغضب ولا يشقّ عليه. الصحاح ٣ : ١١٠٧ «معض».
4- تَمَعَّرَ لونُه عند الغضب: تغيَّر. الصحاح ٢ : ٨١٨ «معر».
5 - قال السيوطي في شرح شواهد المغني ٢ : ٥٣٥ : السَمَوْأل، بفتح المهملة والميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ولام: اسم عبراني، وقيل: عربي مرتجل، وهو منقول من اسم طائر، واسمه فعوعل بن عريض بن عاديا ـ بالمد والقصر ـ ابن قبا. والسموأل بن غريض بن عاديا اليهودي، صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء، وبه يضرب المثل بالوفاء; لأنّه أسلم ابنه ولم يخن أمانته في دروع أودعها عنده امرؤ القيس لمّا صار إلى القسطنطينية يطلب منه معونة القيصر، وقد توفّي نحو سنة ٥٦٠ .
انظر : الأغاني ٢٢: ١٢٢، العقد الفريد ١ : ٩٣، الجامع في تاريخ الأدب العربي : ٢٨٢.
6- الطُنْبُورُ : من آلات العزف، فارسي معرّب. الصحاح ٢ : ٧٢٦ «طنبر».
7- طويتُ كَشحي على الأمر : إذا أضمَرْتَهُ. الصحاح ١ : ٣٩٩ «كشح».

كلمة لحضرة السيّد العلاّمة

جعفر الفضل من آل بحر العلوم[1]

بسم اللّه الرحمن الرحيم

لا يخفى على إخواننا المؤمنين ـ وفّقهم اللّه وإيانا لتعظيم شعائر الدين ـ أن مسألة الشبيه والمواكب، وسائر ما تستعمله الشيعة وغيرهم في عزاء سيّد الشهداء، الحسين بن علي عليهماالسلام، من دقّ الطبول، وطقطقة[2] الطوس، وضرب البوق، وغير ذلك من مظاهر الحزن والبكاء، ممّا وقع السؤال عنها سابقاولاحقا من العلماء الأعلام، شيّد اللّه أركانهم، منهم شيخنا المحقق الثالث أبو القاسم القمّي صاحب

1- السيّد جعفر ابن السيّد محمّد باقر، أحد أحفاد السيّد محمّد مهدي الطباطبائي المعروف ببحر العلوم، عالم فاضل أديب، راوية لسير العلماء، حضر على علماء عصره، وكتب ما أملته عليه أساتذته. ألّف عدّة كتب منها : أسرار العارفين في شرح دعاء كميل، وتحفة الطالب في حكم اللحية والشارب، وتحفة العالم في شرح خطبة المعالم. توفّي رحمهاللّه سنة ١٢٧٧ هـ . انظر معارف الرجال ١ : ١٨٢.

2- أي صوت الطوس، والطَقْطَقَةُ في أصل اللغة : أصوات حوافر الدوابّ. الصحاح ٤ : ١٤١٧ «طقق».

القوانين[1] رحمهاللّه ، وقد أجاب في كتابه الموسوم بجامع الشتات، وهاك ترجمة الجواب:

«إنّي لا أرى وجها للمنع عن ذلك، ويدلّ عليه عمومات رجحان البكاء والإبكاء والتباكي على سيّد الشهداء عليهالسلام ولا شكّ إنّه من الإعانة على البرّ».

ثمّ أخذ رحمهاللّه في المبالغة والإصرار على إثبات الجواز، حتّى جوّز ذلك وإن كان مشتملا على تشبيه الرجال بالنساء، بدعوى أنّ المستفاد من تلك الأخبار المانعة من تشبيه أحدهما بالآخر[2] ، هو الخروج من زيّ أحدهما والدخول في

1 - الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمّد حسن الشفتي الجيلاني القمّي، اشتهر بالميرزا القمّي لتوطّنه بها. كان رحمهاللّه علما من أعلام الشيعة الإمامية وفقهائها، محقّقا متقنا منقّبا، تقيا ورعا ثقة عدلاً، ويدل على فضله وتحقيقه كتابه «القوانين». حضر على أساتذة عصره، وتخرّج من عالي دروسه الكثير من العلماء والفضلاء. له عدّة مؤلّفات ـ إضافة للقوانين ـ منها: الغنائم، والمنهاج، ومرشد العوام، والإرث، وإرجوزة في المعاني والبيان. توفّي في قم سنة ١٢٣١ هـ . انظر معارف الرجال ١ : ٤٩.

2 - منها : ما رواه الشيخ الكليني في الكافي ٨ : ٧١ حديث ٣٧ والشيخ الصدوق في علل الشرائع ٢ : ٦٠ حديث ٦٣ أنّ عليا عليهالسلام رأى رجلاً به تأنيث في مسجد رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلمفقال له : «أخرج من مسجد رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم، فإنّي سمعتُ رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم يقول : لعن اللّه المتشبّهين من الرجال بالنساء والمتشبّهات من النساء بالرجال».
وروي عن الإمام الصادق عليهالسلام عن آبائه عليهمالسلام : «كان رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم يزجر الرجل أن يتشبّه بالنساء، وينهى المرأة أن تتشبّه بالرجال في لباسها».
وروى سماعة عن الإمام الصادق عليهالسلام أنّه قال عن الرجل يجرّ ثوبه : «إنّي لأكره أن يتشبّه بالنساء».
انظر وسائل الشيعة ٥ : ٢٥ باب ١٣ من أبواب أحكام الملابس.

زيّ الآخر، بحيث يُعدّ الرجل نفسه من صنف النساء، وبالعكس، وأما التشبيه بامرأة خاصة في زمان قليل لغرض خاص، فهو خارج عن منصرف الأخبار».

الى أن قال رحمه اللّه تعالى: «إنّ تشبيه الرجل نفسه بالشمر الرجز قاتل الحسين عليهالسلام من أعظم المجاهدات، وفيه تحقير النفس وتذليل لها، وفعلُ ذلك لجلب مراضي اللّه تعالى من أعظم جلب الفيوضات الإلهية»[1] .

هذا خلاصة ترجمة كلامه وحاصل مرامه.

ومنهم العلاّمة الأنصاري الشيخ مرتضى طاب ثراه[2] في رسالته العمليّة المسمّاة بسرور العباد قال ما ترجمته:

«إذا جرح شخص نفسه في تعزي الحسين عليهالسلام بسيف ونحوه، بحيث يوجب الضرر ببدنه، فهو حرام. أمّا إذا كان بدرجة يرتفع ضرره وألمه، كالضرب على الصدر، على النحو المتعارف بين الناس، ولو أوجب الحمرة أو سواد البشرة، فلا ضرر في ذلك» [3].

1- جامع الشتات ٢ : ٧٨٨.
2- الشيخ مرتضى ابن الشيخ محمّد أمين الأنصاري التستري النجفي، كان رحمهالله فقيها أصوليّا متبحّرا في الأصول، لم يسمح الدهر بمثله، كان أهل زمانه يضربون به المثل في زهده وتقواه وعبادته وقداسته. حضر على أعلام عصره كالسيّد محمّد المجاهد وشريف العلماء والشيخ مولى ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ثمّ اشتغل بالتدريس، وأطبقت الشيعة الامامية على تقليده في شرق الأرض وغربها. ألّف عدّة كتب منها: المكاسب، كتاب الطهارة، الصلاة، الصوم، الزكاة، الخمس، الفرائد في علم الأصول، أصول الفقه. مات رحمهالله في النجف سنة ١٢٨١ هـ .
انظر معارف الرجال ٢ : ٣٩٩.
3- سرور العباد: ٣٤.

أقول : ومقتضى هذا الكلام جواز إدماء الشخص عضوا من أعضائه بمقدارٍ يأمن من الضرر، كما يفعله أهل القامات.

ثمّ قال رحمهالله: «إخراج الشبيه غير محرّم، إذا لم يرتكب فيه محرّم آخر، كالغناء وضرب الدف والمزمار» [1].

وقد أيّده على هذه الفتوى جملة المحشّين: منهم حجة الإسلام الميرزا الشيرازي [2]، والآخوند ملاّ محمّد كاظم الخراساني [3].

هذا، وقد يُستدلّ لجواز التشبيه والتمثيل بما روي عن الصادق عليهالسلام أنّه قال :

1- سرور العباد: ٣٤.
2 - السيّد ميرزا محمّد حسن ابن السيّد ميرزا محمود الشيرازي، كان رحمهالله فقيهاً أصوليا، ورعا زاهدا، حضر درس الشيخ مرتضى الأنصاري، ثمّ استقلّ بالتدريس وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء والمجتهدين، هاجر الى سامراء واستقرّ بها مع جمع غفير من تلامذته، وهو صاحب الفتوى المعروفة بتحريم التنباك. توفّي في سامراء سنة ١٣١٢ هـ ، ودفن في مقبرته الخاصّة في صحن أميرالمؤمنين عليهالسلام في النجف الأشرف.
انظر معارف الرجال ٢ : ٣٣٣.
3- الشيخ ملاّ محمّد كاظم ابن ملاّ حسين الهروي الخراساني النجفي، كان رحمهاللهعالما فاضلاً، أصوليا، له نظريات جديدة في علم الأصول، وكتابه «الكفاية» خير شاهد على تبحّره في هذا العلم. حضر على فقهاء عصره كالشيخ راضي النجفي، والشيخ مرتضى الأنصاري، والسيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي، وتخرّج من عالي دروسه الكثير من العلماء والمجتهدين. ألّف كتبا كثيرة ـ إضافة للكفاية ـ منها : كتاب الإجارة، حاشية على رسائل أستاذه الشيخ الأنصاري، وحاشيته على مكاسبه، وشرح التبصرة. توفّي رحمهاللهفي النجف سنة ١٣٢٩ هـ .
انظر معارف الرجال ٢ : ٣٢٣.

«ما من مؤمن إلاّ وله مثال في العرش، فإذا اشتغل بالركوع والسجود فعل مثاله مثل ذلك، فعند ذلك تراه الملائكة، فيصلّون عليه ويستغفرون له.

وإذا اشتغل العبد بالمعصية، أرخى اللّه على مثاله ستراً» [1]. الحديث.

ومن المعلوم أنّ ضرب الطبل إن قلنا بحرمته، فإنّما هو إذا حصل به الطرَب، كما هو مستعمل عند أهله، لا ما يوجب الحزن والجزع، بل الإنصاف أنّ الآلات الثلاث المذكورة ليست من الآلات المشتركة بين العنوانين، بل إنّما تعُدّ آلة من آلات الحزن لا غير، ولذا لم ترَ من العلماء من أنكر عليهم فعل ذلك خلفا عن سلف، مع وقوع ذلك بمرأى منهم ومسمع، رزقنا اللّه شفاعة الحسين عليهالسلام ووفقنا لتعظيم شعائره.

1- مفتاح الفلاح ٤٤٣ ـ ٣٤٤، وعنه في بحار الأنوار ٥٤: ٣٥٤.

كلمة للشيخ العلاّمة العلم الهادي من آل كاشف الغطاء [1]

بسم اللّه الرحمن الرحيم

إنّ الحزن والجزع، والفجع والندب، والعويل والنداء، والبكاء والتباكي والإبكاء، وإقامة مآتم العزاء على مصاب ريحانة خاتم الأنبياء، وسيّد شباب أهل الجنّة، من أفضل السنَن المشروعة والمستحباتّ الراجحة، ومن شعار الصلحاء وأهل الولاء والوفاء، ومن أقوى علائم المودّة في القربى، ولا سيما في اليوم العاشر من المحرّم، الذي تتجددّ فيه أحزان أهل البيت وأحزان شيعتهم ومواليهم.

اليوم الذي هو أعظم من يوم قُبض فيه رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم، ومن يوم ماتت فيه

1- الشيخ هادي ابن الشيخ عبّاس ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كان عالما فاضلاً، أديبا شاعرا، درس على أفاضل عصره كالآخوند الخراساني صاحب الكفاية، والسيّد اليزدي صاحب العروة، والشيخ آقا رضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه. له مؤلّفات عديدة منها : منظومات في حقّ الزهراء والحسن والحسين عليهمالسلامومواقعة الطفّ، وشرح على الشرائع والتبصرة. توفّي رحمهالله في النجف سنة ١٣٦١ هـ .
انظر ماضي النجف وحاضرها ٣ : ٢١٠.

سيّدة النساء وبضعة سيدّ الأنبياء، ومن يوم قتُل فيه أمير المؤمنين عليهالسلام بالسيف، ومن يوم قتلُ فيه الحسن الزكي المجتبى عليهالسلام بالسمّ، كما في خبر ابن الفضيل الهاشميّ، المروي في الوسائل؛ معللاّ ذلك بأن كلّ منّ مَضى من أصحاب الكساء الخمسة . الذين كانوا أكرم الخلق على اللّه تعالى . يبقى بعده منهم مَن فيه للناس عزاء وسلوة، إلا الحسين، فإنه لما قتلُ لم يبق بعده منهم مَن فيه عزاء للناس وسلوة، «فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة» [1].

1- أخرج قسما منه الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ١٤ : ٥٠٣ ـ ٥٠٤ حديث ٦، باب ٦٦ من أبواب «المزار وما يناسبه»، نقلاً عن علل الشرائع للشيخ الصدوق : ٢٢٥ حديث١ . وأخرجه كاملاً ـ عن علل الشرائع أيضاً ـ العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٩ ـ ٢٧١ حديث١ باب٣٢ «إنّ مصيبته صلوات اللّه عليه كانت أعظم المصائب» وتمام الحديث هو محمّد بن عليّ بن بشّار القزوينيّ، عن المظفّر بن أحمد، عن الأسدي، عن سهل، عن سليمان بن عبداللّه، عن عبداللّه بن الفضل قال : قلت لأبي عبداللّه عليهالسلام: يا بن رسول اللّه، كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغمّ وجزع وبكاء، دون اليوم الّذي قُبض فيه رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم؟ واليوم الّذي ماتت فيه فاطمة عليهاالسلام؟ واليوم الّذي قُتل فيه أميرالمؤمنين عليهالسلام؟ واليوم الّذي قُتل فيه الحسن عليهالسلام بالسمّ؟ فقال : «إنّ يوم قتل الحسين عليهالسلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أنّ أصحاب الكساء ـ الّذين كانوا أكرم الخلق على اللّه ـ كانوا خمسة، فلمّا مضى عنهم النبيُّ، بقي أميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهمالسلام فكان فيهم للنّاس عزاء وسلوة، فلمّا مضت فاطمة عليهاالسلام كان في أميرالمؤمنين والحسن والحسين عليهمالسلام للناس عزاء وسلوة، فلمّا مضى منهم أميرالمؤمنين كان للناس في الحسن والحسين عليهماالسلام عزاء وسلوة، فلمّا مضى الحسن عليهالسلام كان للناس في الحسين عزاء وسلوة.
فلمّا قُتل الحسين عليهالسلام لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم،، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيّام مصيبة».
قال عبداللّه بن الفضل الهاشمي: فقلت له : يا بن رسول اللّه، فلِمَ لم يكن للنّاس في عليّ بن الحسين عليهماالسلام عزاء وسلوة، مثل ما كان لهم في آبائه عليهمالسلام؟
فقال : «بلى إنّ عليّ بن الحسين كان سيّد العابدين، وإماما وحجّة على الخلق بعد آبائه الماضين، ولكنّه لم يلق رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم، ولم يسمع منه، وكان علمه وراثه: عن أبيه عن جدّه عن النبيّ صلىاللهعليهوآلهوسلم .
وكان أميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهمالسلام قد شاهدهم الناس مع رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلمفي أحوال تتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكّروا حاله من رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلموقول رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم له وفيه، فلمّا

مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على اللّه عزّوجلّ، ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلاّ في فقد الحسين عليهالسلام؛ لأنّه مضى في آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيّام مصيبة».

قال عبداللّه بن الفضل الهاشميّ : فقلت له : يا بن رسول اللّه، فكيف سمّت العامّة يوم عاشوراء يوم بركة؟

فبكى عليهالسلام ثمّ قال : «لمّا قُتل الحسين عليهالسلام تقرّب الناس بالشام إلى يزيد، فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان ممّا وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنّه يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن، إلى الفرح والسّرور والتبرُّك والاستعداد فيه، حكم اللّه بيننا وبينهم».

قال: ثمّ قال عليهالسلام: «يا بن عمّ وإنّ ذلك لأقل ضررا على الإسلام وأهله ممّا وضعه قوم انتحلوا مودّتنا وزعموا أنّهم يدينون بموالاتنا ويقولون بإمامتنا : زعموا أنّ الحسين عليهالسلام لم يُقتل، وأنّه شُبّه للناس أمره كعيسى بن مريم، فلا لائمّة إذا على بني اُميّة ولا عتب على زعمهم، يا بن عمّ من زعم أنّ الحسين لم يُقتل فقد كذّب رسول اللّه وعليّا وكذّب من بعده من الأئمّة عليهمالسلامفي إخبارهم بقتله، ومن كذّبهم فهو كافر باللّه العظيم، ودمه مباح لكلّ من سمع ذلك منه».

قال عبداللّه بن الفضل : فقلت له: يا بن رسول اللّه فما تقول في قوم من شيعتك يقولون به؟

فقال عليهالسلام:«ما هؤلاء من شيعتي، وأنا بريء منهم».

قال : فقلت : فقول اللّه عزّوجلّ : «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ» قال : «إنّ اُولئك مسخوا ثلاثة أيّام ثمّ ماتوا ولم يتناسلوا، وإنّ القردة اليوم مثل اُولئك وكذلك الخنزير وسائر المسوخ، ما وجد منها اليوم من شيء فهو مثله لا يحلّ أن يؤكل لحمه».

ثم قال عليهالسلام : «لعن اللّه الغُلاة والمفوّضة فانّهم صغّروا عصيان اللّه، وكفروا به وأشركوا وضلّوا وأضلوا فرارا من إقامة الفرائض وأداء الحقوق».

إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في عظم هذا اليوم، واستحباب الحزن والجزع، وإقامة سنن المصائب فيه[1]، مضافا إلى التأسّي بالأئمة الأطهار وصلحاء الامُة الأبرار.

وللحزن مظاهر وكيفيّات وحالات وهيئات، تختلف باختلاف أطوار الاُمم وعاداتها، واختلاف أزمانها وأحوالها. ولم ترد له من الشرع الشريف كيفيّة خاصة تعبدية، ليقتصر عليها الحزين في حزنه، والنائح في نوحه.

وللبكاء والإبكاء أسباب سائغة، ووسائل مباحة، تمثّل ما جرى في الطفّ من الفجائع، وما انتهك فيه من الفظائع، تمثيلاً قوليّا أو فعليّا.

كما أنّ للحزن مظاهر شتّى، منها خروج المواكب المحزنة المبكية، والجماعات النائحة اللاطمة على الرؤوس والصدور وغيرهما، فإنّ إعلان الحزن

1 - وسائل الشيعة ١٤ : ٥٠٠ ـ ٥١٠، باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين عليهالسلام وما أصاب أهل البيت عليهمالسلام، خصوصا يوم عاشوراء واتّخاذه يوم مصيبة».

ممّا ينبغي لكلّ مؤمن موحدّ، ليكون من مصاديق منَ حزن لحزنهم عليهمالسلام، ففي خبر الريانّ المروي في الوسائل وغيرها: «إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا»[1].

فعلى أهل الولاء والوفاء الاحتفال بشهادة سيّد الشهداء، والتظاهر بمظاهر الحزن والبكاء، والأخذ بالآداب والسنن الجارية في هذا المضمار، المتكفّلة ببيانها كتب الحديث والأخبار، واللّه الموفقّ للصواب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

1 - وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٣ حديث ٥ باب ٦٦ من أبواب المزار، نقلاً عن أمالي الشيخ الصدوق: ١١٢ حديث ٥، وعيون أخبار الإمام الرضا عليهالسلام ١ : ٢٩٩ حديث ٥٨.

صورة السؤال المرفوع لحجج الإسلام حول التذكار الحسينيوأجوبتهم عنه

لاريب في أنّ مظاهر الحزن بأنحائها التي تقوم بها الشيعة في محرّم الحرام، مأخوذة عن السلف الصالح، والسيرة تقضي باستمرارها منذ القرون العديدة، وهؤلاء علماؤنا الأعلام الّذين ازدانت بأنوارهم سماء هذه الأيام، نتحف القرّاء بكلمات بعضهم، جوابا عن سؤال رُفع لملاحظاتهم، وهذا نصّ السؤال:

ما يقول مولانا حجّة الإسلام... مدّ ظلّه في المواكب المحزنة التي اعتاد الجعفريونّ اتخاذها في العشر من المحرم، تمثيلا لفاجعة الطفّ، وإعلاما بما انتهك فيها من حرمة الرسول صلىاللهعليهوآلهوسلم في عترته عليهمالسلام، وإعلانهم الحزن لذلك الفادح بكافّة أنواعه : من ندب ونداء وعويل وبكاء، وضرب الأكفّ على الصدور، وبالحديد على الرؤوس والظهور، إلى غير ذلك ممّا هو معلوم ومشهور، منظماً إلى بروزهم بهيئاتهم المعروفة، وحالاتهم الموصوفة، فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر، أم لا؟ افتونا مأجورين.

وهاك نصّ الأجوبة:

الصفحة 293

بسم اللّه الرحمن الرحيم

«كلّ ما يُعدّ إقامة عزاء، كالوجوه المذكورة، فهو جائز.

نعم، إذا كان عملاً محرّما، كلبس الثوب المختصّ بالنساء في بعض التشبيهات بالنسبة للرجال، يجتنب عنه، واللهّ العالم».

محمّد اليزدي الفيروزآبادي[1]

1- السيّد محمّد ابن السيّد محمّد باقر الحسيني اليزدي الفيروزآبادي، كان عالما، مسلّم الفضيلة والاجتهاد، عرف بالتقوى والوثاقة ولين الجانب، صار مرجعا للتقليد بعد وفاة السيّد اليزدي. تتلمذ على أفاضل عصره كالشيخ حسن الأردكاني والآخوند الخراساني والسيّد اليزدي. توفّي في سامراء سنة ١٣٤٥ هـ ودفن في النجف الأشرف. انظر معارف الرجال ٢ : ٣٨٨.

الصفحة 294

بسم اللّه الرحمن الرحيم

«لا ينبغي الشبهة في جواز الأُمور المذكورة في السؤال وإدماء الرأس بالسيف، بل لو أفتى فقيه متبحّر بوجوب ذلك في مثل هذه الأزمنة، التي صمّم جمعٌ على إطفاء أنوار أهل البيت عليهمالسلام فيها، لم تمكن تخطئته نعم، يجتنب الرجل لباس المرأة على وجه لا يتميّز عنها، وبالعكس، ومن ضروب آلات اللهو على الكيفية التي يطُرب بها للهوّ والطرب، لا على الكيفية المرسومة في العزاء السائغة، واللّه العالم».

حرّره الفاني عبداللّه المامقاني عفى اللهّ عنه[1]

1- الشيخ عبداللّه ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عبداللّه المامقاني النجفي، عالم عامل، تقي ورع ثقة أمين، حضر على أفاضل عصره كالشيخ هاشم التبريزي الأرونقي، والشيخ غلام حسين الدربندي التركي والشيخ حسن ميرزا، وحضر أبحاث العلماء المعاصرين وبحث والده الشيخ حسن، ألّف عدّة كتب أشهرها تنقيح المقال، وله أيضاً : منهاج المتّقين، نهاية المقال في تكملة غاية الآمال، مرآة

الكمال في الآداب والسنن، مقباس الهداية في علم الدراية. توفّي رحمهالله في النجف الأشرف سنة ١٣٥١ هـ . انظر معارف الرجال ٢ : ٢٠.

الصفحة 295

بسم اللّه الرحمن الرحيم

«تمثيل فاجعة الطفّ مقدّمة للبكاء والجزع على الحسين عليهالسلام وكذا إعلان الحزن بأنواعه، مباح، بل مستحبّ في مثل المواثي ومجالس الذكر ونحوهما».

المرتضى كاشف الغطاء[1]

1- الشيخ مرتضى ابن الشيخ عباس ابن الشيخ حسن كاشف الغطاء، عالم فاضل، فقيه أصولي، أديب شاعر. حضر على أعلام عصره كوالده الشيخ عبّاس والشيخ محمّد حسين الكاظمي والشيخ محمّد طه نجف والسيّد محمد كاظم اليزدي والآخوند الخراساني. له عدّة مؤلّفات منها : فوز العباد في المبدأ والمعاد، والآيات الجليّة في تزييف شبه الوهابية، حاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري. توفّي رحمهالله سنة ١٣٤٩ هـ . انظر ماضي النجف وحاضرها ٣ : ١٩٧.

الصفحة 296

بسم اللّه الرحمن الرحيم

«إنّ خروج المواكب المحزنة، التي تمثّل فاجعة الطفّ، واعلان الجزع والحزن لذلك الفادح الجليل، بكافة مظاهره وأنواعه، من السنن المشروعة والمستحبّات الراجحة».

من الأقل الهادي آل كاشف الغطاء[1]

1- تقدمت ترجمته في الصفحة: ٢٨٧.

الصفحة 297

بسم اللّه الرحمن الرحيم

«قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1]، ولا ريب أنّ تلك المواكب المحزنة، وتمثيل هاتيك الفاجعة المشجية، من أعظم شعائر الفرقة الجعفرية، شيدّ اللّه أركانها.

ونحن إذا لم نقل باستحبابها ورجحانها؛ لتوفّر الأدلّة من الأخبار والأحاديث المتظافرة المشعرة بمحبوبيّة تلك المظاهرات لأهل البيت عليهمالسلام فلا أقلّ من القول بالجواز والإباحة.

وما يتداول ويستعمل فيها من ضرب الطبول ونحوه، غير معلوم انزواجه في ما عُلم حرمته من آلات اللهو والطرب، نعم لو عُلم كونها منها فاللازم تنزيه تلك الأعمال الشريفة ممّا يشينها ويحبط أجرها وفضلها الجسيم.

وما أحسب التعرّض للسؤال عن تلك الأعمال، التي استمرّت السيرة عليها منذ مئات من السنين، من مشاهدة أعاظم العلماء لها، وصلحاء أهل الدين، مع عدم النكير من واحد منهم، لا حديثاً ولا قديماً، مع أنّها بمرأى منهم ومسمع، ما

1- الحجّ ٢٢ : ٣٢ ـ ٣٣.

أحسب وضعها في مجال السؤال والتشكيك إلاّ دسيسة أمويّة، أو نزعة وهابّية، يريدون أن يتوصلوا بذلك إلى إطفاء ذلك النور الذي أبى اللّه إلاّ أن يتمّ ولو كره الكافرون.

كما أنّي لا أرتاب في أنّه لو تمّت لهم هذه الحيلة، ونجحت . لا سمح اللهّ . هذه الوسيلة، وعطلّت تلك المواكب والمراسم في سنتين أو ثلاث، سوى الداء، واستفحل الخطب، وتطرّقوا إلى السؤال والتشكيك فيما يقام في بلاد الشيعة من المآتم، وجعلو ذلك بابا إلى إماتة تلك المحافل والمحاشد التي بإحيائها إحياء الدِّين، وبإماتتها إماتة ذكر الأئمّة الطاهرين سلام اللهّ عليهم .

ومَن له أقلّ إلمام ووقوف على المجتمعات والجمعيّات التي عقدُت في هذه الأعصار في مصر ودمشق وغيرهما، وما أصبحت تنشره من المقالات والمؤلّفات في إحياء ذكر بني اُميّة وتقويمهم وتبرير أعمالهم، وتبرئتهم من قتل الحسن والحسين سلام اللّه عليهما، والتنويه بذكر يزيد، وأنّه من الخلفاء الراشدين والأئمّة المرضيين، عرف مَن أين جاءت هذه البلية، وسرى هذا السمّ الخبيث، التي تريد أن تقضي على حياة الشيعة، وتزهق روح الشريعة.

ولا يروّج هذا إلاّ على السذّج والبسطاء والمغفلين، الذين يقتلون الدين باسم الدين مّن حيث لا يشعرون.

فالرجاء والأمل من جميع إخواننا المؤمنين . ثبّتهم اللّه بالقول الثابت، وأيدّهم بروح منه . ترك الخوض في مثل هذه الامورُ المتسالم عليها خلفا عن سلف، والتي هي من أعظم الوسائل إلى نيل الشفاعة، والدخول في سفينة النجاة وأبواب الرحمة.

وليصرفوا أوقاتهم الثمينة في الاتّفاق والتعاضد والتعاون على البرّ

والتقوى، في ما يعود إلى إصلاح شؤون دينهم ودنياهم، وجمع كلمتهم على الحقّ والهدى إن شاء اللّه تعالى.ولا يؤتوا ما يوجب اختلاف الأُمّة وتفرقة الكلمة، واللهّ ولي التوفيق وبه المستعان».

محمد الحسين آل كاشف الغطاء[1]

1- الشيخ محمّد حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمّد رضا كاشف الغطاء، عميد الطائفة الجعفرية وزعيمها، وعلم من أعلام الفرقة الناجية وناصرها، منبع العلوم والآداب، وكعبة الفضل التي إليها تحث الركاب، سرّ الفصاحة وبحر البلاغة. تخرّج في المبادىء على أعلام عصره من النجفيين، وفي الفقه والأصول على الزعيم الديني الكبير السيّد محمد كاظم صاحب العروة الوثقى، وله الرواية عن الحاج الميرزا حسين الخليلي. ألّف رحمه اللّه عددا كبيرا من الكتب في شتّى العلوم، توفّي في إيران سنة ١٣٧٣ هـ ونقل جثمانه الى النجف الأشرف ودفن فيها. انظر ماضي النجف وحاضرها ٣ : ١٨٢.

صورة اُخرى

ما يقول مولانا حجّة الإسلام... مدّ اللهّ ظله العالي على رؤوس الأنام، في المواكب المشجية التي اعتاد الجعفريون اتخاذها في العشر من المحرّم الحرام، تمثيلاً لفاجعة الطف، واعلاما لما انتهك فيها من حرمة الرسول صلىاللهعليهوآلهوسلم في عترته المجاهدين، بالتمثيل للشهداء وجهادهم وما جرى عليهم، وما جرى على الأطفال من القتل والقسوة، وبإعلانهم الحزن لذلك الفادح بأنواعه : من ندب ونداء، وعويل وبكاء، وضرب بالأكفّ على الصدور، وبالسلاسل على الظهور، فهل هذه الأعمال

مباحة في الشوع الأزهر، أم لا؟ افتونا مأجورين.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وله الحمد وهو المستعان.

«لا ينبغي الريب في رجحان هذه المذكورات، التي هي شعار للمودّة في القربى، وولاء أهل البيت الطاهرين المطهّرين عليهم السلام ومواساة الإمام المجاهد الشهيد المظلوم، سيّد شباب أهل الجنّة، وسبط رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وولده، فهنيئا لمن أسعده التوفيق في إقامتها والإعانة عليها، مع الإخلاص للّه في ذلك، وفقّ اللّه المسلمين وسددهم».

الأحقر محمّد جواد البلاغي عفي عنه[1]

1- الشيخ جواد ـ محمّد جواد ـ ابن الشيخ حسن ابن الشيخ طالب البلاغي، ركن الشيعة وعمادها، وعزّ الشريعة وسنادها، صاحب القلم الذي يسبح في بحر العلوم الناهل من موارد المعقول والمنقول. كم من صحيفة حبّرها وألوكة حرّرها، وهو بما حبّر فضح الحاخام والشماس، وبما حرّر ملك رقّ الرهبان الأقساس كان مجاهدا بقلمه طيلة عمره، وقد أوقف حياته في الذبّ عن الدين ودحض شبه الماديين والطبيعيين، فهو جنّة حصينة ودرع رصينة»، حضر على أعلام عصره كالشيخ محمّد طه نجف، والشيخ آقا رضا الهمداني، والآخوند الخراساني والميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي، وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء. له عدّة مؤلّفات منها: الرحلة المدرسية، الهدى إلى دين المصطفى، أنوار الهداية، نصائح الهدى، أعاجيب الأكاذيب، أجوبة مسائل كثيرة، آلاء الرحمن في تفسير القرآن. مات رحمه اللّه في النجف سنة ١٣٥٢ هـ . انظر ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦١.

تشبّه الرجال بالنساء المحرّم في الشريعة[1]

وفيه: أولاً: أنّ المتبادر من تلك الأخبار ما كان التشبّه بالمرأة من حيث أنها مرأة.

وبعبارة أُخرى: يكون الغرض هو التظاهر بالانوثيّة، لا التشبّه بمرأة من حيث خصوصيتها، من تمثيل واقعة أو تصوير مصيبة ونحو ذلك، فلا يصدق عليه عنوان التشبّه المحرّم.

وثانياً: ما أفاده شيخنا الأعظم آية اللّه النائيني دام ظلّه من قوله: «إن المحرم من تشبه الرجل بالمرأة هو ما كان خروجا عن زيّ الرجال رأساً وأخذا زي النساء، دون ما إذا تلبسّ بملابسها مقدارا من الزمان بلا تبديل لبسه، كما هو الحال في هذه التشبيهات». انتهى[2].

ويدلّ على ما ذكر من الوجهين الأخبار الواردة في الباب، فمنها ما رواه الشيخ الحرّ العاملي، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليهم السلام أنّه رأى رجلاً به تأنيث في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: «أخرج من مسجد رسول اللّه يا لعنة

1- انظر رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٢: ١٧٣.
2- نقلاً عن العروة الوثقى ٢: ٣٥١، مع تعليقة عدّة من الفقهاء، التعليقه رقم٢ على المسألة ٤٢ في شرائط لباس المصلّي.

رسول اللّه»، ثمّ قال علي: «سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبّهات من النساء بالرجال»[1].

وكذلك الأخبار الأُخر مساقها ظاهر في حكم التأنيث، فلا تشمل من ألقى على وجهه برقعاً أو جلبابا تظاهرا بواقعة من

الوقائع.

وإلى هنا قد فرغنا بحمداللّه عن النظر في ما يتمسك به لإثبات المنع عن بعض مظاهر الحزن في عاشوراء، وبعد ما أثبتنا عدم تماميّته في المقام، فقد بقيت العمومات والإطلاقات المسودة في النظرة الأولى على حالها، ويكون المقتضي بضميمة عدم المانع علّة تامة للجواز أو الاستحباب.

وليكن هذا آخر كلامنا في هذه العجالة، وقد فرغ عن تسويدها مؤلّفها أضعف عباداللّه القوي علي نقي ابن العلامّة الفقيه السيّد أبو الحسن النقوي اللكهنوي، بأرض الغري المقدّسة في الثاني من شهر رمضان سنه ١٣٤٧ هجرية، وأخرجت إلى البياض مع بعض الزيادات في المحرّم سنة ١٣٤٨ هـ، والحمد للّه أولاً وآخراً والصلاة على نبيه محمد وآله النجباء.

1- وسائل الشيعة ١٧: ٢٨٤، حديث ٢٢٥٣٢، نقلاً عن علل الشرائع ٢: ٦٠٢، حديث ٦٣، باب ٣٨٥ نوادر العلل.

ملحق بالكتاب

لاينفع العوام في الاستناد عندالعمل فتوى أيّ فقيه مهما بلغ في العظمة والاشتهار من الفقهاء الماضين، وإنّما تنفعهم فتاوى الأحياء من المجتهدين أدام اللّه بقاءهم، وهي مطبقة على تجويز ما ينكر الخصوم من الشعائر الحسينيّة، وهاك أسماؤهم الشريفة، ولتفصيل آرائهم ونقل كلماتهم محل آخر:

حضرة آية اللّه الميرزا محمّد حسين النائيني النجفي.

آية اللّه الحاج الشيخ عبدالكريم اليزدي.

آية اللّه السيّد ميرزا علي أقا الشيرازي.

آية اللّه السيّد حسن صدرالدين العاملي الكاظمي.

آية اللّه الشيخ ضياء الدين العراقي النجفي.

حضرة العلامة الحجّة المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي.

حجّة الإسلام الشيخ عبد اللّه المامقاني.

حجة الإسلام الشيخ محمّد حسين الأصفهاني النجفي.

حجّة الإسلام الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء النجفي.

حجّة الإسلام الشيخ هادي.

حجّة الإسلام الشيخ مرتضى.

حجّة الإسلام الشيخ علي المازندراني.

حجّة الإسلام الشيخ محمّدرضا آل ياسين الكاظمي النجفي.

وأمّا حضرة آية اللّه مولانا السيدّ أبوالحسن الأصفهاني دام ظله، فالذي نعلمه منه وجدانا سكوته في خصوص مسألة ضرب القامات، ومنشوره على إجماله صريح في الترغيب والحثّ على إظهار الحزن والجزع والهلع والتظاهر بكلّ ما ينبيء عن عظم المصيبة وجلالة شأن المصاب، بل إنّه أفضل الطاعات، فواجع إذن، فنسبة التصريح بالمنع إليه غير مطابقة للواقع، وقد نسب إليه بعض المؤلفين القول بالجواز، واللّه أعلم.

الصفحة 306

الصفحة 307

(٧) نصرة المظلوم

تأليف

الشيخ حسن المظفّر

(ت ١٣٨٨ هـ)

الصفحة 308

الصفحة 309

بسم اللّه الرحمن الرحيم

بسم اللّه، وله الحمد على جزيل نواله، والصلاة والسلام على سيدّنا محمدّ وآله.

وبعد، فبيّنا أنا واقف موقف الاندهاش والحيرة – أسوة كثير من أهل الدين – لما وقع في الحرمين الشريفين وما والاهما من المنكرات بهدم المشاهد والمزارات، وذلك في أوّل شهر المحرّم من هذا العام[1]، حيث يقام التذكار الحسيني المحزن، وكفى به جالباً للوجد القلبي، ومثواراً للبكاء المقرح.

إذ انتهى إليّ عدد من جريدة الأوقات العراقية[2] التي تصدر في البصرة، وفي مفتتحها مقالة ينقل صاحبها عن رجل من فضلاء أهل العلم – قطن البصرة منذ شهور، يدعى السيّد مهدي[3] – أنّه منع من تمثيل تلك الفادحة الكبرى والمصيبة العظمى، ومن خروج مواكب الرجال يضربون صدورهم بأيديهم في

1- أي سنة ١٣٤٥ هـ ، وهي سنة تأليف هذه الرسالة.
2- هو العدد ١٦٦١ ، كما صرّح به الشيخ محمّد جواد الحجّامي ت ١٣٧٦ هـ في رسالته «كلمة حول التذكار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ٢٧١.
3 - هو السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري ت ١٣٥٨ هـ صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

الصفحة 310

الأزقّة والجواد العمومية[1].

فقلت: هذه المصيبة الثالثة، وما هي بأهون من الأوليين.

ثمّ تواترت الكتب والرسل من البصرة إلى مراكز العلم في النجف، وهي ما بين عاذل و عاذر [2]، محبّذ لهذا المنع ومستاء منه، فشممت من ذلك روح الأغراض الشخصيّة بين فئتين، فأعرضت وقلت: فورة لامساس لها بالمذهب سوف تسكن.

ثمّ ما عتمت إلاّ وقد أُرسلت بعد أيامّ من البصرة مقالة مطبوعة [3] من مزخرفات ذلك الرجل الفاضل، مزج فيها بين الحقّ والباطل، ونسب الفرقة الجعفريّة – في إقامة التذكارات الحسينيّة ببعض مظاهرها – إلى الإبداع والقيام بأفعال وحشيّة همجيّة.

وفي هذا تضليل للسلف الصالح من العلماء الأعلام، والقوّام على الحلال والحرام، ورفع لأعظم شعار مذهبي مازالت تجتني الشيعة من فوائده ما يحفظ كيانهم ويثبت عقائدهم.

فعلمت من أين جاءت هذه البليّة التي تقضي – إن تمتّ – على حياة الشيعة، وتيقنّت أن كيد المموهيّن والمنافقين، وخاصة أفواد «الجمعيّة

1- الجادّة: معظم الطريق، والجمع جواد، الصحاح ٢: «جدد».
2 - العَذلُ: اللوم. والعذر: الحجّة التى يعتذر بها. لسان العرب ٩: ١٠٢ «عذر» و١١١ «عذل». والمقصود هنا: أنّ أهالي البصرة الذين بعثوا بالرسائل إلى مدينة النجف الأشرف، كانوا منقسمين إلى قسمين: مؤيّدين ومعارضين لأقوال السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري.
3 - هي رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري ت١٣٥٨ ه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٧٧.

الأمويّة» [1]، ذلك الكيد الذي لاينطلي إلاّ على السذّج والبسطاء، قد أوقع هذا الرجل بأشواكه [2] فأفتى ومنع، وقذف، وضلّل، ولفّق أموراً ليس لها مقيل في ظلّ الحقيقة، بل هي ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ ﴾ [3].

كنت أجد لي في ما كتبه، وأفتى به علماؤنا الأعلام في هذه الأيام، وطبع ملحقاً برسالة [4] في هذا الشأن لمعاصرنا الفاضل الشيخ محمّد جواد الحجّامي النجفي حفظه اللهّ، المطبوعة في النجف، مندوحة على الخوض في هذه المسالة التي عزّ وعظم على كلّ عارف من الشيعة أن تقع موقع سؤال وتشكيك.

ولكنّي الآن بعد انتشار تلك المقالة [5]، التي هي قرّة عين المناوئين، لا أجد مساغاً شرعياً للسكوت عما خفي على ذلك السيد الصائل [6] ومن يطرب على

---

1 - أطلقت هذه الكلمة «الجمعيّة الأمويّة» على الذين أيّدوا السيّد محمّد مهدي في منعه لبعض الشعائر الحسينيّة، وكذلك على الذين أيّدوا - فيما بعد - السيّد محسن الأمين ت ١٣٧١ ه وما جاء في رسالته «التنزيه» التى دعا فيها إلى تنزيه بعض الشعائر الحسينيّة. يقول الأستاذ جعفر الخليلي (ت ١٤٠٥ ه) في كتابه «هكذا عرفتهم» ١: ٢٠٨ : «وانقسم الناس إلى طائفتين - على ما اصطلح عليه العوام -: «علويّين»، و«أمويّين». وعنى بالأمويّين أتباع السيّد محسن الأمين، وكانوا قلّة قليلة لا يعتدّ بها، وأكثرهم كانوا متسترين خوفاً من الأذى».
2- أي الفخّ، في الصحاح ٤: ١٥٩٤ «شرك»: الشرك: حبالة الصائد.
3- النور ٢٤: ٣٩.
4- هي رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١: ٢٦٧.
5- أي رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١: ١٧٧.
6- السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري، مؤلّف رسالة «الصولة».

تصديته، عسى أن ينيب إلى الحقّ ويتنبّه إلى ما أغفله به الأغيار المفكّرون، ومن الله أرجو أن تكون رسالتي هذه التي سمّيتها: «نصرة المظلوم» سبباً لهداية إخواننا المسلمين إلى اتبّاع الحق بيّقين، إنه وّلي ذلك والقادر عليه.

وها أنا بعون اللّه وتوفيقه ذاكر في مقدّمة هذه العجالة بحثا فلسفيا تاريخيا، ينتهي بالمتأمل فيه إلى العلم بأن التذكارات الحسينيّة بجميع أنواعها حافظةً للمذهب الجعفري عن الاندراس والدثور.

وبهذا الاعتبار لايحتاج في شرعيّة بعضها إلى ورود دليل خاصّ به، وأنّه لا يعثّنى بسخرية الساخر، فإنه في الحقيقة ماكر لاساخر، يريد إطفاء أنوار الأئمّة الأطهار بكيده ومكره ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾[1].

فأقول: يتردّد على ألسنة عموم الشيعة نحو قول: «قتل الحسين عليهالسلام لإحياء دين جدّه»، ومرادهم بدين جده: الطريقةالتي هم عليها من الاعتقاد – مع الشهادتين والمعاد – بإمامة علي وولده إلى المهدي عليهمالسلام، وأنّهم معصومون مبرّأون عن كلّ ذنب وعيب، جامعون لكلّ فضيلة في البشر.

وتفصيل إحيائه لهذه الطريقة بتسليم نفسه للقتل عالماً عامداً، تعرفه ممّا نذكره ثمّة.

لا شكّ أنّه ما كان المسلمون في شطر من الصدر الأوّل يقولون أهل البيت الطاهر بالمنزلة التي تقولهم بها الجعفريةّ اليوم، من كونهم أئمّة حقّ ومعصومين، فضلاً عن اعتقاد كون الإمامة والعصمة في عقب الحسين عليهالسلام إلى عدةّ خاصة من أبنائه، فإنّه ممّا لم يذعن به إلاّ ممتحن القلب.

1- فاطر ٣٥: ٤٣.

اللّهم إلاّ في أعوام نزرة مشوبة بفتن وحروب، كثر في خلالها عدد الشيعة وثبتت عقائدهم.

لكن لم تكن مقتضيات الأحوال يومئذٍ بالغةً إلى حدّ يوجب سيادة هذا الاعتقاد في العالم الإسلامي.

ثمّ ما وراء ذلك العدد الجمّ أن عراه النقص، ولبس ثوب الإذلال، وكان ضئيلاً من قبل ذلك، وذلك لأجل الحيف[1] الذي أظهره آل أبي سفيان في المصرَين وما يتبعهما و غيرهما من مراكز الشيعة.

فقد غرسوا بغض علي عليهالسلام وولده وسبّهم والوراءة منهم في أعماق قلوب العامّة بأساليب مختلفة، وتتبعّوا شيعتهم على الظنّة والتهمة، حتّى كادوا أن يستأصلوا شأفتهم[2]، وبعثوا إلى المشرّدين منهم والمسجونين ضروب الأذى والتنكيل.

ووضعوا الأحاديث النبويّة في فضل بني أميّة، وأعلنت الخطباء في كلّ صقع بأسمائهم مقرونة بالتبجيل والتكريم، وكونهم خلفاء النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم وذوي رحمه ووراّث حكمه وحكمته.

وأنّ مخالفتهم ضلال، والخروج عليهم خروج عن ربقة الإسلام[3]، حتّى أتى على ذلك نيف وثلاثون سنة، وبعض هذا في أقلّ من تلك المدّة كاف في

1- الحَيْفُ: الجور والظلم. الصحاح ٤: ١٣٤٧ «حيف».
2 - الشَّأفَةُ: قرحة تخرج في أسفل القدم، فتُكوى فتَذهب. يقال في المثل: «استأصل اللّه شَأفَتَهُ» أي أذهبه اللّه كما أذهب تلك القرحة بالكيّ. الصحاح ٤: ١٣٧٩ «شأف».
3 - الرِبْقُ، بالكسر: حبل فيه عدّة عُرى، تُشَدّ به البُهُمُ، الواحدة من العُرى: رِبْقَةٌ. وفي الحديث: «خَلَعَ رِبْقة الإسلام من عنقه». الصحاح ٤: ١٤٨٠ «ربق».

انواس ذكر علي و ولده عليهمالسلام وانواس طريقتهم وأحكامهم[1].

حتّى إذا ولي الأمر يزيد بن معاوية بعد أبيه، وقد توطّدت له الأسباب، تسنىّ له أن يبيد كل هّاشمي من على جديد الأرض[2]؛ لتهوّره، وشدّة إقدامه، وتجاهره بهتك الحرمات، كما ينبىء عن ذلك – بعد يوم الطف – وقعة الحرّة[3] ورمي الكعبة[4].

فلذلك قام الحسين عليهالسلام ضدّ بني أميّة قيام مستاء جداّ مّن جراء قسوتهم المخالفة لدين الإسلام،ولاهم له إلا إحّياء ما أماتوه من الآثار والمآثر الإسلامية.

و بقتلهم إيّاه – تلك القتلة الشنيعة بأيدي تلك الألوف المتجمهرة عليه، وقتل سبعة عشر رجلاً من بنيه وبني أخيه وعمة، حتّى الشباب والأطفال الرّضعّ منهم، وقتل أنصاره وسبي ذراريه وعياله إلى الكوفة، ومنها إلى الشام حيث مركز

1- انظر تفصيل هذا في كتاب «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد المعتزلي ٤: ٥٦ فصل في ما روي من سبّ معاوية وحزبه لعلي.
2- الجديد: وجه الأرض. الصحاح ٢: ٤٥٤ «جدد».
3- وقعت في أواخر شهر ذي الحجّة سنة ٦٣ هجرية، بعد أن خلع أهل المدينة المنوّرة البيعة ليزيد بن معاوية وتابعوا ابن الزبير، فأمر يزيد مسلم بن عُقبة المرّي بالسير إليهم في جيش كبير، فدخلها مسلم عنوة وأباحها ثلاثة أيام لجيشه، فنُهبت مدينة الرسول صلىاللهعليهوآلهوسلم وقتل كثير من أهلها، وانتهكت الأعراض فيها. وأخذ مسلم البيعة من أهل المدينة ليزيد بن معاوية على أنّهم خَوَل له، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء.
انظر تاريخ الطبري ٥: ٤٨٢، أحداث سنة ٦٣ هجرية.
4 - بعد أن أخذ مسلم بن عقبة المرّيّ من أهل المدينة المنوّرة البيعة ليزيد بن معاوية، سار إلى أهل مكّة إلاّ أنّه توفّي في الطريق، فأصبح الحصين بن نمير الكوفي أميراً على الجيش، فقصد مكّة المكرّمة وحاصرها ورمى الكعبة الشريفة بالمنجنيق يوم السبت الثالث من شهر ربيع الأوّل سنة ٦٤ هجرية.
انظر تاريخ الطبري ٥: ٤٩٦، أحداث سنة ٦٤ هجرية.

الخلافة الأموية، وإشهار رأسه ورؤوس آله في البلدان – سقطت مقولة بني أميّة من القلوب، وعلم الناس نواياهم السيئّة، وأيقنوا أنّهم ليسوا بأئمة حق؛ لأن أفعالهم تلك لاتتفقّ مع أي دينّ، ولا يوافقها من العدل شبح، بل هي خارجة عن حدود الإنسانية.

وكان في نفوس العامّة في العراق نفور ما منهم من جراء القتل الذريع لكوائهم؛ لتهمة التشيعّ وحيف[1] العمال بهم.

وكذلك في الحجاز أيام استخلاف يزيد عليه اللعنة؛ لمعلوميّة فسقه وجوره.

وظهر يومئذٍ للعالم الإسلامي كلّه أنّ بني أميةّ لم تسع في هدم دين الإسلام فقط، بل تسعى عن طريق التعصبّ الجاهلي في أن لا تبقي لهاشمي أثراً، وعلى الأخصّ بقايا آل محمدّ صلىاللهعليهوآلهوسلم.

ومن هذا الوجه ظهر للعالم أجمع مظلوميّة الحسين عليهالسلام، وصار ذلك سبباً للالتفات إلى مظلومية أبيه يوم صفين، وأخيه عام الصلح.

لمّا قتل الحسين عليهالسلام طال لسان اللوم والإنكار على يزيد (عليه اللعنة) حتى من بني أميّة أنفسهم، ومن بقايا الصحابة في الشام وفي المدينة المنوّرة، على حين أنّه لم يكن بالإمكان ذكر علي عليهالسلام والحسين عليهالسلام بخير في البلدان القاصية عن مركز خلافة بني أميّة، فضلاً عن إطرائهم بين يدي يزيد ولدى حاشيته وفي داره، حتى روي في العقد الفريد عن المدائني: أنّه لم توجد في دار يزيد سفيانية إلاّ وهي متلدمّة [2] تبكي على الحسين عليهالسلام [3].

1- الحَيْفُ: الجور والظلم الصحاح ٤: ١٣٤٧ «حيف».
2- لدمت المرأة وجهها: ضربته. والتد ام النساء: ضربهنّ صدورهن في النياحة الصحاح ٥: ٢٠٢٨ - ٢٠٢٩ «لدم».
3- في العقد الفريد ٥: ١٣٢ لابن عبد ربّه الأندلسي ت ٣٢٨ ه: أبو الحسن المدائني، عن إسحاق، عن إسماعيل بن سفيان، عن أبي موسى، عن الحسن البصري، قال: قتل مع الحسين ستّة عشر من أهل بيته، واللّه ما كان على الأرض يومئذٍ أهل بيت يشبّهون بهم. وحمل أهل الشام بنات رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم سبايا على أقتاب الإبل، فلمّا أدخلنّ على يزيد، قالت فاطمة ابنة الحسين: يا يزيد، أبنات رسول اللّه صلىاللهعليهوآلهوسلم سبايا؟ قال: بل حرائر كرام، ادخلي على بنات عمّك تجديهن قد فعلن ما فعلن. قالت: فاطمة: فدخلت إليهن، فما وجدت فيهنّ سفيانية إلاّ متلدّمة تبكي.
وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه:
عيني أبكي بعبرةٍ وعويلِ واندُبي إن ندبتِ آلَ الرسولِستّة كلهم لصُلبِ عليٍّ قد أُصيبوا وخمسة لعقيلِ

وما كان ينفع يزيد عند الناس إسناد قتله إلى ابن مرجانة بغير علم منه، وهم يرون فرحه وسروره – بإشهار رأسه ورؤوس آله، وسوق ذراريهم وعيالهم له كالسبي المجلوب [1]، وتزيينه الشام أياماً – استبشاراً بذلك.

لعمري إنّ هذا الإطراء والذكر الجميل، واعتقاد مظلوميّة الحسين عليهالسلام وآله عند العامة في الشام، أولّ مراتب التشيع ومعرفة آل محمّد صلىاللهعليهوآلهوسلم، والإذعان بفضلهم الذي لاسبب له إلاّ قتل الحسين عليهالسلام.

في عام قتل الحسين عليهالسلام هاج كثير من أهل الكوفة للأخذ بثأره، وراحوا يستعدّون للثورة عدتّها من جمع سلاح وتوفير عدد نحواً من ثلاث سنين.

وأهل المدينة في خلال تلك المدّة ثائرون عليه مع عبد اللّه بن حنظلة (غسيل الملائكة)، وابن الزبير ناصب بمكة يدعو إلى نفسه ويعلن الطلب بثار الحسين عليهالسلام مبدء أمره، حتّى هلك يزيد عليه اللعنة.

وحينئذٍ تجمهرت الألوف بالكوفة، لاحافز لها إلاّ الطلب بثأر الحسين عليهالسلام، وهي تذكر أباه وأخاه وسائر آله بكل جميل، وتعلن استحقاق علي عليهالسلام وولده

1- الجليب: الذي يجلب من بلد إلى غيره. الصحاح ١: ١٠ «جلب».

الإمامة والخلافة عن الرسول صلىاللهعليهوآلهوسلم.

ويومئذٍ ظهر التشيّع الصلب، وامتازت شيعة علي عليهالسلام من شيعة بني أمية، ونتج من ذلك التجمهر والامتياز وقعة عين الوردة [1]، التي قتل بها أكثر التوابين، ووقعة نهر الخازر [2]، التي هلك فيها من جند بني أميّة سبعون ألفاً فيهم ابن مرجانة.

وبان ثمّة التشيّع بأجلى مظاهره وانقادت الناس من يومئذٍ إلى أهل

1 - عين الوردة تسمّى أيضاً «رأس عين»: مدينة مشهورة بالجزيرة العربيّة، كانت فيها وقعة للعرب ويوم من أيامهم، وكان أحد رؤسائهم يومئذٍ رفاعة بن شدّاد بن عبد اللّه ابن قيس. انظر: معجم البلدان ٤: ١٨٠.
وقد جرت بالقرب من هذه المدينة معركة بين التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، وبين جيش الأمويين بقيادة الحصين بن نمير الذي كان معه ثلاثون ألفاً من المقاتلين، بينما كان مع سليمان ثلاثة آلاف فقط. وكانت نتيجة هذه المعركة التى وقعت في شهر جمادي الأولى سنة ٦٥ ه . مقتل الكثير من التوّابين، منهم سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيّب بن نجبة وعبداللّه بن سعد بن نفيل.
انظر: أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثار: ٣٣ ـ ٥٤.
2 - نهر الخازر: قريب من مدينة الموصل بالعراق، التقى عنده جيش التوّابين الذي بعثه المختار بن أبي عبيدة الثقفي بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر الذي كان معه تسعة آلاف مقاتلاً، وجيش الأمويين بقيادة ابن مرجانة عبيد اللّه بن زياد الذي كان معه ثلاثون ألف مقاتلاً. وكانت نتيجة هذه المعركة قتل الكثير من جيش الأمويين وفي مقدّمتهم قائدهم ابن مرجانة الذي قتله إبراهيم الأشتر.
يقول ابن نما: وجعلوا يعدّون القتلى - من جيش الشام ـ بالقصب، يضعون عند كلّ قتيل قصبة فكانوا سبعين ألفاً.
وكانت تلك المعركة يوم العاشر من المحرّم سنة ٦٧ ه .
انظر: أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثار: ١٣٨ ـ ١٥٠.

البيت عليهمالسلامباقتفاء آثارهم، والاقتباس من علومهم، وأخذ مراسم الدين منهم.

وما برح الثوّار يتتابعون، كزيد بن علي [1]، وولده يحيى [2] بن زيد وغيرهما. ويقوي أمر الشيعة ويشتدّ أزرهم، وتظهر كلمتهم، وتثبت عقائدهم ببركة تلك الثورات الناجمة من قتل الحسين عليهالسلام.

ولم يمض قرن واحد من لدن قتله حتّى باد بنو أمية، وأصبحت السلطة الإسلامية لفريق من بني هاشم وهم بنو العباسّ الذين – باسم ثارات الحسين عليهالسلاموولده وبني عمومته – لم يبقوا من الأمويين في الأرض نافخ ضَرَمَةٍ [3] إلاّ من لايُعرف.

من هذه الرموز كلّها تعرف معنى كون الحسين عليهالسلام قتل لإحياء دين جدّه، وتذعن أنهّ لم يطلب حقا ّهو لغيره، ولم يرد أن يكون جبّاراً في الأرض، وإلا ّفلا موقع لإطرائه والطلب بثأره.

ولمّا رسخت أقدام العباّسيين في الإمرةالإسلامية، ورأوا أن المغروس في أعماق قلوب أكثر المسلمين، هو أن ّ الرياسةالروحانيّة المقدّسة لعقب الحسين عليهالسلاممن العلويين، خافوا على ملكهم بادرة الثوار منهم.

وأدرك أولئك أن لا قوة لهم على الطلب بحقّهم وقد باد بنو أمية، وتشتتّ أفكار العامة،ّ وأعوست الدنيا بملك بني العباسّ.

1- الذي استشهد في الكوفة سنة ١٢٠ ه وقيل: ١٢١ ه.
2- في النسخة المطبوعة «عيسى» لكن المعروف أنّ يحيى بن زيد بن علي، هو الذي استشهد في خراسان سنة ١٢٥.
3- الضَرَمة: السَعفَةُ أو الشِيحَة فُي طرفها نار، يقال: مابها نافخ ضَرَمَةٍ، أي أحد. الصحاح ٥: ١٩٧٤ «ضرم».

وكان الرئيس الروحاني من أولاد الحسين عليهالسلام يومئذٍ والمشارإليه من بينهم، والمطاع في الناس، هو أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد الصادق عليهالسلام، فآثر العزلة. وكذلك أبناؤه إماماً بعد إمام، وهم في خلال ذلك يلاقون ضروب الأذى والقتل والتنكيل.

ولكنّهم حفظوا ما قتل عليه جدّهم، بأمرهم شيعتهم – بدل الثورة – بالتذكارات الحسينية، بذكر مصائبه، فوادى وجماعات في جميع الأحوال، ونقل ما جرى عليه وعليهم من الفجائع من لدن قتله إلى أيامهم، والبكاء والإبكاء والتباكي لما أصابهم.

وبالغوا في الإطناب بذكر ثواب ذلك إلى حدّ هو فوق التصورّ؛ لأنهّمرأوا أن ذلك هو اليد القوية في إحكام الرابطة بين

أفواد الشيعة، وتميّزهم عمّن سواهم من الشيع[1].

كما أنّ الثورات الدموية أوجبت تميزهم عن شيعة بني أمية، وحفظت عقائدهم لذلك الوقت، وعلى ذلك من الشواهد التاريخية ماتضيق عنه الرسالة.

ثمّ أنهم عليهمالسلام – بمزيد لطفهم وواسع علمهم – حفظوا تلك المجتمعات، وحافظوا على الأفواد والجماعات من الشيعة، بتشديد الأمر عليهم بالاتقاء والتستر، حتّى نفوا اسم الدين عن غير المتقيّ[2].

وهذه المجتمعات – المأمور بها منهم ببيانات مختلفة والمنعقدة عندهم في منزلهم – هي ما نسمّيها اليوم «المآتم» و«مجالس العزاء».

1- أي الفرق والجماعات الأخرى. انظر الصحاح ٣: ١٢٤٠ «شيع».
2- روى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام الصادق عليهالسلام أنّه قال: «لادين لمن لاتقيّة له». انظر الكافي ٢: ٢١٧ ـ ٥٢١ باب التقيّة.

لا شكّ انه لاغرض للأئمة عليهمالسلام – وهم حكماء الأمة – من الأمر بذلك الاجتماع المحزن، وتذكر تلك المصيبة المفجعة في أحوال مخصوصة كثيرة، وزيارته التي لم يكفهم التغيب إليها والمبالغة في ثوابها، حتّى حذّروا من تركها.

وبعبارة جامعة: ليس أمرهم بتلك «الروابط الحسينية» إلاّ حفظ المذهب عن الاندراس، وهو الغاية التي قتل لها الحسين عليهالسلام.

وهذه الحِكم، مع أنّها وجدانية قد ألمعوا إليها بعبارات مختلفة وضوحاً وخفاءً، وأمروا بها صريحا في ما تضمن الحث على إحياء أمرهم، نحو قول الصادق عليهالسلاملفضيل بن يسار: «تجلسون وتتحدّثون»؟

قال: نعم جعلت فداك.

قال: «إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا»[1].

وقوله عليهالسلام: «مَن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[2].

وقوله عليهالسلام: «رحم اللّه عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر أمرنا، فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلاّ باهى اللّه بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإن في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا، ودعا إلى ذكرنا»[3]، وغير ذلك[4].

---

1 - قرب الإسناد: ١٨ ، تفسير القمّى ٢: ٢٩٢ ، ثواب الأعمال: ٢٢٣ حديث ١ . وعنهما في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١ حديث ٢ باب ٦٦ في أبواب المزار وما يناسبه.
2 - أمالي الصدوق: ٦٨ حديث ٤ ، عيون أخبار الرضا عليهالسلام ١: ٢٩٤ حديث ٤٨ ، وعنهما في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٢ حديث ٤ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه.
3- أمالي الشيخ الطوسي ١: ٢٢٨. وعنه وسائل الشيعة ١٦: ٣٤٨ حديث ١٠ باب ٢٣ من أبواب فعل المعروف.
4- انظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ ـ ٥١٠ باب ٦٦ من أبواب ا لمزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين عليهالسلاموما أصاب أهل البيت عليهم السلام...».

فكأنّهم عليهمالسلامرأوا أن تلك التذكارات الحسينية هي التي توجب بقاء الناس على مرور الأزمان على الاعتقاد بإمامتهم، ووافر فضلهم وعصمتهم، ومظلوميتهم من الخلفاء في كلّ عصر من أعصارهم، وذلك روح التشيّع.

أنا لا أشكّ أنّ تلك المجالس والمجتمعات نوادي غيردينية، ألبستها الأئمة الأطهار عليهمالسلام – بواسع علمهم وبعدُ نظرهم للمستقبل– لباساً مذهبياً؛ لأنهّا السبب الوحيد لاجتماع كلمة الشيعة ورسوخ عقائدهم وبقاء ذكرهم الجميل بكل معانيه للأئمة فيما بينهم.

وتلك نكتة مستورة عن جميع المسلمين، حتّى عن الشيعة أنفسهم، فإنّهم لا يتصورّون هذه الفائدة من عملهم، بل قصدهم الثواب الأخروي فقط.

لكن بما أنّ كلّ عمل لابدّ أن يظهر له بطبيعته أثر، فهذه المجالس بما يحدث فيها من إظهار مظلومية آل محمد صلىاللهعليهوآلهوسلم تُثمر تلك الثمرات للشيعة من حيث لايشعرون.

إليك فانظر ماذا يضرّ المتوكّل العباسّي – في كونه ملكاً وخليفة من ولد العباسّ عم النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم – من أن طائفة من المسلمين تزور قبر الحسين عليهالسلام، وهوابن عمّه، حتّى يمنع عن زيارته ويوجّه إليه الفعلة، يأمرهم بحرثه واجراء الماء عليه[1].

---

1 - قال الطبري في تاريخه «تاريخ الأمم والملوك» ٩: ١٨٥ في أحداث سنة ٢٣٦ ه : «وفيها أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن علي، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه. فذكر أنّ عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنابه إلى المطبق. فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه، وحرث ذلك ا لموضع، وزرع ما حوله».
وقال ابن الأثير في تاريخه «الكامل في التاريخ» ٧: ٥٥ ـ ٥٦ في أحداث سنة ٢٣٦ ه أيضاً، بعد نقله لعبارة الطبري المتقدّمة:
«وكان المتوكّل شديد البغض لعليّ بن أبي طالب عليهالسلام، ولأهل، بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولّى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم.
وكان من جملة ندمائه عبّادة المُخنَّث، وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة، ويكشف رأسه، وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكّل، والمغنّون يغنّون: قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكي بذلك عليّاً عليه السلام، والمتوكّل يشرب ويضحك.
ففعل ذلك يوماً، والمنتصر حاضرٌ، فأومأ إلى عبادة يتهدّده، فسكت خوفاً منه.
فقال المتوكّل: ما حالك؟
فقام وأخبره.
فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين إنّ الذي يحكيه هذا الكاتب، ويضحك منه الناس، هو ابن عمّك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرك، فكُل أنت لحمه إذا شئتَ، ولا تُطعم هذا الكلب وأمثاله منه!
فقال المتوكّل للمغنّين: غنّوا جميعاً:
غار الفتى لابن عمّه رأس الفتى في حِرِ أمّه
فكان هذا من الأسباب التي استحلّ بها المنتصر قتل المتوكّل.
وقيل: إن المتوكّل كان يبغض من تقدّمه من الخلفاء: المأمون، والمعتصم، والواثق في محبّة علي وأهل بيته ؛ وإنّما كان يُنادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعليّ، منهم: علي بن الجهم الشاعر الشاميّ من بني شامة ابن لؤي ؛ وعمر بن فرح الرخجيّ، وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني أميّة، وعبد الله بن محمّد بن داود الهاشميّ المعروف بابن أترجّة.
وكانوا يخوّفونه من العلويّين، ويشيرون عليه بإبعادهم، والإعراض عنهم، والإساءة إليهم، ثمّ حسّنوا له الوقيعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علوّ منزلتهم في الدين، ولم يبرحوا به حتّى ظهر منه ما كان، فغطّت هذه السيّئة جميع حسناته، وكان من أحسن الناس سيرةً، ومنع الناس من القول بخلق القرآن إلى غير ذلك من المحاسن».

وما دخل ذلك في الملك والسلطان؟! لولا أنّه قد أدرك أنّ الرابطة الحسينية المسببة عن اندفاع تلك الجماهير إلى زيارة قبره، مجتمعين عنده، ذاكرين فضله وفضل آبائه و أبنائه ومظلوميّتهم، مجاهرين بالبكاء عليه وعليهم، هي التي توجب ثبوت الاعتقاد بإمامتهم، وذلك هو روح التشيّع.

انظر، لِمَ ينكر الإمام عليهالسلام وقد ارتفع البكاء في داره على الحسين عليهالسلام، واجتمع الناس على الباب، أن يكون ذلك على جدّه المظلوم ويقول: «مات طفل لنا فبكت عليه النساء»[1]، وقد صدق، فقد ماتت لهم أطفال في كربلاء.

1- روى الشيخ الكليني في الكافي ٨: ٢١٥ ـ ٢١٦ حديث ٢٦٣ بسنده عن سفيان بن مصعب العبدي أنّه قال: دخلت على أبي عبد اللّه عليهالسلام فقال: «قولوا لأمّ فروة تجيء فتسمع ما صنع بجدّها».
قال: فجاءت فقعدت خلف الستر.
ثمّ قال: «أنشدنا».
قال: قلت: فرو جودي بدمعك المسكوب.
قال: فصاحت وصحن النساء.
فقال أبو عبد اللّه عليهالسلام: «الباب الباب»، فاجتمع أهل المدينة على الباب، فبعث إليهم أبو عبد اللّه عليهالسلام: «صبيّ لنا غشي عليه فصحن النساء».
أقول: المقصود بأمّ فروة هنا هي إحدى بنات الإمام الصادق عليهالسلام بقرينة قول الإمام عليهالسلام: «تجيء فتسمع ما صنع بجدّها». علماً بأنّ هذه الكنية ـ أمّ فروة ـ تطلق على أمّ الإمام الصادق عليهالسلام. وهي بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، وليست هي المقصودة هنا؛ لأنّها ليست من حفيدات الإمام الحسين عليهالسلام.
وسفيان بن مصعب العبدي، من شعراء القرن الثاني الهجري، من الموالين لأهل البيت عليهمالسلام، وهو الذي طلب الإمام الصادق عليهالسلام من أبي عمارة أن ينشده شعراً له قائلاً: «يا أبا عمارة أنشدني للعبدي شعراً في الحسين عليهالسلام».

باللّه عليك لم يدمجراوي انعقاد المأتم على الحسين عليهالسلام يومئذٍ للبكاء عليه فيقول: «جاء قاصّ يقصّ فبكينا»، ولا يقول: نذكر مصوع الحسين عليهالسلام.

وهل هم يبكون على مصيبة يقصّها القاصّ، إلا مصيبة الحسين عليهالسلام، التي يجتمعون لأجلها؟ ولم يَتخف بها إلا أنها مظهر روح التشيّع.

وأنت إذا تيقّنت قيام تلك الفائدة الجليّة بالمآتم الحسينية، قياماً طبيعياً أرشدت إليه الأئمة الأطهار عليهمالسلام بهاتيك الأخبار، لزمك الالتزام بوجوبها كفاية، ووجوب كلّ ما يفيد مفادها كذلك: من تمثيل الفاجعة لحاسّة البصر، أو سير مواكب الرجال في الأزقّة والشوارع مذكّرة بها.

ولم تحتجّ بعدتلك الفائدة الملموسة باليد إلى نضد الأدلّة على مشروعيتها، إذ أنها بهذا البيان الذي يشهد به الوجدان، أجل من أن يرتاب مريب في رجحانها، بل وجوبها كفاية.

وأنّ أقربها علاقة وشبهاً بالمآتم (التمثيل)، فإنّ من سبر غوره[1] وتعمّق بالغوص على سرّه، يعلم أنّ فيه من النكت ما ليس في إقامة المآتم المجرّدة عنه.

إذا كان السرّ في اقامة المآتم والغرض منها ظاهراً إظهار مظلومية سيد

1- سبَرتُ الجُرْحَ أسبُرُهُ: إذا نظرت ما غورُهُ. وغور كلّ شيء: قعرُهُ. الصحاح ٢: ٦٧٥ «سبر» و: ٧٧٣ «غور».

الشهداء لدى العموم، وباطناً اتفّاق كلمة الشيعة وحفظ عقائدهم عن الانطواس على مرور الأزمان.

فلاريب أنّ تمثيل الواقعة لحاسة البصر بما يصدر فيها من حركة وسكون قول وفعل، أبلغ في إظهار مظلومية ذلك الشهيد، وأعظم من الأقوال المجرّدة على المنابر وفي المجامع، وأدخل في تثبيت العقائد وإحكام الروابط بين أفراد الجمعوية.

إذا كانت الفرقة الجعفويّة تذكر في المآتم وعلى المنابر المصائب التي وردت على الحسين عليهالسلام، ونصب أعينها الأحاديث المرغّبة على البكاء عليه والحزن لأجله، فتمثيل تلك المصائب للأنظار له تأثير عظيم في القلوب، لأنّه يجعل العامّ والخاصّ من الجعفويّة راسخ العقيدة ثابت اليقين.

لاشكّ أنّ الجعفويّة في تمثيلها للفادحة الحسينيّة تصيب من جهة إحياء أمر الأئمة عليهمالسلام، وهذا هو السبب الوحيد لتسليم الحسين عليهالسلام نفسه للقتل.

ومن جهة أُخرى يحصل لهم ولغيرهم تحزين الطبائع، وإبكاء النواظر، وإثارة العواطف الرقيقة نحو المصاب بتلك الفادحة الكبرى، ورفع الستار عن فضائح الظالمين وأتباعهم.

التمثيل وإن لم يكن قديماً عند الشيعة، بل هو حادث منذ عدّة قرون، ولكن ليس كلّ حادث في المذهب لايكون معمولا بهً.

الحادث إذا كان مفيداً فائدة القديم المشروع بوجه أتمّ وأبلغ، كان مشروعاً، لاسيما إذا احتمل كون تركه في الزمن الأقدم لعدم إمكان إقامته اتقاءً.

لاشكّ أن إظهار الحزن، ومظلومية سيدّ الشهداء عليهالسلام والإبكاء عليه، واحياء

أمره بسنخه[1]، عبادة في المذهب لا بشخص خاصّ منه، ضرورة أنّه لم ترد في الشريعة كيفيّة خاصة للحزن والإبكاء وإحياء الذكر المأمور بها، ليقتصر عليها الحزين في حزنه، والمحيي لأمرهم في إحيائه، والمبكي في إبكائه.

وإذا كان سنخ الشيء عبادة ومندوباً إليه، سرت مشروعيّته إلى جميع أفراده من جهة الفرديّة.

ولذلك لم نر أحداً من صلحاء الشيعة وعلمائهم، ولم يؤثر ولم ينقل عن أحد منهم في الأجيال السالفة، من لايعدّ التمثيل مثل قراءة كتاب المقتل في عباديّته وفي كونه مبكياً ومحزناً، فضلا عن إنكار مشروعيته.

إنّ الذين أدخلوا التمثيل في التذكارات الحسينية، لاشكّ أنهّم من كبراء رجال أهل الدين المفكرّين، وأرباب السلطة المتبعة من الشيعة.

ولذلك يظنّ البعض أنّه انتشر في بلدان الشيعة من قبل سياسة السلاطين الصفويّة، الذين هم أوّل سلسلة استولت على السلطنة بقوّة المذهب، ثمّ أيده رؤساء الشيعة الروحانيون شيئاً فشيئاً وأجازوه.

وبما أنّ حكماء الهند أقدم من الصفوية في استعماله، استنبط منه أنّ هؤلاء أخذوه من أولئك وألبسوه لباس المذهب؛ لما رأوا من فوائده المذهبيّة.

وحيث أنهيت المقصود من المقدّمة، التي هي في الحقيقة نتيجة المقصد، فإنّي شرع بعون اللهّ تعالى في ذكر جميع التذكارات الحسينيّة على التفصيل، وباحث في كلّ منها عن مشروعيتّه وعدمها، وعن حسنه وقبحه.

وهناك يكون التعرّض لرد «الصولة»[2] بكمال الأدب والاحترام.

1- السِنْخُ: الأصل. الصحاح ١: ٤٢٣ «سنخ».

2 - رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري ت١٣٥٨ ه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٧٧.

فمن التذكرات الحسينيّة

المآتم

وهي النوادي الخاصّة المنعقدة للبكاء على ذلك القتيل، الذي بكته السموات والأرضون ومن فيهن [1]، وعدّ في الأخبار البكاء عليه فيها وفي غيرها صلةً لرسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأداء لحقّه ولحقوق الأئمة، واسعادا لروحها(عليها السلام) [2].

وليس التكلّم فيها موضع عنايتي، ولا بيان العناوين التي تنطبق على الباكي والمبكي والمتباكي من مقاصدي، ولا موارد ومحالّ البكاء وذكر الثواب عليه ممّا

1 - قال الإمام الصادق(عليه السلام): «إنّ أبا عبد الله(عليه السلام) لمّا مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ». انظر كامل الزيارات: ٨٠.
وفي حديث آخر يسأله الراوي: ما بكاؤها؟ قال(عليه السلام): «كانت تطلع حمراء وتغرب حمراء».
انظر كامل الزيارات: ٩٠.
2 - انظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١ ـ ٥١٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت(عليهم السلام)، خصوصاً يوم عاشوراء واتّخاذه يوم مصيبته».

تحيط به ذاكرتي، وإنّما أذكر هذا التذكار استقصاءً للتذكرات التي هذا أهمّها وأعمها.

وقد عرفتَ في ما تقدّم أنّه لم يشرع لنيل الثواب الأخروي فقط، بل لنكات أخر غير عبادية يجمعها إحياء أمر الأئمة. فلولاها ما امتازت هذه الفرقة عن غيرها، ولا عرفت أئمّتها، ولا أذعنت بالأحكام المأثورة عنهم، ولا صدقّت بفضلهم وتفوقهم على البشر في كلّ مزيّة فاضلة ولا، ولا، ولا.

ومن التذكرات الحسينيّة التمثيل

المعبّر عنه بلسان العامّة السبايا والشبيه: وهو عبارة عن تجسيم الواقعة لحاسة البصر، بما صدر فيها من حركة وسكون وقول وفعل.

وهذا بما هو حكاية عن شيء غابر بشيء حاضر، غير محظور ولا محذور فيه، بل ربّما يرجّح على المآتم ; لكونه أبلغ في إظهار مظلوميّة سيّد الشهداء من الأقوال المجردّة على المنابر وفي المجامع، وأشد منها تأثيرا في القلوب.

وقد أسلفنا ثمّة نبذة شافية ممّا يتعلقّ به، إذا تأملها المنصف يذعن بأنه لا يحتاج في شرعيته إلى برهان، لقيام العلة التي أوجبت أن يسلّم الحسين(عليه السلام) نفسه للقتل به، قيام الورد بماء الورد لايتخلّص عنه ولا ينفك عنها إلا بقاسر [1] شبه الإماتة للمذهب.

هذا غير ما ينطبق عليه من العناوين المرغّب فيها، من كونه إبكاءً وتحزينا ًواحياء لأمر الحسين(عليه السلام)، لكن السيد «الصائل» حرّم كلّ تمثيل ومنع منه، قال في

1- قَسَرَهُ على الأمر قَسْراً: أكرهه عليه وقهره. الصحاح ٢: ٧٩١ «قسر».

الصفحة (١و٢) من مقالته: «التشبيهات التي يمثّلونها يوم عاشوراء، قد صوت منوهاً برفضها ومصوحّا بما فيها من التحريم، لأنّي أراها مجلبة لسخرية الملل الخارجة، وداعياً من دواعي الاستهزاء»[1]). انتهى.

أقول: إنّ لكلّ أمةٌ من الأمم مراسم دينية وعوائد[2] قوميّة تنكرها عليهم الأمم الأخرى، حتى لو كانت طفيفة نحو الاختلاف بالأزياء، وذلك للمنافاة بين العوائد والمراسم والطبائع، الناشيء بعضها من تأثير الإقليم والبيئة التي يعيش بها الإنسان، وربما عدّ البعض مراسم البعض الآخر ضرباً من الجنون والتوحّش.

وهذا لايقتضي رفض الرسم الديني أو المذهبي أو غيرهما بين أهله، لاسيما مثل التمثيل الذي تجتني الشيعة من فوائده مالا تجتنيه في إقامة المآتم المجرّدة عن التمثيل والتشبيه.

ولعمري ما استهزاء الأجانب به إلاّ كاستهزاء قريش وسائر مشركي العرب بصلاةرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) التي لم يعرفوا أسرارها ولم يذوقوا ثمارها، أفهل كان يلزمه أن يتركها وهي من شعائر دينه؟!

إنّ قريشاً لماّ سمعوا الإعلان بالأذان يوم فتح مكة أنكروه وعدوه فعلا هُمجيا وّشبهوه بنهيق الحمار; لارتفاعه وعلوه، وزعموا أن لو كان أخفض من ذلك لكان أقرب إلى الوقار.

إنّ الدين الصحيح يجب أن لايكون خرافياً بأساسه أو بأغلب أحكامه، نحو أن يكون شعبذة صرفة، أو لهوا ولعبا، أو صرف رقي وتمائم، أو دقّ طبول وضرب

1- صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)١: ١٨٠.
2- في الصحاح ٢: ٥١٤ «عود»: والعادة معروفة، والجمع عادٌ وعادات. تقول منه: عاده واعتاده وتعوّده، أي صار عادة له.

أوتار، وغير ذلك ; لأنّ ما يكون من الأديان كذلك تنفر عنه النفوس ولا تذعن له العقول.

أمّا إذا كان الدين – حتى بنظر الأجنبي عنه – قويم المباديء متين الأساس، كافلاً لحفظ النظام بقوانينه الوضعية وعباداته الروحية، غير أنّ فيه شعوة مذهبية لادينيّة يعدّها الأجنبي خرافة وفعلا هُمجيا وّهُو لا يعلم أسرارها، فهل يجب رفضها بمجرّد كونه يستهزيء بها؟!

كلاّ، وإلاّ لكان الحجّ أوّل موفوض في الشريعة; لأن غّير العارف بحكمه وأسراره يسخر به، بل يعده ضّربا منً الجنون والتوحّش، فهل يصلح للعارف أن يمنع عنه؟! كلاّ.

إنّه كان اللازم على صاحب المقالة أن يعرّف أولا أقسام السخرية والخرافة وأحكامها; ليلحق بكل مّوضوع حكمه، ولا يتورّط.

يعلم المسلمون والأجانب جميعاً أنّ جميع التذكارات الحسينيّة ليست من المجعولات بالأصالة في دين الإسلام كسائر قوانينه من صلاة وصيام وصدقة، وإلاّ لاشترك فيها جميع المسلمين ولم تختصّ بالشيعة.

وإنّما[1] هي أمور ندب إليها في الجملة بعد أكثر من نحو مائة سنة من وفاة شارع الدين الإسلامي لأغراض مذهبية تمسّ فرق المسلمين، ولا دخل لها بدين الإسلام بما هو دين جامع لجميع الفرق، بل لادخل لها بمذهب الشيعة بذاته من حيث هو مذهبهم، أعني به – طريقة علي(عليه السلام) وولده – وإنّما هم ومَن سنهّا لهم مضطرونّ إليها والي ما يشبهها، ولا تسأل هنا عن «مضطرّين».

1- من هنا إلى كلمة «مضطرّين» حذفت من الطبعة الثانية لهذه الرسالة.

أمّا عقائد الإسلام بما هي توحيد وتنزيه لمرتبة الربّ، وقوانينه الوضعية بما هي شريعة زمنيّة حافظة لحقوق المربوب، ليس في شيء منها ما يوجب السخرية، بل هي حافظة للنواميس الكليّة التي لأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، ومن ثمّة كانت غنيّة من تبشير المبشّرين بها; لأنهّا داعية بنفسها إلى نفسها ومبشرةّ بذاتها إلى ذاتها.

وهذا أمر بيانه خارج عن موضوع مقالتي وإن كان مهمّا جداً في نفسه.

وعلى هذا فلا علينا إذا سخر الأغيار بتمثيلنا، إنّ علينا أن نعرّف الأجانب واعة دين الإسلام بذاته مماّ هو أوقر منه، لا أن نتركه ونمنع عنه.

إنّ التذكارات الحسينية جميعا لًم تسن كمبشرة بالمذهب، ليحصل لنا الاستياء بالسخرية منها، بل شرعّت لحفظ عقائد الجعفرية فيما بينهم لإحياء أمر أئمّتهم، وتلك الفائدة حاصلة لهم رغم سخرية الأغيار.

إنّ الأغيار لايسخرون بالمواكب والتمثيل فقط، بل بالمآتم أيضاً والزيارات ولبس السواد.

وكيف لايسخر العقلاء من اجتماع جماعة من الرجال من أهل الجلد والقوّة، يبكون بكاءً عالياً على رجل منهم أو من غيرهم مات منذ مائة سنة مثلاً؟!

أجل، إنّ بكاء الرجل وحده مستهجن، فكيف باجتماع مائة رجل مثلاً على ذلك؟!

ألستَ – أسوة بجميع العقلاء – تسفّه أحلامهم إذا شهدت مجمعهم، وعلمت أنّه قد أتى على فقيدهم – الذي يندبونه وينتحبون عليه – نحو سنتين وهو رمّة

بالية[1]؟

ألستَ تزيد سخرية واستهزاء إذا رأيت أولئك الرجال بعد بكائهم ووقوفاً في دار أعدّها للنياحة، وصرفوا على تنظيمها المبالغ الطائلة من المال، قد جرّدوا عنهم الثياب إلى أوساطهم وحسروا عن رؤوسهم، وهم يضربون صدورهم ضرباً تدمى به صدور كثير منهم، حزناً على ذلك الفقيد الذي طحنة البلاء وأكله الثرى[2]؟

ألستَ تعدّها من الأفعال الوحشيّة الهمجية؟

أفهل يصلح لعارف من الشيعة أن يمنعها جميعاً لذلك؟

ثم إنّه كان بين ظهرانينا – قبل دخول الأمم الأوروبية – عدد جمّ من غير المسلمين في كلّ مكان – وإن اختلفوا قلة وكثرة، وزاد عددهم بأفراد الأمّة الإنكليزية الذين لايهمهم من أمر ديانة العناصر وعوائدهم شيئاً – ولا ينكرون على مراسم عادية ولا عبادية.

ونحن للآن مابلغنا عن أحد منهم الاستخفاف والاستهزاء، ولا شكّ أنّ صاحب المقالة لم يسمع ولم ير من أجنبي قط استهزاء، وإنّما ينقل له ذلك المستأجرون من أعمال الجعفرية، وهم على الأغلب من أفراد (الجمعية الأموية)[3] التي تحقّقت أنّ لها فروعاً في بغداد والبصرة وغيرهما من عواصم العراق، وهم الذين يغرون أهل الدين ليقتلوه باسمه من حيث لايشعرون.

إنّ التأثّر بتمثيل المحزن طبيعي، إذ إنّه لازم لذات ذلك التمثيل وإن اختلف

1- الرّمة بالكَسر: العظام البالية، والجمع رُمَمَ ورِمَامٌ. الصحاح ٥: ١٩٣٧ «رمم». والبالي: القديم والعتيق.
2- الثرى: التراب الندىّ. الصحاح ٦: ٢٢٩١ «ثرا».
3- تقدّم المراد منها في الصفحة: ٦٦.

شدّة وضعفاً، فكيف – وهم متأثرّون حزنا أقل تأثر – يسخرون ويستهزؤن؟!

اللّهمّ إلا أن يكون التمثيل غير واقع طبق الأمر الممثل بكل قول وفعل، بحيث لا يوجب التحزين واثارة العواطف، وإلا فتمثيل فاجعة الطّف محزنة لكلّ مدرك عاقل.

إنّ ذلك التمثيل المقرح للأكباد إذا سخر منه أغمار[1] الأجانب، فإنّ العقلاء المفكّرين ربما يدعوهم ذلك إلى الفحص عمنّ تتمثّل فاجعته لدى العموم وتحقيق مصائبه، وأسباب حدوثها، ومن ذا أحدثها، ومن مهدّ ذلك؟

وتلك نكتة أُخرى لرجحان التمثيل، قد تدعو البعض إلى الفحص عن دين الإسلام أو التمذهب بالمذهب الجعفري، ولهذه النكتة بعينها سرى أمر الشيعة إلى غير المسلمين من الفرق في الهند والصين، وكثر بركته – في تلك الأماكن الشاسعة[2] عن

مراكز الشيعة – مذهب التشيّع والولاء لأهل البيت(عليهم السلام).

وقد ذكر فلاسفة التاريخ الحادث والمتعمّقين في أسرار الحوادث من الأجانب، أنّ السبب الوحيد لذلك هو جعل الجعفرية طريق إقامة العزاء مشابهاً لمراسم إقامة العزاء في الهند، وهو التمثيل والتشبيه.

ومن المضحك المبكي أنّ الأجانب يدركون ويذيعون أسرار إقامة المآتم والتشبيهات المتداولة عند الشيعة، وهي على عزفاء الشيعة حقائق مخفيّة!!

إنّ الأجانب في جميع أنحاء المعمورة يقيمون حفلات التذكار سنوياً لكبار الحوادث، و ينصبون التماثيل والهياكل في المحلاّت العموميّة لكبراء الرجال، تخليداً لذكر الرجل، والتفاتاً للجاهل به إلى معرفته، وما أبداه من اختراع أو بسالة

1- رجل غِرّ - بالكسر ـ وغَرير: أي غير مُجرِّب، والجمع أغرار. الصحاح ٢: ٧٦٨ «غرر».
2- الشاسع: البعيد. الصحاح ٣: ١٢٣٧ «شسع».

في حرب أو فتح، أو قلب سلطة، أو مظلوميّة متناهية في العظم عندهم، نحو مظلوميّة المسيح أو غير ذلك، فكيف يسخرون من شيء هم فاعلوه؟!

إنّ الهياكل القائمة في جميع معابدهم على مرور الأيّام – نحو تجسيم صورة البتول العذراء مريم، بصور مختلفة، منها صور محزنة، وتمثيل هيكل السيّد المسيح مصلوباً على خشبة، وغير مصلوب، وطفلا تحمله مريم، وكهلا غير محمول – هي في الحقيقة تمثيل دائمي لاسوي.

أليس غرضهم من ذلك تخليد ذكر المسيح وظهور مظلوميّته، التي هي اليد القوية لاستحكام الروابط المسيحيّة، وعدم انواسها على مرور الأزمان؟!

أليس غرضهم هذا يرمز إليه تعليق الشارة المسيحيّة (الصليب) وساماً لصدورهم وقلادة لأعناقهم؟ فكيف يسخرون؟

إنّ الروايات التمثيليّة التي تقام في العواصم كلّ ليلة في محال عديدة، لم يؤسسها إلا أرباب السياسة من الأجانب، إصابة لأغراضهم، وهي ليست إلاّ تجسيم خيالي للحوادث الغابرة.

ولو أنّهم ألبسوها لباس التفرّج والانشراح لكانت موقع استهزاء وتهجين، لكنهّم بتقويح الطبائع جذبوا إليها قلوب العامة.

أفهل يطلب الأجانب من الجعفريّة أن تطرح ذلك الثوب على التمثيل الذي لم تقصد به إلاّ تحزين الطبائع، وإبكاء النواظر، وإثارة العواطف الرقيقة نحو المصاب بتلك الفادحة الكبرى؟!

تمثيل النساء

اندفع صاحب المقالة بكلّه وبجميع ماله من حماسة على تشبيه عقائل النبوة بثلةّ من النساء المومسات والمتبرجّات، وأبرق وأرعد على فاعل ذلك في مقالته من صفحة ٤ إلى ٨ [1] ، وفي كلّ قارئ أنّ التشبيه الذي تفعله الجعفريّة هو هذا القسم من

التشبيه الشائن.

غفرانك اللهمّ غفرانك من هذا التهويل، ودفع الحقّ بالأباطيل.

إنّ هذا التشبيه لم يقع في البصرة على طوال السنين إلاّ منذ أربعة أعوام[2]، شهده غير واحد من الصلحاء، وأجلب[3] على منعه فمنعه من له قوّة المنع من ساعته. وهذا الرجل يري بكلامه كلّ أحد أنّ ذلك التشبيه المستهجن هو من الرسوم العادية حتّى في عامه هذا، وإلاّ فما هو معنى المنع عن شيء مضى وما عاد له نظير أبداً، لا في البصرة ولا في غيرها؟!

إنّ تشبيه النساء لايستحسن حتى لو كانت الشبيهات من ذوات العفّة والنجابة ; لأنّ إشهار النساء بنفسه وسوقهن أمام ركاب القوم سبياً مجلوباً[4] -كما

1- صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٤ - ١٨٩.
2- أي في سنة ١٣٤١هـ ; لأنّ تأليف هذه رسالة كان سنة ١٣٤٥ هـ .
3- أي أعان على منعه. انظر الصحاح ١: ١٠٠ «جلب».
4- الجليب: الذي يجلب من بلد إلى غيره. الصحاح ١: ١٠٠ «جلب».

فعله آل أُميّة- من الأمور المستقبحة، وهذا لايكون تمثيله على الأغلب إلاّ مستقبحاً.

لكن الميرزا أبو القاسم القمّي والشيخ مرتضى الأنصاري قدّس سرّهما - وناهيك بهما علماً وورعاً - جوزا تشبيه الرجال بالنساء، مدّعين أنّ المحرّم هو أن يتأنث الرجل ويعد نفسه امرأة. أما التشبيه من دون ذلك - كما هو واقع في بعض الأحيان لغرض مخصوص - فليس بمحرّم[1]، وهو خارج عن منصرف الأخبار[2].

ولقد سألتُ بعض المتطرقين في ما يتعلّق بالحسين(عليه السلام) من فضلاء أهل العلم عن تشبيه النساء، فقال: إنه ليس بإشهار للنساء حتى يكون قبيحاً، وظهور المرأة المتستّرة للرجل من دون نظر من كلّ منهما للآخر ليس بمحرّم، نعم هو موجب للالتفات إلى قبح ما ارتكبه بنو أُميّة من سبي عقائل الرسالة، ولا قبح فيه، وإن كان فهو على الأمويين لا على الممثلين، ولو أنّه ممّا تأباه الغيرة والحمية لم أمنع منه.

وعلى كلّ حال، فالتشبيه المتداول في بلدان الشيعة، هو تمثيل فاجعة الحسين(عليه السلام) بما صدر فيها من أقوال وأفعال، عدا تشبيه النساء وهتكهن، وهو محلّ العناية في الكلام، لا هذا التشبيه المستهجن.

ثمّ إنّه في أثناء الإرعاد على تشبيه النساء، ذكر أمرين قد يشتبه على الناظر

1 - انظر جامع الشتات للميرزا القمّي ٢: ٧٨٨ ، وسرور العباد للشيخ الأنصاري: ٣٤ ، وتقدّمت عباراتهما في رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمّد جواد الحجّامي (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ٢٨٣.
2 - انظر وسائل الشيعة ٥: ٢٥ باب ١٣ من أبواب أحكام الملابس «باب عدم جواز تشبّه النساء بالرجال، والرجال بالنساء والكهول بالشباب».

في كلامه مراده; لإدماجه:

أحدها: في الصفحة ٦ فإنّه قال مخاطباً لعامل الشبيه ما ملخّصه: «لم لم تَسْأل من تركن في دينك إليه عن هذه الهيئات

السخيفة الموجبة للسخرية بالشريعة؟ فليت شعري هل ورد عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ولو خبر ضعيف في شرعيّتها حتى تصول به على المتشرّعين»[1]؟

فإن كان يريد الإنكار على تشبيه النساء; لأنّه ذكره في أثناء إنكار ذلك فهو، وإلاّ فإنّ طلب الخبر الضعيف – لولا الجهل بأصول الفن – لا وجه له; لأنّ التحريم هو المحتاج إلى الدليل لا الجواز.

ومع غضّ النظر عن ذلك، فإنّ في الأخبار العامة كفاية، كأخبار الإبكاء والتحزين و إحياء أمر الحسين(عليه السلام)، وذكر مصيبته[2]، فإنّ ذكرها لايلزم أن يكون لسانياً كما أنّ إحياء أمره كذلك.

هذه مضافاً إلى ما أسلفناه من قيام العلّة التي أوجبت شرعية المآتم فيه بوجه أتمّ[3].

1- صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٧ . ونصّ العبارة هو: «لم لم تسأل من تعتمد عليه وتركن في دينك إليه، عن هذه الهيئات السخيفة الموجبة للسخرية بالشريعة الشريفة، زاعمين بأنّها عند المسلمين من أجزاء الديانة؟ فليت شعري هل ورد عن الرسول وآله ولو خبر ضعيف في شرعيّتها، حتى تصول به على المتشرّعين»؟

2- انظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين(عليه السلام)، وما أصاب أهل البيت(عليهم السلام)، وخصوصاً يوم عاشوراء واتّخاذه يوم مصيبة وتحريم التبرّك به».

3- تقدّم في الصفحة: ٣١١.

و أمّا الخبر الخاصّ بالتمثيل، إن كان يريد به نحو أن يقول القائل: مثلوا مصيبة الحسين(عليه السلام)، فمن الجهل طلبه[1].

وإن كان يكتفي بما كان متضمناً لوقوع التمثيل فهو كثير، وقد نطق القرآن المجيد بتمثيل غير المسيح به والقاء شبهه عليه[2]، فإنّ هذا ليس إراءة وتخييلاً نحو

---

1 - قد يستشهد البعض بجواز تمثيل واقعة الطفّ، بما جرى بمحضر الإمام الصادق(عليه السلام)، حيثما دخل عليه أحد الشعراء، وألقى عليه قصيدة في رثاء جدّه الإمام الحسين(عليه السلام).
ففي كتاب أسرار الشهادات للدربندي (ت ١٢٨٥ هـ) ١: ١٨٢ ، وكذلك كتاب معالي السبطين للشيخ محمّد مهدي الحائري ١: ١٥٣: «روى ثقة الإسلام الكليني في كتاب «الروضة» من «الكافي» ومضمونه ومعناه - على ما في خلدي الآن - :
أنّ الكميت الشاعر دخل على الصادق(عليه السلام) فقال: يا كميت، «أنشد في جدي الحسين(عليه السلام)، فلمّا أنشد الكميت أبياتاً في مصيبة الحسين(عليه السلام)، بكى الإمام بكاءً شديداً، وبكت نسوة الإمام(عليه السلام) وأهله وحريمه وصحن في حجراتهنّ.
فبينما الإمام في البكاء والنحيب إذ خرجت جارية من خلف الستر من الباب الذي كان في سمت حجرات الحرم، وفي يدها طفل صغير رضيع، فوضعته في حجر الإمام(عليه السلام)، فاشتدّ حينئذ في غاية الاشتداد بكاء الإمام(عليه السلام) ونحيبه، وعلا صوته الشريف، وأعلت النسوة الطاهرات والحرم أصواتهن بالبكاء والنحيب من خلف الأستار من الحجرات.
هذا وأنت خبير بأنّ مقصود النسوة الطاهرات والحرم من إنفاذ ذلك الطفل من ذريّة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حضرة الإمام(عليه السلام) ما كان إلاّ تشبيه بعليّ الأصغر الرضيع الشهيد - روحي له الفداء - وذلك لتشتدّ بذلك الرقة في الباكين والباكيات، ويكثر البكاء والنحيب. فتقرير الإمام كقوله وفعله في الحجيّة، فإذا ثبت وورد ذلك في أصل الشرع في الجملة ثبت الجواز، بل الاستحباب في كلّ ما أشرنا إليه لعدم القول بالفصل».
2 - في سورة النساء (٤): ١٥٧ (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا).

الإراءة الطيفيّة، بل هو حقيقة واقعيّة لابسة ثوب خيال.

وقد ورد في الأخبار تمثيل الملائكة لعلي(عليه السلام) شخصاً مرئياً من لدن إيراكه إلى حين وفاته، وأنه يوم ضرب بالسيف على رأسه في الدنيا وقع سيف على رأس التمثال فشجّه وسقط في محراب عبادته، فبكت عليه الملائكة ولعنت قاتله[1].

ولقد سُئل العلاّمة المؤتمن الشيخ محمدّ حسن صاحب كتاب (الجواهر) عن مثل ذلك، فأجاب بأخبار تمثيل النبي(صلى الله

عليه وآله وسلم) والأئمّة أشباحاً نورانية حول العرش قبل خلقهم، وأخبار تمثيل مثال لكل مؤمن في السماء بارزا للملائكة حال إطاعته في الدنيا، مستوراً عنهم حال عصيانه [2]، وليس غرضي الاستدلال بهذا لشرعيّة التمثيل، لأنّي في غنية عنه بما أسلفته وفيه كفاية للمتبصّر.

1- أخرج الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: ١٣٢ في الباب السادس والعشرين «في شوق الملائكة والجنّة إلى علي(عليه السلام) واستغفارهم لمحبّيه» بسنده عن أنس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):
«مررت ليلة أسري بي إلى السماء، فإذا أنا بملك جالس على منبر من نور والملائكة تحدق به، فقلت: يا جبرئيل من هذا الملك؟
قال: أدن منه وسلّم عليه، فدنوت منه وسلّمت عليه، فإذا أنا بأخي وابن عمّي علي بن أبي طالب، فقلت: يا جبرئيل سبقني علي إلى السماء الرابعة؟
فقال لي: يا محمّد لا، ولكنّ الملائكة شكت حبّها لعلي، فخلق اللّه تعالى هذا الملك من نور على صورة علي، فالملائكة تزوره في كلّ ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرّة، يسبّحون اللّه ويقدّسونه ويهدون ثوابه لمحبّ علي».
قلت: هذا حديث حسن عال لم نكتبه إلاّ من هذا الوجه، تفرّد به يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس، وهو ثقة.
2- انظر بحار الأنوار ٥٤: ٣٥٣.

ثانيهما: إنّه ذكر في الصفحة ٨ مخاطباً لمستعمل الشبيه أيضاً ما ملخّصه:

«حسب الدهر صدمة ما فعله يزيد بعقائل النبوّة، فمالك في كلّ سنة على ما فعلوه تزيد؟! دعهم منفردين بالخزي الذي سودّ وجوههم في الدنيا والعقبى، فما وجه تكريرك مثل ما فعلوه وما لم يفعلوه في كلّ عام، حتى توجب سخرية ذوي العقول والأوغاد [1] الطغام [2] بدين الإسلام» [3]! انتهى.

فإن أراد الإنكار على ظهور النساء مسبيّة مهتوكة، فالإنكار في محلّه.

وإن كان مراده ما عنى به غير واحد من أوغاد «الجمعية الأموية» [4]، وضرب على وتيرته بعض الكتّاب العصريين من قوله: «إنّ يزيد قتل الحسين(عليه السلام) مرّة والشيعة تقتله في كلّ عام مرة» فما سوأتاه.

إنّ أولئك يلقون تلك الأقاويل بزاً في قلوب العامة بأطوار وأساليب مختلفة، لتثمر لهم ترك التذكارات الحسينيّة جميعاً، حتى ينتهي الأمر بالآخرة إلى إنكار قتل الحسين(عليه السلام)، فما بال المصلح من الشيعة يتّبع تمويهاتهم غفلة عن حقيقة الحال؟!

1- الوغد: الرجل الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه. الصحاح ٢: ٥٥٢ «وغد».
2- الطغام: أوغاد الناس، الصحاح ٥: ١٩٧٥ «طغم».
3- صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٨. ونصّ العبارة هو: «حسب الدهر صدمة عظيمة مدهشة، وطامة مفجعة موحشة، ومصيبة هائلة تتضائل دونها المصائب وتضمحل إزائها الرزايا، ما فعله يزيد وشيعته بعقائل النبوّة ومحجّبات الرسالة، فما بالك في كلّ سنة على ما فعلوه تزيد؟! دعهم منفردين بالخزي الذي سوّد وجوههم في الدنيا والآخرة. فما وجه تكريرك مثل ما فعلوه وما لم يفعلوه كلّ عام، حتى توجب سخرية ذوي العقول والأوغاد الطغام بدين الإسلام»؟!
4- تقدّم المراد منها في الصفحه: ٣١١.

إنّ الشيعة لاتقتل الحسين(عليه السلام) في كلّ عام، وانمّا تحيي ذكره وتذكر فضله في كل عام، بل في كل يوم. وليس في ذلك حطّ من قوه كما يزعمون ويموهون; لأنّ الشيعة بتلك التذكارات لا تنسب إليه سلام الله عليه أمراً قبيحاً، ليكون موجباً للحطّ من مقداره.

وقد تضمّن التاريخ وخلّد فظائع متناهية الفظاعة قد وقعت على عظماء الرجال، ولم تعد ّحطا ّمن مقامهم. فلم لذلك العضو النبوي يعدّ من أسباب الحط ّمن شرفه إقامة تذكاراته، التي تجتني الشيعة منها من لدن قتله للآن ما يحفظ كيانهم، ويربط فيما بينهم بأحكم الروابط بعد الجامعة الإسلامية؟!

ومن التذكارات الحسينيّة مجامع اللدم

وهي النوادي الخاصّة المنعقدة لأجل اللطم على الصدور بالأيدي.

وهذه كالمآتم لاريب في كونها مظهر الحزن والجزع، وربما يقال بكونها أبلغ في إظهار الحزن من البكاء وحده، وهذه أيضاً لا كلام فيها، وفي كون اللطم بها وبغيرها صلة للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وإسعاداً للزهراء البتول.

وإذا كانت زيارته سلام الله عليه ورّاً لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم); باعتبار كونها توقيراً واحتراما لفلذة كبده – كما في الأخبار[1] – فلاريب أنّ ذلك النوح الدائم أولى منها.

ولا شكّ أن أولئك الرجال اللاطمون هم من أظهر مصاديق قول الصادق(عليه السلام): «إنّ الموجع قلبه لنا»[2].

1 - انظر وسائل الشيعة ١٤ - ٤٩٥ باب ٦٤ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب زيارة الحسين(عليه السلام) حباً لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)».
2 - كامل الزيارات: ١٠١ ، وعنه في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٧ حديث ١٦ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه، وفي بحارالأنوار ٤٤: ٢٨٩ حديث ٣١ باب «ثواب البكاء على مصيبته عليه السلام».

وقوله: «الجزع لمصابنا والحزين لحزننا»[1].

وأظهر من ينطبق عليه قول النّبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في الخبر المتضمّن لإخباره ابنته فاطمة(عليها السلام) بقتل الحسين(عليه السلام) في أرض غربة إذ قالت له: «فمن يقيم عزاء ولدي الحسين ويبكي عليه قال:رجال من أمّتي يبكون عليه ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كل ّسنة»[2] الحديث.

فإنّ العزاء المتجدّد كل ّسنة، هو ذلك اللطم والشبيه والمواكب التي تكون في عموم بلدان الشيعة سنويا ّلاً يوميا مثلً المآتم.

إنّ لطم الخدود وشق ّالجيوب مما ّلاريب في مرجوحيتة على غير الحسين(عليه السلام)، وأما ّعليه(عليه السلام) – ففضلا عن جوازه – قدرغّب فيه كثير من الأخبار، كالمروي في التهذيب، عن خالد بن سدير عن الصادق(عليه السلام) وفيه: «ولقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميّات على الحسين بن علي(عليه السلام)، وعلى مثله تلطم الخدود وتشق ّالجيوب»[3].

وإذا كان لطم الخدود مندوباً، كان لدم الصدور أولى بالرجحان، وسيأتي في بعض التذكارات الآتية عد ّلطم الصدر في بعض الأخبار من الجزع، وفيه تعرف أنّ الجزع نفسه في مصاب الحسين(عليه السلام) مرغّب فيه مندوب إليه.

1- المصدر السابق.
2- بحارالأنوار ٤٤: ٢٩٢ حديث ٣٧ باب «ثواب البكاء على مصيبته عليه السلام».
3- التهذيب ٨: ٣٢٥ حديث ٢٣.

ومن التذكارات الحسينيّة المواكب

وهي كثيرة فمنها:

موكب لدم الصدور

تنتظم من الرجال مواكب، وهم حفاة الأقدام، حسر الرؤوس، عواة الصدور والظهور، يضربون صدورهم، وربما ضربوا رؤوسهم بأيديهم، وقد يذروا على رؤوسهم التراب أو التبن، وقد يلطّخ البعض رأسه بالطين.

تقدمهم وتحفّ بهم – وهم على تلك الحال المحزنة – أعلام سود قد كتب عليها بالبياض مثل: «الحسين المظلوم»، أو «العبّاس الشهيد».

ينشدون باللغة الدارجة الأناشيد المحزنة بموادّها وألحانها، يخترقون الأسواق والأزقة والجواد العمومية، وهم على تلك الحال المشجية، وإذا فعلوا ذلك ليلاً تصحبهم الأنوار الكهربائية أو المشاعل الموقدة بالبترول الأسود.

إنّ هذه المواكب بتلك الهيئات وهاتيك الأحوال أبلغ بلا شبهة في إظهار مظلوميّة سيدّ الشهداء، وأشد تأثيرا فيً القلوب من البكاء المجرّد، وأحكم في وصل عرى الجامعة الجعفرية وجعلها كحلقة واحدة أمام العام والخاص، وأولى

في صدق كون اللطم فيها إسعاداً للزهراء وصلة لسيدّ الأنبياء[1]، ومصداقاً لقول النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم): «يجددّون الزهراء جيلاً بعد جيل في كلّ سنة»[2].

ولفحوى قول الصادق(عليه السلام): «على مثله تلطم الخدود»[3].

ولقول الرضا(عليه السلام) للريّان بن شبيب: «إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا»[4].

وقول علي(عليه السلام) في حديث الأربعمائة: «إنّ الله تبارك وتعالى اطلّع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منا وإلينا»[5] الحديث.

قلت: وقد يراد بالنصرة في هذا الخبر وغيره ما يشمل اللطم باليد والسلاسل ونحوه.

وإذا كان صاحب «الخصائص الحسينيّة» يعدّ البكاء على الحسين(عليه السلام) نصرة له، مدعيّا أنً النّصرة في كل وقتّ بحسبها،[6] فاللطم في الشوارع أولى أن يعدّ نصرةً وبذلا لًلنفس في سبيل أئمةّ الهدى.

ولا ينبغي الريب أنّ هذا التذكار بحدوده الموزونة ثمّة من مظاهر المودةّ

1- انظر وسائل الشيعة ١٤: ٤٩٥ باب ٦٤ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب زيارة الحسين(عليه السلام) حبّاً لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) و...».
2- بحارالأنوار ٤٤: ٢٩٢ حديث ٣٧ باب «ثواب البكاء على مصيبته عليه السلام».
3- التهذيب ٨: ٣٣٥ حديث ٢٣.
4- أمالي الصدوق: ١١٢ حديث ٥، عيون أخبار الإمام الرضا(عليه السلام): ٢٩٩ حديث ٥٨، وعنهما في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٢ باب ٦٦

من أبواب المزار وما يناسبه.
5- أمالي الصدوق: ١٣٧.
6- الخصائص الحسينية: ٢٤٧.

في القربى، التي هي أجر الرسالة، قال الله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَسأَلكُم عُلَيه أجراً إلا المَوَدة فِي القُربَى﴾ [1].

ولا يشكّ أحد من عرفاء الجعفريّة أنّ لدم الصدور لمصاب سيد الشهداء(عليه السلام)من الشعائر المذهبية،وهذا ما لاينكره صاحب المقالة قطعاً.ولاريب أنّ خروج مواكب الرجال لادمة صدورها،وهي بتلك الهيئات المحزنة أدخل في تعظيم تلك الشعائر من اللطم في المآتم والدور.

وعسى أن يكون صاحب المقالة لاينكر هذا كلّه،وإنّما ينكر على الجعفريّة خروج المواكب لما يترتبّ عليه من بعض المحرّمات، قال في الصفحة ٨ ما ملخّصه بإصلاح منّي للتعبير:

«وأمّا لطم الصدور فلم أمنع منه ما يكون في المآتم،وإنّما منعت علناً من خروج مواكب اللطم في الأزقة; لما بلغني من ترتّب بعض المحرّمات على ذلك، من فتنة وفساد و مضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلتيّن، بحيث يحصل من جراءّ ذلك جرح وقتل إلى غير ذلك» [2].

قلت: أضف إلى هذا اللازم الفاسد زعمه أموراً: نظر النساء إلى الرجال عراة الصدور، بروز المتبرّجات والمومسات من النساء حاسرات، نظر الرجال إليهنّ وهنّ مكشفّات الوجوه، صياحهن عند ذلك المنظر الهائل واستماع الرجال

1- الشورى (٤٢): ٢٣.
2 - صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٩ ونصّ العبارة هو: «وأمّا مسألة لطم الصدور، فما حرّمته وما منعته، بل الذي ناديت علناً من ذلك بين الناس على المنبر وغيره، بأن يصير ذلك في المآتم، وذلك لما بلغني من ترتّب بعض المحرّمات على خروجهم، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل إلى غير ذلك».

لأصواتهنّ الرقيقة و...

ومع هذه الإضافات نقول: لايجهل أحد من أهل العلم أنّ ترتبّ بعض المحرّمات أحيانا عًلى خروج المواكب لايقدح برجحانه البتّة.

إنّ المحرّم المقارن ما لم يكن لازما لًذات الواجب أو عنوانا ثًانويا يتّعًنون به ذلك الراجح، لايوجب حرمتهولا مرجوحيته. ولو كانت الأعواض المفارقة الاتفاقية في مورد اقترانها بالراجح توجب مرجوحيّته، لحرمت الصلاة في بعض الصور، ومنع الحجّ، ولكان المنع من زيارة ذلك الشهيد الأعظم الكريم على الله تعالى أولى بالمنع، لما فيها من مزاحمة النساء للرجال، وبروزهن في وسط تلك المشاهد الشريفة المقدّسة مكشفّات الوجوه، بل كثيرا ًما يحدث فيها تخاصم فئتين متعاديتين جمعتهما البلدة للزيارة، بحيث يحدث من خصامهم الضرب المؤلم والجروح الدامية، بل إزهاق النفوس البريئة،ولا شكّ أنّ ما يحدث من مضاربة ومقاتلة في الزيارات أكثر ممّا يحدث في المواكب التي تكون مرةّواحدة في السنة.

عجباً! كيف يعدّ هذا الرجل الشخوص من البلدان النائية للزيارة، وبذل الأموال الطائلة في سبيلها، من الشعائر المذهبيّة التي

يجب تعظيمها، ويجعلها من مظاهر المودّة في القربى التي ندب إليها الكتاب والسنة، ورفع شأنها إذ جعلها جزاء للنبي الأعظم على تبليغه عن الله جلّ شأنه، ولا يعدّ من ذلك هذه المواكب السائرة، مع اشتراك الجميع في المسنونيّة بالذات وفي ترتبّ المحرّمات من غير فرق بينهما أصلاً؟!

لعمري إنّ اختراق تلك المواكب المشجية للشوارع، واجتماع الجماهير من النساء والرجال – مسلمين وغيرهم – للنظر إليها، هو أبلغ في إظهار مظلوميّة سيدّ الشهداء التي سنّ البكاء عليه لأجلها; لأن بّه تتأثر قلوب جميع الفرق بنفس الأثر

الذي تتأثّر به قلوب الجعفريّة فقط من اللدم واللطم في ناد خاصّ بهم.

ويعلم كلّ أحد أنّ المآتم المنعقدة لذكر رزيّة الحسين(عليه السلام) والبكاء لها، يقع في كل منّها لا محالة في كل يوّم غيبة أو نميمة أو مواجهة على باطل، أو تساب بين اثنين أو جماعة، أو إيذاء مؤمن، أو هتك حرمة، ونحو ذلك.

فكان يلزم صاحب المقالة – قياماً بوظيفته الروحيّة – أن يمنعها ويسد أبوابها ويكسر مناوها، لترتبّ هذه المفاسد والمحرّمات عليها، وما هي بأهون عندالله تعالى ممّا يحدث في المواكب السائرة من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة، كما يقول.

إن قال: إنّ تلك المفاسد ليست بلازمة لذات المآتم، ولا موجبة لتعنونها بكونها اجتماعاً للغيبة والتسابّ مثلاً.

قلنا له بمثل ذلك في الموكب اللاطم سائراً، حرفاً بحرف.

بالله عليك، لو تخاصم رجلان في مجلس العزاء الموقر المحفوظ من كلّ مفسدة، وأدّى تخاصمهما إلى الضرب المؤلم، كما يتّفق ذلك فيها أكثر من اتفّاقه في المواكب، أو أدّى إلى الجروح الدامية من باب الاتفاق، فهل يصلح لعارف من الشيعة أن يمنعها بتّاً، أو يحكم بأنّ ذلك النادي الذي لم يتعنون بعنوان كونه «نادي المضاربة والمقاتلة» محرماً لاً أجر لصاحبه ولا لأهله عليه، بل عليهم العقاب؟!

من المحتمل أن يريد صاحب المقالة المنع من فرد خارج لم يقع في الخارج أبداً، وهو الذي لاتكون له علةّ ولا محرك على الخروج إلاّ المقاتلة، وهو ما تعنيه بأنّه المعنون بالخروج للفساد، نحو خروج جماعة من محلهّم إلى الزنا واللهو أو إلى قتل النفوس.

ويدلّ على ذلك قوله في الصفحة ٩ : «نحن نأسف ونحزن إلى الغاية على من

يتعب نفسه باللطم لغير الله سبحانه، فإنّه لوكان للهّ لما حصل ما ذكر»[1].

وأنت لا يخفى عليك أنّ اتفّاق وقوع المحرمّ فيه لايجعله لطما لغير الله،ّ كما أن كوّنه لله لاّينافي حصول ما ذكر بضرب من الاتفّاق، وانمّا الضارّ بالإخلاص كون المحرمّ أمرا غير طاعة الله جل شأنه.

ثمّ قال في الصحيفة المذكورة: «ناهيك بما يصدر من جدال وضرب وتقاتل بين أهل اللطم وغيرهم من جهلة فرق المسلمين، فتكثر القتلى والجرحى من الفريقين، وجميعها ناشئة من سخافة العقل وشدّة الجهل، ولقد صدر الكثير من هذه الفتن،

(2) (3)

وحتى في العام الماضي صدر شيء منها في بغداد، فقتل من قتل وحبس من حبس» .

أقول: انظر إلى هذا التهويل والكلام الشعوي الخيالي الذي أظهر به هذا الرجل تلك المواكب بمظهر فئات متعادية بينها ثارات أو ألف هنات قد خرجت لأخذ الثار وإبادة بعضها بعضاً، لاشكّ أنهّ عند التقائها تكون الملحمة العظمى التي تكثر بها القتلى والجرحى من الفريقين، الذين هم في الحقيقة (ثوّار)، سموّا أنفسهم بالمعزيّن، وقائمون بأكبر ثورة دمويةّ يسمونهّا بالعزاء.

غفرانك اللهمّ من عاقبة هذه السفسطة، التي لامقيل لها في ظلّ الحقيقة أبداً.

لا أقول: إنّ المضاربة والمنازعة والجرح لم تحدث في موكب أصلاً، بل ربمّا يتفقّ بالسنة أو بالأكثر حدوث ذلك مرة واحدة في بلدة أو بلدتين لا أكثر، وذلك ممّا لا يخلّ بمسنونيةّ تلك المواكب المقدسّة.

1- صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩٠.
2- أي في سنة ١٣٤٤ هـ ، لأنّ تاريخ تأليفه لهذه الرسالة وطبعها هو سنة ١٣٤٥ هـ.
3- صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩٠.

إنّ هذا إلاّ كما يعرض للرجل القادم على إقامة صلاة جماعة في معبد أو زيارة في مشهد أن يتخاصم مع غيره من المصلّين والزائرين، جمعه وإياه المكان، وربما كان تخاصمهما على المكان نفسه، فيحدث بينهما – لسخافة العقل وشدةّ الجهل – على ما يقول من السباب والقذف والضرب والإهانة ما لاريب في حرمته، وعدم اقتضائه بوجه حرمة الصلاة والزيارة، إلاّ أن يكون الخروج لذلك، أو يكون معنوناً بذلك العنوان.

وهذا أمر قد مرّت نظائره ثمةّ، لكنيّ أعدته ليعرفه الجاهل ويتدوهّ الصائل والجائل.

قوله: «وحتّى في العام الماضي صدر شيء منها في بغداد».

فالحكم بين الشيعة وبينه ثقات البغداديين في النجف، فإنّهم أخبروا أنهّ بعد طوال السنين لم يصدر في العام الماضي إلا ضرب رجل من غير الشيعة ضحك مستهزءاً على مجتمعهم المحزن، ولم يكن ضربه في المواكب، بل بعد انقضائه. ولم يحبس بسبب ذلك الضرب نفسه وإنّما حبس غيره لأغراض شخصيةّ، وليس ثمةّ من أمر مذهبي يكون سببا للّحبس.

والسيّد الناقل في رسالته حاشاه عن الافتراء، لكنهّ مموهّ عليه من قبل المستائين من أعمال الجعفريةّ الذين يجدونّ ليل نهار في إبطال هذه المراسم المذهبيّة; لنزعة أمويةّ أو وهابيةّ، فهم يديفون[1] الصاب[2] بالعسل ويذيقونه غير أهل الأذواق من الجعفريّة.

1- دُفْتُ الدواء وغيره: أي بللته بماء أو بغيره، فهو مدفوفٌ ومُدوفٌ وكذلك مسك مدفوف، أي مبلول. الصحاح ٤: ١٣٦١ «دوف».
2- الصاب: عصارةُ شجر مُرٍّ. الصحاح ١: ١٦٦ «صوب».

قوله: «الشريعة المقدّسة والعقل السليم قاضيان بأنّ اللطم محلهّ المآتم دون الطرق».

فهو من التلفيقات الفارغة، ونسبة ذلك إلى العقل والشريعة فريّة بلا مريّة.

ها نحن لو عزلنا أنفسنا عن سلامة العقل، فليأتنا هذا الرجل بما يدلّ من الشريعة على أنّ اللطم محلهّ المآتم لا الطرقات، كيف وهؤلاء حملة الشريعة المقدّسة وصلحاء أهل الدين، منذ مئات من السنين يرون ويسمعون اللطم في الطرقات ولاينكرون؟!

هب أنّ هذا الرجل تأتّى له أن يباهت الجهال بدعوى حكم الشريعة، لكن دعوى حكم العقول السليمة بذلك فريةّ لاتستر، ولقد كان يكفيه أن ينكر وجود دليل على جواز اللطم في الطرقات،ولا يدّعي وجود الدليل على كونها ليس محلاًّ له، فيطالب بإثباته، وأنى له بذلك؟!

حقاً أقول: اللطم لا محلّ له أصلاً، لا الطرقات ولا المآتم، لكن رزيةّ الحسين(عليه السلام)يكون كل مّحل محّلا لهاً، لأنها بنفسها إذا كانت غير محدودة بحدّ، فأيّ برهان يحد ّمحلهاّ ويعينه؟! فما ذلك إلا عنّ عدم تقدرها حقها.ّ

إنّ من الأدلةّ الجليةّ على أن اللطم لمصاب الحسين(عليه السلام) لا يختص مّحله بالمآتم، بل يقام في المجامع العمومية، ّ وأنّها أحسن وأوقع محاله، ما روي عن الصادق(عليه السلام) من عدةّ طرق، أصحهّا ما في الكافي عن يونس بن يعقوب، عنه(عليه السلام)، أنه قال: «قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب يندبنني عشر سنين بمنى أيام منى» [1].

1- الكافي ٥: ١١٧ حديث١، وعنه في وسائل الشيعة ١٧: ١٢٥ حديث١ باب (جواز كسب النائحة بالحقّ لا الباطل).

وفي غيره أنّه أوصى بثمانمائة دينار لنوادب تندبه بمنى عشر سنين أيام منى [1].

إنّ منى في تلك الأيام هي أعظم المجامع لطوائف المسلمين القاصدين إلى مكةّ من كل ّفج، فلماذا اختار ندبته فيها؟!

وهلاّ أوصى أن يندب في بيته، أو في ميدان واسع في المدينة، أو في البقيع حيث محلّ قبره؟!

ألست تعتقد أنّه يرمز بذلك إلى تنبيه الناس على فضائله وإظهارها، وليتذكّر أولياؤه والعارفون به ما جرى عليه، ومن مجموع ذلك تثبت عقائدهم ويدوم ذكره الجميل فيما بينهم؟!

قال شيخنا الشهيد الأوّل محمدّ بن مكي في كتابه ذكرى الشيعة بعد إيراد الخبر المزبور: «والمراد بذلك تنبيه الناس على فضائله وإظهارها ليقتدى بها، ويعلم الناس ما كان عليه أهل البيت فتقتفى آثارهم» [2]. انتهى.

فانظر متأمّلاً إلى آخر كلامه هذا الذي يريد به أن ّندبته بتلك المجامع سبب لظهور التشيعّ في الناس; لارتفاع الاتقاءّ عليه بعد موته سلام اللّه عليه.

ومن هذا تعرف أنّ النوادي الخاصةّ محل ّغواء من لاتشرف له كالحسين(عليه السلام) وأبنائه،ولا فضل له ولا قرب كفضلهم وقربهم،ولا مظلوميّة له كمظلوميتّهم، أماّ هم، فإن أوقع المحال لنّدبتهم المجامع العمومية كّمنى وغير منى.

وفي آخر هذا الفصل طلب الكاتب من اللّه أن يتفضّل على أهل المواكب

1 - الكافي ٣: ٢١٧ حديث ٤ ، الفقيه ١: ١١٦ حديث ٥٤٦ ، وعنهما وسائل الشيعة ٣: ٢٣٨ حديث، باب (استحباب وصيّة الميّت لطعام المأتم).
2- ذكرى الشيعة ٢: ٥٩ .

السائرة برفض ما تعوّدوه في اللطم من المقاتلة، والسير على الهيئات المنكرة من الوثبات [1] والزعقات [2] الموحشة [3] .

فكأنّه يتمنّى لكل فرد من أفراد الجعفرية، حتى الشبان منهم وأهل المهن الدنية والبذيئين، أن يكون لهم مثل ما هو حاصل لأغلب الشيوخ والصلحاء من الهدوء والسكون والمشي بخشوع ووقار.

وهذا مالا يكون، ولكن لايلزم أن تكون المواكب على هذه الحال المتمنّاة، فإنّ تلك الوثبات والزعقات الموحشة – على ما يقول – لها من التأثير في بعض القلوب مالا يؤدّيه الوقار والتؤدة «وفي الحميّة معنى ليس في العنب» [4] .

1- الوثبات، جمع وثبة: و هي الطفرة، ووثب وثباً ووثوباً وثباناً: طفر. الصحاح ١: ٢٣١ «وثب».
2- الزعقُ: الصياح، وقد زعقت به زعقا، الصحاح ٤: ١٤٩٠ «زعق».
3 - صولة الحقّ على جولة الباطل «المطبوعة ضمن هذه المجموعة» ١: ١٩١ ، وفيها: «فنسأل اللّه سبحانه التفضّل عليهم برفض ما قد تعوّدوه في اللطم من المحرّمات، وسيرهم على الهيئات المنكرة من الوثبات والزعقات الوحشيّة».
4 - عجز بيت من قصيدة لأبي الطيّب المتنبي (ت٣٥٤ هـ) وجّهها إلى سيف الدولة الحمداني في رثاء أُخت له ماتت سنة ٣٥٢هـ ، وأوّل القصيدة:

يا أُختَ خيرِ أخ يا بنتَ خيرِ أبي كنايةً بِهما عن أشرفِ النَسبِ

وتمام البيت كما ورد في هذه القصيدة:

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها فإنّ في الخمر معنىً ليس في العنبِ

واستعار الكثير من الشعراء هذا المعنى وضمّنوه قصائدهم، ففي أعيان الشيعة ٤: ١٣ قال السيّد الأمين: وللشيخ جعفر حفيد الشيخ جعفر الكبير شعر في الشيخ إبراهيم بن صادق بن إبراهيم بن يحيى:

إنّ ابن يحيى وإن فاق الورى كرماً وحاز ما حاز من علم ومن أدبِ
لكن إذا قيس بي يوماً تلوتُ له وفي الحمية معنىً ليس في العنبِ

انظر أعيان الشيعة ٤: ١٣٠.

أو هما حقيقة «مثل الفواكه كلّ فيه لذتّه» [1] .

والناس ليسوا على شاكلة واحدة.

وذكر الوثبات والزعقات على لسان هذا الرجل تهويل آخر، وإعابة لحال المواكب الحسينيّة. والحقيقة لا تتوجر بالتهاويل، والأحكام لا تستند في نفي أو إثبات إليها.

وما تضرّ الوثبات من فئات لم تبن سائر أعمالهم العباديّة والعاديّة على الخشوع والاستكانة؟!

هؤلاء الزوّار من الأعراب يجتمعون موكباً كبيراً، يتواثبون ويزعقون وينشدون من الشعر الدارج بلغتهم المسمىّ عند العامة «هوسة»، وهي بلحنها مهيّجة للشعور، متضمنّة لنحو «يحسين اشوب ماي عيوني» وشبهه، فتطير القلوب لهم فرحاً، ويلقون

من كلّ أحد التوحيب بهم والارتياح إلى هيئتهم المنكرة زعم هذا الرجل; لأنّها وثبات وزعقات.

باللّه عليك، أي فرق بين مواكب زاوي سيّد الشهداء، الذين يختلط بهم مثل

1- صدر بيت قاله أبو هبة الله محمّد بن سلمان بن نوح الغريبي الكعبي الأهوازي، القزويني، وهو والبيت الذي قبله:

لم يغنِ عن أحد منكمُ على أحد فكُلكم منهُ كلّ الفضلِ مُنتشرُ
مثلُ الفواكهِ كلّ فيه لذّتهُ الماءُ ماءٌ ولمّا يستوي الثمرُ

انظر أعيان الشيعة ٩: ٣٤٩.

الوحيد البهبهاني أستاذ الكلّ في الكلّ، وهو لايعرف ما يقولون بمادتّه ولحنه. وبين مواكب اللطم في نفس الوثبات والزعقات، التي أنكر الكاتب عليها؟!

اللّهمّ إنيّ لا أجد فرقا بيّن وثبات الموكب، وبين الهرولة في السعي إن لم تكن تلك أهون، ولا بين التلبية برفيع الصوت وبين ألحان المواكب.

ومن المواكب:

موكب السلاسل

وهو يتألّف من جماعة من الرجال مكشوفي الظهور والرؤوس فقط، بأيديهم سلاسل الحديد يضربون ظهورهم بها بدل الأيدي. عليهم الثياب السود، وأمامهم وخلفهم الأعلام المسوّدة، يمشون بهدوء وسكون، لا يتواثبون ولا يزعقون، ينشدون – وهم بتلك الحال – أناشيد الحزن، ويخرجون صفوفاً متكاتفة، مخترقين الأزقة والجواد العموميّة.

وهذا لاريب في كونه أجلى من موكب لدم الصدور باليد، في كونه مظهر الحزن والجزع، وكلّما قلنا في ذلك نقوله في هذا، ويأتي في أدلّة الموكب الأخير ما يدلّ على رجحان هذا بالأولويّة القطعيّة.

ومن المواكب:

موكب القامات

وهو موكب يتألّف من جماعة لابسي الأكفان البيض بأيديهم السيوف والقامات، قد ضربوا المقدّم من رؤوسهم بها، وتناثرت قطرات كثيرة من الدم على تلك الأكفان، وهم يسيرون صفوفاً متكاتفين متلازمين كأنّهم حلقات سلسلة واحدة، كلّ قد أخذ بيده الأخرى حجزة الآخر، يخترقون الشوارع على هذه الهيئة، حفاة الأقدام، حسّر الرؤوس، لا يتواثبون ولا يزعقون، غير أنّهم يهزّون السيوف مؤمنين بها إلى رؤوسهم، ومن ذلك تحدث لهم في المشي هيئة خاصّة.

وهؤلاء من جهة يمثّلون للأبصار طائفة قد استسلمت للموت، أقدمت على الحرب في نصرة سليل خير الأنبياء ودفع

الأعداء عنه، وقد سالت دماؤها الطاهرة على وجوهها، وضمّخت بها رؤوسها، ولطّخت بها ثيابها المتخّذة أكفانا يوم الطف.

ومن جهة أخرى يظهرون بمظهر موكب قد ارتفع في مقادير الحزن عن أن يضرب صدره بيده أو بسلسلة حديديّة، بل هو يريد أن يقتل نفسه جزعاً من جراء تلك الفادحة التي أصيب بها الإسلام في قتل سبط النبي المرسل.

فهذا الموكب عزاء من جهة، وتمثيل رزيّة من جهة أخرى، وكلّ ما حرّرناه

في المآتم آت فيه بالأولويّة، بل هو في كونه نصرة للحسين(عليه السلام) وبذلاً للنفس في سبيله أظهر وأجلى.

وقد مرّ عليك ما يدلّ على ذلك من قوله(عليه السلام): «ينصروننا ويفوحون لفوحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا»[1].

لكن صاحب المقالة لا يذعن بذلك إذ قال:

«أمّا الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحرّم; لما شاهدنا وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كلّ سنة لكثرة نزف الدم. ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجيّ وحشيّ مثل الضرب بسلسلة من حديد، ولم يرد دليل شرعيّ بتجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال وحشيّة ما فيها من ثمرة في التعزية»[2].

انتهى.

قلت: لاريب في أنّ دعوى موت جماعة في كلّ سنة لكثرة نزف الدم فوريّة بلا مرية، فإنيّ منذ أدركت اليوم ما رأيت ولا سمعت أنّ واحداً مات بذلك في أيّ سنة، وأي بلدة، فضلا عن جماعة في كل سنّة، ولقد سألت كثيرا ممنّ جاوز السبعين والثمانين من سني عمره من ثقات أهل النجف وكربلاء والكاظميّة وغيرهم من علماء البلدان وصلحائهم، وكلّ أنكر أن يكون رأى أو سمع أنّ واحداً من أولئك تألمّ ألما يوجب مراجعة الجراح أو المضمد، فضلا عن موته.

فعسى أن يكون ذلك طيفاً سولته له الأحلام، أو خيالاً جسمته له الأوهام، أو حقيقة واقعة في الجيل الواحد مرة واحدة اتفاقاً، كيف لا وأغلب أفراد موكب السيوف يجرحهم كرؤوسهم بسكين دقيقة جروحاً خفيفة يظهر منها الدم بواسطة

1- أمالي الصدوق: ١٣٧.
2- صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩١.

الضرب على الرأس لا بالجرح بمجرّده من دون أن يحصل لهم إيلام مزعج، لأنّ غرضهم صوري وهو البروز بصورة القتيل والجريح، وليس من أغراضهم الإيلام الحقيقي لأنفسهم.

ومع الغضّ عن هذه الحقيقة الواقعيّة لو تنزلنا وقلنا: إن الجرح يكون بالسيف للإيلام لا غيره، فلا شك أنّ ذلك إنما يوجب التحريم إذا كان مقدّمة لإيجاد الموت، نحو أن يضرب رأسه ليقتل نفسه، وأمّا الضرب لا لذلك، بل لأمر آخر، قد يترتّب عليه في بعض الأحيان لبعض الأفراد الموت من دون أن يكون مقصوداً بالأصالة أو بالتبع ولا لازماً عاديا للضرب نفسه، فإنّ

قواعد الفنّ لا تقتضي تحريمه البتةّ، ومجردّ الإيلام واخراج مقدار من الدم – لا يضر بّالصحة ّ– لا دليل على حرمته.

قوله: «ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة .وهي ترف الدم . فهو فعل همجيّ وحشيّ مثل الضرب بسلاسل من الحديد».

أقول: إذا قطع النظر عن تلك الجهة التي هي علّة التحريم، فكونه فعلاً همجياّ ً لايفي بالحكم المقصود . لو يعلم . إلا أنّ يدل ّ البرهان على أنّ كلّ عبث وفعل لا ترتكبه العقلاء لهمجيتّه هو محرمّ، وأنى ّ لأحد بإثباته.

على أنّ عدّه فعلاً همجيا وّحشيا إنّماً هّو بنظر من لم يعرف حكمته ولم يطلع على المقصود منه، والا فضرّب الصدور بالأيدي في الدور والبيوت يعدّه غير العارف برموزه وأسراره ضرباً من التوحشّ والهمجية، مع أنه ّعند الجميع من الأمور المستحسنة المرضية.

أقول: وأنا استسلف العذر عن جزالة القدح اللساني الظاهري فقط بأعظم شعائر الله وحرماته . الحجّ . ليس الحجّ إلا ّطواف حول بيته، وسعي وهرولة بين

رابيتين، ووقوف على جبل، وهبوط في وداي، ورمي أحجار على أحجار، في هيئة موحية من كشف الرؤوس لحرّ الشمس، وحلق الشعر، وعري البدن إلاّ عن نحو إزار ورداء.

لا شكّ أنّ غير العارف برموزها وحكمها وأسرارها يستهزىء بها ويعدّها ضربا مّن الجنون والتوحشّ وفعلا منً أظهر أفعال الهمجيّة، أفهل يصلح للعارف برموزه حكمه أن يمنع منه لمجرّد عدهّ عند الجاهل همجيا؟!ً

ولقد وقع الاستهزاء جهلاً بتلك المناسك العالية الأسرار، الدقيقة الحكم، والسخريّة بها من قبل الماديّينّ الأقدمين كعبد الكريم بن أبي العوجاء [1] وعبدالله

---

1 - في الاحتجاج «للطبرسي» ٢: ٢٠٦ : عن عيسى بن يونس، قال كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري، فانحرف عن التوحيد، فقيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت في ما لا أصل له ولا حقيقة؟! قال: إنّ صاحبي كان مخلطاً، يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه.
فقدم مكّة متمرّداً، وإنكاراً على من يحجّه، وكان تكره العلماء مجالسته لخبث لسانه، وفساد ضميره، فأتى أبا عبد الله(عليه السلام) فجلس إليه في جماعة من نظرائه، فقال:
يا أبا عبد الله! إنّ المجالس بالأمانات، ولابدّ لكلّ من به سعال أن يسعل، أفتأذن لي في الكلام؟
فقال: «تكلم».
فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله كهرولة البعير إذا نفر، إنّ من فكر في هذا وقدّر، علم أنّ هذا فعل أسّسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أسّه ونظامه!
فقال أبو عبد الله(عليه السلام): «إنّ من أضلّه الله وأعمى قلبه، استوخم الحقّ ولم يستعذبه وصار الشيطان وليّه، ويورده مناهل الهلكة ثمّ لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته وجعله محلّ أنبيائه وقبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحقّ من أطيع في ما أمر وانتهى عمّا نهى عنه وزجر، الله المنشىء للأرواح والصور».
فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت الله فأحلت على غائب.
فقال أبو عبد الله(عليه السلام): «ويلك!! كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ويعلم أسرارهم»؟!
فقال ابن أبي العوجاء: فهو في كلّ مكان، أليس إذا كان في السّماء كيف يكون في الأرض، وإذا كان في الأرض كيف يكون في السّماء؟
فقال أبو عبد الله(عليه السلام): «إنّما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان، وخلا منه مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه. فأمّا الله العظيم الشأن، الملك الديّان، فلا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان».

الديصاني وأضرابهما، وخلّدت كتب الحديث إنكارهما على مولانا الصادق(عليه السلام)، وإنكار المتأخّرين أظهر من ذلك، وناهيك الكتب المؤلفة منهم للاستهزاء بالحجّ بخصوصه.

وأمّا ثمرتها في التعزية فإنّما ينكرها من يجهل السرّ في إقامة المآتم الرثائية، وقد أسلفنا في صدر الرسالة نبذة تتضمنّ الأسرار المشار إليها، ومن تأمّلها يجدها حاصلةً في الشبيه وضرب القامات بوجه أتمّ وأنفع.

إنّ أدنى فوائد التذكارات الحسينيّة التي تعملها الجعفرية اليوم، أن تجعل كل فرد منهم راسخ الاعتقاد بمذهبه، شديد اليقين به، وذلك ما رمزنا إليه وصرّحنا به

في غير موضع من الرسالة، ولا يلزم أن تكون فائدتها أمراً فوق ذلك.

ومن ثمّة لو كانت قرية مثلاً ليس فيها من غير الجعفرية أحد أبداً، لكان يلزم عليهم إقامة التذكارات بجميع مظاهرها لذلك خشية أن يضعف اعتقادهم ويزول بمرور الأيام.

كذا لو كانت القرية وما فيها من الجعفريّة إلاّ أفرادا معدودة، بل هذه أولى بإقامتها من هذه الجهة، وأخرى أن تلك الأعمال ربما تكون داعية للأغيار إلى الفحص عن أسباب تلك التذكارات واستحسانها، حتى تكون بنفسها مبشّرا من المبشّرين بها.

قال بعض مورّخي الأجانب في مقام استشهاده على نحو هذا: رأيت في بندر مارسل[1] في الفندق شخصاً واحداً عربياً شيعياً من أهل البحرين يقيم المأتم منفرداً، جالساً على الكرسي بيده الكتاب يقرأ ويبكي، وكان قد أعدّ مائدة من الطعام فوقها على الفراش.

فباللّه عليك ماذا الذي صيرّ هذا الرجل الغريب في البلدة التي لا مماثل له فيها في العنصر والمذهب أن يكون شديد الاعتقاد بمذهبه إلى تلك الدرجة؟! لولا ما تعوّده في بلده منذ نعومة أظفاره من إقامة المآتم والتذكارات.

أمّا صاحب المقالة فإنّه يطلب للتذكارات فائدة خاصة، نحو أن تكون الشيعة إذا أقامتها ترتقي في نظر غير الجعفرية كل مرتقى عال في الدنيا والعقبى!!

قوله: «لم يرد دليل شرعي على تجويزها، وما من سورة يستند إليها».

أقول: هذا ناشيء عن القصور في الفقه والأصول ; لأنّ التحريم هو المحتاج

1- أي ميناء مارسل الواقع في فرنسا.

إلى الدليل، والأصل الإباحة، بما استفاض وتواتر معنىً من الأخبار والآثار من أن «كلّ شيء مطلق حتى يرد فيه نهي»[1].

ومع الغضّ عن هذا، فإنّ إباحة الشيء أو استحبابه لايتوقفّ على دليل يخصّ مورده، بل تكفي فيه الأدلة العامة.

وبما أنّ هذا الموكب من جهة يمثّل موقف الحسين(عليه السلام) وأنصاره بالطف، يكون إحياء لأمرهم.

ومن جهة يظهر بمظهر مرتفع في مقدار الحزن عن أن يضرب صدره بيده، بل يهمّ بقتل نفسه، يكون حزناً لأجلهم.

وباعتبار الجهتين يكون كلّ فرد من أفراد الموكب متّصفا بكونه موجع القلب لهم، وباذلا نفسه فيهم، ومؤدياً حقّهم، ومعظما شعائرهم، وناصراً لهم بعد وفاتهم، وغير ذلك من العناوين العامّة التي تكثرّت فيها الأخبار الخاصة عن أئمة الهدى سلام الله عليهم[2].

إنّ أشدّ الأخبار العامة مساسا بهذا الموكب وأتم انطباقا به، الأخبار الكثيرة المستفيضة الدالة على أن الخرز مكروه ومحظور، ما عدا الخرز على الحسين(عليه السلام) فإنّه مندوب إليه ومرغب فيه[3].

ففي رواية معاوية بن وهب . التي رواها المفيد والشيخ وابن قولويه . عن

1- من لا يحضره الفقيه ١: ٣١٧ باب «استحباب البكاء من خشية الله تعالى»، وسائل الشيعة ٦: ٢٨٩ باب «جواز القنوت».
2 - انظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت(عليهم السلام)».
3- أمالي الصدوق: ١١١ حديث٢.

الصادق(عليه السلام): «كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين»[1].

بل في خبر مسمع بن عبدالملك البصري عن الصادق(عليه السلام) انّه قال له ـ يعني الصادق ـ «أما تذكر ما صنع به»؟ يعني بالحسين(عليه السلام).

قلت: بلى.

قال: «فتجزع»؟

قلت: أي واللّه، واستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي، فامتنع من الطعام والشراب حتى يستبين ذلك في وجهي.

قال: «رحم الله دمعتك، أما إنّك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والذّين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنّا» الحديث[2].

وهذه وما بعدها بنظري عمدة الأدلّة على جواز إدماء الرؤوس بالسيوف، بل واستحبابه، وذلك أنّ كلّ ما يفعله الشيعة من الضرب بسلاسل الحديد وبالقامات وغيرها هو دون الجزع المرغّب فيه.

إنّ الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس هو مظهر من مظاهر الجزع، وليس بجزع حقيقة، فإنّ الجزع أمرٌ معروف في اللغة والعرف، وهو ضدّ الصبر[3]، نحو أن ينتحر الرجل العاقل أو يلقي نفسه من شاهق لحادثة تحدث تغلب صبره وتورده الهلاك.

1- أمالي الشيخ الطوسي ١: ١٦٢، كامل الزيارات: ٢٠٢ حديث ٥، وانظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٥ حديث ١٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت(عليهم السلام)...».
2- كامل الزيارات: ٢٠٣ حديث ٧.
3- الجَزَعُ، بالتحريك: نقيض الصبر، الصحاح ٣: ١١٩٦

وأين هذا من جرح الرأس بسكين أو سيف جرحاً خفيفاً يوجب خروج الدم، ولا يؤلم إلا بمقدار ما تؤلم الحجامة وغيرها مما يرتكب لأغراض عقلائيّة سياسيّة أو طبيّة؟!

ولا يراد من الجزع في الخبر السابق البكاء، لعطفه عليه فيه وفي ما لا أحصيه عدداً من الأخبار[1]، وذلك آية المغايرة بينهما، ولا ما ذكرناه من بلوغ الحزن إلى حيث يورد الهلاك، وإن كان هذا لو صدر من أحد في مصاب فكثيراً ما يحدث بغير اختيار، وكلّ ما هو دون هذه المرتبة ممّا يتحملّ عادةً ولا يجر إلى الضرر بالنفس، فهو من الجزع المرغب فيه، وله مراتب: منها: الامتناع من الطعام والشراب مع الحاجة إليهما، كما صدر عن مسمع[2]; وذلك للتأثر القلبي الموجب لعدم قبول النفس لهما مع شدّة الجوع والعطش.

وما ورد في بعض أخبارنا من تحديد أشدّ الجزع بالصراخ والويل والعويل، ولطم الوجه والصدور، وجزّ الشعر من النواصي، وإقامة النواحة[3]، فهو في غير

---

1 - منها ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات: ٢٠١ حديث ٢ بسنده عن أبي عبد الله الجامواني، عن الحسن بن علي ابن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي عبد الله(عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام، فإنّه فيه مأجور».
2- كامل الزيارات: ٢٠٣ حديث ٧.
3 - روى الشيخ الكليني في الكافي ٣: ٢٢٢ حديث١ ، بسنده عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر(عليه السلام)، قال: قلت له: ما الجزع؟ قال: «أشدّ الجزع الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر من النواصي، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر وأخذ في غير طريقه».

شأن الحسين(عليه السلام); لأنّ أعظم هذه المعدودات: النواحة وهي عليه راجحة بل واجبة قطعاً، ولطم الخد وقد دلّ على جوازه وجواز شقّ الجيب الخبر الصحيح المروي في التهذيب عن خالد بن سدير عن الصادق(عليه السلام) وفيه: «على مثله . يعني الحسين . تلطم الخدود و تشقّ الجيوب»[1] .

ولقد كان شيخنا العلاّمة شيخ الشريعة قدّس سرّه بهذا الاعتبار وبتلك الأخبار يصحّح الخبر الموسل الذي استبعده بعض العظماء، من أنّ عقيلة عليّ الكوى لمّا لاح لها رأس الحسين(عليه السلام) وهو على رمح والريح تلعب بكريمته، نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتى سال الدم من تحت قناعها[2] .

1- التهذيب ٨: ٣٢٥ حديث ١٩٩.
2- قال العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ١١٤:
رأيت في بعض الكتب المعتبرة: رُوي مرسلاً عن مسلم الجصّاص، قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا أُجصّص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا فقلت: مالي أرى الكوفة تضجّ؟
قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد.
فقلت: من هذا الخارجي؟
فقال: الحسين بن علي(عليه السلام).
قال: فتركت الخادم حتّى خرج ولطمت وجهي حتّى خشيت على عيني أن تذهب، وغسّلت يدي من الجُصّ وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس.
فبينما أنا واقف والناس يتوقّعون وصول السبايا والرؤوس، إذ قد أقبلت نحو أربعين شقّة تحمل على أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة(عليها السلام) وإذا بعليّ بن الحسين(عليه السلام) على بعير بغير وطاء، وأوداجه تشخب دماً، وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يا أمّة السوء لا سقياً لربعكم	يا أمّة لم تراع جدّنا فينا
لو أنّنا ورسول الله يجمعنا	يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيّرونا على الأقتاب عارية	كأنّنا لم نشيّد فيكم دينا
بني أُميّة ما هذا الوقوف على	تلك المصائب لا تلبون داعينا
تصفّقون علينا كفّكم فرحاً	وأنتم في فجاج الأرض تسبّونا
أليس جدّي رسول الله ويلكم	أهدى البريّة من سُبل المضلّينا
يا وقعة الطفّ قد أورثتني حزناً	والله يهتك أستار المسيئينا

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أمّ كلثوم وقالت: يا أهل الكوفة إنّ الصدقة علينا حرام، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض، قال كلّ ذلك والناس يبكون على ما أصابهم.
ثمّ إنّ أمّ كلثوم أطلعت رأسها من المحمل، وقالت لهم: صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء.
فبينما هي تخاطبهنّ إذا بضجّة قد ارتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين(عليه السلام)، وهو رأس زهريّ قمريّ أشبه الخلق برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ولحيته كسواد السّبج قد انتصل منها الخضاب، ووجهه دارة قمر طالع والرّمح تلعب بها يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدّم المحمل، حتّى رأينا الدّم يخرج من تحت قناعها، وأومأت إليه بخرقة وجعلت تقول:

يا هلالاً لمّا استتمّ كمالا	غاله خسفه فأبدا غروبا
ما توهّمت يا شقيق فؤادي	كان هذا مقدّراً مكتوبا
يا أخي فاطم الصغيرة كلّمها	فقد كاد قلبها أن يذوبا
يا أخي قلبك الشفيق علينا	ماله قد قسى وصار صليبا
يا أخي لو ترى عليّاً لدى الأسر	مع اليتم لا يطيق وجوبا
كلّما أوجعوه بالضرب نادا	ك بذلّ يغيض دمعاً سكوبا
يا أخي ضُمّه إليك وقرّبه	وسكّن فؤاده المرعوبا

الصفحة 368

الصفحة 369

ويقول العلاّمة شيخ الشريعة قدّس سرّه: «إنه لا استبعاد فيه إلا منّ جهة ظهور الخزع منها وايلامٍ نفسها، والإيلام غير المؤدّي إلى الهلاك لا دليل على عدم جوازه، والخزع مندوب إليه ومرغب فيه في كثير من الأخبار»[1].

قلت: الظاهر من الأخبار جواز الهلع أيضاً، وهو . على ما ذكروا . أفحش الخزع[2]، ويظهر من الخبر الصحيح الذي تدلّ مضامينه على صحّته المروي في الكامل عن قدّامة بن زائدة عن السجاد(عليه السلام)، أنهّ قد صدر منه الهلع لو استطاعه[3].

---

1 - انظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت(عليهم السلام)...»

2- قاله الجوهري في الصحاح ٣: ١٣٠٨ «هلع».

3 - لم أعثر على هذا الحديث في متن «كامل الزيارات» من الطبعة المتوفّرة لدينا، والظاهر أنّ النسخ الخطيّة مختلفة في وجوده في المتن، لذلك أورده محقّق النسخة المتوفّرة لدينا في الهامش ص ٤٤٤ - ٤٤٥ قائلاً: زيادة في النسخ نقلناها كما وجدناها:
للحسين بن أحمد بن المغيرة فيه حديث رواه شيخه أبو القاسم رحمه الله مصنّف هذا الكتاب، ونقل عنه، وهو عن زائدة، عن مولانا علي بن الحسين(عليه السلام)، ذهب على شيخنا رحمه الله أن يضمّنه كتابه هذا، وهو ممّا يليق بهذا الباب، ويشتمل أيضاً على معان شتى حسن تامّ الألفاظ، أحببت إدخاله، وجعلته أوّل الباب.
وجميع أحاديث هذا الباب وغيرها ممّا يجري مجراها يستدلّ بها على صحّة قبر مولانا الحسين(عليه السلام) بكربلاء ; لأنّ كثيراً من المخالفين ينكرون أنّ قبره بكربلاء، كما ينكرون أنّ قبر مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) بالغري بظهر الكوفة.
وقد كنت استفدتُ هذا الحديث بمصر عن شيخي أبي القاسم علي بن محمّد بن عبدوس الكوفي رحمه الله، ممّا نقله عن مزاحم بن عبد الوارث البصري، بإسناده عن قدّامة بن زائدة، عن أبيه زائدة، عن علي بن الحسين(عليه السلام)، وقد ذاكرتُ شيخنا ابن قولويه بهذا الحديث بعد فراغه من تصنيف هذا الكتاب ليدخله فيه، فما قضى ذلك، وعاجلته منيّته رضي الله عنه وألحقه بمواليه(عليهم السلام).
وهذا الحديث داخل في ما أجاز لي شيخي رحمه الله، وقد جمعت بين الروايتين بالألفاظ الزائدة والنقصان والتقديم والتأخير فيهما، حتّى صحّ بجميعه عمّن حدّثني به أولاً ثمّ الآن، وذلك أنّي ما قرأته على شيخي رحمه الله ولا قرأه عليّ، غير أنّي أرويه عمّن حدّثني به عنه وهو أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن عياش، قال: حدّثني أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، قال: حدّثني أبو عيسى عبيد الله بن الفضل بن محمّد بن هلال الطائي البصري رحمه الله، قال: حدّثني أبو عثمان سعيد بن محمّد، قال: حدّثنا محمّد بن سلام ابن يسار (سيار خ ل) الكوفي، قال: حدّثني أحمد بن محمّد الواسطي، قال حدّثني عيسى ابن أبي شيبة القاضي، قال حدّثني نوح بن درّاج، قال: حدّثني قدامة بن زائدة، عن أبيه، قال: قال علي بن الحسين(عليه السلام): «بلغني يا زائدة أنّك تزور قبر أبي عبد الله الحسين(عليه السلام)أحياناً»؟!
فقلت: إنّ ذلك لكما بلغك.
فقال لي: «فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبّتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمّة من حقّنا»؟
فقلت: والله ما أريد بذلك إلاّ الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه.
فقال: «والله إنّ ذلك لكذلك».
فقلت: والله إنّ ذلك لكذلك - يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً - .
فقال: «أبشر ثمّ أبشر ثمّ أبشر، فلاخبرنّك بخبر كان عندي في النخب المخزون.
فإنّه لمّا أصابنا بالطفّ ما أصابنا وقتل أبي(عليه السلام) وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحُملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري واشتدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبيّنت ذلك منّي عمّتي زينب الكبرى بنت علي(عليه السلام)، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدي وأبي وإخوتي؟
فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مضرّجين بدمائهم، مرمّلين بالعرى، مسلّبين، لا يُكفّنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنّهم أهل بيت من الديلم والخزر؟
فقالت: لا يجزعنّك ما ترى، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأُمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأُمّة، وهم معروفون في أهل السماوات، إنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرّجة، وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً، وأمره إلاّ علوّاً».

الصفحة 370

الصفحة 371

وروى المجلسي أعلى الله مقامه[1] والسيّد عبدالله شبر رفع الله درجته في كتاب جلاء العيون، انّ زين العابدين(عليه السلام) كان إذا اخذ إناء ليشرب يبكي حتى يملأه دماً[2].

1- في بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨ - ١٠٩ : «وقيل: إنّه - أي الإمام زين العابدين(عليه السلام) - إنّه بكى حتّى خيف على عينيه، وكان إذا أخذ إناء يشرب ماء بكى حتّى يملأها دمعاً، فقيل له في ذلك فقال: «وكيف لا أبكي؟! وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش». وقيل له: إنّك لتبكي دهرك فلو قتلت نفسك، لما زدت على هذا؟ فقال: «نفسي قتلتها وعليها أبكي».
2- في جلاء العيون ٣: ١٥ عن الإمام الصادق(عليه السلام) إنّه قال: «إنّ علي بن الحسين(عليه السلام) بكى على أبيه عشرين سنة - وفي رواية أربعين سنة - وما وضع بين يديه طعاماً إلاّ بكى، وما أوتي بشراب إلاّ بكى حتّى يتضاعف ذلك الماء، حتّى قال له مولىً له: جعلت فداك يابن رسول الله إنّي أخاف أن تكون من الهالكين...».

وهذا بظاهره من غرائب الأخبار، فإنّ العيون لاتسيل دموعها دماً، ولذلك كنت أحتمل وقوع التحريف فيه، وأنّ الصحيح (دمعاً) بدل (دماً)، لكنّي وجدت المخطوط والمطبوع من الجلاء وغيره كما هو مروي فيه.

وعليه فأقرب توجيهاته أن يقال: إنّ العيون وإن لم تبك دماً، لكنها لكثرة البكاء والاحتراق تتقرّح أجفانها، فإذا اشتد البكاء تنفجر القروح دماً يمتزج بالدموع، فهو إذا سال في الإناء يسيل كأنّه دم، ويصدق حينئذ أن يقال: يملأ الإناء دماً.

وإذا ساغ للسجاد(عليه السلام) أن يسيل الدم باختياره من عضو من أعضائه ببكاء الدم أو بتقريح الجفن جزعاً وهلعاً على رزيّة الحسين(عليه السلام)، فما هو إذاً شأن ما يصدر من الشيعة من ضرب السلاسل والقامات؟!

وهل سيلان دمّ السجّاد في الإناء أهون من انتثار قطرات من دمرأس الجريح على ثيابه حزناً على تلك الفادحة العظيمة؟!

ثمّ أقول: بهذا الاعتبار أيضاً – مضافاً إلى ما سلف من قوله(عليه السلام): «على مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب»[1] – يرفع الاستبعاد عمّا روي في الكتب من أنّ عقيلة آل محمدّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في مولد عديدة لطمت وجهها وشقّت جيبها وصاحت ودعت بالويل والثبور[2].

1- التهذيب ٨: ٣٢٥ حديث١٩٩.
2- في وقعة الطفّ لأبي مخنف الغامدي الأسدي: ٢٢٩ - ٢٣٠ - وعنه في تأريخ الطبري ٥: ٤٢٠ :

عن علي بن الحسين بن علي(عليه السلام) قال: «إنّي جالس في تلك العشية التي قُتل أبي صبيحتها، وعمّتي زينب عندي تمرّضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له، وعنده حُويّ مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يا دهر أفّ لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل ... والدّهر لا يقنع بالبديل
وإنّما الأمر إلى الجليل ... وكلّ حيّ سالك سبيلي

فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتّى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، وعلمت أنّ البلاء قد نزل.
فأمّا عمّتي فإنها سمعت ما سمعت، وهي إمرأة، وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها - وأنّها لحاسرة - حتّى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أُمّي، وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمال الباقي!
فنظر إليها الحسين(عليه السلام) فقال: أُخيّة! لا يذهبن بحلمك الشيطانُ!
قالت: بأبي أنت وأُمّي يا أبا عبد الله! استقتلت؟ نفسي فداك.
فردّ غصّته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام!
قالت: يا ويلتي! أتغصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي! ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقّته وخرّت مغشياً عليها!
فقام إليها الحسين(عليه السلام) فصبّ على وجهها الماء وقال لها:
يا أُخيّة! اتّقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلاّ وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي، وأُمّي خير منّي، وأخي خير منّي ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أُسوة».
وانظر أيضاً الملهوف على قتلى الطفوف للسيّد ابن طاووس: ١٤٠ - ١٤٢.
وفي وقعة الطفّ لأبي مخنف الغامدي الأسدي: ٢٩٥ - وعنه في تأريخ الطبري ٤٥٥ - ٤٥٦ - : «قال قرّة بن قيس التميمي: لا أنسى زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين(عليه السلام)صريعاً وهي تقول: يا محمّداه! يا محمّداه! صلّى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مرَمّل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمّداه! وبناتك سبايا، وذريّتك مقتلة تسفي عليها الصبا!

فإنّه لاحامل لها على شقّ الجيب إلا الجزع في مصاب حق أن تشق لهّ القلوب لا الجيوب، كما صوح بّذلك سيدنا العلامة السيّد إسماعيل الصدر قدّس سرهّ في بعض حواشيه.

وكيف لاتفعل ذلك في مصاب جزع له وبكي إبراهيم خليل الرحمن وموسى كليمه، كما في الخبر[1] ؟!

1 - روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الإمام الرضا(عليه السلام) ٢: ١٨٧ حديث١ والخصال: ٥٨ حديث٧٩ بسنده عن الفضيل، قال: سمعت الرضا(عليه السلام) يقول: «لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم(عليه السلام) أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنّي إبراهيم(عليه السلام) أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.
فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟
فقال: يا ربّ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم).
فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟
قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي.
قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟
قال: بل ولده.
قال: فذبح ولده ظلماً على يدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟
قال: يا ربّ، بل ذبحه على يدي أعدائه أوجع لقلبي.
قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أمّة محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم(عليه السلام) لذلك وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّ وجلّ: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب ; وذلك قول الله عزّ وجلّ: (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْح عَظِيم)».

وفي آخر: إنّ فاطمة عليها السلام لمّا أخوها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بقتل الحسين جزعت وشقّ عليها[1] .

وفي خبر آخر: إنّها تنظر كلّ يوم إلى مصوع الحسين(عليه السلام) فتشهق شهقة تضطوب لها الموجودات[2] .

1 - قال العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٢ - ٢٩٣، حديث٣٧ ، رأيت في بعض تأليفات بعض الثقات من المعاصرين: روي أنّه لما أخبر النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكاءً شديداً، وقالت: يا أبت متى يكون ذلك؟
قال: في زمان خال منّي ومنك ومن علي، فاشتدّ بكاؤها وقالت: يا أبت فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم باقامة العزاء له؟
فقال النبيّ: يا فاطمة إنّ نساء أُمّتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل، في كلّ سنة، فإذا كان القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرّجال، وكلّ من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنّة.
يا فاطمة! كلّ عين باكية يوم القيامة، إلاّ عين بكت على مصاب الحسين فانّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنّة.
2 - روى الشيخ ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ١٦٩ - ١٧١ حديث ٢٢٠ بسنده عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله أحدّثه، فدخل عليه ابنه فقال له: مرحباً، وضمّه وقبّله وقال: حقّر الله من حقّركم، وانتقم ممّن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء.
ثمّ بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرت إلى ولد الحسين(عليه السلام) أتاني ما لا أملكه بما أتي إلى أبيهم وإليهم.
يا أبا بصير، إنّ فاطمة(عليها السلام) لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنّم زفرة لولا أنّ الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتّى يسكن صوت فاطمة الزهراء، وأنّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلاّ بها ملك موكّل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ ثورانها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها، ويدعون الله ويتضرّعون إليه، ويتضرّع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أنّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقطّعت الجبال، وزلزلت الأرض بأهلها.
قلت: جعلت فداك، إنّ هذا الأمر عظيم، قال: غيره أعظم منه مالم تسمعه.
ثمّ قال: يا أبا بصير، أمّا تحبّ أن تكون فيمن يُسعد فاطمة(عليها السلام)؟
فبكيت حين قالها، فما قدرت على النطق وما قدر على كلامي من البكاء.
ثمّ قام إلى المصلّى يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام، وما جاءني النوم، وأصبحت صائماً وجلاً حتّى أتيته، فلمّا رأيته قد سكن سكنت وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة.

وفي غوه قال: سمعت أبا ذر وهو يومئذ قد أخوجه عثمان إلى الوبذة فقال الناس: يا أباذر أبشر فهذا قليل في الله.

فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي قتلاً؟! أو قال:

ذبح ذبحاً، وإنّ الله سيسل سيفه على هذه الأمة لا يغمده أبداً، ويبعث ناقماً من ذريته فينتقم من الناس، وانكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار وسكان الجبال في الفيافي والآكام وأهل السماء من قتله لبكيتم والله حتى تزهق أنفسكم [1].

ومن الأدلّة على ذلك . مضافاً إلى ما سلف وإن كان فيه غنى وكفاية . ما دل على إدماء الله كثيراً من أنبيائه لأجل أن يحصل لهم الفوز بدرجة المواساة للحسين(عليه السلام).

فمن ذلك المروي في البحار والأنوار أنّ آدم(عليه السلام) لمّا انتهى في طوافه في الأرض إلى كربلاء، عثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين(عليه السلام) حتى سال الدم من رجله [2].

1- روى ابن قولويه في كامل الزيارات: ١٥٣ - ١٥٤ حديث ١٩٠ بسنده عن عروة بن الزبير قال: سمعت أبا ذر وهو يومئذ قد أخرجه عثمان إلى الرّبذة فقال له الناس: يا أبا ذر أبشر فهذا قليل في الله.

فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي قتلاً، أو قال ذبح ذبحاً، والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتيلاً منه، وإنّ الله سيسل سيفه على هذه الأمّة لا يغمده أبداً، ويبعث ناقماً [من ذرّيته فينتقم من الناس، وإنكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار، وسكّان الجبال في الغياض والآكام، وأهل السماء من قتله، لبكيتم والله حتّى تزهق أنفسكم، وما من سماء يمرّ به روح الحسين(عليه السلام) إلاّ فزع له سبعون ألف ملك، يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة، وما من سحابة تمرّ وترعد وتبرق إلاّ لعنت قاتله، وما من يوم إلاّ وتعرض روحه على رسول الله فيلتقيان.

2- بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٢ حديث٣٧، الأنوار النعمانية ١: ٢٢٩: وروي مرسلاً: أنّ آدم لمّا هبط إلى الأرض لم يرَ حوّاء، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكربلاء فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين(عليه السلام)، حتّى سال الدّم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث منّي ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإنّي طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض.

فأوحى الله إليه: يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً، فسال دمك موافقة لدمه. فقال آدم: يا ربّ أيكون الحسين نبيّاً؟

قال: لا، ولكنّه سبط النبيّ محمّد.

فقال: ومن القاتل له؟

قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض.

فقال آدم: فأيّ شيء أصنع يا جبرئيل؟

فقال: العنه يا آدم، فلعنه أربع مرّات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوّاء هناك.

وكذلك إبراهيم(عليه السلام) لمّا مرّ بها عثر فرسه فسقط وشجّ رأسه وسال دمه [1].

1 - في بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣ حديث ٣٩ : وروي أنّ إبراهيم(عليه السلام) مرّ في أرض كربلا وهو راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟

فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه. قال: يا جبرئيل ومن يكون قاتله؟

قال: لعين أهل السّماوات والأرضين، والقلم جرى على اللّوح بلعنه بغير إذن ربّه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنك استحققت الثناء بهذا اللعن.

فرفع إبراهيم(عليه السلام) يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً، وأمّن فرسه بلسان فصيح، فقال إبراهيم لفرسه: أيّ شيء عرفت حتّى تؤمّن على دعائي؟

فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بركوبك علي، فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى.

وكذلك موسى(عليه السلام) حين جاء كربلاء انخرق نعله وانقطع شراكه ودخل الحسك في رجليه وسال دمه [1].

وكلّ هؤلاء لمّا ذعروا من ذلك وخشوا أن يكون ذلك لذنب حدث منهم، أوحى اللهّ إلى كلّ واحد منهم أن لا ذنب لك، ولكن

يقتل في هذه الأرض الحسين ابن علي(عليه السلام)، وقد سال دمك موافقة لدمه.

فإنّ في هذا الإعثار والإدماء من الله لا عن ذنب، والتعليل بكونه موافقة لدم الحسين(عليه السلام)، دلالة جليّة على جواز إدماء الإنسان نفسه مواساة له، لأنّ سيلان دمائهم مع كونه غير مقصود لهم إذا كان محبوباً لمجرّد الموافقة في السيلان، فالمقصود إسالته مواساة لهم أولى بالمحبوبيّة.

إنّ التأسّي بالحسين(عليه السلام) مندوب إليه، وقد رغّب فيه الغلام الزكي يحيى بن زكريا والصادق الوعد إسماعيل، كما في الخبر عن أبي عبدالله(عليه السلام)، قال: إنّ إسماعيل الذي قال الله عزّوجلّ في كتابه: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ... ﴾ [2] لم

1- في بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٤ حديث٤١ : وروي أنّ موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك في رجليه، وسال دمه، فقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟ فأوحى إليه: أنّ هنا يقتل الحسين(عليه السلام) وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه.
فقال: ربّ ومن الحسين؟
فقيل له: هو سبط محمّد المصطفى، وابن علي المرتضى.
فقال: ومن يكون قاتله؟
فقيل: هو لعين السّمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء.
فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمّن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه.
2- مريم (١٩): ٥٤.

يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبيّاً من الأنبياء بعثه الله عزّوجلّ إلى قومه فاخذوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال: إنّ الله جلّ جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت.

فقال: لي بما يصنع بالحسين(عليه السلام) أسوة [1].

بل روي أنّ غنمه التي كانت ترعى في شاطي الفرات، لمّا امتنعت من ورود الماء وسألها عن سبب الامتناع، قالت: هذه المشرعة يقتل عليها الحسين(عليه السلام)، فنحن لانشرب منها مواساة له [2].

1- روى ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ١٣٧ حديث ١٦١ بسنده عن محمّد بن سنان، عمّن ذكره عن الإمام الصادق(عليه السلام)، قال: إنّ إسماعيل الذي قال الله تعالى في كتابه: (واذكر في الكتاب إسماعيل انّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيّاً) لم يكن إسماعيل بن إبراهيم(عليه السلام)، بل كان نبيّاً من الأنبياء، بعثه الله إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك عن الله تبارك وتعالى فقال: إنّ الله بعثني إليك فمرني بما شئت. فقال: لي أسوة بما يصنع بالحسين(عليه السلام).
2- في بحارالأنوار ٤٤: ٢٤٣ ـ ٢٤٤ حديث ٤٠:
وروي أنّ إسماعيل كانت أغنامه ترعى بشطّ الفرات، فأخبره الراعي أنّها لاتشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربّه عن سبب ذلك، فنزل جبرئيل وقال: يا إسماعيل سل غنمك فانّها تجيبك عن سبب ذلك.
فقال لها: لم. لا تشربين من هذا الماء؟
فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين(عليه السلام) سبط محمّد يقتل هنا عطشاناً، فنحن لانشرب من هذه المشرعة حزناً عليه.
فسألها عن قاتله فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين.
فقال إسماعيل: اللّهمّ العن قاتل الحسين(عليه السلام).

وقد روي امتناع بعض الأئمّة من شرب الماء يوم عاشوراء مواساة للحسين(عليه السلام) [1].

وورد في صومه: «لاتجعله صوم يوم كامل، ولكن أفطر بعد الزوال بساعة على شربة ماء، فعندها تجلّت الهيجاء عن آل

الرسول» [2].

وكان موسى بن جعفر(عليه السلام): «إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان يوم مصيبته وحزنه وبكائه» [3].

فهذه الرموز تشير إلى استحباب مواساة الحسين بتحمّل العطش، وبإدماء الرأس، وبكلّ ما يكون مصداقا لًها سوى القتل.

1- قال ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ١٤١: وكثير منهم لايشرب الماء ليلتذّ موافقه للحسين لأنّه قتل عطشاناً.
2 - وهي رواية عبدالله بن سنان، أخرجها الشيخ الطوسي في مصباح المتهجّد: ٧٢٤ ، وعنه في وسائل الشيعة ١٠ : ٤٥٨ ـ ٤٥٩ حديث٧ ، باب٢١ من أبواب الصوم المندوب «عدم جواز صوم التاسع والعاشر من المحرّم على وجه التبرك»، وفيها: «دخلت على أبي عبدالله(عليه السلام) يوم عاشوراء ودموعه تنحدر على عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: ممّ بكاؤك؟
فقال: أفي غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين(عليه السلام) أصيب في مثل هذا اليوم؟!
3 - أمالي الشيخ الصدوق: ١١١ حديث ٢ ، وعنه في وسائل الشيعة ١٤ : ٥٠٤ ـ ٥٠٥ حديث ٨ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «استحباب البكاء لقتل الحسين...».
فقلت: ما قولك في صومه؟
فقال لي: صمه من غير تبييت وافطره من غير تشميت، ولا تجعله صوم يوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)».

وإنّما خصّ الرأس بالإدماء; لأنّ المواساة لاتصدق الآن عرفا بإدماء غيره.

وربما يستأنس لهذا بما ورد من التوبيخ على تركزيارته عند الخوف، بناءً على ما يذهب إليه صاحب الخصائص الحسينية من شمول الخوف فيه لما عدا تلف النفس من الجروح والأضرار البدنيّة حتى مع عدم ظنّ سلامة النفس، مدعّيا أنّ ذلك من خصائصه كالجهاد معه يوم عاشوراء [1].

وبناءً على التعدّي عن موردها إلى غيره ممّا يتعلقّ بالحسين(عليه السلام); لاتحادّ الطريق في الجميع، أو لإفهام التعميم من نحو قوله(عليه السلام) في بعض تلك الأخبار: «ما كان من هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف» [2].

وقوله: «أما تحبّ أن يراك اللّه فينا خائفاً» [3]؟

1- الخصائص الحسينية: ٢٧٥.
2- روى الشيخ ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ٢٤٤ ـ ٢٤٥ بسنده عن محمّد بن مسلم أنّه قال:
قال لي أبو جعفر محمّد بن على(عليه السلام): «هل تأتي قبر الحسين(عليه السلام)»؟
قلت: نعم على خوف ووجل.
فقال: ما كان من هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه أمّن اللّه روعته يوم القيامة، يوم يقوم الناس لربّ العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلّمت عليه الملائكة وزاره النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)ودعا له، وانقلب بنعمة من اللّه وفضل لم يمسسه سوء واتبع رضوان الله.
3 - روى الشيخ ابن قولويه القميّ في كامل الزيارات: ٢٤٣ حديث ٣٦٠ بسنده عن ابن بكير عن الإمام الصادق(عليه السلام)، قال: قلت له: إني أنزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتّى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح.
فقال: «يابن بكير أما تحبّ أن يراك اللّه فينا خائفاً؟ أما تعلم أنّه من خاف لخوفنا أظلّه اللّه في ظلّ عرشه، وكان محدّثه الحسين(عليه السلام) تحت العرش، وآمنه اللّه من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فإن فزع وقّرته الملائكة وسكّنت قلبه بالبشارة».

قوله: «وما من سورة يستند إليها فيها» إلى آخر كلامه.

أقول: إنّ مرجع الضمائر من قوله: «تجوزها» و«فيه» إلى لفظ «جهتها»، مجهول ليس لديّ فقط، بل لدى كلّ عارف بالتعبير العربي، وهذه المجهوليّة هي السبب للتردّد في السورة التي ينكوها، أهي السورة على ضرب السيوف والقامات، أو

على جميع ما أنكر مشروعيّته حتى خروج المواكب والشبيه الذي نسب الفرقة في علمه – صدر رسالته – إلى الإبداع في المذهب؟

والظاهر إنّه يريد هذا بقرينة قوله: «أفعال وحشيّة»، وقوله: «ولو صرف المال» إلى آخر الكلام ; لأنّ ضرب السيوف لايكلّف من المصرف مقدار نصف العشر من مصرف مأتم واحد، فكيف بزيادة مأتمين، ولكنّه لمّا كان يعلم وجود السرة في الجملة، ويعرف أنّ في ارتكاب خلافها تضليل السلف وادّعاء عدم نفوذ الكلمة منهم، أدمج مراده بلا إفصاح.

والذي أراه وأعتقده أنّ السيّد المذكور ينكر قدم السرة بحيث تتصل بزمن المعصومين، لا أنّه ينكر وجودها وقدمها في الجملة، ولكنّه لا يعلم أنّ ذلك التقدّم مما لا حاجة إليه، لما أسلفناه من أن مّا ليس بقديم بشخصه إذا كان مندرجا تحت عنوان كلّي راجح كفى في رجحانه انطباق ذلك العنوان عليه وإن كانت مصداقيّته له حادثه.

وهذا ما عبّرنا عنه سابقاً بكونه مأموراً به بسنخه [1] ، فإنّ المراد منه ما كان مشروعاً بعنوانه العام في قبال ما كان مشروعاً بخصوصه، وأدنى ما ينطبق على

1- تقدّم في الصفحة: ٣٢٦.

الشبيه والمواكب بأنواعها: ذكر مصاب الحسين(عليه السلام)، الإبكاء عليه، إحياء أمره، الحزن لأجله، وغير ذلك من العناوين العامّة التي ثبت رجحانها بالأدلّة الخاصة.

إنّ الحزن أمر قلبيّ نفسيّ وله مظاهر هي المندوب إليها حقيقةً ولا ريب في أنه لم ترد له من الشرع كيفية خاصة بحيث يقتصر عليها في مقام إظهار الحزن، كما أنّه لا ريب أيضاً في أنّ مظاهره تختلف باختلاف أطوار الأمم وعاداتها وباختلاف الأحوال والأزمان.

وكذلك البكاء والإبكاء المندوب إليهما لهما أسباب ووسائل كثيرة لاتقع تحت الحصر، وليس في شيء من أخبارنا شيء يشير إلى قصرها على وسائل خاصة بحيث لا يتعدّى عنها في مقام إرادة البكاء والإبكاء.

وإذا كانت المواكب بجميع أنواعها في زماننا من مظاهر الحزن، والتشبيهات بجميع أفرادها من وسائل الإبكاء، والجميع ذكرى لمصائبهم، وإحياء لأمرهم، وصلة وإسعاداً لهم، وأداء لحقّهم، فبأيّ صنعة أو صيغة علميّة يتجرأ أحد من الجرأة أن يقول: إنّها لا دليل شرعي على تجويزها، وما من سرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال وحشيّة [1] ؟!

إن كان صاحب الرسالة يطلب اتّصال السرة بالصدر الأوّل، لزمه أن يبطل لطم الصدور في الدور ; لأنّه حادث، وكذا لبس الثياب السود وإلباس الجدران بالسواد، ويبطل النار والرايات والأعلام، وكشف الرؤوس وصرف الأموال وو و ; لأنّها أمور لم تكن في زمن الأئمّة، ولا حاجة له على هذا في تحريم خروج مواكب اللطم إلى وقوع الفتن فيها، بل يكفي في ذلك حدوثها.

1- صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩١.

نظرة في التاريخ

أنا الآن أذكر لك نبذة تاريخيّة تعرف منها الزمن الذي ظهرت فيه المآتم بلا اتقّاء وحدثت فيه المواكب والتمثيل بنفوذ ملوك الجعفويّة وعلمائهم.

فبالرغم من حثّ الأئمّة(عليهم السلام) على التذكرات الحسينية، ما كان ينعقد فيها من المآتم إلا نّحو ما كانوا يعقدونه في دورهم، يحضره – لضرب من الاتّفاق – مثل أبي هارون المكفوف [1].

---

1 - روى ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ٢٠٨ حديث ٢٩٧ بسنده عن أبي هارون المكفوف، قال: قال أبو عبد الله(عليه السلام): «يا أبا هارون أنشدني في الحسين(عليه السلام)».
قال: فأنشدته. فبكى.
فقال: «أنشدني كما تنشدون» يعني بالرقّة .
قال: فأنشدته:

أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة

قال: فبكى، ثمّ قال: «زدني».
قال: فأنشدته القصيدة الأخرى.
قال: فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلمّا فرغت قال لي:
«يا أبا هارون من أنشد في الحسين(عليه السلام) شعراً فبكى وأبكى عشراً كتبت له الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت لهما الجنّة، ومن ذكر الحسين(عليه السلام) عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنّة».
وروى أيضاً بسند آخر في كامل الزيارات: ٢١٠ حديث ٣٠١ عن أبي هارون المكفوف، قال: دخلت على أبي عبد اللّه(عليه السلام) فقال لي: «أنشدني» فأنشدته.
فقال: «لا كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره».
قال: فأنشدته:

أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة

قال: فلمّا بكى أمسكت أنا، فقال: «مر»، فمررت، قال: ثمّ قال: «زدني، زدني»، قال: فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبي مولاك و على الحسين فأسعدي ببكاك

قال: فبكى وتهايج النساء، قال: فلمّا أن سكتن قال لي: «يا أبا هارون من أنشد في الحسين(عليه السلام)فأبكى عشرة فله الجنّة».

وأبي عمارة المنشد [1] وجعفر ابن عفان [2] وأضرابهم; لأنّ بني أُمية تمنع

---

1 - روى ابن قولويه القمّي في كامل الزيارات: ٢٠٨ ـ ٢٠٩ حديث ٢٩٨ بسنده عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبدالله(عليه السلام)، قال: لي: «يا أبا عمارة أنشدني في الحسين(عليه السلام)».
قال: فأنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، قال: فواللّه ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار فقال لي:
«يا أبا عمارة من أنشد في الحسين(عليه السلام) شعراً فأبكى خمسين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى أربعين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين(عليه السلام) شعراً فأبكى واحداً فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين(عليه السلام) شعراً فبكى فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنّة».
2 - في رجال الكشيّ: ٢٨٩ رقم ٥٠٨ بسنده عن زيد الشحّام، قال كنّا عند أبي عبدالله(عليه السلام)ونحن جماعة من الكوفيّين، فدخل جعفر بن عفّان على أبي عبدالله(عليه السلام) فقرّبه وأدناه، ثمّ قال: «يا جعفر».
قال: لبيك جعلني اللّه فداك.
قال: «بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين(عليه السلام) وتجيد».
فقال له: نعم جعلني الله فداك.

فقال: «قل».
فأنشده(عليه السلام) ومن حوله حتى صارت له الدموع على وجهه ولحيته، ثمّ قال: «يا جعفر والله لقد شهدك ملائكة الله المقرّبون ها هنا يسمعون قولك في الحسين(عليه السلام) ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعته الجنة بأسرها وغفرالله لك»، فقال: «يا جعفر، ألا أزيدك»!
قال: نعم يا سيّدي.
قال: «ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلاّ أوجب الله له الجنة وغفر له».

الشواء أن تؤثي الحسين(عليه السلام)، بل تمنع أن يُرثى من قتل في سبيل الأخذ بثأره كالتوابين.

و أمّا آل العبّاس فلم يكونوا أقلّ تشدداً منً بني أمية فّي الضغط على العلويين وايذاءٍ من ينسب إليهم، مدة خلّافتهم، عدا أيام نزره في الفترة بين الدولتين وفي أيام المأمون العبّاسي حين يجاهر الصولي [1] بقصيدته المستورة

1 - ذكره أبوالفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ١٠: ٢٧١ ـ ٢٩١ وترجم له ترجمة مفصّلة، وذكر أشعاره، قال: «إبراهيم بن العبّاس بن محمّد بن صول، وكان صول، رجلاً من الأتراك، ففتح المهلّب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد».
ثمّ قال: «و أمّا إبراهيم بن العبّاس وأخوه عبدالله فإنّهما كانا من وجوه الكتّاب، وكان عبد الله أسنّهما وأشدّهما تقدّماً، وكان إبراهيم آدبهما وأحسنهما شعراً».
وذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦: ١١٥ قائلاً: «أصله من خراسان، وكان كاتباً من أشعر الكتاب، وأرقّهم لساناً، وأيدهم قولاً، وله ديوان شعر مشهور». ثمّ قال: وقد روى له إبراهيم بن العبّاس عن علي بن موسى الرضا، وتوفّي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين».
وذكره أيضاً ابن خلكان في وفيات الأعيان ١: ٦٩ قائلاً: «الشاعر المشهور، كان أحد الشعراء المجيدين، وله ديوان شعر كلّه نُخَبٌ وهو صغير». ثمّ قال: «وهم ابن أخت العبّاس بن الأحنف الحنفي الشاعر المشهور» ثمّ قال: «قال دعبل بن علي الخزاعي: لو تكسّب إبراهيم بن العبّاس بالشعر لَتَرَكَنَا في غير شيء».
وترجم له ياقوت الحموي ترجمةً مفصّلة في مجمع الأدباء ١: ١٦٤ - ١٩٨ وذكر الكثير من شعره.

التي أوّلها:

أزالت غواء القلب بعد التجلّد مصارع أبناء النبي محمّد [1]

1- في الأغاني ١٠: ٢٧٧: «إنّ إبراهيم بن العبّاس الصولي دخل على الرضا لمّا عقد له المأمون ولاّه العهد، فأنشده قوله:

أزالت عزاء القلب بعد التجلّد مصارع أولاد النبيّ محمّد

فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه، فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مهور نسائه، وخلّف بعضهما لكفنه وجهازه إلى قبره.
وفي عيون أخبار الإمام الرضا (عليه السلام) ٢: ١٥٣ ـ ١٥٤ روى الشيخ الصدوق بسنده عن هارون ابن عبد اللّه المهلّبي قال: لمّا وصل إبراهيم بن العبّاس ودعبل بن علي الخزاعي إلى الرضا(عليه السلام)وقد بويع له بالعهد ـ أنشد دعبل:

مدارس آيات خلت من تلاوة و منزل وحي مقفر العرصات

و أنشده إبراهيم بن العبّاس:

أزالت عناء القلب بعد التجلّد مصارع أولاد النبيّ محمّد

فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه كان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت. قال: فأمّا دعبل فصار بالعشرة آلاف التي حصّته إلى قوم، فباع كلّ درهم بعشرة دراهم، فتخلّصت له مائة ألف درهم، وأمّا ابراهيم فلم تزل عنده بعد أن أهدى بعضهما وفرّق بعضها على أهله إلى أن توفّي رحمه الله وكان كفنه وجهازه منها».

ويقوم الخزاعي [1] منشداً بحضرة المأمون قصيدته ا لمشهورة التي منها:

1 - هو أبو علي، وقيل: أبوجعفر، دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، وقيل: إنّ دعبلاً لقبه واسمه الحسن، وقيل: عبدالرحمن، وقيل: محمّد.
شاعر مطبوع مفلّق، من أهل الكوفة، ولد فيها سنة ١٤٨ هـ، وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها من البلدان كدمشق ومصر وخراسان.
كان متفانياً في حبّ أهل البيت(عليهم السلام)، وهو الذي يقول ـ كما في الأغاني ٢٠: ١٣٣ ـ : حملت خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحداً يصلبني عليها.
أخذ الشعر عن أستاذه صريع الغواني مسلم بن الوليد واستقى من بحره، وله عدّة مؤلّفات، منها: كتاب الواحدة (في مناقب العرب ومثالبها)، وكتاب طبقات الشعراء، وله ديوان شعر مجموع.
انظر: شذرات الذهب ٢: ١١ تاريخ بغداد ٨: ٣٨٢، وفيات الأعيان ٢: ٢٦٦ لسان الميزان ٢: ٤٣٠، معجم الأدباء ١١: ٩٩، الغدير ٢: ٣٦٣.
وذكر النجاشي في رجاله ١: ٣٧١ عن ابن أخيه أنّه رأى الإمام الكاظم(عليه السلام)، ولقي الإمام الرضا(عليه السلام).
وعدّه ابن شهرآشوب في المعالم: ١٣٩: من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا(عليهما السلام).
وذكره العلاّمة الحلّي وابن داود في القسم الأوّل من رجاليهما.
الخلاصة: ٧٠، رجال ابن داود: ١٤٧.
أمّا وفاته فقد ورد في المصادر أنّه قتل وهو شيخ كبير في سنة ٢٤٦ هـ بعد أن عاش سبعاً وتسعين سنة وعدّة شهور من السنة الثامنة، وسبب قتله أنّ مالك بن طوق بعث رجلاً ليقتله وأعطاه عشرة آلاف درهم، فلحقه إلى الأهواز وقتله هناك.
انظر ميزان الاعتدال ٢: ٢٧ رقم ٦٧٣: تنقيح المقال ١: ٤١٧، الغدير ٢: ٣٨٥.

مدارس آيات خلَتْ من تلاوة و منزل وحي مقفر العرصات [1]

1 - جزء من قصيدة شعرية تائية رائعة، قالها دعبل الخزاعي في أهل البيت(عليهم السلام)، وأنشدها أوّل مرّة بحضور الإمام الرضا(عليه السلام) في خراسان، بعد أن بويع بولاية العهد في زمن المأمون.
وتعتبر هذه القصيدة من أحسن الشعر وأسنى المدائح المقولة في أهل البيت(عليهم السلام).
وقد ذكر العلاّمة الأميني في الغدير ٢: ٢٤٩ أنّ عدد أبياتها هو مائة وواحد وعشرون بيتاً، والموجود في ديوانه المطبوع: ١٢٤ - ١٢٥ مائة وخمسة عشر بيتاً فقط .
علماً بأنّ كثيراً من المصادر لم تذكر القصيدة كاملة، بل من البيت الثلاثين منها: (مدارس آيات...) ; لأنّ دعبل أنشدها الإمام الرضا(عليه السلام) من هذا البيت، ولم ينشدها من أوّلها، والذي هو في التشبيب والغزل.
قال ابن شهر آشوب في المناقب ٢: ٣٩٤: قيل لدعبل: لم بدأت بـ(مدارس آيات...)؟
قال: استحييت من الإمام أن أنشده التشبيب فأنشدته المناقب.
وقد وصف الكثير من الموسوعات التاريخية والأدبية كيفية إنشادها، وما حصل للإمام(عليه السلام)حين سماعها، وما جرى لدعبل بعد ذلك من أحداث..
قال الأصفهاني في الأغاني ٢٠: ١٦٢ ـ ١٦٣ : قال دعبل: دخلت على علي بن موسى الرضا(عليه السلام)بخراسان، فقال لي: «أنشدني شيئاً ممّا أحدثت»، فأنشدته: (مدارس آيات...) حتّى انتهيت إلى قولي:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم أكفّاً عن الأوتار منقبضات

فبكى الإمام حتّى أغمي عليه، وأومأ إليّ خادم كان على رأسه: أن اسكت. فسكتّ ساعة...
ثمّ قال لي: «أعد». فأعدت حتّى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذي أصابه في المرّة الأولى، وأومأ الخادم إليّ: أن اسكت. فسكت، ومكثت ساعة أخرى...
ثمّ قال لي: «أعد». فأعدت حتّى انتهيت إلى آخرها.
فقال لي: «أحسنت» ثلاث مرّات.
ثمّ أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضرب باسمه، ولم تكن دفعت إلى أحد بعد، وأمر لي من في منزله بحليّ كثير أخرجه إليّ الخادم، فقدمت العراق فبعت كلّ درهم منها بعشرة دراهم اشتراها منّي الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم.
قال ابن مهرويه: وحدّثني حذيفة بن محمّد: أنّ دعبلاً قال له: إنّه استوهب من الرضا(عليه السلام)ثوباً قد لبسه; ليجعله في أكفانه، فخلع جبّة كانت عليه فأعطاه إيّاها.
فبلغ أهل قم خبرها، فسألوه أن يبيعهم إيّاها بثلاثين ألف درهم، فلم يفعل، فخرجوا عليه في الطريق فأخذوها منه غصباً، وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل، وإلاّ فأنت أعلم.
فقال لهم: إنّي والله لا أعطيكم إيّاها طوعاً، ولا تنفعكم غصباً، وأشكوكم إلى الرضا(عليه السلام).
فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين ألف درهم وفرد كمّ من بطانتها، فرضي بذلك، فأعطوه فرد كمّ، فكان في أكفانه.
وكتب قصيدة: (مدارس آيات...) في ما يقال على ثوب وأحرم فيه، وأمر بأن يكون في أكفانه.
وفي مكان آخر من الأغاني ٢٠: ١٥٥ قال: قال دعبل: لمّا هربتُ من الخليفة، بتُّ ليلة بنيسابور وحدي، وعزمتُ على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة، فإنّي لفي ذلك سمعتُ - والباب مردود عليّ - : السلام عليكم ورحمة الله، أنج يرحمك الله.
فاقشعرّ بدني من ذلك ونالني أمر عظيم.
فقال لي: لا تجزع عافاك الله، فإنّي رجل من إخوانك من الجنّ، من ساكني اليمن، طرأ إلينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك: (مدارسُ آيات...) فأحببتُ أن أسمعها منك.
قال: فانشدته إيّاها، فبكى حتّى خرّ.

ثمّ قال: رحمك الله، ألا أحدّثك حديثاً يزيد في نيّتك ويعينك على التمسّك بمذهبك؟
قلت: بلى.
قال: مكثتُ حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمّد(عليه السلام)، فصرتُ إلى المدينة فسمعته يقول: «حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، أنّ رسول الله قال: علي وشيعته هم الفائزون».
ثمّ ودّعني لينصرف، فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل.
قال: أنا ظبيان بن عامر.
وقال ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١١: ١٠٣ - بعد أن ذكر قريباً ممّا في الأغاني - : كتب دعبل القصيدة في ثوب وأحرم فيه، وأوصى بأن يكون في أكفانه.
وحكى العلاّمة الأميني في الغدير ٢: ٣٥٢ عن الحافظ ابن عساكر في تاريخه قوله: إنّ المأمون لمّا ثبتت قدمه في الخلافة وضرب الدنانير باسمه، أقبل يجمع الآثار في فضائل آل الرسول، فتناهى إليه - في ما تناهى - من فضائلهم قول دعبل: (مدارسُ آيات...) فما زالت تردّد في صدر المأمون حتّى قدم عليه دعبل، فقال له: أنشدني قصيدتك التائية ولا بأس عليك، ولك الأمان من كلّ شيء فيها، فإنّي أعرفها وقد رويتها، إلاّ أنّي أحبّ أن أسمعها من فيك.
قال: فأنشدته حتّى صرتُ إلى هذا الموضع:

ألم تر أنّي مذ ثلاثين حجّة أروح وأغدو دائم الحسراتِ

أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً وأيديهُمُ من فيئهم صفراتِ

فآل رسول الله نحفّ جُسومُهُم وآل زياد غُلّظُ القصراتِ

بناتُ زياد في القُصُور مصُونةٌ وبنتُ رسول الله في الفلواتِ

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم أكفّاً عن الأوتار منقبضاتِ

فلولا الذي أرجُوهُ في يوم أوّ غدٍ تقطّع نفسي إثرهم حَسَراتِ

فبكى المأمون حتّى اخضلّت لحيته وجرت دموعه على نحره.
وفي عيون أخبار الإمام الرضا(عليه السلام) ٢: ٢٦٣ عن شيخ الإسلام أبي إسحاق الحموي، عن أحمد ابن زياد، عن دعبل، قال: أنشدتُ قصيدة لمولاي علي الرضا(عليه السلام) (مدارسُ آيات...) فلمّا وصلت إلى:

وقبرٌ ببغداد لنفس زكيّة تضمّنها الرحمن في الغُرُفاتِ

قال لي الرضا(عليه السلام): «أفلا أُلحق بيتين بقصيدتك»؟!
قلت: بلى يابن رسول الله.
فقال:

وقبرٌ بطوُس يا لها من مُصيبة ألحّت بها الأحشاء بالزفراتِ

إلى الحشر حتّى يبعثُ الله قائماً يُفرّجُ عنّا الهمّ والكرُباتِ

قال دعبل: ثمّ قرأت باقي القصيدة، فلمّا انتهيت إلى قولي:

خُرُوجُ إمام لا محالة واقعٌ يقومُ على اسم الله بالبركاتِ

بكى ا لرضا بكاءً شديداً، ثمّ قال: «يا دعبل! نطق روح القدس بلسانك، أتعرف من هذا الإمام»؟!
قلت: لا، إلاّ أنّي سمعتُ بخروج إمام منكم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.
فقال: «إنّ الإمام بعدي محمّد، وبعد محمّد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، وهو المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. أمّا متى يقوم فإخبارٌ عن الوقت، لقد حدّثني أبي عن آبائه عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلاّ بغتة».
ونذكر هنا عدّة أبيات من هذه القصيدة الرائعة، مع ترقيم كلّ بيت حسب التسلسل الوارد في ديوانه:

(١) تجاوبن بالإرنانِ والزّفراتِ نوائح عجمُ اللّفظِ والنطقاتِ
(٢) يخبرن بالأنفاس عن سرّ أنفُس أُسارى هوىً ماض وآخر آتِ

(٣) فأسعدن أو أسعفن حتّى تقوضت صفوف الدجى بالفجر منهزماتِ

(٤) على العرصات الخاليات من المها سلامُ شبح صبّ على العرصاتِ

(١٨) رزايا أرتنا خُضرة الأفق حمرةً وردّت أُجاجاً طعم كُلّ فراتِ

(١٩) وما سهلت تلك المذاهب فيهم على الناس إلاّ بيعة الفلتاتِ

(٢٠) وما نال أصحاب السقيفة إمرةً بدعوى تُراث بل بأمر تراتِ

(٢١) ولو قلّدوا الموصى إليه زمامها لزمّت بمأمون من العثراتِ

(٣٠) مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومنزلُ وحي مقفرُ العرصاتِ

(٣١) لآل رسول الله بالخيف من منى وبالرّكن والتعريف والجمراتِ

(٣٢) ديارُ علي والحسين وجعفر وحمزة والسجّاد ذي الثفناتِ

(٥٣) أفاطُم لو خلت الحسين مجدّلاً وقد مات عطشاناً بشطِّ فُراتِ

(٥٤) إذن للطمت الخدّ فاطمُ عندهُ وأجريت دمع العين في الوجناتِ

(٥٥) أفاطمُ قُومي يا بنة الخير وأندبي نجوم سماوات بأرض فلاةِ

(٥٦) قُبورٌ بكوفإنّ وأُخرى بطيبة وأُخرى بفخ نالها صلَواتي

(٥٧) وقبرٌ بأرض الجوزجان محلّه وقبرٌ بباخمرا لدى الغُبراتِ

(٥٨) وقبرٌ ببغداد لنفس زكية تضمّنها الرحمن في الغُرُفاتِ

الصفحة 392

الصفحة 393

الصفحة 394

ثمّ اشتد الأمر بعده وبلغ غايته في أيام المتوكّل ومن بعده، إلى أن تضاءل ملكهم وضعفت قواهم، وذلك من بعد الغيبة الصغرى بزمن غير قصير، حتّى تولّى عزل الخلفاء ونصبهم أمراء الجند، وهم . على الأغلب . غلمانهم، وابتدأ من ذلك الوقت حكم ملوك الطوائف ومنهم البويهيّون.

لمّا قامت الدولة البويهيّة في جبال الديلم وثبتّت دعائمها، أسسّ معز الدولة أحمد بن بويه إقامة العزاء علنا يومَ عاشوراء في زمن المستكفي باللّه سنة ٣٥٢ هـ وبنى الدور الخاصة بإقامة المآتم (الحسينيّات)، وبقي ذلك متداولاً في أيامه، وعضده بعده عضد الدولة الحسن بن بويه، وهو الذي بنى القبّة المرتضويّة بعد البناء الهاروني والقبة الحسينية لأوّل مرة، ودفن في النجف.

الصفحة 395

ومازال الأمر على ذلك في العراق وفي جبال الديلم مدّة تلك الدولة بفضل اعتقاد ملوكها وتدبير من وزرائها مثل الصاحب بن عبّاد، وأعان على ذلك شدّة وطأة الملوك العلويّة الإسماعيليةّ بالمغرب ومصر، الذين جعلوا يوم عاشوراء – في كل مكّان لهم سلطان عليه . يوم حزن تتعطّل فيه الأسواق وتترك فيه الزينة وتقام فيه مآتم العزاء لسيدّ الشهداء، في مدةّ تزيد على مائتي عام.

وكان البذر الذي ألقته الأئمّة عليهم السلام في قلوب الشيعة ما اخضر نباته إلاّ يومئذ، ومازال ينمو غواسه ويتأصلّ في القلوب شيئا فشيئاً، حتى في زمن ملوك المغول المتوحّشين، الذين أكثروا من القتل في الأرض نحو هولاكوخان، والسلطان محمّد خدا بنده الذي تمتّت مآتم على يده لعلماء الشيعة الذين كانت الحلةّ السيفيةّ مغرسهم، وذلك في حدود سنة ٧٠٠ هـ .

والخلافة العباسية منقوضة يومئذ، وكانت من قبل ذلك في مدّة أربعمائة عام تقريباً اسميةّ فقط، وما كانت التذكارات الحسينيّة حينئذ إلاّ مآتم يقرأ فيها نحو كتاب المقتل، تأليف أبي مخنف، وهو من أكابر المحدثّين الذين تلقىّ منه ابن جرير الطبري وغيره مقتل الحسين، أو كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، أو كتاب اللهوف لابن طاووس، وبضع قصائد انفرد الشعراء من أهل الحلّة خاصة بإنشائها ولم تعرف لغيرهم يومئذ قصيدة قط.

حتى إذا تسنّم عرش الملك (ملوك الصفويّة)، وهم علويّون موسويّون، تفننوا بإظهار ضروب الحزن على جدهم الأعلى الحسين بن علي عليهما السلام فأحدثوا تمثيل فاجعته لعيون الملأ في يوم عاشوراء بأمر وإشارة وبتقرير وإمضاء من العلاّمة الفاضل المجلسي صاحب كتاب بحار الأنوار أعلى الله درجته، وذلك بعد الألف من الهجرة في أواسط المائة الحادية عشر زمن السلطان الحسين بن سليمان الصفوي.

والتمثيل يومئذ في دور نشأته حتى بلغ إلى ما هو عليه الآن، وقد أتى عليه

الصفحة 396

إلى هذه الأيام نحو ثلاث مائة سنة، وهو يقام في بلدان الشيعة بمرأى علمائهم ومسمع من دون إنكار منهم، فكأنّهم لعدم نفوذهم –ولا أقول لجهلهم – تركوا الإنكار إلى الزمن الذي ينفرد به حضرة السيّد [1] في البصرة والكويت!! فينكر ما جرت عليه سيرة الشيعة وأيّدته علماؤها وانطبقت عليه من العناوين الراجحة التي تضمّنتها أخبار الأئمّة الأطهار ما لا يحصى كثرة.

أنا لا أبخس هذا الرجل حقّه من الفضل في بعض النقليات، لكنّه لم يخلق للإفتاء، ولا للخوض في الفنون الدقيقة والأسرار الغامضة، والمرء ميسّر لما خلق له [2]، وهذا عذره عندي في ما ارتبك فيه، وهو عذري عنده فيما ارتكبته في هذه الرسالة.

لقد مرّ زمن –وهو أوائل المائة الثانية عشر .والمبرّز بالعلم والفضل والورع في إيران وخاصة بالري وقم الميرزا أبو القاسم القمّي [3].

---

1 - السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨ هـ) صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

2- قال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): «كلّ ميسّر لما خلق». صحيح البخاري ٨: ٢١٥ كتاب التوحيد، صحيح مسلم ٨: ٤٨ باب كيفية خلق الآدمي، سنن أبي داود ٢: ٤١٥ باب القدر، سنن الترمذي ٤: ٣٥٢ باب من سورة هود، مسند أحمد بن حنبل ١: ٦.

3 - الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمّد حسن الشّفتي الجيلاني القمي، اشتهر بالميرزا القمّي لتوطنه بها. كان رحمه الله علماً من أعلام الشيعة الإماميّة وفقهائها، محقّقاً متقناً متقيّاً، تقيّاً ورعاً ثقة عدلاً، ويدلّ على فضله وتحقيقه كتابه «القوانين» . حضر على أساتذة عصره، وتخرج من عالي دروسه الكثير من العلماء والفضلاء. له عدّة مؤلّفات - إضافة للقوانين - منها: الغنائم، والمنهاج، ومرشد العوام، والإرث، وأرجوزة في المعاني والبيان. توفّي في قم سنة ١٢٣١هـ .
انظر: معارف الرجال ١: ٤٩.

الرشتي [1] صاحب كتاب مطالع الأنوار وفي العراق بل وإيران وأكثر البلدان الشيخ جعفر النجفي كاشف الغطاء [2].

---

1 - السيّد محمّد باقر ابن السيّد محمّد تقي، المشهور بحجّة الاسلام الرشتي الأصفهاني، يرجع نسبه إلى الإمام الكاظم(عليه السلام)، كان رحمه الله عالماً محقّقاً، وعلماً من أعلام الشيعة، وحصناً من حصون الشريعة، عاملاً بعلمه زعيماً دينياً ثقة ورعاً أميناً، اتّفق له من بسط اليد والنفوذ مالا يتّفق لأحد من العلماء والزعماء من أساتذته العظام، فكان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويقيم الحدود الشرعية بما أمر الله تعالى شأنه به، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم ولا عاذل، وقد يقيم الحدّ بنفسه من تعزير وشبهه. حضر على فضلاء عصره كالسيّد محمّد باقر البهبهاني، والسيّد علي صاحب الرياض، والسيّد محمّد مهدي بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيّد محسن الأعرجي، والميرزا أبي القاسم القمي. وتخرّج من عالي دروسه جمّ غفير من الفضلاء وخلّف مجموعة من المؤلّفات - إضافة لمطالع الأنوار - منها: كتاب القضاء والشهادات، الزهرة الباهرة في الأصول، وجوابات المسائل، وله رسائل عديدة، توفّي رحمه الله في أصفهان سنة ١٣٦٠هـ .
انظر: معارف الرجال ٢: ١٩٥.

2 - الشيخ الأكبر الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر ابن الشيخ يحيى الجناجي النجفي، شيخ الطائفة في عصره عند الإمامية في الأقطار الإسلامية عامّة والعراق وإيران خاصّة، العلم الذي استظلّ به المسلمون في أمر الدين والدنيا والفتاوى. كان من العلم والتقوى والصلاح والزهد والعبادة والورع بمكان عظيم وله مع ملوك عصره من المسلمين في العراق وإيران مواقف مشهودة. كان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله مواقف مشهورة في إنكار المنكرات ومنع بيع الخمور وعمله. حضر على أساتذة عصره كالشيخ محمّد مهدي الفتّوني العاملي،الشيخ محمّد تقي الدورقي، والسيّد صادق الفحّام والوحيد البهبهاني، وتخرّج من عالي دروسه جماعة كبيرة من العلماء، وخلّف عدّة مؤلفات منها: كشف الغطاء، وكتاب الطهارة، وبغية الطالب، والقواعد الجعفرية، والحقّ المبين، وغاية المأمول في علم الأصول: توفّي رحمه الله سنة ١٢٢٧ هـ في مدينة النجف الأشرف ودفن بها.
انظر معارف الرجال ١: ١٥٠.

وهؤلاء في الاشتهار ونفوذ الكلمة بمنزلة لاتوصف، ومع اجتماعهم في الزمن وشدّة النفوذ منهم كان التمثيل يقع بمرئى منهم ومسمع ولا منكر منهم.

نعم صوّح كاشف الغطاء بأنّ الأولى ترك تشبيه الرؤوس وتشبيه النساء في محافل الرجال فحسب [1].

أرى كاشف الغطاء والسيّد الرشتي المذكور يمضيان ذلك ويمنعه أستاذهما بحر العلوم الطباطبائي أو أستاذه الوحيد

البهبهاني أستاذ الكلّ، أو العلاّمة المجلسي؟!

كلاّ ثمّ كلاّ.

إنّ السيّد محمدّ باقر المذكور كان ـ لنفوذ كلمته ـ يقتل القاتل، ويقطع يد السارق، ويرجم الزاني ويقيم سائر الحدود. وهو أوّل من أحرز لقب حجّة الاسلام في الشيعة، ومع ذلك لم ينكر ما يصنع في إيران من الأعمال الحسينية، وهي في جميع ذلك القطر الواسع تقع بنحو لايكون ما يقع في العراق كلّه إلاّ جزء من مائة جزء منه أو أقل.

1- انظر كشف الغطاء ١: ٥٤.

النجف وعمل الشبيه

تمتاز النجف ـ وهي مغرس علماء الشيعة ـ بعمل الشبيه عن جميع البلدان العراقيّة، وذلك أنّه كان في النجف ميدان واسع طولاً وعرضاً، لو اجتمع فيه أهل البلدة جميعاً يومئذ لوسعهم، قد أكلته العمارة اليوم ولم يبق منه إلا خطّ طولي وهو شارع محدود.

كان هذا الميدان ـ من أزمنة قديمة ـ محلاً لإقامة الشبيه في عشرة أيام من شهر المحرّم، ويقوم بتمثيل واقعة الطفّ جماعة كثيرة من أهل المعرفة، فيمثّلون كلّ يوم نبذة ممتعة من تلك الواقعة، إلى اليوم العاشر.

ودام هذا إلى أيام المحقّق الشيخ مرتضى الأنصاري [1]، والسيّد علي آل

---

1 - الشيخ مرتضى ابن الشيخ محمّد أمين الأنصاري التستري النجفي، كان رحمه الله فقيهاً أصولياً متبحراً في الأصول، لم يسمح الدهر بمثلة، كان أهل زمانه يضربون به المثل في زهده وتقواه وعبادته وقداسته. حضر على أعلام عصره كالسيّد محمّد المجاهد وشريف العلماء والشيخ موسى ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ثمّ استقلّ بالتدريس، وأطبقت الشيعة الإمامية على تقليده في شرق الأرض وغربها، ألّف عدّة كتب منها: المكاسب، كتاب الطهارة، الصلاة، الصوم، الزكاة، الخمس، الفرائد في علم الأصول، أصول الفقه. مات رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٢٨١ هـ.
انظر: معارف الرجال ٢: ٣٩٩.

بحر العلوم [1]، وسائر السلف الصالح من آل كاشف الغطاء وصاحب الجواهر، حتّى أوائل أيام الرئاسة الكبرى للسيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي [2] نزيل سامراء.

ثمّ ترك هذا التمثيل لتعمير الحكومة قسماً كبيراً من ذلك الميدان، ولغير ذلك، وصار التمثيل ما هو الجاري الآن في أيامنا هذه.

أمّا مواكب السيوف ولطم الصدور في الطرقات فحدّث عنها ولا حرج، كثرة واستدامة، مع أنّ النجف من بين سائر البلدان مازالت منقسمة بين فئتين

---

1 - السيّد علي ابن السيّد رضا ابن السيّد محمّد مهدي آل بحرالعلوم الطباطبائي النجفي، عالم محقّق وفقيه، برع في فقاهته مع غور واسع في علم الأصول، وكان رحمه الله كثير الجدّ والاشتغال في المسائل الفقهية، تلمّذ على فضلاء عصره كالشيخ علي نجل الشيخ الأكبر كاشف الغطاء، والشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر، والشيخ ملاّ مقصود علي، وتخرج من عالي دروسه عدد كبير من

الفضلاء، وألّف عدّة كتب منها: البرهان القاطع، كتاب الصوم، المكاسب، توفّي في النجف الأشرف سنة ١٢٩٨ ودفن فيها.
انظر معارف الرجال ٢: ١٠٧.

2 - السيّد الميرزا محمّد حسن ابن السيّد ميرزا محمود الشيرازي، كان رحمه الله فقيهاً أصولياً، ورعاً زاهداً، حضر درس الشيخ مرتضى الأنصاري، ثمّ استقلّ بالتدريس، وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء والمجتهدين، هاجر إلى سامراء واستقرّ بها مع جمع غفير من تلامذته، وهو صاحب الفتوى المعروفة بتحريم التنباك، توفّي في سامراء سنة ١٣١٢ هـ. ودفن في مقبرته الخاصة في صحن أميرالمؤمنين(عليه السلام) في النجف الأشرف.
انظر معارف الرجال ٢: ٢٣٣.

متقابلتين بل فئات كثيرة، وكثيراً ما يحدث الحراك فيما بينهم، ولكنّه لم يوجب منع العلماء إياهم من إقامة الشعائر، نعم ربما منعتهم الحكومة محافظة على الأمن العام حتى تتكفّل الرؤساء بعدم حدوث شيء من ذلك.

السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي نزيل سامراء، وهو الذي انتهت إليه رئاسة الإماميّة في عصره في جميع العالم، وعدّ مجدّداً للمذهب الجعفري على رأس القرن الثالث عشر – كما أنّ الوحيد البهبهاني محمّد باقر بن محمد أكمل مجدده في القرن الثاني عشر – قد كان أنفذ كلمةً على عموم الشيعة، ملوكها وسوقتها من كلّ سابق ولاحق، وقد يوجد اليوم في كلّ بلدة كثير ممّن يعرف اشتهاره ونفوذه، وكان مع علمه بوقوع الشبيه وخروج المواكب وما يحدث فيها من حوادث، وبضرب القامات والسيوف في بلدان الشيعة في العراق وإيران، وعدم وقوع الإنكار منه أصلاً، تقام جميع الأعمال المشار إليها في سامراء محلّ إقامته نصب عينيه بلا إنكار.

قد يظنّ الظانّ لأوّل وهلة أنه قدّس الله سرّه لا يرى رجحان ذلك بالنظر إلى حال محيطه; لأن جمّيع من في البلدة – عدا القلاء . من غير الفرقة الجعفريّة وفيها أخلاط من غير المسلمين، وفي ذلك مجال الاستهزاء والسخرية.

وقد سألت كثيراً ممّن كان يقطن سامراء في أيامه، فكان أقلهّم مبالغة في تعظيمه لشأن المواكب والشبيه، شيخنا المتقن المتفنّن الشيخ محمّد جواد البلاغي النجفي [1] وعنه أنقل ما يلي:

1 - «الشيخ جواد - محمّد جواد ـ ابن الشيخ حسن ابن الشيخ طالب البلاغي، ركن الشيعة وعمادها، وعزّ الشريعة وسنادها، صاحب القلم الذي سبح في بحرالعلوم، الناهل من موارد المعقول والمنقول، كم صحيفة حبّرها وألوكة حرّرها، وهو بما حبّر فضح الحاخام والشماس، وبما حرّر ملك رقّ الرهبان والأقساس، كان مجاهداً بقلمه طيلة عمره، وقد أوقف حياته في الذّب عن الدين ودحض شبه الماديين والطبيعيين، فهو جنّة حصينة ودرع رصينة».
حضر على أعلام عصره كالشيخ محمّد طه نجف، والشيخ آقا رضا الهمداني، والآخوند الخراساني، والميرزا الشيخ محمّد تقي الشيرازي.
وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء. له عدّة مؤلّفات منها: الرحلة المدرسية، الهدى إلى دين المصطفى، أنوار الهداية، نصائح الهدى، أعاجيب الأكاذيب، أجوبة مسائل كثيرة، آلاء الرحمن في تفسير القرآن. مات رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٥٢هـ .
انظر ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦١.

«كان الشبيه يرتّب يوم العاشر في دار الميرزا قدّس سرّه ثم يخرج للملأ مرتبا، وكذلك موكب السيوف، كان أهله يضربون رؤوسهم في داره ثمّ يخرجون، وكانت أثمان أكفانهم تؤخذ منه، وما كان أفاد الشبيه سوى الفضلاء من أهل العلم; لعدم معرفة غيرهم بنظمه في قول وفعل.

وأمّا المواكب اللاطمة في الطرقات فكانت تتألف من أهل العلم وغيرهم، وكان السيّد مهدي صاحب الصولة يومئذ أحد الطلبة اللاطمين جزء المواكب، متجرّداً من ثيابه إلى وسطه، وهو من دون اللادمين مؤتزر فوق ثيابه بإزار أحمر.

ودام هذا كلّه بجميع ما فيه إلى آخر أيّام خلفه الصالح الورع الميرزا محمّد تقي الشيرازي [1] قدّس سرّه، وكان الشبيه يرتّب

أيضاً في داره، ومنه تخرج

1 - الشيخ ا لميرزا محمّد تقي ابن الميرزا محبّ علي الشيرازي الحائري، زعيم الثورة العراقية الكبرى، كان رحمه اللّه عالماً فقيهاً أصولياً، ورعاً زاهداً، حضر على أستاذه السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي وغرف من منهل علمه الجمّ وبحر جوده الفيّاض، كما تتلمذ على الشيخ محمّد حسين الأردكاني والسيّد علي نقي الطباطبائي الحائري. وتخرّج من عالي دروسه عدد من الفضلاء، وله عدّة مولّفات منها: حاشية على المكاسب، ورسالة في أحكام الخلل، وأخرى في صلاة الجمعة، وشرح منظومة السيّد صدر الدين العاملي في الرضاع، وله شعر عربي وفارسي. توفّي رحمه الله في كربلاء المقدّسة سنة ١٣٣٨ ودفن فيها.
انظر معارف الرجال ٢: ٢١٥.

المواكب وإليه تعود، بيد أنّ موكب السيوف لم يتألف غير مرّة; لأن ّالقائمين به .وهم الأتراك لاغيرهم .كانوا يومئذ قليلين ولقلّتهم استحقروا موكبهم فتركوه من تلقاء أنفسهم». انتهى كلامه.

وإن بعد عليك عهد الشيخ الأنصاري والسيّد الشيرازي، فهذا بالأمس الأقرب الورع الشيخ محمّد طه نجف [1] قدّس سرّه، يرى في النجف بل العراق جميع الأعمال المشار إليها وهو أقدر على المنع فلا يمنع.

1- الشيخ محمّد طه ابن الشيخ مهدي نجف التبريزي الحكم آبادي، هو قطب دائرة الشريعة الذي زهرت في أفق الدهر أيامه، ومنار علم الإمامية الذي خفقت في الآفاق أعلامه، من انتهت إليه الزعامة، وأقرّ له المجتهدون أهل التحقيق بالإمامة، درّة إكليل الفضل والشرف، الفقيه الأصولي الرجالي، التقي الورع الزاهد العابد، المرجع الأعلى، من رجع إليه المسلمون في العراق وإيران والسواحل والبنادر وجملة من الأقطار العربية، وتتلمذ على أفاضل عصره كالشيخ محسن خنفر، والسيّد حسين الكوهكمري، وحضر قليلاً على الشيخ مرتضى الأنصاري. وتخرّج من عالي دروسه عدّة من الأفاضل. خلّف مجموعة من المؤلّفات منها: الانصاف في مسائل الخلاف، كتاب الزكاة، كتاب النكاح، الدعائم في الأصول، إتقان المقال في أحوال الرجال، إحياء الموات في أحوال الرواة، ورسائل كثيرة متنوعة. توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٢٣ هـ ودفن فيها.
معارف الرجال ٢: ٣٠٠.

إنّ المواكب جميعاً حتىّ موكب القامات تدخل إلى داره –وهي بتلك الهيئات المنكرة على ما يقول – [1] وهو لا يحرّك شفته بحرف من المنع، بيد أنّه يلطم معهم ويبكي وهو واقف مكانه.

وكان الشيخ المذكور يقيم مآتم الحسين(عليه السلام) في داره عصراً فتغصّ بالعلماء والصلحاء و أهل الدين، وفي يوم معينّ من كلّ سنة يقع في المأتم نفسه تمثيل بعض وقائع الطفّ،ولا منكر منه ولا منهم،وهب أنهّ لايستطيع تعميم المنع، لكنه ّيستطيع منع أن يصنع ذلك في داره، أو أن تدخل المواكب داره وهو يعلم أنّه قد يتقاتل ويتضارب أهل المواكب في الطرقات.

وكذا العلاّمة المتقن المتبحّر السيدّ محمدّ آل بحر العلوم الطباطبائي [2] ، تقام في داره أعظم وأفخم مآتم النجف، ويحضره جميع أهل العلم، ويقع فيه التمثيل الذي يقع في دار الشيخ وزيادة.

1- إشارة لقول السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩١ ; إذ قال فيها: «فنسأل اللّه سبحانه التفضّل عليهم برفض ما قد تعوّدوه في اللطم من المحرّمات، وسيرهم على الهيئات المنكرة من الوثبات والزعقات الوحشية».
2 - السيّد محمّد ابن السيّد محمّد تقي ابن السيّد رضا ابن السيّد محمّد مهدي بحرالعلوم الطباطبائي النجفي، كان عالماً محقّقاً، باعه في الفقه طويل، ونظره في أصول الفقه صائب جليل، وتحقيقاته في علم المعقول والكلام مشهورة، نال في أواسط أيامه حفاوة وسعادة وكرامة، وكان شهماً جواداً غيوراً. حضر على أساتذة عصره كالشيخ ملاّ باقر الشكي، والسيّد الكوهكمري، والسيّد علي صاحب ا لبرهان القاطع. له عدّة مؤلّفات منها: بلغة الفقيه، وتعليقة على كتاب الشرائع. توفّي رحمه اللّه في النجف الأشرف سنة ١٣٢٦ هـ ودفن فيها.
معارف الرجال ٢: ٣٨١.

هذا غير كون الدار المذكورة موئلاً لجميع المواكب، وبها تضرب أرباب السيوف رؤوسها من لدن أيام السيّد علي بحر العلوم [1] أو قبله حتّى اليوم، ومنها تخرج إلى الشوارع والبيوت والجواد [2] العموميّة وإليها تعود بلا إنكار ولا استيحاش.

وإن بعد عليك هذا العهد القريب أيضاً، فهذا المرحوم خاتمة الفقهاء السيّد محمّد كاظم اليزدي [3] ، الذي كانت له السلطة الروحانيّة الفذّة في عموم الشيعة،

---

1 - السيّد علي ابن السيّد رضا ابن السيّد محمّد مهدي بحرالعلوم الطباطبائي النجفي، عالم محقّق وفقيه، برع في فقاهته مع غور واسع في علم الأصول، وكان كثير الجدّ والاشتغال في المسائل الفقهية، وله اليد الطولى في الأدب والشعر. تتلمذ على فقهاء عصره كالشيخ على ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر، والشيخ علي ملاّ مقصود، وتخرّج من عالي دروسه عدد من الأفاضل.
وله عدّة مؤلّفات منها: البرهان القاطع، وكتاب الصوم. توفّي رحمه في مدينة النجف الأشرف سنة ١٢٨١ هـ ودفن فيها.
معارف الرجال ٢: ٣٨١.

2- الجواد، جمع الجادّة، وهي معظم الطريق. الصحاح ٢: ٤٥٢ «جدد».

3 - السيّد محمّد كاظم ابن السيّد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي النجفي، نال رحمه الله رئاسة واسعة النطاق خصوصاً في أيامه الأخيرة، بل أصبح الفقيه الأعظم والزعيم المطلق الذي لايدانيه أحد، وكان بحراً متلاطماً علماً وتحقيقاً ومتانة. مستحضراً للفروع الفقهيّة ومتون الأخبار. وكان رحمه الله مرجعاً عاماً تأتي إليه الاستفتاءات من جميع الأقطار الإسلامية، وكان ملحوظاً عند السلطة الحاكمة آنذاك، لما له في نفوس المسلمين من الإطاعة والنفوذ. حضر على أساتذة عصره كالشيخ مهدي ابن الشيخ علي نجل كاشف الغطاء والشيخ راضي النجفي والمجدّد السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي، وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من الفضلاء. وله عدّة مؤلّفات منها: حاشيته على مكاسب الشيخ الأنصاري، وكتاب في اجتماع الأمر والنهي، ورسالة عملية كثيرة الفروع أسماها العروة الوثقى، وحاشية على تبصرة العلاّمة ـ توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٣٧ ودفن فيها.
معارف الرجال ٢: ٣٢٦.

كانت التمثيلات تقام نصب عينيه والمواكب تخترق الشوارع بين يديه، ولم يؤثر عنه منع شيء من ذلك وهو بمكان من ثبات الرأي ونفوذ الكلمة.

وإن رمت عهداً أقرب من هذا فليس هو إلاّ يومك الذي أنت فيه، انظر إلى علماء الجعفرية في كل مّكان تجدهم وهاتيك الأعمال الحسينية كلاً أو بعضاً بمنظر منهم ومشهد، لا ينبسون ببنت شفة من الإنكار مع إمكانه.

وبما أنّ العراقيين منهم ابتلوا بالسؤال عن تلك الأعمال في هذه الأيام، ظهرت فتاواه مطبوعة وغير مطبوعة وهي مفصلة، ولم يكن من قبلها للإفتاء عين ولا أثر; لعدم الحاجة إليه في موضوع ما كان يدور في الخلدان أن يقع موقع سؤال وتشكيك.

ولا شكّ أن الصحف السائرة والمنشورات الدائرة أقرأتك فتوى سيدّنا وملاذنا حجة الإسلام ومرجع الخاص والعام، العالم العامل الرباني السيّد أبوالحسن الأصفهاني [1] دام علاه، المتضمّنة لإمضاء جميع التذكرات الحسينية

---

1 - السيّد أبوالحسن ابن السيّد محمّد ابن السيّد عبدالحميد الموسوي الأصفهاني، عميد الشيعة في وقته، وحامل لواء الشريعة، الرئيس المطاع، والذي أصبح معاصروه من العلماء والفقهاء العظام لايذكرون في أيّامه بالنظر الأولي عند عموم الناس، وكانت تجبى إليه الأموال من الحقوق الشرعية من جميع الأقطار الشيعية الإمامية بل من كلّ صقع كالسيل المنحدر من أعلى الجبل. حضر على أساتذة عصره كالميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ الملاّ محمّد كاظم الآخوند الخراساني، وله عدّة مؤلّفات منها: رسالة عملية لمقلّديه اسمها «وسيلة النجاة»، وحاشية على العروة الوثقى، وشرح على كفاية الأصول، وعدّة رسائل، توفّي رحمه الله في الكاظمية المقدّسة سنة ١٣٦٥ هـ، ودفن في النجف الأشرف.
معارف الرجال ١: ٤٦.

على الإجمال.

واليوم قد تمثّلت أمام عينيك رسالتي هذه، تطالع فيها الفتوى المفصلة التي جاد وأجاد بها بقية السلف من العلماء الأعلام،

شيخنا العلاّم آية الله في الأنام الميرزا محمدّ حسين الغروي النائيني [1] أدام الله فضله، وبما أنّ افتاءه سلمّه الله موجهّ إلى المؤمنين عامة وأهل البصرة خاصة; لأنّهم المستفتون، فأنا أنشره بنصّه فيما يلي.

قال دام ظلّه:

---

1 - الشيخ الميرزا حسين - محمّد حسين ـ الأصفهاني النجفي المعروف بالنائيني، عالم جليل مدّقق، صاحب التنقيب والتحقيق، أصولي فقيه، له الآراء السديدة في علمي الأصول والفقه، متين في الحكمة والفلسفة، وله الأدب الواسع في اللغتين العربية والفارسية، وكان مرجعاً للتقليد يرجع إليه الكثير من الوجوه والتجار والأعيان. حضر على فضلاء عصره كالميرزا السيّد محمّد حسن الشيرازي، والسيّد محمّد الأصفهاني ، والسيّد إسماعيل الصدر، والشيخ الملاّ محمّد كاظم الخراساني. وقد تخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء إذ ربّى جمهرة من العلماء والأفاضل وغذّاهم بعلمه الغزير، وله مؤلّفات عديدة منها: تعليقة على العروة الوثقى، تقريرات في الأصول ورسالة في السياسة. توفي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٥٥ هـ ودفن فيها.
معارف الرجال ١: ٢٨٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى البصرة وما والاها

بعد السلام على إخواننا الأماجد العظام أهالي القطر البصري ورحمة الله وبركاته.

قد تواردت علينا في الكوادة الشرقيّة ببغداد برقياتكم وكتبكم المتضمنّة للسؤال عن حكم المواكب الغوائية وما يتعلقّ بها، وإذ رجعنا بحمد الله سبحانه إلى النجف الأشرف سالمين، فها نحن نحرّر الجواب عن تلك السؤالات ببيان مسائل:

الأُولى: خروج المواكب في عشرة عاشوراء ونحوها إلى الطرق والشوارع ممّا لاشبهة في جوازه ورجحانه، وكونه من أظهر مصاديق ما يقام به عزاء المظلوم، وأيسر الوسائل لتبليغ الدعوة الحسينيّة إلى كلّ قريب وبعيد، لكن اللازم تنزيه هذا الشعار العظيم عمّا لايليق بعبادة مثله من غناء أو استعمال آلات اللهو أوالتدافع في التقدمّ أو التأخرّ بين أهل محلتين ونحو ذلك، ولو اتّفق شيء من ذلك فذلك الحرام الواقع في البين هو الحرام، ولا تسري حرمته إلى الموكب الغوائي ويكون كالنظر إلى الأجنبية حال الصلاة في عدم بطلانها به.

الثانية: لاإشكال في جواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور حدّ

الإحمرار والإسوداد، بل يقوى جواز الضرب بالسلاسل أيضاً على الأكتاف والظهور إلى الحدّ المذكور، بل وإن أدىّ كل من اللطم والضرب إلى خروج دم يسير على الأقوى.

وأمّا إخراج الدم من الناصية بالسيوف والقامات فالأقوى جواز ما كان ضرره مأموناً، وكان من مجردّ إخراج الدم من الناصية بلا صدمة على عظمها، ولا يتعقّب عادة بخروج ما يضرّ خروجه من الدم ونحو ذلك، كما يعرفه المتدربّون العارفون بكيفية الضرب.

ولو كان عند الضرب مأموناً ضرره بحسب العادة، ولكن اتفّق خروج الدم قدر ما يضرّ خروجه، لم يكن ذلك موجباً لحرمته، ويكون كمن توضّأ أو اغتسل أو صام آمناً من ضرره ثم تبينّ تضررهّ منه.

لكن الأولى بل الأحوط أن لايقتحمه غير العارفين المتورّعين،ولا سيما الشبان الذين لايبالون بما يوردونه على أنفسهم لعظم المصيبة وامتلاء قلوبهم من المحبّة الحسينيّة، ثبتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

الثالثة: الظاهر عدم الإشكال في جواز التشبيهات والتمثيلات التي جرت عادة الشيعة الإماميّة باتّخاذها لإقامة العزاء والبكاء والإبكاء منذ قرون وإن تضمّنت لبس الرجال ملابس النساء على الأقوى، فإنّا وإن كنّا مستشكلين سابقا في جوازه وقيدنا جواز التشبيه في الفتوى الصادرة عنّا قبل أربع سنوات بخلوّه عن ذلك، لكنّا راجعنا المسألة ثانيا،وّاتضّح عندنا أن المحرّم من تشبيه الرجل بالمرأة هو ما كان خروجاً عن زيّ الرجل رأساً وأخذا في زيّ النساء، دون ما إذا تلبّس بملابسها مقدارا منً الزمان بلا تبديل لزيّه، كما هو الحال في هذه التشبيهات، وقد استركنا ذلك أخيراً في حواشينا على العروة الوثقى، نعم يلزم تنزيهها عن المحرّمات الشرعيّة وإن كانت على فرض وقوعها لاتسري حرمتها

إلى التشبيه كما تقدّم.

الرابعة: الدمّام المستعمل في هذه المواكب ممّا لم يتحقّق لنا إلى الآن حقيقته، فإن كان مورد استعماله هو إقامة العزاء، وعند طلب الاجتماع، وتنبيه الركب على الركوب، وفي الهوسات العربيّة،ولا يستعمل في ما يطلب فيه اللهو والسرور – كما هو المعروف عندنا في النجف الأشرف – فالظاهر جوازه والله العالم. انتهى بنصّه حرفياً.

أمّا ما يقع في كربلاء أيام شريف العلماء [1] أستاذ العلاّمة الأنصاري، ثمّ في أيام الفاضل الأردكاني [2].

1 - الشيخ ملاّ محمّد شريف بن حسن علي المازندراني، المعروف بشريف العلماء الحائري، ولد في الحائر الحسيني ونشأ به، العالم المحقّق والأصولي القدير المدقّق، المدرّس الأوّل في كربلاء، وكان متكلّماً فيلسوفاً بارعاً بأصول المتأخّرين، كان يحضر مجلس درسه ألف رجل أو يزيد بين عالم وفاضل، وكلّهم من أهل التحقيق، وجلّهم صاروا مراجع تقليد. تتلمذ على أفاضل عصره كالسيّد علي الطباطبائي صاحب الرياض، وعلى ولده السيّد محمّد المجاهد صاحب المفاتيح، وعلى الشيخ علي كاشف الغطاء صاحب الخيارات، وتخرّج من عالي دروسه عددً كبير من العلماء والفضلاء، توفّي رحمه الله في كربلاء المقدّسة سنة ١٢٤٥هـ ودفن فيها.
معارف الرجال ٢: ٢٩٨.

2 - الشيخ حسن الأردكاني عالم متقن معروف بالفقاهة، وكان كاتباً أديباً، توطّن كربلاء في منتصف القرن الثالث عشر الهجري وكان مدرّساً وحيداً في كربلاء، تجتمع عليه حلقة واسعة من أهل الفضل والتحقيق والكمال، تخرّج عليه علماء أفاضل، منهم: العالم الفاضل الشيخ عبدالله المازندراني والشيخ علي ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عباس الخاقاني النجفي. وألّف حاشية على نجاة العباد لصاحب الجواهر توفّي رحمه الله سنة ١٣٣٢ هـ .
معارف الرجال ١: ٢٤٦.

والشيخ زين العابدين المازندراني [1] . وفي الكاظمية أيّام العلاّمة الأورع أبي ذر زمانه الشيخ محمدّ حسن آل يس [2] بل حتى أيام السيّد محسن الأعرجي الكاظمي [3] . وفي الحلّة منذ عهد العلاّمة . الذي قلّ أن يأتي له الدهر بنظير . السيدّ

1 - الشيخ زين العابدين ابن الملاّ مسلم المازندراني النجفي الحائري، هاجر إلى العراق، وأقام في مدينة النجف الأشرف أولاً وصار عالماً مجتهداً له الباع الواسع في علمي الأصول والكلام، ثمّ انتقل إلى كربلاء المقدّسة وعقد مجلساً للتدريس فصار يحضر درسه وجوه أهل الفضل والتحقيق وصار مرجعاً للتقليد في كربلاء، رجع إليه في التقليد الكثير من أهلها، تتلمذ على الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر، والسيّد إبراهيم القزويني، وألّف في الإصول كتاباً مبسوطاً، وفي الفقه كتاب زينة الصاد، وهو شرح لكتاب شرائع الإسلام. توفّي رحمه الله سنة ١٣٠٩ هـ في كربلاء المقدسة ودفن فيها.
معارف الرجال ١: ٢٣١.

2 - الشيخ محمّد حسن بن ياسين بن محمّد علي الكاظمي، العالم العامل، الفقية المقدّس، العابد الثقة الأمين، والعدل المؤتمن، كان محقّقاً في علم الأصول والحديث والرجال، صار مرجعاً للتقليد في بغداد وضواحيها، ورجع إليه أيضاً البعض من مدن العراق. حضر على أساتذة عصره كالشيخ محمّد حسين صاحب الفصول، وشريف العلماء المازندراني، والشيخ علي صاحب الخيارات، والشيخ حسن صاحب أنوار

الفقاهة، والشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر. وتتلمذ عليه عدد من الفضلاء. ألّف كتاب الأسرار النجفية في الفقه، ورسالة في حقوق الوالدين، وأخرى في البداء، وثالثة في اختلاف الأفق. توفّي رحمه الله في الكاظمية المقدّسة سنة ١٣٠٨ هـ ودفن في مدينة النجف الأشرف.
معارف الرجال ٢: ٢٣١.

3 - السيّد محسن ابن السيّد حسن ابن السيّد مرتضى الحسيني الأعرجي الكاظمي، كان من العلماء المحقّقين والفقهاء المقدّسين الزاهدين العابدين، وكان أديباً شاعراً له نظم كثير. تتلمذ على الآقا محمّد باقر البهبهاني والسيّد محمّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي، والشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي، وتتلمذ عليه عدد من الفضلاء، وألّف كتاب الرسائل في الفقه في عدّة مجلّدات، وكتاب ا لمحصول، والوافي، وشرح مقدّمات الحدائق، والعدّة في الرجال. توفّي في الكاظمية المقدّسة سنة ١٢٢٧ هـ ودفن فيها.
معارف الرجال: ٢: ١٧١.

مهدي القزويني [1] إلى الآن، فإنّي لا أطيل بذكره; لأنّه يوجب الخروج عن وضع الرسالة.

والتمثيل وإن لم يقع في الحلّة حتى الآن على ما أظنّ، لكن المواكب اللاطمة في الطرقات ليلاً ونهاراً، مع دوام المقاتلة والمضاربة بين أهل المحلاّت المتناوة فيها ممّا ليس لأحد إنكارها، ولم يكن السيدّ مهدي المذكور ولا أحد من أبنائه المحترمين منكراً لعمل ومحرّماً خروج موكب حتى اليوم، على أن أهل البلدة ومن حولها أطوع لهم من الظل لذّي الظل.

أوى السيّد مهدي القزويني المذكور أوكل الإنكار إلى سميّه البصري فقام

1 - السيّد مهدي ابن السيّد حسن ابن السيّد أحمد الحسيني، الشهير بالقزويني النجفي الحلّي، كان عالماً جامعاً ضابطاً، من عيون الفقهاء الأصوليين، شيخ الأدباء والمتكلّمين، ووجهاً من وجوه الكتّاب والمؤلفين، الثقة العدل الأمين الورع. تتلمذ على الشيخ موسى والشيخ علي والشيخ حسن أنجال الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي وعلى عمّه السيّد باقر القزويني، وتتلمذ عليه عدد من الفضلاء. وله مؤلّفات كثيرة منها: القواعد الكلّية الفقهية، ومواهب الأفهام في شرح شرائع الاسلام، وكتاب الطهارة، ونفائس الأحكام وشرح اللمعة الدمشقية، والمهذب في الأصول. توفّي رحمه الله سنة ١٣٠٠ هـ ; بالقرب من مدينة السماوة العراقيّة بعد عودته من حجّ بيت الله الحرام، ودفن في مدينة النجف الأشرف.
معارف الرجال ٣: ١١٠.

يفتي ويحكم، وهو وكلّ أحد يعلم أنّ تعرّض غير أهل الفتوى للإفتاء فسق ومعصية موبقة.

إنّ دام هذا ولم تحدث له غيرٌ
لم يبك ميّتٌ ولم يفرح بمولود [1]

1 - بيت شعر مشهور، يستشهد به الكثير من الأدباء، والشعراء، ورد بصيغ متعدّدة، ذكره السيوطي في «الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار» قائلاً: «قال القالي في أماليه: أنشدني ابن دريد قال: أنشدني الحسن بن خضر قال: أنشدني رجل من أهل البصرة قال: أنشدني أبو هلال:

هذا الزمان الذي كنّا نُخاذره ... في ما يحدّث كعب وابن مسعودِ
وإن دامَ ذا العيش لم يُحزن على أحد ... ممّن يَموت ولم يُفرح بمولودِ

وورد بصيغ أُخرى منها:

هذا الزمانُ الذي كُنّا نُحاذره ... وفي ما يحدّث كعب وابن مسعودِ
دهر به الحقُّ مردود بطالعهِ ... والطالعُ الكُفر فيهِ غيرُ مردودِ

... *** فإن يمضي هذا الزمان ولم يُحدث له غير *** لم يُبك ميّت ولم يُفرح بمولود وورد اسم «عمر» بدل «كعب» في بعض الأبيات.

خاتمة مسكيّة

الأئمّة سلام الله عليهم نورهم واحد وطينتهم واحدة وإن تفاوتوا في الفضل ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾[1].

ولكن للشيعة علاقة خاصة بالحسين(عليه السلام) لاتشبه علاقتهم بمن هو أفضل منه، وتلك من خصوصيّات الحسين(عليه السلام) التي لاتنافي أفضلية غيره منه، فإنّ للتفاوت في الفضيلة مقام وللخصوصيّة مقام آخر، وقد عوّضه الله جل شأنه عن شهادته بخصال: منها المحبّة في القلوب، ومنها كونه وسيلة النجاة.

إنّ محبة الحسين(عليه السلام) والرقّة عليه فطرية، حتى من غير الجعفرية، ولكن لهؤلاء – حتى أبسط البسطاء منهم – علاقة خاصة به لم تأت لهم من قبل سماع واطلاع، بل غوزة وارتكاز، فلذلك تجدهم يتفننون في التعلّق به بإيجاد أسباب لم تعرف من قبلهم ولم يدركها أحد سواهم، توصّلاً إلى إحياء ذكره، وتعلقاً بسبب منه يوجب البركة عليهم في الدنيا والعقبى، وتراهم من صميم قلوبهم يعلّقون آمال نجاتهم من وزر الخطايا به أكثر ممّن هو أشرف منه وأفضل.

1- التوبة (٩): ٣٦.

وكما أنّ هذا فطري فيهم، فكذلك هم مفطورون على أنّه بمقدار حزنهم على الحسين وسائر الأئمة عليهم السلام واظهار مظلوميّتهم، يكون تكفير سيئاتهم وارتفاع درجاتهم، والمتعمق في الأسرار المتتبع للأخبار يحصل له – بتتبعه وتعمقه – الجزم بأنّ ما تفعله الشيعة من ضروب مظاهر الحزن هو دون الحقّ الثابت في مصاب الحسين(عليه السلام)، وأنّه لو كان فوقه شيء لكان راجحاً في سبيل ذلك المصاب الهائل وإن استهزأ به وسخر الجاهلون.

فلندع الشيعة وما يفعلون في شأن أئمّتهم في حزنهم وفرحهم ما لم يفعلوا في ذلك الشأن العظيم محرّماً، فإنه علينا حينئذ المنع عن ذلك المحرّم فحسب وردعهم عنه، ولا نتعرّض لجلّ ما يقومون به من مظاهر الحزن والفرح بشيء، فقد قال الصادق (عليه السلام) في حقّهم:

«شيعتنا منّا، خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، يصيبهم ما أصابنا وتبكيهم أوصابنا، يحزنهم حزننا، ويسرّهم سرورنا. ونحن أيضاً نتألّم لتألمهم، ونطلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا، ونحن معهم لانفارقهم».

ثمّ قال: «اللهمّ إنّ شيعتنا منا، فمن ذكر مصابنا، وبكى لأجلنا استحى الله أن يعذبه بالنار»[1].

وعلى هذا الخبر الشريف العالي المضامين أختم رسالتي هذه، وبالختام تتميماً للمقال أذكر أموراً مهمة:

1- منتخب الطريحي: ٦٨، وعنه في الخصائص الحسينية للتستري: ١١٦.

الأمر الأوّل

بكلّ صراحة أقول: إنّ علةّ تحريم الشبيه وخروج المواكب اللاطمة والضرب بالقامات عند صاحب المقالة ليس هو ما ذكره من السفاسف، كيف والمقاتلة التي هي علّة تحريم اللطم في الطرقات اتفاقية نادرة، وليست بلازمة ولا مقصودة لأهل الموكب غالباً.

وموت الجماعات في كلّ سنة . الذي هو علةّ تحريم موكب السيوف . قد عرفت أنهّ قوية صريحة.

والسخرية . التي هي علّة تحريم الشبيه . كذلك، وعلى فرض تحققّها فهي لاتوجب الاستهزاء بدين الإسلام المنزهّ عن كل عائبة.

والأمور التي سطرّها . من إنكار الوثبات والرعقات، ومن كون اللطم محلّ المآتم لا الطرقات بحكم العقل والشرع . هي من التلفيقات الفارغة، ونسبة ذلك إلى العقل والشريعة فريّة أخرى، وهي عليه غير خفيّة.

ومن أكبر الشواهد على أنّ تحريمه لا لذلك . مضافاً إلى هذا . قوله في الصفحة ١٠ ما ملخّصه:

«بأنّه منذ خمس عشرة سنة كان أهل الكويت يخرجون الشبيه على التفصيل الذي سبق، فمنعتهم وصاروا من يومئذ يلطمون في المآتم ولا يخرجون،

وبذلك قطع دابر ما ربما ينجم من المحرّمات والفتن»[1] . انتهى.

فإنّه ليس في الكويت من يومئذ للآن[2] فئات متقابلة، ولا لهم محلاّت كثيرة متعادية تقع بين أهلها المناوشة والمنافسة حتى يحدث من خروجهم القتال فيما بينهم، إن هم إلاّ فئة من الأعاجم يشوبهم أخلاط من البحرانة وغيرهم ممنّ ليس له قوةّ المخاصمة والمنازعة لو كان له منافر ومنافس، كيف والسلطات القاهرة وسلطته الروحيّة هناك تحول بينهم وبين أن تحدث بينهم المقاتلة في مثل ذلك المحلّ الذي هو بالقرى أشبه منه بالبلدان الواسعة.

أمّا سخرية الأجانب فهي هناك معدومة، لقلةّ الأجانب يومئذ وعدم سخريتهم; لأنهّم من الذين لا يهمهّم من أمر الديانات شيء.

الذي أظنّه . وظنّ الألمعي يقين[3] . أنّ هذا الرجل يذعن بمسؤوليّة جميع ما سلف كما يومي إلى ذلك ما ذكرته ثمةّ، وانما يمنع من ظهور الشبيه والمواكب للملأ تأليفاً بين الفرق، وأن لا يظهر بعضهم بمظهر المخالف للبعض الآخر.

وقد فاته أن يلتفت إلى أنّ مورد المخالفة ليس جوهرياً، بعد وحدة الدين

---

1 - صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١ : ١٩١ ، ونصّ العبارة هو: «وقبل مضيي إلى الكويت كان أهلها يخرجون الشبيه على التفصيل الذي سبق، فلمّا علمت بذلك منعتهم منه، فأطاعوني وذلك في سنة الثلاثين، فصاروا يلطمون في المآتم ولايخرجون، وبذلك قطع دابر ما ربّما ينجم من المحرّمات والفتن».

2- أي سنة ١٣٤٥ هـ ، وهو تاريخ تأليف هذه الرسالة.

3- في الصحاح ٣: ١٢٨١ «لمع»: الألمعيّ: الذكيّ المتوقّد، قال أوس بن حجر:

الألمعيّ الذي يظنّ لك الظنّ كأن قد رأى وقد سمعا

وفي لسان العرب ١٢: ٣٣٠ «لمع»: الألمعيّ: الذي إذا لمع له أوّل الأمر عرف آخره، يكتفي بظنّه دون يقينه، وهو مأخوذ من اللمع: وهو الإشارة الخفيّة والنظر الخفيّ.

والاشتراك بالضروريات من أحكامه وغيرها ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[1].

إنّ التأليف الذي يقصده ـ بترك التظاهر بتلك المراسم ـ أمر مغروس في ذهنه منذ كان في الكويت، وهو اليوم يعالجه ولا يكاد يحيره، ولأجله يتشبث بالتهاويل ويذعن لتلك التمويهات والمفتريات.

وكأنّ هذا المنع عنده من باب الأمر بترك الراجح لما هو أرجح منه، لا من باب النهي عن المنكر وإن صدرّ مقالته بذلك، ولعلّه إلى هذا يرمز صاحب جريدة الأوقات العراقية[2]، إذ يقول نقلاً عن السيّد المذكور: إنّ تلك المواكب عامل من عوامل التفرقة ورمز يشير إليها.

وهذا إن كان من الناقل فهو اختلاس للحقّ، وإن كان من القائل فهو اشتباه; وذلك أنّ تلك المواكب وهاتيك الأعمال ليست مفرّقة بين المسلمين، نعم هي مظهر للفرق بين فرقهم، والفارق جليّ بين المفرّق بينهم وبين وجود الفارق. أجل التمثيل فارق، المواكب فارق، المآتم فارق، لبس السواد فارق. فارق وأيّ فارق، شابت عليها اللِمَم[3] والمفارق[4]، واعترف بفوائدها المصاحب والمفارق، فإن تكن هذه رموزاً فهي رموز لامتياز الشيعة عمّن سواهم، فلتكن تصريحات بدل كونها رموزاً، فإنّ الرمز بهذا المعنى سواء أكان هو أحد الأمور المذكورة أم

1- آل عمران (٣): ١٩.
2- في عددها ١٦٦١، كما صرّح بذلك الشيخ محمّد جواد الحجّامي في رسالته «كلمة حول التذكار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١٢: ٢٧١.
3- اللِمَم، جمع اللِمَّةُ: وهي الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن. الصحاح ٥: ٢٠٣٢ «لمم».
4- المفارقُ، جمع المَفْرِقُ، وهو وسط الرأس، الذي يُفرق فيه الشعر. الصحاح ٤: ١٥٤١ «فرق».

غيرها ممّا لابدّ منه.

إنّ المطلوب من المسلمين إزالة التعصّب المذهبي فيما بينهم، لا ترك الرسوم المذهبيّة عندهم، وشتان بين الأمرين، ومن اختلاطهما وقع الاشتباه، التعصّب المذهبي مظهر وقوع الشقاق بين المسلمين شقاقاً مذهبياً، ويقابله التساهل المذهبي المقتضي لإطلاق الحريّة لكلّ ذي مذهب من المسلمين أن يأتي بمراسم مذهبه بلا استياء ولا منازعة من أرباب المذهب الآخر، لا ترك الرسوم المذهبيّة. وثمرة هذا التساهل علوّ الإسلام باتجّاه كلمة المسلمين. وأين هذا من كون الفوارق المذهبيّة مفرّقة؟!

نعم، لو كانت تلك الفوارق توجب إخلال الجعفريّة بالواجب عليهم من رفع منار الإسلام، أو أنّها توجب تهجين المراسم المذهبيّة للفرق الأخرى، لكان حقاً لها أن تتعصبّ وتعتصب أمامها، ولكنها ـ مع كونها همجية كما يقولون[1] ـ لا تمسّ كرامة المذاهب بشيء ولا توجب الإخلال بأيّ واجب.

لقد مرّت أزمنة عديدة والجعفوية فيها يدعون في مآتمهم ومواكبهم إلى توحيد كلمة المسلمين، فما وجه دعواهم هذه ياترى في تلك الحال إذا كانت المواكب هي المفرّقة فيما بينهم؟!

1 - هذا ردّ على كلام السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل». (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩١ ونصّ عبارته هو:

«و أمّا الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحرّم; لما شاهدناه وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كلّ سنة; لكثرة نزف الدم. ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجي وحشي مثل الضرب بسلسلة من الحديد، ولم يرد دليل شرعي على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال ما فيها من ثمرة في التعزية».

أجل، إنّها فوارق مذهبيّة لا مفرقة لجماعتهم الملتئمة، فهذه الكلمة[1] إمّا بذر للتفرقة، أو وهم واشتباه.

وإذا شئت أن أريك التعصّب المذهبي ملموساً باليد، فتأمّل في ما أنقله لك عن المقرزي في خططه في الصفحة ٣٨٥ من الجزء الثاني منه، فإنّه بعد أن ذكر أنّ الملوك العلويين بمصر كانوا يتخّذون يوم عاشوراء يوم حزن تتعطل فيه الأسواق، قال: «فلمّازالت الدولة اتّخذ الملوك من بني أيوّب يوم عاشوراء يوم سرور، يوسعّون فيه على عيالهم، ويتبسطوّن في المطاعم ويصنعون الحلاوات، ويتّخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون، ويدخلون الحمام، جرياً على عادة أهل الشام التي سنهّا لهم الحجاّج في أيّام عبدالملك بن مروان، ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، الذين يتخّذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي(عليه السلام)، لأنّه قتل فيه». انتهى.

فيا أيّها الرامز إلى التفرقة في كلامه، والمريد للتأليف حسب الظنّ بمرامه، إن كنت تجد أعمال الجعفوية مهجنة للرسوم المذهبيّة لغيرهم من فرق المسلمين فلك الحقّ في الاستياء منها، وإن لم تكن كذلك . كما هو الواقع . فماذا يضرك منها، وما هو سبب الاستياء من إقامتها؟!

لو أنّ في طوائف المسلمين من لا يوالي الحسين(عليه السلام) ولا يقدّرشرفه ولا مظلوميتّه ولا قربه من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، لكان حقّه أن يستاء من إقامة تذكاراته، لكنّه سلام الله عليه ممنّ يشترك في ولائه جميع المسلمين، وعلى جميعهم الحقّ في إظهار مظلوميتّه والنوح عليه تقرباً إلى جده صاحب الشفاعة الكبرى(صلى الله عليه وآله وسلم)، فكيف

1- أي كلمة جريدة الأوقات العراقية في عددها ١٦٦١ التي نقلت كلام السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني.

تكون تذكاراته .وهو بتلك المثولة عند جميعهم .رمزاً إلى التفرقة بين جماعتهم وعاملاً من عواملها؟!

وقد كثر تحامل الصحف على الجعفريّة في أعمالهم الحسينية،وعسى أن يكون أصحابها هم المعنيّون في كلام صاحب المقالة، بأنّهم يسخرون ويستهزئون، بيد إنّه يسميّهم الأجانب،وهم في الحقيقة أقرب لاأجانب، قد وشجت بينهم وبين الجعفريّة من عروق الدين الإسلامي نوابضه ورواهشه [1] وشواكل قلبه،واشتبكت أواصر القرابة بينهم في الأعضاء الرئيسيّة من جسم دينهم الأقدس.

وهؤلاء في الحقيقة لا يسخرون بل يستاؤون وتتأثّر قلوبهم، ولو لم يكونوا قد أدركوا النكات الدقيقة العائدة بالنفع المذهبي على الجعفريّة من جميع هذه الأعمال – التي تعملها الشيعة في شهر المحرم في مآتم وموكب وتمثيل . لما استاؤوا، ولما جدّوا ليل نهار في رفعها ودرس أثرها.

1- الرواهش: عروق باطن الذراع. الصحاح ٣: ١٠٠٨ «رهش».

الأمر الثاني

إنّ بعض أهل التقشف يمنع من ضرب الطبول، ونفخ الأبواق، ودقّ الصنوج في المواكب وغيرها على الكيفيّة المرسومة في الغناء في النجف اليوم، وذلك . أي المنع . من الزّلاّت الناشئة عن خفاء هذه الموضوعات لديهم،ولا غرو فهذه موضوعات لايعرفها النسّاك.

الآلات الثلاث تارة يكون استعمالها على الكيفيّة التي يضرب بها اللهو والطرب، كما يستعمله أهله،وهذا لاريب في حرمته.

وتارة لايكون على تلك الكيفيّة، كالذي يكون في الحرب، وفي الغناء المرسوم،وهذا لو كان محرّما لَكان الضرب العبثي غير المنتظم محرّماً، وذلك مما لاينبغي لأحد أن يحتمله ولم يذهب ذاهب ممنّ يعتد بهّ من فقهائنا إلى حرمة جميع أنحاء استعمال آلات اللهو، فضلاً عن المشتركة بينه وبين غيره، على أيّ كيفيّة كان الاستعمال وفي أي حّال وقع.

وما ورد في أخبارنا . كالمروي عن النوفلي، عن السكوني، عن الصادق(عليه السلام): من نهي النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) عن الزفن [1] ،والمزمار،وعن الكوبات [2] ،

1- الزفن: الرقص. الصحاح ٥: ٢١٣١ «زفن».
2- الكوبة: الطبل المخصّر، معرّب. المصباح المنير: ٥٤٣ «كوب».

والكوبات [1] [2] ، . لم يحرز له إطلاق يشمل غير مورد الاستعمال اللهوي، بل الخبر الآتي [3] وغيره قرينة على أنّ المراد استعمال الآلات المذكورة لأجل اللهو والطرب على الكيفيّة التي يستعملها أهل الملاهي.

وليس المراد باللهو مطلق اللعب . كما لعلّه يتوهّمه من لا خبرة له . بل ما كان على سبيل البطر وشدّة الفرح، فإن اللعب والعبث . ولو لغرض عقلائي . ممّا لم يقل بحرمته أحد، إلاّ أن يكون شاذاً، وهو مع شذوذه محجوب بالأخبار الكثيرة.

قال شيخنا الإمام المرتضى الأنصاري قدّس سرّه: «الظاهر أنّ حرمة اللعب بآلات اللهو ليس من حيث خصوص الآلة، بل من حيث إنّه لهو».

والمراد باللهو هو ما ذكرناه كما صرّح به قبل ذلك وبعده.

ثمّ استشهد على ذلك بشواهد منها: رواية سماعة عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام)قال: «لمّا مات آدم شمت إبليس وقابيل به، فاجتمعا في الأرض، فجعل إبليس وقابيل المعازف والملاهي شماتةً بآدم، فكلّ ما كان في الأرض من هذا الضرب الذي يتلذّذ به الناس . من الزفن والمزمار والكوبات والكرات . فإنّما هو من ذلك»[4].

ثمّ قال: «فإنّ هذا يشير إلى أن المناط هو التلهيّ والتلذذ»[5].

1- الكبر: الطبل له وجه واحد. المصباح المنير: ٥٢٤ «كبر».
2- الكافي ٦: ٤٣٢ حديث ٧، وسائل الشيعة ١٧: ٣١٣ ـ ٣١٤ حديث ٦ باب ١٠٠ من أبواب ما يكتسب به.
3- وهو رواية سماعة الآتية.
4- الكافي ٦: ٤٣١ حديث ٣، وسائل الشيعة ١٧: ٣١٣ حديث ٥ باب ١٠٠ من أبواب ما يكتسب به.
5- المكاسب ٢: ٤٦.

أقول: وأنت إذا تأملت وجدت دقّ الصنج مثل التصفيق، بل هو تصفيق بآلة لا باليد، ورأيت ضرب الطبل المتعارف في الغناء كضرب الطشت، ولاريب في أنّ التصفيق والضرب بالطشت بدل الدفّ إذا استعملا للهوّ والطرب كان استعمالها محرّماً كما صرّح به الإمام الشيخ المرتضى أيضاً، مع أن الطشت ليس من آلات اللهو فضلا عن التصفيق، ولا بمنصوص عليه في الأدلّة، وما ذلك إلاّ لكونه مفيدا فائدة آلات اللهو.

وكذا الحال في الصنج والطبل إذا استعملا على تلك الكيفيّة كان استعمالهما حراماً، وإلاّ فلا وجه لحرمته البتة، ومن هذا القسم ما يستعمل في الغناء والمواكب والشبيه اليوم في النجف، ودعوى أنّ هذا من الملهي المطرب سخيفة جداً.

اللهو والطرب أمران يعرفهما الفسّاق لا النسّاك، ولا يقلدّ فيهما المجتهد إذا كان المقلد عالما بهما والمجتهد محتاطا; لعدم استفراغ وسعه في البحث عن الموضوع.

وهكذا الأمر في معنى الغناء، فإنّي لا أستبعد أنّ أولئك إذا سمعوا صوتاً رخيما وإن كان غير متقاطع ولا متناسق النغم حسبوه غناءً، وهذا خطأ، وأولى لهم أن يسألوا أهل الفسوق عن ألحانهم فإنّها الغناء لا غيرها.

إنّ من البديهي الوجداني أنّ ضرب الطبل ودق الصنج ونفخ البوق على الكيفية المرسومة في الغناء اليوم في النجف، مع إنّها لم يقصد بها اللهو والطرب، هي بنفسها لا لهو بها ولا طرب، وإنّما يقصد بها انتظام الموكب والإعلان بمسيره ووقوفه ومشايعة صوته لندبة أهل الموكب، فإنّ انتظامه يختلّ بخفاء أصوات النادبين، ولذلك تجدهم إذا اجتمعوا للطّم في دار أو مأتم لايضربون ولا يدقّون بشيء; لاستغنائهم حينئذ عن كلّ شيء.

وقد سمعتُ من غير واحد أنّ الصنّج المتعارف الآن قد أحدثه في الغناء العلامّة المجلسي أعلى الله مقامه في قوى إيران ; ليسمع أهل القوى القريبة منهم ويعلموا بإقامتهم الغناء، وكذا في البلدان ا لكبار لأجل تنبيه أهل المحلاّت جميعاً ; لأن الطبل الحربي الذي هو ا لمتعارف في الغناء لا شوع له في البلدان الإيرانية.

وهذا القدر وان كان كافياً في إثبات الجواز، لكن نظراً إلى أهمية تحققّ الحال في استعمال الآلات الثلاث المذكورة، فإنيّ أرجع إلى البحث عنها بطور آخر:

الطَبلُ

المعبّر عنه بلسان العامة (الدمام)، وهو موضوع العناية من الكلام، أماّ غيره مما قد يستعمل في بعض البلدان كالمسمىّ عندهم (نقّارة) فلاريب في حرمته.

ذكر العلاّمة في التذكرة [1] والمحقّق الثاني في جامع المقاصد [2] أقسام الطبول وعدّا منها: «طبل الحرب الذي يُضرب به للتهويل، وطبل القافلة الذي يضرب به للإعلام بالنزول والارتحال، وطبل العطّارين: وهو سفط لهم، وطبل اللهو وفسرّ بالكوبة».

ولكن نظراً إلى اشتراك الكوبة بين معان، بعضها ليس من أقسام الطبول، وبعضها الآخر طبل لهو كما ستعرفه، مثلّ له العلاّمة بما «يضرب به المخنثون من طبل وسطه ضيقّ وطرفاه واسعان» وقد صرحّوا بجواز استعمال ما عدا الأخير منها وبيعها وشرائها والوصيّة بها، وادعّى في التذكرة الإجماع على ذلك.

ولاريب أنّ هذه الطبول جميعاً يمكن أن يضرب بها ضربا لهويا كما يستعمله أهل الطرب، فلم جوزوا استعمالها؟

1- تذكرة الفقهاء «الطبعة الحجرية» ٢: ٤٨٣ كتاب الوصايا.
2- جامع المقاصد ١٠: ١٠٧.

أليس لأنّها ما أعدتّ ولا هيئتّ لذلك ؟

أليس لكون الضرب العادي بها ليس ملهيّاً ولا مطرباً؟ بل هو ضرب إعلام وتنبيه، كما هو الشأن في الطبل المستعمل في الغناء.

الطبل الغنائي لو كان من الآلات المشتركة بين اللهو وغيره، فلاريب أنّ استعماله ليس لأجل الطرب ولا على الكيفية المطربة، ولهذا عدّ كاشف الغطاء في عداد ما كان راجحاً لعنوان راجح ينطبق عليه أكثر ما يقام في الغناء من «دق طبول وضرب نحاس وتشابيه صور».

قد رأينا طبل الحرب أيام الحرب العامّة عند أعراب نجد في النجف، وطبل القافلة عندهم منذ كان الحاج العراقي يسير براً

على طريق جبلي طي، وهما عين الدمّام المتعارف استعماله اليوم في المواكب الزائية في النجف.

إنّ طبل الحرب والقافلة وطبل الزاء في الشكل والحجم سواء، وفي كون الضرب عليها بآلة لاباليد سواء، وفي كون الضرب منتظماً انتظاماً خاصاً سواء، وفي كون الغرض من ضربها التنبيه والإعلام سواء، فما هو الفارق بينهما إذا؟!

إنّ طبل اللهو يفارق هذه الطبول في جميع هذه الخواص عدا الانتظام، بيد أنّه في طبل اللهو على كيفيّة خاصة يعرفها أهل الملاهي ولا يجهلها كلّ أحد، وتلك الكيفيّة غير حاصلة في ضرب الدمّام.

ومع قطع النظر عن جميع ما أسلفته، أوقفك على أمر يكفيك في الحكم بجواز الدمّام، وهو أنّه لم يقع لفظ الطبل في شيء من الأدلّة موضعاً للحكم ليؤخذ باطلاقه، وليدفع الاطلاق بكون المراد طبل اللهو، أو يراد بضربه الضرب الملهي وانمّا الموجود في الأدلّة الكوات والكوبات.

والكَبَرُ. بفتحتين. الطبل ذو الوجه الواحد، وهذا ليس إلا طّبل اللهو، فإن مّا

عداه بوجهين.

والكُوبَةُ. بالضم البربط: وهو العود أو النرد أو الشطرنج أو طبل صغير.

وفي الصحاح: طبل صغير مخصّر [1].

وهذا أيضاً ليس سوى طبل اللهو; لأنّه الصغير، ولو كان غيره كوبة. أي طبلاً صغيراً. لم يبق للطبل الصغير مصداق أبداً.

وإذا كان لفظ الطبل لم يقع موضوعاً للحكم، فلا مساغ للمنع عنه إلاّ بدعوى أنّ كل طّبل آلة لهو، وأن كّل آلةّ لهو يحرم جميع أنحاء الاستعمال بها على جميع الكيفيات، وهذا ما لا أظنّ بأحد أن يقول به.

ومع هذا كلّه فالاحتياط بترك الطبل كلّه ; لأنّ تذكارات سيدّ الشهداء من أهم الأعمال التي يعتبر فيها الإخلاص لله في إقامتها، وتعريتها عن كلّ ما يحتمل تحريمه فضلاً عن معلوم الحرمة.

1- الصحاح ١: ٢١٥ «كوب»

البُوق

المعبّر عنه في لسان العامة (البوري)، لم يعهد استعماله قديماً وحديثاً لأهل الطرب والملاهي كالعود والأوتار والزمامير، وانّما يستعمل في الحرب للتنبيه ولحشر الجنود وتسيير المواكب لحرب أو لغيرها، فهو في الحقيقة آلة تنبيه وإعلام، لا آلة طرب نحو الآلة الصغيرة الصافرة التي يستعملها الشرط والحرس اليوم للتنبيه ليلاً نهاراً.

ومن عرف الخاصيّة الطبيعيّة لهيئته الوضعيّة يعرف بأنه يستحيل أن يخرج بالنفخ فيه صوت مطرب، ولذلك يحصل الجزم

لكلّ علزف به أنّه ليس من الزمامير المعدودة من آلات اللهو.

ابتدع الشكل الطبيعي للبوق لأجل خروج صوت عال مرتفع مستهجن، يبلغ بارتفاعه وهجنته مالا يبلغه أرفع صوت مجرّد، وهو كلما دقّ موضع النفخ منه واتسعت فوهته العليازاد صوته ارتفاعاً وهجنة.

فلارتفاعه استعمل لتنبيه الجند، ولهجنته جعل جزء من «الجوق الموسيقي» للتأليف بين نحو عشرين صوتاً من الأصوات المختلفة في نفخة واحدة; لحصول الطرب بالمجموع، ولكنّه لو أنفرد لايكون ولا يصلح لذلك، ولذلك لاينبغي عدّه من الآلات المشتركة بين اللهو وغيره.

الصفحة 430

وإذا لم يكن من الزمامير ولا من آلات اللهو، فما هو البرهان على تحريمه؟! لم يوجد في الأدلّة ما يتضمّن النهي عن استعماله بخصوصه في ما حضرني من كتب الاستدلال من غير فحص كامل.

الصفحة 431

الصّنج

وهو مفرد صنوج، المعبّر عنها بلسان العامة اليوم (طوس)، المنهي عنه في المروي في المجمع [1] فهو بظاهر الأمر مردّد بين معان ثلاثة، لا يعلم أيها المقصود بالنهي،ولا أنّ النهي نهي تنزيه أو تحريم، فقد ذكروا أنّه آله بأوتار، ونحاس صغار مدوّر يجعل في إطار الدف،وآله تتخذ من صفر يضرب إحداها بالأخرى [2].

وهذا المعنى الأخير ينطبق على ما هو المستعمل اليوم في الغناء الحسيني، لكن من المعلوم أنّ استعمال هذا بالنحو المتعارف الآن في النجف لايمكن قصد التلهّي به والطرب; لأنّه بذاته لا لهو فيه ولا طرب، فكيف يعدّ من آلات اللهو أو المشتركة بينه وبين غيره؟

1- في مجمع البحرين ٢: ٣١٣ «صنج»: «إياك والضرب بالصوانيج، فإنّ الشيطان يركض، معك والملائكة تنفر عنك».
2- في الصحاح ١: ٣٢٥ «صنج»: الصّنج الذي تعرفه العرب: وهو الذي يتّخذ من صفر، يضرب أحدهما بالآخر. وأمّا الصّنج ذوالأوتار فيختصّ به العجم، وهما معرّبان.
وفي القاموس المحيط ١: ٢٠٤ «صنج»، الصّنج: شيء يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر، وآله بأوتار يضرب بها، معرّب.
وقريب منهما ورد في مجمع البحرين ٢: ٣١٣، «صنج».

الصفحة 432

إنّ دقّ الصنّج المتعارف في المواكب يوجب الضجر لا الطرب، وما هو إلا كدق الصفريّن بمطارقهم الحديدية على قطعات الصفر دقاً منتظماً،ولا يبعد أن يكون هذا كان مستعملاً في الحرب مع الطبل – إن كان قديما – وان الصنجّ المعدود من آلات الملاهي ليس هو هذا الصّنج،ولا صنج الموسيقى، بل ما يتّخذ من صفر قطعاً، نحو ما يجعل في إطار الدف، يضع الزافن . الراقص . كلّ اثنتين منها في إصبعين من أصابع يديه، إحداهما في الإبهام والأخرى في السبابة أو الوسطى، يضرب بأحدهما الأخرى فترنّ رنيناً خفيفاً هو أرق من التصفيق صدى وأقرب منه إلى الإطراب، وهذا هو ما يسميه الفرس بلغتهم «زنك».

وقد اتّفق اللغويون على أنّ لفظ «صنج» فارسي معرّب، واذا كان فارسيا ّهو تلك الآلة كان النهي مختصا باستعمالها لا محالة، وعسى أن تكون تسمية غيره باسمه للمشابهة.

ثمّ إذا كان الصنّج لغة ًمردداً بين المعاني الثلاثة، وكانت الآلة ذات الأوتار وما يجعل في إطار الدف قوّا متيقّنا ممّا ًجعل موضوع الحكم، وما عدا ذلك مشكوك الفرديّة له، كان مقتضى أصول الفنّ . لمن لايوجب الاحتياط في الشبهة المفهوميّة . أن يقول بجوازه لاحرمته.

وكم من فرق بين هذا وبين كاشف الغطاء – واللغة بمرئى منه . يعدّ من الأمور الواجحة «دقّ طبل إعلام وضرب نحاس» وظنّي أنّه حمل الصنّج المنهي عنه على خصوص المطرب منه، ملاحظة للمناسبة بين الحكم وموضوعه.

على أنّ حمل ذلك النهي على التحريم لاقرينة عليه،ولا إجماع بالفرض، لاسيما والنهي الوارد بلفظ التحذير لابهيئة النهي ولا بمادّته.

الأمر الثالث

رأيت كلاماً لصاحب الرسالة[1] يلوّح به إلى المنع عن التذكرات التي تقع فيها المحرّمات بحجة أنه ّ«لا يطاع الله من حيث يعصى»[2] فدعاني ذلك إلى شرح هذه الكلمة مهذّباً:

لا يراد بهذه الكلمة أنّ الطاعة إذا وقع في أثنائها فعل محرّم مباين لها .وجودا ًمنفكا ًعنها خارجا . تًكون محرمة، كما هو الحال في التذكرات المقترنة بالمحرّمات، لأنّ هذا مما ّقام البرهان على فساده، والإ لبطلت أكثر العبادات، ومع ذلك فالأدلة ّ النقليّة – مضافا إلى حكم العقل به . كثيرة، ويكفي منها الخبر المتضمّن لخروج الصادق(عليه السلام)في تشييع جنازةرجع بعض المشيعين عنه لمكان

1 - أي السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني، إذ قال في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١ : ١٨٩ «و أمّا مسألة لطم الصدور، فما حرّمته وما منعته، بل الذي ناديت علناً في ذلك بين الناس على المنبر وغيره، بأن يصير ذلك في المآتم; وذلك لما بلغني من ترتّب بعض المحرّمات على خروجهم، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلّتين، ـ بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل».

2- في وقاية الأذهان: ٣٩٤ قال: مروي عنهم عليهم السلام، وفي الجواهر ٢٢: ٤٦ والقواعد الفقهية ١: ٢٦ إنّه قول وليس حديثاً.

صواخ صارخة، ولم يرجع هو(عليه السلام)، بل قال لزرارة: «امض بنا، فلو أنّا إذارأينا شيئاً ًمن الباطل مع الحق ّتركنا له الحقّ لم نقض حقّ ّمسلم»[1] .

بل يراد بهذه الكلمة الإعلام بأنّ المعصية الحقيقيّة لاتكون طاعة، كصدقة الزانية من كسب فجورها وادخالها بذلك السرور على مسلم.

وبهذه الكلمة على مثل هذا المعنى استشهد السجّاد أو الصادق عليهما السلام في الخبر المروي عنه المتضمّن لبطلان عمل الناسك السارق للرمّان المتصدّق بواحدة منه ; محتجاً بقوله تعالى: ﴿مَن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[2] .

ويمكن أن يراد بها مع ذلك أنّ ما هو طاعة حقيقيّة يلزم أن لايكون متحدّا مع المعصية خارجا بفعل يكون مجمع العنوانين، كالصلاة في الأرض المغصوبة، وهذا المعنى وسابقه أجنبي عن التذكرات التي تقع فيها المحرّمات زعمه.

تمّت في شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٥ هـ ، في المطبعة العلويّة في النجف الأشرف.

1- الكافي ٣: ١٧١ ـ ١٧٢ حديث ٣ باب «من يتبع جنازة ثمّ يرجع».
2- الأنعام (٦): ١٦٠.
والرواية في الاحتجاج: ٢٠٠، وعنه في بحارالأنوار ٤٧: ٢٣٨ - ٢٣٩ حديث ٣٣.

(٨) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات

«المواكب الحسينيّة»

تأليف

الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

(١٢٩٤ هـ . ١٣٧٣ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة جامع هذه الأسئلة و أجوبتها

بعد حمد الله، والصلاة على أنبيائه وأوليائه، يقول ناشر هذه الطُرف، وحاشر هذه التحُف، العبد الفقير إلى ربّه محمدّ ابن المرحوم الشيخ عبد الحسين آل كاشف الغطاء:

إنّ أُستاذنا الأعظم، حامل أمانة الشرع الشريف، وكافل سدانة الدين الحنيف، آية الله والحجة وصواطه والمحجةّ، الشيخ شيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء أدام الله بركات إفاضاته وأيام إفاداته، مازال منذ ثلاثين عاماً يناضل عن دين الإسلام ويحامي ويذب عنه، قد أوقف نفسه سحابة عمره في سدّ ثغوره، وتشييد سوره، وإعلاء نوره، ودفع كلّ واردة سوء ترد عليه، وقطع كلّ يد تمدّ بالعدوان إليه.

وقد اشتهر وانتشر من مؤلّفاته في تلك المقاصد والمناحي مالم تكتحل عين الدهر بمثلها، نحو كتاب «الدين والإسلام»، و«المراجعات الريحانية» ممّا بلغت تخوم الأرض وجزُر أقاصي المعمور.

ولكن في هذه الوهة الأخيرة، حيث نهض بأعباء الزعامة الدينيّة، واستوى على منصّة الفتوى والمرجعيةّ، واستغرقت أوقاته الثمينة العناية بمصالح العامّة وقضاء حوائج الناس، والبحث والتدريس، وتوسيع نطاق التأليف في علم الفقه،

والتوسّع في أدلتّه.

كلّ ذلك ممّا عاقه عمّا كان عليه من الدفاع الديني، والجهاد الإسلامي، وبث الدعوة والإرشاد لعامة الخلق إلى دين الحق.

ولكنّنا كنّا ولا نزال، حرصاً على استثارة كنوز معارفه، والاستنارة بأنوار علومه، وثقة منا بأنه في صناعة النقد والرد وتحقيق الحقّ وتمزيق الأباطيل لايبارى ولايجارى، وله المزبر[1] الذي لا يشقّ غباره، ولا يدرك في السباق شأوه[2]، الآخذ بأعنّة الوعاة في الإنشاء لفظاً ومعنى وعلماً وعملاً، مع الإحاطة بأسوار العلوم وغوامض الفنون، وخفايا المعارف وكنوز الشريعة وبواطن الدين وظواهره.

لذلك كنّا نتوصّد أي قادحة ترد على الدين وتريد أن تصدع بيضة الإسلام وتقضي على أمهات عقائد المسلمين، حتى إذا عثرنا بها انتهزنا فرصة من أوقاته، وفراغاً من ساعاته، فعرضناها عليه، أو قدّمناها إليه، متعرّضين بذلك في قمعها ودفعها لنفحات كلمه، أو رشحات قلمه، ثمّ نعود إليه ثانياً وثالثاً حتىّ نجمع من إفاضاته ومحاضراته في ذلك الموضوع جملة كافية في إزاحة العلّة ودفع تلك المضلّة.

من ذلك عندما نشرت الصحف فتوى علماء المدينة لقاضي الوهابيّة «ابن بليهد» التي توزّع بها إلى هدم قبور أئمة البقيع سلام الله عليهم[3] وحينما تلوناها

1- المِزْبَرُ: القلم. الصحاح ٢: ٦٦٧ «زبر».
2- الشأوُ: الغاية والأمد. الصحاح ٦: ٢٣٨٨ «شأ».
3- في سنة ١٣٤٤ هـ استفتى قاضي القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن بليهد علماء المدينة المنورة في جواز البناء على القبور، وتقبيل الأضرحة، والذبح عند المقامات حيث يتناول الزائرون لها تلك اللحوم. فأجاب العلماء - وكان عددهم خمسة عشر شخصاً - بعدم جواز ذلك، ووجوب منعه ومعاقبة من يفعله.
وقد نُشرت هذه الفتوى في أكثر الصحف الصادرة آنذاك، كجريدة أُمّ القرى الصادرة في مكّة المكرّمة، وجريدة العراق الصادرة فيه.
وكان الهدف الرئيسي من هذه الفتوى هو تهيئة الرأي العامّ لهدم المراقد في الحرمين الشريفين، وفعلاً فقد تمّ في الثامن من شوال من تلك السنة هدم قبور الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) في بقيع الغرقد في المدينة المنورة، وفي مقبرة المعلّى في الحجون في مكّة المكرّمة، والمراقد الموجودة في الطائف.
وقد ضمّ بقيع الغرقد في المدينة المنورة عشرة آلاف مرقد من مراقد الصحابة والشهداء والأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام)، منها: مرقد الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) سبط رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومرقد الإمام السجّاد زين العابدين علي بن الحسين(عليه السلام)، وابنه الإمام محمّد الباقر(عليه السلام)، ثمّ ابنه الإمام جعفر الصادق(عليه السلام). وهم عند عمّهم العبّاس بن عبد المطلب تحت قبّته التي كانت مشادة.
وعلى رواية أنّ هناك مرقد الصدّيقة الزهراء(عليها السلام)، وكذلك مراقد عمّات الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)وزوجاته - عدا السيّدة خديجة الكبرى والسيّدة ميمونة بنت الحارث - وعقيل بن أبي طالب، وإبراهيم بن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، والإمام مالك بن أنس، ونافع شيخ القرّاء، وحليمة السعديّة.
كما طال الهدم مرقد عمّ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) حمزة بن عبد المطّلب، وغيره من شهداء أُحد مثل مصعب بن عمير، وجعفر بن شمّاس، وعبد الله بن جحش.
وقد امتدّ التدمير إلى مرقد حبر الأُمّة عبد الله بن عبّاس في الطائف، وقد كانت عليه قبّة مشادة لا تزال صورتها موجودة على صفحات التاريخ.
وعندما امتدّ الزحف العسكري إلى مكّة المشرّفة عمدوا إلى آثارها فدمّروها، وهدموا المراقد الشريفة في مقبرة المعلّى في الحجون، فهدّموا قبّة عبد المطّلب جدّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومرقد عمّه أبي طالب.
كما دخلوا إلى مدينة جدّة فهدّموا قبّة حوّاء أُمّ البشريّة الأُولى وخرّبوا قبرها، كما طال الهدم بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنزل فاطمة الزهراء(عليها السلام)، ومنزل حمزة بن عبد المطّلب، ودار الأرقم ابن أبي الأرقم، ومكان العريش التاريخي الذي أشرف منه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على معركة أُحد.
انظر مقدّمة كتاب «دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى»، المطبوعة سنة ١٤٢٠هـ في دار المحجّة البيضاء في بيروت.

عليه صار يلقي علينا محاضرة في ردّها وتفنيدها في كلّ اسبوع مرة أو مرتين، وكانت تنشر في جريدة النجف شذرا

ونتفاً.

ولمّا شاعت الشبهة في مواكب عزاء الحسين(عليه السلام)، وقامت لها عواصم بلاد الشيعة وقعدت، وبالأخصّ بلاد البصرة، تواردت عليه البرقيات مستفتين عن جواز تلك المواكب وعدم جوازها، فكتب فيها بقلمه الشريف جملة جوابات قالعة لجواثيم[1] الشبهة، وجادعة[2] لخواطيم الضلالة.

وكنّا ذات يوم سألناه أن يلقي علينا شيئاً من شأن مذهب «البهائية» المعروفين بالبابية، فألقى علينا نبذة وافية في شرح حالهم ومقدار جهلهم وضلالهم.

ثمّ أحببّنا أن نضم تلك الشذور النفيسة والأعلاق الثمينة، التي عقمت أمهات الكتب والمؤلفاّت الغارة والحاضرة عن الإتيان بواحدة من مثلها، أحببنا أن نضمّها في مجموع يؤلّف شتاتها، ويجمع متفرقاتها.

1- الجُرثومة: الأصل. الصحاح ٥: ١٨٨٦ «جرثم».
2- أي قاطعة: انظر الصحاح ٣: ١١٩٣ «جدع».

جواب السؤال الأوّل

وبعد أن وفّق الله لجمعه، رغبنا في نشره وطبعه نصرة للحقيقة، وخدمة للحقّ والفضيلة، واخمادا لّلنائرة، وقطعا لدابر الفساد والفتنة إن شاء الله.

وقد أعاننا على نشره بعض أعاظم العلماء في عواصم بلاد الشيعة، شكر الله مساعيه وغرّ أياديه[1].

ثمّ استجزنا شيخنا الأعظم أدام الله أيامه في ذلك، فتكرّم بالإجازة وإن كان جملة منها قد طبعُ منفردا، وقد جمعناها هنا مع ما أضافه إليها ثانياً، ويليق أن يوسم هذا المجموع الزاهر بـ «الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات» فاغتنمه علقا[2] ثميناً، وفرقاناً مبيناً، فرقانا بين الحق والباطل، وتبيانا للهدى من الضلالة، ولله الحمد والمنة على ذلك.

كتب مدّ الله ظلّه في أجوبة الأسئلة الواردة إليه عن فتواه في المواكب الحسينية -زادها الله عزا وكرامة - عدة مقالات، وكتب مطوّلة ومختصرة ومتوسطة، ونحن ننتخب منها ثلاثاً على ذلك النسق.

وكان أوّل استفتاء ورد إليه في النجف من جماعة من ذوي الفضل وهذا صورته:

«ما يقول مولانا حجّة الإسلام شيخنا الشيخ محمّد حسين - مدّ الله ظله العالي على رؤوس الأنام - في المواكب المشجية التي اعتاد الجعفريّون اتخّاذها في العشر من المحرّم الحرام تمثيلا لفاجعة الطف، واعلاما لما انتهك فيها من حرمة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في عترته المجاهدين بالتمثيل للشهداء وجهادهم، وما جرى عليهم وما جرى على الأطفال من القتل والقسوة، وبإعلانهم الحزن لذلك الفادح بأنواعه:

1- أي بيضاء أياديه، وهو كناية عن الكرم وحسن الفعل. انظر الصحاح ٢: ٧٦٧ «غرر».
2- العِلقُ، بالكسر: النفيس من كلّ شيء. الصحاح ٤: ١٥٣٠ «علق».

من ندب ونداء، وعويل وبكاء، وضرب بالأكفّ على الصدور وبالسلاسل على الظهور. فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر أم لا؟ افتونا مأجورين».

فكتب دامت بركاته ما نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سبحانه وتعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[1].

ولا ريب أنّ تلك المواكب المحزنة وتمثيل هاتيك الفاجعة المشجية، من أعظم شعائر الفرقة الجعفرية شيدّ الله أركانها.

ونحن إذا لم نقل باستحبابها ورجحانها ; لتوفّر الأدلّة من الأخبار والأحاديث المتظافرة المشعرة بمحبوبيّة تلك المظاهرات لأهل البيت(عليهم السلام)، فلا أقل من القول بالجواز والإباحة.

وما يتداول ويستعمل فيها من ضرب الطبول ونحوه، غير معلوم اندراجه في ما علم حرمته من آلات اللهو والطرب، نعم لو عُلم كونها منها فاللازم تنزيه تلك الأعمال الشريفة ممّا يشينها ويحبط أجرها وفضلها الجسيم.

وما أحسب التعرّض للسؤال عن تلك الأعمال التي استمرت السيرة عليها منذ مئات من السنين، وذلك بمشاهدة أعاظم العلماء لها وصلحاء أهل الدين، مع عدم النكير من واحد منهم، لا حديثاًولا قديماً، مع أنهّا برأى منهم ومسمع.

ما أحسب وضعها في مجال السؤال والتشكيك إلاّ دسيسة أمويّة أو نزعة

1- الحجّ (٢٢) : ٣٠ - ٣١.

وهّابيّة، يريدون أن يتوصلوّا بذلك إلى إطفاء ذلك النور، الذي أبى الله إلا أنّ يتمه وّلو كره الكافرون.

كما أنّي لا أرتاب في أنّه لو تمَتّ لهم هذه الحيلة ونجحت – لا سمح الله – هذه الوسيلة وعطلُت تلك المواكب والمراسم في سنتين أو ثلاث، سرى الداء واستفحل الخطب وتطرّقوا إلى السؤال والتشكيك في ما يقام في بلاد الشيعة من المآتم، وجعلوا ذلك باباً إلى إماتة تلك المحافل والمحاشد التي بإحيائها إحياء الدين، وبإماتتها إماتة ذكر الأئمّة الطاهرين(عليهم السلام).

ومن له أقلّ إلمام ووقوف على المجتمعات والجمعيّات التي عقدت في هذه الأعصار في مصر ودمشق وغيرهما، وما أصبحت تنشره من المقالات والمؤلّفات في إحياء ذكر بني أُميّة، وتقويمهم، وتبرير أعمالهم، وتبرئتهم من قتل الحسن والحسين(عليهما السلام)، والتنويه بذكر يزيد، وأنّه من الخلفاء الراشدين والأئمّة المرضيين، عرف من أين سرى هذا السمّ الخبيث، وجاءتها تلك البليّة، التي تريد أن تقضي على حياة الشيعة وتمحق روح الشريعة، ولا يروج هذا إلاّ على السذّج والبسطاء والمغفّلين الذين يقتلون الدين باسم الدين من حيث لا يشعرون.

فالرجاء والأمل من جميع إخواننا المؤمنين – ثبّتهم الله بالقول الثابت وأيّدهم بروح منه – ترك الخوض في مثل هذه الأمُور المتسالم عليها خلفاً عن سلف، والتي هي من أعظم الوسائل إلى نيل الشفاعة، والدخول في سفينة النجاة وأبواب الرحمة.

وليصرفوا أوقاتهم الثمينة في الاتّفاق والتعاضد والتعاون على البرّ والتقوى في ما يعود إلى إصلاح شؤون دينهم ودنياهم، وجمع كلمتهم على الحقّ والهدى إن شاء الله تعالى ولا يخوضوا في ما يوجب اختلاف الأُمّة وتفرقة الكلمة، والله ولي

التوفيق وبه المستعان.

ثمّ تتابعت البرقيّات من البصرة وغيرها سائلين منه دام علاه، طالبين فتواه في تلك الأعمال، فكتب إليهم كتابا أبسط من الجواب المتقدّم، وقد طبع في مطبعة الكاظميّة بالبصرة، وانتشر بصورة منشور منفرد في عامّة الأطراف، ونحن نذكر ذلك المنشور بحروفه المطبوعة حفظاً له:

بسم الله الرحمن الرحيم

جواب السؤال الثاني الوارد من البصرة

وله الحمد والمجد، والصلاة على أُمناء وحيه وأُمراء أمره ونهيه.

صورة ما ورد من النجف الأشرف من الفتوى لجناب المصلح الكبير والداعية الشهير، صاحب كتاب «الدين والإسلام» العالم الربّاني والزعيم الروحاني، كبير مشاهير العصر، وعظيم فقهاء المصر، حجّة الإسلام والمسلمين، وعميد الإيمان والمؤمنين، زعيم زعماء الحقيقة، ورئيس رؤساء المذهب والطريقة، وحيد... [1] وكبير نواب الدست الإمامي من العرب، ورجل رجال الدعوة في القرن الرابع عشر، الآية الكبرى في العالم الإسلامي، الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء دام مجده، حين سُئل عن عنوان المواكب التي تندب الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام في الشوارع والطرقات وما اشتملت عليه:

إلى إخواننا المؤمنين وعباد الله الصالحين من السادة الأشراف والأماجد الكرام السيّد هاشم البعّاج، والسيدّ عبد الباقي البعّاج، والحاج داود العطيّة، وعبد الواحد العطيّة، والملا جعفر أدام الله كرامتهم وتوفيقهم.

1- وردت هنا كلمة غير مقروءة.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وتحياته.

وردتنا برقيّتكم، فأزعجتنا غاية الإزعاج، وما كنّا نظنّ أن الأمر يبلغ إلى هذه المزلة.

ثمّ وردنا بعد ذلك كتاب من السيّد الأمجد السيدّ هاشم أدام الله عزّه في طيّة الرسالة ذات الاسم الخشن الهائل، وكنا كتّبنا في جواب السيّد الأعزّ السيدّ فاخر البعاجّ حفظه الله، ما كنا نأمل أن يعود حاسما لتلك المشاجرة التي هي من أضر الحوادث في الحال الحاضر علينا معشر المؤمنين.

ويكفينا عن وقوع الخلاف بيننا تهاجم الأعداء علينا من كلّ ناحية ومكان، ويلزم علينا اليوم أن تكون حادثة المدينة وهدم

قبور أئمّة البقيع سلام الله عليهم، هي الشغل الشاغل لنا عن كلّ خلاف، الداعية لكل تّعاضد بيننا وائتلاف.

أمّا الحكم الشرعي في تلك المظاهرات والمواكب، فلا إشكال في أنّ اللطم على الصدور، وضرب السلاسل على الظهور، وخروج الجماعات في الشوارع والطرقات بالمشاعل والأعلام مباحة مشروعة، بل راجحة مستحبّة، وهي وسيلة من الوسائل الحسينيّة، وباب من أبواب سفينة النجاة.

وأمّا الضرب بالطبول والأبواق وأمثالها ممّا لا يعُد مّن آلات اللهو والطرب، فلا ريب أيضا فيً إباحتها ومشروعيتها ّللإعلام والإشعار وتعظيم الشعار.

وأمّا الضرب بالسيوف أو الخناجر والإدماء، فهو كسوابقه مباح بمقتضى أصل الإباحة، بل راجح بقصد إعلان الشعار للأخوان الحسينيّة. نعم، إلاّ أن يعلم بعروض عنوان ثانوي يقتضي حرمة شيء من تلك الأعمال الجليلة، مثل كونه موجبا ً للضرر بتلف النفس، أو الوقوع في مرض مزمن.

أمّا الألم الذي يزول بسرعة، فلا يوجب الحرمة.

وكذلك الخروج في الشوارع، إذا أوجب الفساد بالمقابلة أو المقاتلة فهو حرام أيضاً.

وهذه عوارض وقتيّة وموارد شخصية، لا يمكن ضبطها، وليس على الفقيه إلاّ بيان الأحكام الكليةّ، أما ّالجزئياتّ فليست من شأن الفقيه ولا من وظيفته، على أنّ استلزامها للفساد أحياناً لا يوجب تحريمها أبدا.ً

أمّا الشبيه، فلا ريب أنّ أصل تشبهّ شخص بآخر مباح جائز، كيف وقد ألقى الله سبحانه شبه نبيه عيسى عليه السلام على أبغض خلقه وهو يهوذا الإسخريوطي، الذي نمّ على عيسى(عليه السلام) عند اليهود وحرّضهم على قتله[1]، كما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[2].

وكان أمين الوحي جوائيل عليه السلام يتشبّه بدحية الكلبي إذا حضر في السدّة النبوية[3].

والملائكة تشبّهت يوم بدر بأمير المؤمنين صلوات الله عليه[4].

---

1 - ففي حديث طويل عن أبي جعفر الصادق(عليه السلام) أنّه قال: «... إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى(عليه السلام) من ليلتهم، فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى(عليه السلام): «إنّ منكم لمن يكفر بي من قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة»، وأخذوا الشاب الذي ألقي عليه شبح عيسى فقتل وصلب...»، تفسير القمّي ١: ١٠٣، رفع عيسى.

2- النساء (٤) : ١٥٧.

3 - عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: «إنّ أبا ذر أتى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه جبرئيل في صورة دحية الكلبي وقد استخلاه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)...».
الكافي ٢: ٥٨٧، حديث ٢٥، باب (دعوات موجزات لجميع الحوائج).

4 - عن زيد بن وهب قال: سمعت عليّاً(عليه السلام) يقول وقد ذكر حديث بدر ومجيء عمّه إلى النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: «والله يا رسول الله ما أسرني إلاّ ابن أخي علي بن أبي طالب...».
فقال النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم): «صدق عمّي ذاك ملك كريم».
فقال العبّاس: لقد عرفته بجلجته وحسن وجهه.
فقال له: «إنّ الملائكة الذين أيّدني الله بهم على صورة علي ابن أبي طالب ; ليكون ذلك أهيب لهم في صدور الأعداء...». الفصول المختارة: ٢٤٩، كلام في شجاعة أمير المؤمنين(عليه السلام).

وصيّة المؤلّف

نعم، خروج النساء سوافر محرّم، سواء كان في الشبيه أو غيره، وهذا لا يقتضي حرمة الشبيه، بل ينبغي ويلزم التجنّب عنه بنفسه. ولو أنّ كلّ راجح يستلزم محرّمًا أو يقع فيه محرم تركناه، لبطلت سنن الشريعة وقوضت دعائم الدين.

ولكن يلزم على أُمناء العلم وحملة الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالموعظة الحسنة والقول الليّن، فإنها أنجع[1] وأنفع في تهذيب الأخلاق وإصلاح النفوس.

ووصيّتي ونصيحتي ورغبتي وطلبتي من كافّة إخواننا المؤمنين البصريين خصوصا، ومن في سائر الأقطار عموما أمران مهمّان:

الأوّل: تنزيه المواكب الحسينيّة الشريفة من كلّ ما يشينها ويدنسّها ويخرج بها عن عنوان مظاهر الحزن والفجيعة، إذ ليس الغرض من تكرار فاجعة الطفّ كلّ سنة بل كلّ يوم، اللهو واللعب بقصة من الأقاصيص وعجيبة من الأعاجيب، بل في ذلك من الحِكم السامية والأسرار المقدّسة ما يقصر عنه اللسان ويضيق به البيان.

فاللازم تطهير تلك المواكب الشريفة عن كلّ ما يمسّ شرفها وكرامتها، حتىّ يترتبّ عليها آثارها المشروعة وغاياتها الشريفة، التي من أجلها وفي سبيلها بذل الحسين – أرواحنا فداه – نفسه وأفلاذ قلبه وأعزّ أهل بيته وأصحابه، حتىّ جرى

1- وقد نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء: أي دخل وأثّر. الصحاح ٣: ١٢٨٨، «نجع».

عليه من زوابع[1] الفجائع مالم يجرِ على بشر، ولا نحسبه يجري على أحد من بعده.

الأمر الثاني: ولعلّه أهم من الأوّل، ألا وهو رفض هذه الخلافات والمشاجرات التي لا تعود إلا بالضرر المبيد والضعف المهلك علينا معشر المؤمنين، إنّما اللازم المحتمّ علينا – سيمّا في مثل هذه الأعصار – أن نكون يداً واحدة أمام العدو الذي لا زال يجدّ ويدأب في هدم بيوت ﴿ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرفعَ وَيُذكَرَ فيهَا اسمُهُ ﴾[2].

ولعمر الله والحقّ لئن استمر هذا الحال من تخاذلنا، وتضارب بعضنا ببعض، وتكالب الأعداء علينا من كلّ حدب وصوب، لنذهبنّ ذهاب أمس الدابر[3]، ولا يبقى لهذه الطائفة أثر ولا عين.

فالله الله يا عباد الله الصالحين في جمع الكلمة، ولمّ الشعث، وتدارك الخطر قبل فواته، ورتق[4] الفتق قبل اتساعه، ونبذ تلك المشاجرات المفرّقة والمؤجّجة لنيران العداوة، المحرقة على غير طائل.

1- جمع زوبعة، قال الجوهري: ومنه سمّي الإعصار زوبعة. الصحاح ٣: ١٢٢٤، «زبع».

والمراد: أنّه جرت عليه أعاصير الفجائع.

2- النور (٢٤) : ٣٦.

3 - دبر النهار وأدبر: ذهب. وأمس الدابر: الذاهب، وقالوا: مضى أمس الدابر وأمس المدبر،وهذا من التطوّع المشام للتأكيد ; لأنّ اليوم إذا قيل فيه: أمس، فمعلوم أنّه دبر، لكنّه أكّده بقوله: الدابر. ويقال: هيهات، ذهب فلان كما ذهب أمس الدابر، وهو الماضي لا يرجع أبداً. لسان العرب ٤: ٢٧٠ «دبر».

4- رتقت الفتق أرتقه فارتتق أي: التأم. الصحاح ٤: ١٤٨٠، «رتق».

كونوا يا عباد الله إخواناً في دين اللهرحماء بينكم أشدّاء على أعدائكم [1] ولا تعكسوا الآية فإنّ ذلك أربح وأنجح وأفضل وأجمل في الدنيا والآخرة، والله سبحانه وليّ التوفيق لنا ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأرجو أن يكون هذا القدر على اختصاره يغني عن تأليف الرسالة، وعسى مع سنوح الفرصة أن يوفّق الله سبحانه لذلك إن شاء الله.

١٧ صفر سنة ١٣٤٥هـ

طبعت بالمطبعة الكاظميّة في البصرة

وحيث لم تنحسم الشبهة، ولم تزأ العلّة، ولم تمُسك ألسنة المعارضين بتلك البيّنات الشافية، لذلك تظاهرت وتظافرت عليه البرقيّات من عدّة جهات يرغبون إليه في أن يكتب ما هو أبسط من ذلك، فعززهّما بثالث، لم يبق للشبهة مجالاً ولا للشك موضعاً، وكتب بقلمه دامت بركاته ما نصّه:

1- حيث قال تعالى: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)، الفتح (٤٨) : ٢٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

وله المجد والكبرياء

إلى عموم إخواننا المؤمنين من أهالي البصرة ونواحيها – وفّقهم الله جميعاً للعمل الصالح، والمتجر الرابح، والسعي الناجح إلى سعادة الدارين، وفوز النشأتين إن شاء الله – بتوسّط الأمجدين السيّد هاشم البعاّج والحاج داود العطيةّ أدام الله لهم السلامة والكرامة.

سألتم أعزّكم الله – في عدّة برقيّات وردت إلينا منكم وبمراسلات تتابعت لدينا عنكم – عن المواكب الحسينيةزّاد الله شرفها، وعمّا يجري فيها من ضرب الرؤوس والصدور بالسلاسل والسيوف والإدماء، وقرع الطوس والطبول، والشبيه، أو الخروج في الشوارع والأزقّة بالهيئات المتعارفة والكيفيّات المتداولة في أكثر بلاد الشيعة – نصرها الله – سيمّا في العتبات المقدسّة دام شرفها.

ولعمري، ما كنتُ أحسب أنّ هذا الموضوع يعُرض على مطرقة النقد والتشكيك، أو يطُرح في منطقة السؤال والترديد. كيف، وقد مرّت عليه الدهور والأحقاب، وخضعت له أساطين الملةّ وأعلام الشريعة في جميع الأعصار والأدوار، ما أنكره منكر، ولا اعترضه معترض، وهو بمرأى منهم ومسمع، ومنتدى ومجمع.

وقد كان يجري في القرن الماضي أزمنة السيّد بحر العلوم وكاشف الغطاء –

قدّس الله أسرارهما – من التشبيهات التي كانت تسمّى «الدائرة» ما هو أوسع وأشيع وأكثر وأوفر ممّا يجري في هذه العصور، وفضلاً عن سكوت أُولئك الأساطين كانوا يمدّونهم بالمساعدة، ويعضدونهم بالحضور والمشاهدة، وفي كشف الغطاء[1] وجامع الشتات[2] للمحقّق القمي وغيرهما من أقرانهما ما يشهد بذلك أكبر شهادة.

دع عنك هذه الشواهد والمشاهد، وأُنظر إلى المسألة من وجهها العلمي، ومن حيث القواعد والأدلّة:

أمّا أوّلاً: فالأصُول الأولية تقضي بإباحة جميع تلك الأعمال، وعلى مدعيّ الحرمة إقامة الدليل عليها، والأصل مع المنكر ومطالبته بالدليل تضليل.

وأمّا ثانياً: فكلّ واحد من تلك الأعمال على الإجمال ممّا يتخرّج لمشروعيته وجه وجيه عند المتضلع الفقيه، من عمومات الأدلّة ومحكمات القواعد المعقولة والمنقولة.

1- كشف الغطاء ١: ٥٣ - ٥٤، المقام الثاني: في ما يتعلّق بجملة العبادات بالمعنى الأخص.
2- جامع الشتات ٢: ٧٨٧.

اللطم واللدم

مَن ذا يشكّ ويرتاب في رجحان مواساة أهل بيت الرحمة وسفن النجاة، والتأسّي بهم في الأفراح والأتراح والضرّاء والسرّاء؟!

أو من ذا يشكّ أنّ أهل البيت – سلام الله عليهم – قد لطموا في فاجعة الطفّ وجوههم، ولدموا صدورهم، وقرح البكاء خدودهم وعيونهم؟! وفي زيارة الناحية المقدّسة «فبرزنَ من الخدور ناشرات الشعور لاطمات الخدود سافرات الوجوه»[1].

ولا تقل: إنّ هذا مخصوص بيوم الطفّ وما قارنه، فقد روى الصدوق رضوان الله عليه أنّ دعبل لما أنشد الرضا عليه السلام تائيّته المشهورة التي فيها: «إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده» لطمت النساء وعلا الصراخ من وراء الستر وبكى الرضا عليه السلام في إنشاد القصيدة حتّى أُغمي عليه مرتين[2].

فإذا جاز للرضا عليه السلام أن يتعرّض لسبب الإغماء الذي هو أخ الموت، فلماذا لايجوز لشيعته ضرب الرؤوس والظهور ولدم الصدور وأمثالها ممّا هو دون الإغماء بكثير؟!

1- المزار: ٥٠٤، زيارة أخرى في يوم عاشوراء خرجت عن الناحية، باختلاف يسير.
2 - لم نعثر على نصّ للشيخ الصدوق بهذا العنوان، ولكن نقل أبو الفرج الأصفهاني هذه الواقعة بهذه الكيفيّة في الأغاني ٢٠: ١٦٢، دعبل وعلي ابن موسى الرضا(عليه السلام)، ونقلها عنه بهذا النصّ المرحوم الأميني في الغدير ٢: ٣٥٠ والسيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة ٦: ٤١٥.

خروج المواكب في الطرقات

زغت شمس هذه الحقيقة المكنونة من عهد يناهز الألف سنة، أعني من زمن معزّ الدولة وركن الدولة، حيث أمرا بخروج

مواكب الغواء يندبون سيّد الشهداء سلام الله عليه، وبأيديهم المشاعل ليلاً، حتىّ تعود بغداد وطرقاتها ضجةّ واحدة، وذلك في أُخريات القرن الرابع، على ما ذكره ابن الأثير في كامله في مواضع[1].

وكان ذلك العصر الواهي حافلاً بأكابر علماء مذهب الإماميّة: كالشيخ المفيد، وابن قولويه، والسيدّين الإمامين المرتضى والرضي نوّر الله مراقدهم،

---

1 - قال ابن الأثير: «في هذه السنة]٣٥٢ هـ[عاشر المحرّم، أمر معزّ الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منشرات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهنّ، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههنّ على الحسين بن علي رضي الله عنهما، ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأنّ السلطان معهم»، الكامل في التاريخ ٨: ٥٤٩، ذكر عدّة حوادث سنة ٣٥٢هـ .
ويقول في ذكر أحداث سنة ٣٥٨ هـ : «عمل أهل بغداد ما قد صار لهم عادة من إغلاق الأسواق وتعطيل المعايش وإظهار النوح والمآتم بسبب الحسين بن علي رضوان الله عليهما»، نفس المصدر صفحة: ٦٠٠.

وكان ملوك آل بويه قيد إشارة أُولئك الأساطين ورهن أوامرهم ونواهيهم.

وحسبك ما شاع وأخذ بمجامع الأسماع من أنّ السيدّ الرضي ورد لزيارة جدهّ الحسين(عليه السلام) يوم عاشوراء في بعض السنين، فرأى جماعة من الأعراب يعدون[1]، وهم ينوحون ويلطمون متهافتين للهجوم على الحائر الحسيني، فدخل في زمرتهم، وأنشأ في ذلك الحال على البديهة قصيدته الغرّاء المشهورة التي يقول في رواعتها:

كربلا لازلت كرباً وبلا
ماالقي عندك آل المصطفى[2]

1- أتاه عَدْواً: وهو مقارب الهرولة ودون الجري. تاج العروس ١٩: ٦٥٨ «عدو».
2 - هذا البيت مطلع «المقصورة الحسينيّة» المعروفة، وهي أشهر ما نظمه الشريف الرضي رحمه الله، فإن كان شعره على كثرته، وسعة أغراضه، وسموّ معانيه، ورفعة منزلته الأدبيّة، معروفاً عند الأدباء، فإنّ مقصورته هذه تداولتها الأجيال الواسعة قراءة وسماعاً منذ عصره إلى عصرنا الحاضر، بل وإنّ الكثير منهم قرأها أو سمعوها وإن لم يعرفوا القائل.
وقد ناقش البعض في نسبتها إلى الشريف الرضي، بل قام بحذفها من ديوانه!!! محتجّاً ببعض المعاذير الواهية، كما فعل الدكتور عبد الفتاح محمّد الحلو في تصديره لديوان الشريف، الذي نشرته له وزارة الإعلام أيام حكومة صدام حسين.
ومن هذا يتّضح أنّ الأحقاد الأموية لا زالت باقية ليومنا هذا، يتوارثها الأبناء عن الآباء، وأنّ كربلاء لازالت لهذا اليوم كرباً وبلا.
ونورد هنا القصيدة كاملة تعميماً للفائدة:

كربلا، لا زلت كرباً وبلا م ... لقي عندك آلُ المصطفى
كم على تربك لمّا صرعوا ... ن دم سال ومن دمع جرى
كم حصان الذّيل يروي دمعها ... ّها عند قتيل بالظّما
تمسح الترب على إعجالها ع ... طلى نحر رميل بالدّما
وضيوف لقّلاة قفرة ... لوا فيها على غير قِرى
لم يذوقوا الماء حتّى اجتمعوا ... حدى السيف على ورد الردى
تكسف الشمسُ شُموساً منهمُ ل ... تدانيها ضياءً وعُلى
أرجل السبق وأيمان الندى ... وتنُوشُ الوحشُ من أجسادهم
ووجوهاً كالمصابيح، فمن ... وتنُوشُ الوحشُ من أجسادهم
غيّرتهن اللّيالي، وغدا ... جاير الحكم عليهنّ البلى
يا رسول الله لو عاينتهم ... وهم ما بين قتلى وسبا
من رميض يُمنعُ الظّلّ، ومن ... عاطش يُسقى أنا بيب القنا
ومسوق عاثر يُسعى به ... خلفَ محمول على غير وطا
متعب يشكو أذى السير على ... نقب المنسيم، مجزول المطا

لرأت عيناك منهم منظراً ... للحشى شجواً، وللعين قذى
ليس هذا لرسول الله، يا ... أمّة الطغيان والبغي، جزا
غارسٌ لم يألُ في الغرس لهم ... فأذاقوا أهله مر الجنى
جزّرُوا جزر الأضاحي نسله ... ثمّ ساقوا أهله سوق الإما
معجلات لا يوارين ضحى ... سُنن الأوجه أو بيض الطلى
هاتفات برسول الله في ... بهر السعي، وعثرات الخُطى
يوم لا كسر حجاب مانعٌ ... بذلة العين ولا ظل خبا
أدرك الكفر بهم ثاراته ... وأزيل الغيّ منهم فاشتفى
يا قتيلاً قوّض الدهر به ... عمُد الدين وأعلام الهدى
قتلوه بعد علم منهمُ ... أنّه خامس أصحاب الكسا
وصريعاً عالج الموت بلا ... شدّ لحيين ولا مدّ ردا
غسلوه بدم الطعن، وما ... كفّنوهُ غير بوغاء الثرى
مرهقاً يدعو، ولا غوث له ... بأب برّ وجدّ مصطفى
وبأُمّ رفع الله لها ... علماً ما بين نسوان الورى
أيّ جدّ وأب يدعوهما ... جدّ، يا جدّ، أغثني يا أبا
يا رسول الله يا فاطمة ... يا أمير المؤمنين المرتضى
كيف لم يستعجل الله لهم ... بانقلاب الأرض أو رجم السما
لو بسبطي قيصر، أو هرقل ... فعلوا فعل يزيد، ما عدا
كم رقاب من بني فاطمة ... عرقت ما بينهم، عرق المدى
واختلاها السيفُ حتّى خلتها ... سلمَ الأبرق، أو طلح العرى
حملوا رأساً يُصلّون على ... جدّه الأكرم طوعاً وإبا
يتهادى بينهم لم ينقضوا ... عمم الهام، ولا حلوا الحبى
ميّتٌ تبكي له فاطمةٌ ... وأبوها، وعليّ ذو العُلى
معشر منهم رسول الله والـ ... ـكاشفُ الكرب، إذا الكربُ عرا
صهرهُ الباذلُ عنه نفسهُ ... وحسام الله في يوم الوغى
أوّلُ الناس إلى الداعي الذي ... لم يقدّم غيره لمّا دعا
ثمّ سبطاه الشهيدان، فذا ... بحسا السّمّ، وهذا بالظبى
وعليّ، وابنهُ الباقر، والصـ ... ـادقُ القول، وموسى والرضا
أين عنكم للذي يرجو بكم ... ع رسول الله فوزاً ونجا
يا جبال المجد عزّا وعُلى ... وبدور الأرض نوراً وسنا
جعل الله الذي نابكمُ ... سبب الوجد طويلاً والبُكا
لا أرى حزنكم يُنسى، ولا ... رُزءَكم يُسلى، وإنّ طال المدى
قد مضى الدهرُ، وعفىّ بعدكم ... لا الجوى باخّ، ولا الدّمَع رقا
أنتم الشافون من داء العمى ... وغداً ساقون من حوض الروا
نزل الدين عليكم بيتكم ... وتخطىّ الناس طُراً، وطوى
أين عنكم للذي يبغي بكم ... ظل عدن دونها حرّلظى
أين عنكم للذي يرجو بكم ... ع رسول الله فوزاً ونجا
يوم يغدُو وجهُهُ عن معشر ... رضاً ممتنعاً عند اللقا
شاكياً منهم إلى الله، وهل ... فلحُ الجيلُ الذي منهُ شكا
ربّ! ما حاموا، ولا آووا، ولا ... صروا أهلي، ولا أغنوا غنا
بدّلوا ديني، ونالوا أسرتي ... العظيمات، ولم يرعوا ألَى
لوولي ما قد ولوا من عترتي ... ئم الشرك لأبقى ورعى
نقضوا عهدي، وقد أبرمتهُ ... ُرى الدّين، فما أبقوا عُرى
حُرمي مستردفاتٌ، وبنو ... نتي الأدنون ذبحٌ للعدى
أتُرى لست لديهم كامرء ... ٌفوه بجميل إذ مضى
ربّ! إني اليوم خصمٌ لهمُ ... ئتُ مظلوماً وذا يوم القضا

الصفحة 455

الصفحة 456

الصفحة 457

ولولا خروج المواكب في الطرقات لبطلت الغاية، وفسدت الثورة، وانتفى الغرض المهم من التذكار الحسيني، بل ومن الشهادة الحسينيّة، كما يعرفه كلّ متعمق في الأسرار.

وأمّا ترتّب بعض المحرّمات عليه من فتنة وفساد ومضاربه ومقاتلة، فذلك لا يستوجب حرمة الخروج الراجح، فإن حرمة الشيء لا توجب حرمة ما يقع فيه، ومن تغنّى في القرآن لا يقال له: إنّ قراءة القرآن حرام، بل التغنيّ بالقرآن حرام. فليس الخروج حراماً، بل المضاربة والمقاتلة محرّمة أينما كانت.

الصفحة 458

ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل

لاريب أنّ جرح الإنسان نفسه وإخراج دمه بيده في حدّ ذاته من المباحات الأصليّة، ولكنه قد يجب تارة، وقد يحرم أخرى، وليس وجوبه أو حرمته إلاّ بالعناوين الثانوية الطارية عليه وبالجهات والاعتبارات.

فيجب كما لو توقّفت الصحّة على إخراجه، كما في الفصد والحجامة.

وقد يحرم، كما لو كان موجباً للضرر والخطر من مرض أو موت.

وقد تعرض له جهة تُحسنّه ولا توجبه، وناهيك بقصد مواساة سيدّ أهل الإبا وخامس أصحاب العبا، وسبعين باسل من صحبه وذويه، حسبك بقصد مواساتهم وإظهار التفجّع والتلهّف عليهم وتمثيل شبح حالتهم مجسمّة أمام عيون محبيهّم، ناهيك بهذه الغايات والمقاصد جهات محسّنة وغايات شريفة ترتقي بتلك الأعمال من أخسّ مراتب الحطةّ إلى أعلى مراتب الكمال.

وإنّ الأُولى بالطف من آل هاشم
تأسّوا فسنوّا للكرام التأسيّا[1]

1- تاريخ الطبري ٥: ٦، أحداث سنة إحدى وسبعين، والبيت لمصعب الزبيدي حينما خذله قومه، فوقف وقال هذا البيت.

الصفحة 459

أمّا ترتّب الضرر أحيانا بوقف الدم المؤديّ إلى الموت، أو إلى المرض المقتضي لتحريمه، فذاك كلام لا ينبغي أن يصدر من ذي لبّ، فضلاً عن فقيه أو متفقهّ:

أمّا أولاً: فلقد بلغنا من العمر ما يناهز الستينّ، وفي كل سّنة تقام نصب أعيننا تلك المحاشد الدموية، وما رأينا شخصا ماتً بها أو تضرّر، ولا سمعنا به في الغابرين.

وأمّا ثانياً: فتلك الأمُور على فرض حصولها إنماّ هي عوارض وقتية، ونوادر شخصية، لا يمكن ضبطها ولا جعلها مناطا

لحكم أو ملاكاً لقاعدة، وليس على الفقيه إلاّ بيان الأحكام الكلية، أما الجزئيات فليست من شأن الفقيه ولا من وظيفته، والذي علينا أن نقول: إنّ كلّ من يخاف الضرر على نفسه من عمل من الأعمال يحرم عليه ارتكاب ذلك العمل.

ولا أحسب أنّ أحد الضاربين رؤوسهم بالسيوف يخاف من ذلك الضرب على نفسه ويقدم على فعله، ولئن حرم ذلك العمل عليه فهو لا يستلزم حرمته على غيره.

وأمّا ما ورد في الأخبار [1]، وذكره الفقهاء في كتاب الحدود والدّيات [2]، من أقسام الشجاج كـ«الحارصة»: وهي التي تقشر الجلد [3]، وفيها بعير،

1- الكافي ٧: ٣٢٦، باب (دية الجراحات والشجاج).
2 - راجع على سبيل المثال جواهر الكلام ٤٣: ٣١٧ ، (المقصد الثالث - في الشجاج والجراح)، وقد ذكر أحكام كلّ منها على وجه التفصيل.
3- قال الجوهري: الحارصة: الشجة التي تشقّ الجلد قليلاً، الصحاح ٤: ١٠٣٢ «حرص».

و«الدامية»: وهي التي تأخذ من اللحم يسواً [1] وفيها بعيران، وهلم جرا إلى «الهاشمة» [2] وفيها عشرة، فمعلوم أنّ المراد مالو جناه إنسان على آخر عدواناً لا ماإذا فعله الإنسان بنفسه، ضرورة أنّ الإنسان لا يملك على نفسه شيئاً، وهذا مما لا أظنه يخفى على جاهل فضلاً عن فاضل.

هذا، وأنّ بالأصل الذي شيّدناه من أنّ المباح قد تعرض له جهات محسنة، يتضّح لك الوجه في جميع تلك الأعمال الوائية في المواكب الحسينيّة.

1- قال الجوهري: الدامية: الشجة التي تدمي ولا يسيل، الصحاح ٦: ٢٣٤١ «دما».
2- الهاشمة: شجة تهشم العظم، أو التي هشمت العظم، تاج العروس ١٧: ٧٥٥ «هشم».

ضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس

كلّها أُمور مباحة، فإنكّ أيها السامع تحس - وكل ذيّ وجدان - أنها لا تحدث لك بسماعها طرباً ولا خفةً ولا نشاطاً، بل وبالعكس توجب هولاً وفزعاً وكمداً وحزناً، فإذا قصد منها الضرب الإعلام والتهويل ونظم المواكب وتعديل الصفوف والمناكب، حسنت بهذا العنوان، ورجحت بذلك الميزان.

الشبيه ومواكب التمثيل

مباح في حدّ ذاته وإن كان بتشبيه الأدنى بالأعلى، والسافل بالسامي، والشريف بالعامي، وذي المزّة بالعادي.

كيف لا، وقد ألقى الله تعالى شبه نبيّه وروحه عيسى عليه السلام على أبغض خلقه إليه «يهوذا الإسخريوطي» الذي نمّ على عيسى وحثّ اليهود على صلبه.

وكان أمين الوحي جبرئيل(عليه السلام) يتشبّه بدحية الكلبي إذا حضر عند السدّة النبويّة.

وتشبّهت الملائكة بأمير المؤمنين(عليه السلام) يوم بدر.

وروى السيّد ابن طاوس رضوان الله عليه في كتاب «الإقبال» في فضل زيارة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يوم المولود ما نصّه: وفي حديث عن الصادق(عليه السلام) – وذكر زيارة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال – «إنّه يسمعك من قريب ويبلغه عنك من بعيد، فإذا أردت ذلك فمثّل بين يديك شبه القبر واكتب عليه اسمه، وتكون على غسل، ثمّ قم قائماً وقل وأنت متخيّل بقلبك مواجهته»[1] انتهى.

إلى كثير من أمثال ذلك ممّا يضيق المقام عن تعداده، كما يضيق المقام عن تعداد الحكم والمصالح والفوائد المترتّبة على تلك المواكب التمثيلية، ولعلّها أحد أسوار الشهادة ومفادات الإمام سلام الله عليه بنفسه وبأعزّ الأنفس على وجه الأرض.

إنّ تلك الأُسوة السامية قد مثلّت للناس مقام استهانة النفس، واحتقار هذه الحياة الفانية في جنب تلك الحياة السرمدية والسعادة الأبديّة، وبذل كلّ عزيز إزاء العزّة والإباء.

علّمت الناس البسالة والإقدام والتفاني في الحفيظة ومجانبة الخضوع والذلّة، وما للنواميس الإلهية وللدين من القداسة والتعظيم الذي تهون عندها تلك الأرواح المقدّسة والأعواض المصونة.

علّمت الناس قوّة العزائم التي تهون عندها العظائم، وتسهل دونها المصاعب.

ولعمر الله والحقّ، إنّ تعطيل تلك المظاهرات والمواكب لا يلبث رويداً حتىّ يعود ذريعة إلى سد أبواب المآتم الحسينية، وعندها – لا سمح الله – لا يبقى

1- إقبال الأعمال ٣: ١٢٣، الفصل ١٢، في ما نذكره من زيارة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

للشيعة أثر ولا عين، ولتذهبنّ الشيعة ذهاب أمس الدابر، فإنّ الجامعة الوحيدة والرابطة الوثيقة لها هي المنابر الحسينية والمآثر العلويّة.

وما تلك الهنابث[1] والوساوس إلاّ من جراء هاتيك الدسائس، نزعة أموية ونزغة وهابيّة، يريدون إحياء ذكر بني أمية وإزهاق الحقيقة المحمديّة ﴿ وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[2].

ويحسن هنا أن نورد لك ما ذكره جدّنا الشيخ الأكبر في كتاب «كشف الغطاء» فإنّه قد أحرز جوامع التحقيق، وتكفلّ بإيصالك إلى الحقيقة من أقرب طريق قال قدّس سرّه ما نصه:

«وأمّا بعض الأعمال الراجعة إلى الشرع، ولا دليل عليها بالخصوص، فلا تخلو من أن تدخل في عموم الدليل، ويقصد بالإتيان بها الموافقة من جهته، لا من جهة الخصوصيّة، كقول: أشهد أنّ علياً وليّ الله، لا بقصد الخصوصية ولا بقصد النصوصيّة ; لأنّهما معاً تشريع، بل بقصد الرجحان الذاتي أو الرجحان الفرضي ; لما ورد من استحباب ذكر اسم علي متى ذكر اسم النبيّ[3].

1- الهنابث: الأُمور والأخبار المختلطة، يقال: وقع بين الناس هنابث، وهي أُمور وهنّات، لسان العرب ٢: ١٩٨ «هنبث».
2- التوبة (٩) : ٣٢.
3 - منها ما عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) قال: «إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق العرش كتب عليه: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الماء كتب في مجراه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الكرسي كتب على قوائمه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ اللوح كتب فيه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله إسرافيل كتب على جبهته: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله جبرائيل كتب على جناحيه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ السماوات كتب في أكنافها: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الجبال كتب في رؤوسها: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الشمس كتب عليها: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ القمر كتب عليه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. وهو السواد الذي ترونه في القمر فإذا قال أحدكم: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله فليقل: علي أمير المؤمنين(عليه السلام)». الاحتجاج ١: ٢٣١، أفضل منقبة لعلي(عليه السلام).

ومنها ما عن أنس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم: «لمّا عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله أيّدته بعلي نصرته بعلي»، أخرجه الحاكم في شواهد التنزيل ١: ٢٩٤، حديث ٣٠٠، وقريب منه ما في كنز العمّال ١١: ٦٢٤، حديث ٣٣٠٤٠، والمعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٢٠٠ ، من إسناد هبار بن الأسود، وفي نظم درر السمطين: ١٢٠ ، مناقب الإمام أمير المؤمنين، وأمالي الصدوق: ٢٤٨، حديث ٣١٢.

ومنها ما عن فاطمة الزهراء(عليها السلام) قالت: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لمّا عرج بي إلى السماء صرت إلى سدرة المنتهى (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)، النجم (٥٣) :٩ ، فأبصرته بقلبي ولم أره بعيني، فسمعت أذاناً مثنى مثنى وإقامة وتراً وتراً، فسمعت منادياً ينادي: يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشيء اشهدوا أنّي لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لي، قالوا: شهدنا وأقررنا.

قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأنّ محمّداً عبدي ورسولي، قالوا: شهدنا وأقررنا.

قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأنّ علياً وليي وولي رسولي وولي المؤمنين بعد رسولي، قالوا: شهدنا وأقررنا». تفسير فرات الكوفي: ٣٤٣، حديث ٤٦٨.

ومنها ما رواه الكليني عن ابن طريف عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: «إنّا أوّل أهل بيت نوّه الله بأسمائنا، إنّه لمّا خلق السماوات والأرض أمر منادياً فنادى أشهد أن لا إله إلاّ الله - ثلاثاً - أشهد أن محمّداً رسول الله - ثلاثاً - أشهد أن علياً أمير المؤمنين حقّاً - ثلاثاً -»، الكافي ١: ٤٤١، حديث ٧، باب مولد النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ووفاته.

إلى أن قال: «وكما يصنع في مقام تعزية الحسين(عليه السلام) من دقّ طبل إعلام، أو ضرب نحاس، وتشابيه صور، ولطم على الخدود والصدور ; ليكثر البكاء والعويل». ثمّ ختم الفصل بقوله: «وجميع ما ذكر وما يشابهه إنّ قصد به الخصوصيّة كان تشريعاً، وإنّ لوحظ فيه الوجحانيّة من جهة العموم فلابأس فيه»[1] انتهى.

ولكنّك عرفت ممّا قدمّناه أن بّعض تلك الأمورُ قد وردت فيها نصوص بالخصوص، مثل اللطم واللدم، فضلا عنً البكاء والعويل.

1- كشف الغطاء ١: ٥٣ - ٥٤، المقام الثاني: فيما يتعلّق بجملة العبادات بالمعنى الأخص.

فذلكة المقام وخلاصة الفتوى

إنّ واقعة الطفّ وما جرى فيها من زوابع الفجائع، واقعة خرقت النواميس الطبيعيّة والغرائز البشرية، فضلا عنً الشرائع الإلهية.

ومارأت عين الدهر ولا سمعت واعية الأزمان بواقعة مثلها، ولا تسمع بمثلها أبداً، وكما أنّها أخذت بمجامع الغرابة والتفرّد

في بابها، فكذلك أحكامها غريبة الشكل، عديمة النظير، بديعة الأُسلوب، متفرّدة في بابها.

الجزع والبكاء في المصائب – مهما عظمت – قبيح مكروه، ولكن صادق أهل البيت سلام الله عليه وعليهم يقول في حديث معتبر: «البكاء والجزع كلّه مكروه إلاّ على الحسين صلوات الله عليه»[1].

شقّ الجيوب على الفقيد وخمش الوجوه محرّم في الأشهر، ولكن صادق أهل البيت سلام الله عليه يقول في حديث وثيق: «على مثل الحسين فلتُشقّ الجيوب ولتخُمش الوجوه ولتلطم الخدود»[2].

---

1 - ونصّ الحديث قال(عليه السلام): «إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي(عليهما السلام) فإنّه فيه مأجور»، كامل الزيارات: ٢٠١، حديث ٢٨٦.

2 - قال(عليه السلام): «وقد شققن الجيوب، ولطمن الخدود الفاطميّات على الحسين بن علي(عليهما السلام)، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»، تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، حديث ١٢٠٧.

إيذاء النفس وإدماء الجسد مرغوب عنه مذموم، سيّما من الأعاظم وأرباب الغرائم، والحجّة عجلّ الله فرجه يقول في زيارة الناحية: «فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل الدموع دما»[1].

وقد سبقه إلى ذلك جدّه زين العابدين(عليه السلام)، ففي بعض روايات المجلسي على ما يعلق ببالي من زمن متقادم أنّ زين العابدين كان أحياناً إذا قدّم إليه قدح فيه ماء بكى حتىّ يملأه دما[2].

وعلى هذه الوتيرة فاسحب وجر سائر الأعمال التي يؤتى بها بقصد الحزن والتوجّع لفاجعة الطفّ، وأنهّا لعمر الله باب الرحمة الواسعة، وسفينة النجاة من كلّ هلكة. ومَن ذا يقدر على سدّ باب رحمة الله، أو يقطع أعظم الذرائع والوسائل إلى الله؟!

ولكن رغبتي إلى إخواني المؤمنين ووصيّتي إليهم ومسألتي منهم أمران:

الأوّل: تنزيه تلك المواكب المقدّسة من كلّ ما يشينها ويدنسّها، مما يوجب إلقاح الفتنة والفساد من المقابلة والتفاخر وحبّ الغلبة وتفوّق قبيل على قبيل، وأمثال ذلك من الأخلاق الذميمة.

فإنّ تلك الأعمال أعمال إلهيّة، ولها غايات روحية، فلا تدعو للشيطان سبيلاً إلى إحباط أجرها ومحو أثرها وغاياتها.

الثاني: وهو أهم وأعظم، ألا وهو المحافظة على اتّفاق الكلمة، ونبذ الخلاف والتفرّق، ولتكونوا يداً في حفظ هذه الجامعة المقدّسة التي أوشكت أن تنحل

1- المزار: ٥٠١، زيارة أخرى في يوم عاشوراء صدرت على الناحية.

2 - بحار الأنوار ٤٦: ١٠٦، حديث ١ ، الباب السادس (حزنه وبكائه على أبيه)، نقلاً عن مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٣٠٣، باب إمامة علي بن الحسين(عليه السلام). وفي كلا المصدرين يملأها «دمعاً» لا «دماً».

عراها وتضمحلّ قواها.

ومَن تدبرّ في حالة الشيعة الحاضرة يجدها وخيمة العاقبة ذميمة المغبّة، تكاد تقضي على حياتها وتؤديّ إلى هلاكها، يعرف ذلك أهله من ذوي التدبّر والمعرفة.

وهذه حادثة المدينة وفاجعة أئمّة البقيع، كفى بها ذلاًّ وهوانا لَنا معشر الإمامية، وكان يجب أن تكون هي الشغل الشاغل لنا عن كلّ خلاف ونزاع، وتنابذ وافتراق.

فالله الله يا عباد الله المؤمنين في جمع الكلمة، ولم الشعث[1]، ورتق الفتق، ووحدة العدّة والقوّة، فإنهّا أربح وأنجح وأفضل وأجمل في الدنيا والآخرة، وما أُريد إلاّ الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بّالله عليه توكلتّ واليه أنيبُ.

1- الشعث بالتحريك: انتشار الأمر، يقال: لمَّ الله شعثك، أي جمع أمرك المنتشر. الصحاح ١: ٢٨٥ «شعث».

محاضرة زاهرة وكلمات باهرة

ألقى علينا عمّنا الحجّة والآية، وعلم الهداية، الشيخ السابق الذكر أدام الله ظلهّ العالي، ذات يوم محاضرة نفيسة، وجدناها تتعلّق أشدّ العلاقة بالفتوى المتقدمّة، فأحببنا إلحاقها بها ونشرها هنا، وأن نضم مّا صدر من فمه إلى جنب ما صدر من قلمه، تعميماً للفائدة وخدمة للحقيقة ونشراً للمعارف الدينية، قال دامت بركاته:

إنّ مَن أمعن النظر وسبر[1] غور[2] الوقائع التاريخية في بدء الدعوة المقدّسة الإسلاميّة، وفلسفة نشوئها وارتقائها وبدء انتشارها واعتلائها، وجد أقوى الأسباب العاديّة بعد العناية الربانيّة، هو سيف أمير المؤمنين صلوات الله عليه ومواقفه المشهورة ومساعيه المشكورة، بحيث لولا كفاحه وصفاحه لمّا اخضرّ للإسلام عود، ولماّ قام له عمود.

وكذلك من أعطى التدبّر حقهّ وأمعن النظر في أسباب انتشار مذهب التشيعّ

1- سبرت الجرح أسبره: إذا نظرت ما غوره. الصحاح ٢: ٦٧٥ «سبر».
2- غور كلّ شيء قعره. الصحاح ٢: ٧٧٣ «قعر»، والمعنى أن الناظر إلى أعماق الوقائع التاريخية.

واتّساع نطاقه، وارتفاع رواقه، لم يجد له سبباً حقيقياً وسرا جوهريا، سوّى شهادة أبي عبد الله الحسين – صلوات الله عليه – بذلك الشكل الغريب، والوقع الهائل.

ولولا شهادته سلام الله عليه لكانت الشريعة أمويّة، ولعادت الملةّ الحنيفية يزيدية، فحقا أقول: إن الإسلام علوي، والتشيع حسيني.

أقول وحقاً ما أقول: إنّ مَن ليس له حبل ولاء خاص إلى علي صلوات الله عليه، فليس من الإسلام على شيء، ومن ليس له حبل ولاء خاصّ بالحسين سلام الله عليه فليس من التشيعّ على شيء.

ولعلّ من هنا تجد أنّ لكل شيعي علقة خاصة مع الحسين(عليه السلام) ليست له مع غيره من سائر الأئمة سلام الله عليهم، مع أنّه يعتقد بإمامتهم وفرض طاعتهم.

نعم، وقد كان لنفس النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ولذات الأئمة(عليهم السلام) علقة خاصة بالحسين بخصوصه ليست لبعضهم مع بعض، فلقد كانت لهم لهجة خاصة بذكره، يعرفها من أنس بأخبارهم، ووقف على بعض أسرارهم.

وهذه ميّزة قد امتاز سلام الله عليه بها، ومزيّة قد تفرّد هو فيها. وكانوا جميعا يشيرون إلى أن الحسين(عليه السلام) هو مستودع ذلك السرّ الإلهي الذي يستبين به الدين، ويميز الله به الخبيث من الطيّب، والحق من الباطل.

وما تبيّن الرشد من الغي والهدى من الضلال إلاّ بالحسين سلام الله عليه، والإ فقد لرتبك الأمر بعد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على عامة المسلمين واختلط الحابل بالنابل[1] والحقّ بالباطل، سيمّا بعد صلح أخيه الحسن سلام الله عليه، الذي كان

1 - هذا من أمثال العرب، قال اليوسي: الاختلاط معروف، والحابل الذي يصيد بالحبل، والنابل الذي يصيد بالنبل، فيضرب ذلك في اختلاط الرأي. زهر الأكم في الأمثال والحكم ١: ٢٢١.

أيضاً بأمر من الله سبحانه، ولكن نهض الحسين سلام الله عليه تلك النهضة الباهرة، فقشع سحب الأوهام، وانقشع النور من الظلام، وأصحر بالهدى لطالبه، وبالحق الضائع لناشده.

وهذه إحدى المزايا التي امتاز بها وتفرّد، وكان من قبله من الأئمة ومن بعده يشيرون إليها، ويدلوّن الناس عليها، وكانت نسبته إليهم في ذلك على حدّ قول القائل:

ولستَ تَرَى في محكمِ الذكر سورة
تقومُ مقام الحمدِ والكل قُرآن[1]

1 - أحد أبيات قصيدة ابن قلاقس المصري، وهو نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي الإسكندري الأزهري، المعروف بابن قلاقس، ولد في الإسكندرية عام ٥٣٢ هـ ، ثمّ انتقل إلى القاهرة، توفّي في عيذاب - وهي قرية متوسطة بين مصر والحجاز واليمن - عام ٥٦٧ هـ ، ونذكر تمام القصيدة تعميماً للفائدة:

لأية حال فيضُ دمعك هتانُ ... ا هذه نعم ولا تلك نعمانُ
أكلُّ مكان للبخيلة منزلٌ ... لُّ حمول للبخيلة إظغانُ
وإلاّ فهل أسررت رأي متمّم ... ان على آثارهم عندما بانوا
سقى الله نعمان الأراك مدامعي ... قلت ولو أنّ المدامع طوفانُ
ديارٌ بها للسُمر غابٌ وللظِبا ... داولُ أنهار وللجرد غزلانُ
إذا رتعت آرامها قلت وجرةٌ ... إنّ ربضت آسادها قلت خفانُ
نعمت بها والعيش أخضر يانعٌ ... صن الصبا لدنُ المعاطف ريّانُ
فما نهدت عن شرعة الحبُ ناهدٌ ... لا أوهن الشمل المجمّع وهنانُ
أمّا وبدور في غصون تمايلت ... ا هي أقمارٌ ولا تلك أغصانُ
لقد جبت عرض البيد وهي فسيحةٌ ... ست عرين الليث والليثُ غضبانُ
ولا صاحبٌ إلاّ تنسم نفحة ... زرت لها عطفي كأنّي نشوانُ
يميل إليها أخدعُ الصبّ كبكبٌ ... لوي لها عطف المتيّم ثهلانُ
فعجتُ مع الشوق المبرّح طوعه ... ي كلّما لام العواذل عصيانُ
فلمّا رأيتُ الدار حيّيتُ ربعها ... للطرف إنكارٌ وللقلب عرفانُ
وقلتُ لها قلبي كأهلك قد نأى ... ا أنت إطلالٌ وها أنا جُثمانُ
فأين أفنانُ القدود وقد هفت ... شجت لطير الحلي فيهنّ ألحانُ
ليالي تزري بالكواكب أكؤسٌ ... اورُ بالشمس المنيرة ندمانُ
تصرّمُ ذاك العيش إذا تذكراً ... بتُ له بين الأضالع نيرانُ
فإن كنت من ماء الجزيرة راوياً ... نّي إلى عذب العذيب لظمآنُ
وقد أقطعُ البيداء والبدرُ فارسٌ ... الليلُ طرفٌ والكواكبُ خُرصانُ

بمنجرد في الوعر وعل وفي النقا قابٌ وفي سهل البسيطة سرحانُ

سرى وكأنّ الريح ملءُ حزامه ها وكأنّي في مطاهُ سليمانُ

وأخضر مرهوب الغرار إذا بكى حاملهُ طلق الأسرّة جذلانُ

وأرقط إمّا نسبة حين ينتمي قرٌ وإمّا نصبة فهو بستانُ

وروضٌ به للنهر تجري مجرّة لزهر غذتهُ المواطرُ شهبانُ

وقد أتلعت أجيادها قلل الربى لّدها للنور ذّر وعقيانُ

يعبّر عن نشر الأثير كأنما رٌ على تلك الرُبى منه أردانُ

أغرّ له حالا نوال وفتكة ي السلم مطعامٌ وفي الحرب مطعانُ

من القوم ما غير الظبي لبيوتهم اسٌ ولا غيرُ الذوابل أركانُ

إذا جرّدوا بيض السيوف فما لها ى أرؤس الصيد البهاليل أجفانُ

ظماءُ حروب من قلوب عداتهم هم قلبٌ والسمهرية أشطانُ

رعوا من يواليهم وراعوا عداتهم أقوامهم عزوا وأضدادهم هانوا

تكفلهُم للمجد أفضل كافل غذتهم من صفوة الفضل ألبانُ

صفا منهم جودٌ عميمٌ ومنظرٌ يمٌ وعرضٌ لا يشابُ وأذهانُ

إذا صمتوا خفوا وإن نطقوا هُدوا إنّ نزلوا زانوا وإن ركبوا صانوا

أجاروا وما جاروا وأولوا وما ألوا نّوا وما منّوا ومانُوا وما مانوا

وكم سقت الأعداء كأساً مريرةً وارم تثنيهم صريماً ومرانُ

سوام رعوا نبت الرماح فهوموا جافاً وما كلٌّ المسارح سعدانُ

تميمٌ تمامٌ فضلهُم غير أنّهُ عزّ وما ذلوا وأوفى وما خانوا

ولست ترى في محكم الذكر سورةً قومُ مقام الحمد والكلُّ قرآنُ

لهم شرفٌ يزدادُ فخراً بذكره هم المعالي ناظر وهو إنسانُ

له قلمٌ كالصّل لكن لعابه باغي الندى شهدٌ وللقرن ذيفانُ

إذا جال يوماً فالأنامل سابحٌ منخرقُ الطُرس المنمّقُ ميدانُ

فلله منه واحدٌ بين قومه م بين أحياء القبائل وحدانُ

يجودُ ويخفى جودُه فيذيعهُ ناءً وما بالمسك يعبقُ كتمانُ

أحبّ المعالي فاغتدت وهي طوعُه من شيم المحبوب مطلٌ وليّانُ

وأسعد بالندب السعيد فللعلى جمّع شمل لا دنا منه فرقانُ

فللمجتلي شمسٌ وبدرٌ تألّقا وللمُجتدي سيحانُ فاض وجيحانُ

ومن عجب أن قسم الفضل فيهما ولا واحدٌ في قسمة منه نقصانُ

علاهُم سماءٌ والأمير محمّدُ بها قمرٌ طلقُ الأسرة ضحيانُ

طلاقتهُ دلت على طيب أصله وفي الفجر وضاحاً على الصبح عنوانُ

ليهنكم العيدُ السعيدُ وإن غدا بفضلكم يزهو جلالاً ويزدانُ

إذا كنتم عيداً لنا كلّ مدّة فقد بات شوّالٌ سواءً وشعبانُ

أقامت على جودي جودك فاكتفت سفينة آمالي وللبخل طوفانُ

لساني غوّاصٌ وفكري بحرُه وشعري درٌّ يُستفادُ ومرجانُ

إذا اختال فيه لا بسوه فحلّةٌ تزينُ ومن بعض الملابس أكفانُ

تقصّر عن نعماك أولادُ جفنة ويقصّرُ عن إدراك شأوي حسّانُ

ويتوّع من هذه المزيّة مزايا تفوت حد ّالمد،ّ ويحصر عنها لسان الحصر.

كان من مزاياه التي انفرد بها وامتاز عن غيره فيها، أنّه ربمّا رآه وكلمّه أعدى عدو له، فانقلب أكبر محب لهّ.

وحسبك بحديث زهير بن القين، وكان عثمانياً، أبغض شيء إليه أن ينزل الحسين(عليه السلام) في منزل، فما اجتمع به وكلّمه بضع كلمات حتّى طلقّ الدنيا وزوجته، وفداه بنفسه [1]، ولا تحسب أنّ هذه من منفردات الشيعة ورواياتهم، فإنّ في كتب علماء السنّة قد يوجد ما هو أعجب من ذلك.

---

1 - ففي اللهوف قال السيّد بن طاووس: «ثمّ سار(عليه السلام) فحدّث جماعة من بني فزارة وبجيلة قالوا: كما]كنّا[مع زهير بن القين لمّا أقبلنا من مكّة فكنّا نساير الحسين(عليه السلام) حتّى لحقناه، فكان إذا أراد النزول اعتزلناه فنزلنا ناحية، فلمّا كان في بعض الأيّام نزل في مكان لن نجد بدّاً من أن ننازله فيه.
فبينا نحن نتغدّى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين(عليه السلام) حتّى سلّم، ثمّ قال: يا زهير بن القين، إنّ أبا عبد الله الحسين(عليه السلام) بعثني إليك لتأتيه، فطرح كلّ إنسان ممّا ما في يده حتّى كأنّما على رؤوسنا الطير.
فقالت له زوجته - وهي ديلم بنت عمرو - : سبحان الله! أيبعث إليك ابن رسول الله(عليه السلام) ثمّ لا تأتيه؟ فلو أتيته فسمعت من كلامه.
فمضى إليه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوّل إلى الحسين(عليه السلام)
وقال لامرأته: أنت طالقّ فإنّي لا أحبّ أن يصيبك بسببي إلاّ خير، وقد عزمت على صحبة الحسين(عليه السلام) لأفديه بنفسي، وأقيه بروحي، ثمّ أعطاها مالها وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها.
فقامت إليه وبكت وودعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين(عليه السلام).
فقال لأصحابه: من أحبّ أن يصحبني، ولا فهو آخر العهد منّي به». اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٤ ، خروج الحسين(عليه السلام) من مكّة إلى العراق.

هذا مجد الملك بن شمس الخلافة، أحد وزراء العلماء في مصر، المتوفّى في حدود الستمائة، على ما ذكره ابن خلكان في ترجمته، ذكر في كتاب له ألّفه في محاسن المحاضرة وآداب المسامرة فقال:

«إن عصام بن المصطلق وكان شاميّاً أمويّاً قال: دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي سلام الله عليهما ومعه غلمانه وحاشيته، فأعجبني سمته ورواؤه وحسنه وبهاؤه، وأثار الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض، فجئت إليه وقلت له: أنت ابن أبي تراب؟

فقال: «نعم».

فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إليّ نظر عاطف رؤوف برقّة ورحمة، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾[1].

ثمّ قال لي: «خفّض عليك، أستغفر الله لي ولك، إنكّ لو استعنتنا لأعناك، ولو استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا لأرشدناك».

قال عصام: فندمت على ما قلت، وتوسّم منّي الندم على ما فرط مني فقال: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[2].

ثمّ قال(عليه السلام): «أمن أهل الشام أنت»؟

قلت: نعم.

1- الأعراف (٧) : ٢٠٠ - ٢٠٣.
2- يوسف (١٢) : ٩٢.

فقال: «شنشنة أعرفها من أخزم [1] ، حيّانا الله وإيّاك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك تجدنا عند أفضل ظنّك إن شاء الله».

قال عصام: فضاقت علي الأرض بما رحبت ووددت لو أنّها ساخت بي، ثمّ انسللت من بين يديه لواذاً، وما على وجه الأرض أحبّ إليّ منه ومن أبيه» [2] انتهى ما علق بخاطري من ذلك الكتاب.

وكم لهذه الواقعة من نظائر لا يسعها المقام، ولكن من عوف للحسين(عليه السلام)بعض هاتيك المزايا والخصوصيات لاشكّ أنّه يستقلّ في غوائه الكثير، ويستحقر الأمر الخطير، ويرى دون ما يستحقّه كل تلّك الشعائر والمظاهرات، والمواكب والزعات.

نعم، وإذا كان الشامي الأموي بنظرة واحدة وكلمات معدودة يعود وما على وجه الأرض أحبّ إليه من الحسين وأبيه، فما عذر الشيعي في إبداء الوهم والتشكيك في المواكب الحسينيّة والشؤون الزائية؟!

وأمّا والله لولا استمرار تلك الشعائر ; وقيام أعواد هذه المنابر، واستدامة التوجّع والتفجّع، لانطمست أعلام التشيّع، ولكنيّ أختم كلمتي هذه بالآية الشريفة

1- الشنشنة بالكسر: الطبيعة والخلق، وأخزم بالزاي رجل من طي مات أخزم هذا وترك بنين، فوثبوا يوماً على جدّهم فأدموه فقال:

إنّ بنيّ زملوني بالدم — يلق أساد الرجال يُكلَمِ

ومَن يكن ذا أود يُقوَّم — شنة أعرفها من أخزم

لأنّه كان عاقاً كذلك. زهر الأكم والأمثال والحكم ١: ٣٥٥.
2 - لم نعثر على هذا الكتاب لكن القصّة مشهورة، فقد ذكرها ابن عساكر في تاريخه، تاريخ مدينة دمشق ٤٣: ٢٢٤، في ترجمة علي بن محمّد أبو الحسن الحوطي رقم ٥٠٧٨، وذكرها القرطبي في تفسيره ٧: ٣٥٠، ذيل قوله تعالى: (إنّ الذين اتقوا إذا مسّهم...).

التي استشهد بها سلام الله عليه حيث قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [1].

نسأله تعالى أن يمنّ علينا بنفوذ البصيرة، ونزع بذور الأغراض من لوح السريرة، لنرى الحقائق كما هي إن شاء الله، والسلام.

انتهى ما ألقاه علينا من المحاضرة والخطبة شيخنا الحجّة نفعنا الله بإفاداته، ومتّعنا بطول بقائه إن شاء الله، والسلام عليكم أيّها المؤمنون جميعاً ورحمة الله وبركاته [2] .

1- الأعراف (٧) : ٢٠١ - ٢٠٢.
2 - في آخر الطبعة المستقلّة لهذه الرسالة «المواكب الحسينيّة»، كتبت عبارة: «الناشر محمّد ابن الشيخ عبد الحسين آل كاشف الغطاء - النجف الأشرف - المطبعة العلويّة».

(٩) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى

تأليف

الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

(١٢٩٤هـ – ١٣٧٣هـ)

السؤال الثاني

إلى سماحة الإمام حجّة الإسلام أدام الله ظلّكم العالي:

هل يوجد دليل على استحباب أو جواز لطم الصدور في عزاء أبي عبدالله الحسين أرواحنا فداه، أو لا؟ فإنّ بعض مَن ليسوا من أهل نحلتنا ينكرون الجواز، وبعض آخر يقولون: إنّا نستكشف الجواز من لطم الفاطميات، فتفضّلو ببيان الجواب ولو على نحو الإجمال.

الجواب:

مسألة لطم الصدور ونحو ذلك من الكيفيّات المتداولة في هذه الأزمنة، كالضرب بالسلاسل والسيوف وأمثال ذلك، إن أردنا أن نتكلّم فيها على حسب ما تقتضيه القواعد الفقهيّة والصناعة المقرّرة لاستنباط الأحكام الشرعية، فلا تساعدنا إلا عّلى الحرمة،ولا يمكننا إلاّ الفتوى بالمنع والتحريم; فإنه لا مخصّص للعمومات الأوليةّ والقواعد الكليةّ من حرمة الإضرار وايذاء النفس وإلقائها في التهلكة،ولا دليل لنا يخرجها عنها في المقام.

ولكن الذي ينبغي أن يُقال بالقول الصريح : إنّ من قطعيّات المذهب الإمامي، ومن مسلمّات هذه الفرقة الحقة الاثنا عشرية، أنّ فاجعة الطفّ والواقعة

الحسينيّة الكبرى واقعة عظيمة، ونهضة دينية عجيبة، والحسين(عليه السلام)رحمة الله الواسعة، وباب نجاة الأُمّة، ووسيلة الوسائل، والشفيع الذي لا يردّ، وباب الرحمة الذي لا يسدّ[1].

وإنّي أقول : إنّ حق الأمر وحقيقة هذه المسألة إنماّ هو عند الله جل وّعلا، ولكن هذه الأعمال والأفعال إن صدرت من المكلّف بطريق العشق الحسيني والمحبةّ والوله لأبي عبدالله(عليه السلام) نحو الحقيقة والطريقة المستقيمة، وانبعثت من

1 - وقد خدم(عليه السلام) الدين بنهضته المقدّسة، وأحيى التوحيد في العالم بتلك التضحية العظيمة، ولولا شهادته لم تقم للإسلام قائمة; فإنّ الأحقاد القديمة من بني أميّة وتلك الضغائن الخبيثة من تلك الشجرة الملعونة، نهضت على محو الدين الإسلامي الذي ظهر من أسرة عريقة بالمجد والشرف، أعني البيت الهاشمي البازغ منهم شمس الرسالة والنبوّة.
فلو أرخينا عنان القلم نحو الوجهة التاريخية وما كان للأمويين من النيّات الممقوتة في هدم الإسلام، لخرجنا عن الغرض المقصود في هذه الرسالة، وهي ترجمة الكلمات المترشحة من قلم سماحة الإمام دام ظلّه.
ولكن أستطيع أن أقول أيها القارىء العزيز على الإجمال: إنّ بني أمية سلكوا في سياستهم الغاشمة في هدم الإسلام ونسفه المسلك والشرعة التي علّمها لهم رئيسهم ورئيس المنافقين والزنادقة أبو سفيان، في تلقينه لهم تعاليمه الجاهليّة ونزعاته الأمويّة، حين دخل على عثمان بعد أن ولي الخلافة وخاطبهم بكلامه المعلن بكفره ونفاقه وقال: «يا بني أميّة، تلقّفوها تلقّف الكرة، والذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة»..
وقال لعثمان: «أدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أميّة، فإنّما هو الملك، ولا أدري ما جنّة ولا نار».
وأتى قبر حمزة سيّد الشهداء(رضي الله عنه) فركله برجله، ثم قال: «يا حمزة، إنّ الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم، وكنّا أحق به من تيم وعدي».

احتراق الفؤاد واشتعال نيران، الأحزان في الأكباد بمصاب هذا المظلوم ريحانة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، المصاب بتلك الرزيّة، بحيث تكون خالية وموأة من جميع الشوائب والتظاهرات والأغراض النفسانية، فلا يبعد أن يكون جائزاً، بل يكون حينئذ من القربات وأجلّ العبادات.

وعلى هذا يُحمل ما صدر من الأعمال ونظائر هذه الأفعال من أهل بيت العصمة والطهارة(عليهم السلام)، مثل ما نقل عن العقيلة الكبرى والصديقة الصغرى زينب سلام الله عليها من «أنّها نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتىّ سال الدم من تحت قناعها»[1].

1 - البحار، للعلامة المجلسي: ج ١٠ / ٢٢٠ ، طبع أمين الضرب باختلاف يسير في العبارة]بحار الأنوار ٤٥ : ١١٥ الباب التاسع والثلاثون[ويكفي في الاعتماد بهذا الخبر نقل المجلسي له عن بعض الكتب المعتبرة، ولهذا اعتمد سماحة شيخنا الإمام ـ دام ظلّه ـ عليه أيضاً في المقام، فدع عنك ما يظهر من كلمات بعض من يدّعي التتبّع من المناقشة في هذا الخبر، فإنّها مناقشة واهية لا وجه لها سوى الاستبعاد المحض الذي لا يعبأ به بعد ما عرفت من كلام سماحة الإمام ـ دام ظلّه ـ الوجه في فعل الصديقة الصغرى زينب سلام الله عليها.
وزينب الكبرى هي عقيلة بني هاشم، وهي الصديقة الصغرى، عالمة أهل البيت(عليهم السلام)، وكريمة أميرالمؤمنين(عليه السلام)، وأمّها الصديقة الكبرى سيّدة نساء العالمين، وهي شريكة الحسين(عليه السلام)في إبادة كبرياء الظالمين وإطفاء نائرة سلطتهم الجائرة، ولولاها لانقرضت سلالة العترة الطاهرة، وهي وحيدة عصرها في الصبر والثبات وقوّة الإيمان والتقوى والعفاف، وفي الفصاحة كأنّها تفرغ عن لسان أميرالمؤمنين(عليه السلام)، وأوصى أخيه إليها بجملة من وصاياه، وأنابها السجاد(عليه السلام)نيابة خاصة في بيان الأحكام، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين(عليه السلام) من علم ينسب إلى زينب(عليها السلام) تستراً على الإمام السجاد(عليه السلام).
وذكرها علماء الرجال من الفريقين في كتبهم، وأفرد بعضهم في حقّها مؤلّفاً خاصّاً ككتاب «السيّدة زينب» وكتاب «زينب الكبرى» للعلامة النقدي(رحمه الله) .
وكتاب «الطراز المذهب» بالفارسية لولد صاحب ناسخ التواريخ، وقد خلط مؤلّفه فيه الصحيح بالسقيم، ولا ينبغي الاعتماد عليه من غير تثبّت وتحقيق.
وصنّفت الدكتورة بنت الشاطىء كتاب «بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء»، وهو عدد ١١ لسنة ١٣٧١ هـ من كتب الهلال التي هي سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال بالقاهرة.
وكتاب «زينب عقيلة بني هاشم».
وغير ذلك من المؤلّفات الخاصة في حقّ هذه العقيلة، التي هي في المُقدّمة بين الأتقياء المجاهدين والطيّبات والطيّبين من آل البيت النبوي الذين ضحّوا في سبيل الحقّ والعدالة وإصلاح زيغ البشرية، واحتملوا من المآسي ما كان له أثره الخالد ووقعه العظيم في التاريخ الإسلامي.
وفي مدفنها وتأريخ وفاتها آراء وأقوال شتى لم أهتدِ إلى تحقيقها والتحرّي الدقيق فيها كي تطمئن النفس بإحداها; لقلّة المصادر; ولأسباب أخرى. قيل: إنّها ولدت في حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)من غير ذكر سنة الولادة كما في الإصابة وغيرها.
وقيل : ولدت في الخامس من جمادى الأولى في السنة الخامسة للهجرة، وهو الراجح في نظري.
وقيل : في السنة السادسة.
وقيل: في الرابعة.
وتوفّيت نحو سنة ٦٥ هـ كما ذهب إليه الزركلي في الأعلام: ج ١ / ص ٣٥١ ، وعمر رضا كحالة في أعلام النساء: ج ١ / ص ٥٠٨، وفي الأخير أنّها دفنت بمصر، وإليه ذهب جمع من علماء أهل السنة.
وذهب العلاّمة الشهرستاني في نهضة الحسين(عليه السلام) إلى أنها توفّيت في نصف رجب سنة٦٥.
وقيل: إنها لم تمكث بعد أخيها إلاّ يسيراً، وتوفّيت بعد ورودها المدينة بثمانين يوماً، وأنّ قبرها بها، كما في تنقيح المقال: ج ٣ / فصل النساء ص٨٠ .
واستظهر صاحب كتاب أعيان الشيعة: ج ٣٣ / ص ٢٠٧ ـ ٢١٠ ط. بيروت أيضاً أن قبرها بالمدينة.
وقيل: إنّها توفّيت في النصف من رجب سنة ٦٢ هـ بمصر، كما ذهب إليه العبيدلي في رسالة «الزينبات» المنسوبة إليه.

وقيل : إنّها توفّيت في إحدى قرى الشام ودفنت بها، وهذا القول بعيد عن الصواب; فإنّ الألسن تلهج في سبب ذلك بحديث (حديث المجاعة ومجيء عبدالله بن جعفر مع زينب(عليها السلام)إلى الشام) لا أثر له في صفحات التاريخ والسير، وما ذكره العبيدلي من تاريخ وفاتها ومدفنها بمصر بعيد أيضاً للقرائن التي لا يسعنا المجال ولا المقام لذكرها، والحقّ أنّ لهذه السيّدة شباهة تامّة بأمها الصديقة الطاهرة(عليها السلام) في اختفاء قبرها ومدفنها، سلام الله عليهما.

ومثل ما ورد في زيارة الناحية المقدّسة في وصف مخدّرات أهل البيت سلام الله عليهم: «للشعور ناشرات وللخدود لاطمات»[1].

ولكن المعنى الذي أشرنا إليه لا يتيّسر لكل أحد، وليس شرعة لكلّ وارد، ولا مطمع لكل طامع، ولا يحصل بمحض الادعّاء والتخيّل; فإنّه مرتبة عالية ومحلّ رفيع، ومقام شامخ منيع، وأغلب الأشخاص الذين يرتكبون هذه الامورُ والكيفياتّ لا يأتون بها إلاّ من باب التظاهر والمراءات والتحامل والمداجات.

مع أنّ هذا المعنى بغير القصد الصحيح والنيّة الصادقة لا يخلو من إشكال، بل حرام، وحرمته تتضاعف لبعض الجهات والعوارض الحالية والطوارىء المقامية.

1- المزار: ٥٠٥، زيارة أخرى في يوم عاشوراء خرج عن الناحية.

وأحسن الأعمال وأزهها في ذكرى الحسين السبط صلوات الله عليه هو النياحة والندبة والبكاء لريحانة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، والمظلوم الموتور، والسلام عليه والزيارة له، واللعن على أعدائه، والتوّي من ظالميه والمشاركين في دمه وقاتليه، والراضين بقتله، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وأولاده الميامين المنتجبين.